

مشروع النشر المشترك



كتاب الاستبصار في عجائب الأهمصار

نشر وتعليق

الدكتور سعد زغلول عبد الحميد

مقدمة

لسنا أول من يعنى بكتاب الاستبصار . فنذ حوالى قرن نشر ألفرد فون كرمر الجزء الخاص منه بالمغرب نقلا عن مخطوط كان في حوزته (١) . ولكن هذه النشرة غير كاملة : إذ تنقصها الفصول الخاصة ببلاد شَمَارَة ، واستقرار الأدارسة بالمغرب ، وزندقة برغواطية ، ومدينة بجلنماسة ، وبداية العبيديين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونفيس وتينملال ومرآكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة للسودان (دون ذكر بلاد السودان نفسها) . وإلى جانب ذلك فإن نشرة فون كرمر تحتوى هنا وهناك على بعض النقص مما كبر حجمه أو صغره . وبعد ذلك بحوالى خمسين عاما نشر ا. فانيان ترجمة فرنسية كاملة لهذا الجزء نفسه مصحوبة بهوامش وتعليقات ، واستخدم طبعة فون كرمر ، ومخطوطى الجزائر ، ومخطوط باريس (٢) . ومع أن فانيان عمل في ترجمته على تكملة نشرة فون كرمر وسد الثغرات التى كانت بها إلا أن ما قام به لا يغنى عن النص العربى ، ولا يرضي حاجة المشتغلين بالدراسات العربية .

هذا إلى جانب أن الجزء الذى بقي من الكتاب دون نشر كبير ومهم ، يبلغ حوالى نصف النص العربى الكامل . وهو ينقسم على قسمين : الأول ويبلغ الثلث خاص بالأماكن المقدسة في مكة والمدينة ؛ والثانى خاص بمصر وعجائبها .

وهكذا تحدد عملنا ... الذى يهدف إلى إكمال ما قام به كرمر وفانيان - فى نشر النص الكامل لكتاب الاستبصار ، ثم ترجمة الجزء الخاص بالأماكن المقدسة ومصر إلى الفرنسية .

Alfred Von Kremer, Kitab al - Istibsar fi 'Aja'ib al - Amsar :

(١)

Description de l'Afrique par un géographe arabe anonyme du VI^e siècle de l'Hégire, Vienne, 1852.

E. Fagnan, L'Afrique septentrionale au XII^e siècle de notre ère: Extrait (٢)

du recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1900

(ب)

المؤلف :

ومما يدعو إلى الأسف أننا نجهل مؤلف كتاب الاستبصار .
فباستثناء ابن أبي زرع ، صاحب كتاب روض القرطاس ، الذي يذكر
عنوان الكتاب (١) لم يشر أى كاتب آخر إلى الكتاب أو إلى مؤلفه .
هذا كما أن المؤلف لا يمدنا خلال كتابته بأية معلومات تكشف لنا عن
شخصيته . وهنا نجد ثلاث كلمات تعبر عنه وهى : " المؤلف " أى صاحب
الكتاب ، " الناظر " ثم " الواضع " ولها معنى كلمة المؤلف . وعلى ذلك
فسنكتفى بالعناية بكلمتى " المؤلف " و " الناظر " . هل تعنى الكلمتان شخصية
واحدة أو شخصيتين مختلفتين ؟ يمكن أن تكون كلمة الناظر لقبا كان يحمله
المؤلف وهذا تدل " المؤلف " و " الناظر " على شخص واحد . ولكن
هذا الافتراض غير محتمل إذ لا نعرف " الناظر " لقبا فى تلك الفترة .
وقد يكون معنى كلمة " الناظر " قريبا من معنى كلمة " المراجع " أى الذى
أعاد النظر فى الكتاب ونظمه وأعطاه شكله الأخير . وهنا تعنى كلمة
الناظر شخصا آخر غير المؤلف . وهذا ما تؤيده الفقرة التالية
التي تختم الكتاب (ص ٢٢٦) : " قال الناظر : هنا انتهى ما وجدته
من هذا الموضوع ، ولقد أحسن واضعه ورتب ما حقق ، وهذا لعمري
أقرب وأخصر من غيره ، ففيه ما فى غيره وليس فى غيره ما فيه .
وحققت وطرزت كتاب الواضع بما قيدت فى هذه المواضع ، وأنا مؤمل
أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوى على ذكر بلاد المغرب وممالكها
إلى هذه الأيام السعيدة الإمامية ، وأضيف إليها ما رفعتة للحضرة العلية من مفاخر
هذا الأمر العالى - أيد الله دوائمه - سنة ٨٠ [٥] [= ١١٨٤ - ١١٨٥] ،
وهو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأفة الأعداء ... " .

(١) يذكر ابن أبي زرع كتاب الاستبصار عندما ينقل عنه جزءا خاصا بمدينة فاس (أنظر
روض القرطاس ، ص ٢٤) . ولما كان هذا الجزء لا يوجد فى الكتاب كما هو بين أيدينا اليوم
فإن هذا يدعو إلى الظن أن كتاب الاستبصار إما أن يكون قد وصلنا ناقصا أو مختصرا .

(ت)

وأيا ما كان فإننا نعتبر "الناظر" هو المؤلف الحقيقي للكتاب بصورته التي وصلتنا ؛ فهو قد لجأ إلى كتاب قديم نجهل صاحبه ، فوضع له المقدمة ، ورتب فيها منهجه (من وصف الأماكن المقدسة ومصر وبلاد المغرب) ، وهو قد نقح الأصل وحققه وأضاف إليه ، ثم ختمه . وهو يعد بإخراج كتاب خاص بتاريخ المغرب إلى أيامه . وفي الكتاب فقرات تبين أن الناظر عاش على عهد يعقوب المنصور الموحدى ، وأنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ وهو الشيخ أبو عمران بن أبي يحيى بن وقتين الذي يهدي إليه الكتاب ويطلب منه حسن الرعاية (ص ٢٠١) . ويظهر أنه كان يصنف الكتاب في سنة ٥٨٧ (١١٩١) كما يفهم من بعض إشاراته (ص ١٣٨) ، وخاصة بمناسبة سفارة ابن منقذ رسول صلاح الدين إلى الخليفة المغربي (ص ١٠٧) ؛ وبمناسبة العمليات الحربية ضد بني غانية بإفريقية (ص ١١١) . ولكنه يتضح أيضا أن الكتاب كان موضع تنقيحات تالية بالنسبة لهذا التاريخ ؛ والمثل لذلك زيارة ابن منقذ . فهذه المناسبة يعود صاحب الكتاب ، بعد أن يذكر أنه كتب ذلك في رمضان سنة ٥٨٧ (سبتمبر - أكتوبر ١١٩١) ، فيقول إن رسول صلاح الدين ترك العاصمة المغربية في ١١ من المحرم سنة ٥٨٨ (٢٨ من يناير ١١٩٢) .

هذا وتدل التفاصيل التي يمدنا بها عن مكناسة وفاس ومراكش على معلوماته الغزيرة عن هذه المدن . فلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منها ؛ فهو لا يكتفى بالوصف الدقيق للعواصم المغربية بأمبراطورية الموحدية على عهده ، ولا بالأعمال الإنشائية التي تمت على عهد يعقوب وسلفيه ، بل يقترح خططا عمرانية أخرى تهدف إلى نشر الرخاء في هذه المناطق .

وزيادة على ذلك فإن المعلومات التي يعطيها عن الحملة العسكرية ضد بني غانية في إفريقية تتفق بشكل غريب مع إحدى الرسائل الرسمية الصادرة من ديوان يعقوب المنصور ، والتي يقتطف منها بعض الفقرات (ص ١٥٩ وهامش ١) . وهو عندما يتكلم عن بلاد السودان يقول إنه اطلع على الرسائل

(ث)

الرسمية الصادرة باسم غانة ملك أحد هذه البلاد إلى يوسف بن ناشفين (ص ٢١٩)؛ ومعنى هذا أن سجلات المرابطين القديمة كانت في متناول يده؛ أو وصلت إليه صور منها هي الأقل .

من كل ذلك يمكننا أن نفترض أن المؤلف " الناظر " كان يشغل وظيفة لدى يعقوب المنصور كانت تمكنه من الاطلاع على مجرى الأمور في ديوان الخليفة أو في بلاطه . وهنا يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنظن أنه ربما كان صاحب الرسالة الرسمية نفسه أي ابن محشرة^(١) . يؤيد ذلك ما يظهره المؤلف من آيات الولاء والخضوع للخليفة وسلفيه ، ذلك الولاء الذي لا يصدر إلا من خادم مخلص للموحدين .

الكتاب :

إن النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية . ورغم ذلك فإنه من الصعب وضعه في موضعه الصحيح بين أصناف الكتب الجغرافية المعروفة : من كتب الأطوال والعروض ، وكتب تقويم البلدان ، وكتب المسالك والممالك ، أو كتب العجائب^(٢) . والحقيقة أننا لو أخذنا بعنوان الكتاب ، وهو « كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار » لوجب وضعه بين كتب المجموعة الأخيرة . ولكن الأمر ليس كذلك ؛ إذ هو ليس كتاب جغرافية خالصة . فرغم تاريخ تأليفه المتأخر نسبيا نلاحظ أنه يحتوي على خليط من التاريخ والجغرافية من كل لون ، مما يجعله أشبه مايكون بكتب الجغرافية من النوع البدائي الأول .

فمن وجهة النظر الجغرافية — ولهذا السبب وحده — يمكن أن يقال بشكل عام إن الكتاب ليس من كتب الجغرافية العلمية المتكثرة ، فهو غير مخصص

(١) أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي المعروف بابن محشرة (٥٤١ - ١١٤٦/٥٩٨ - ١٢٠١) . أنظر E. Lévi-Provençal, un recueil de lettres officielles almohades, étude. p. 9 et note 22.

(٢) أنظر R. Blachère, Extraits des géographes arabes , Paris, 1932 ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة ، مجلة كلية أداب الاسكندرية ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٩١

(ج)

لعجائب البلدان ، كما يمكن أن تتوقع ، وإنما هو مصنف يحوى معلومات دقيقة وأخبار أعامه وأساطير طريفة ، جمعت بعضها إلى جانب بعض بغرض تقديم وصف سهل لطيف مستساغ للقارئ لا تثقله الدقة العامية المتعبة والتي لأنهم سوى الإخصائيين .

المصادر :

إن مما يعين على معرفة المصادر المختلفة التي أخذ عنها المؤلف معلوماته أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام مختلفة هي : الأماكن المقدسة ومصر وبلاد المغرب .

والجزء الأول عبارة عن وصف مكة والمدينة ، والهدف منه هو تصوير شعائر الحج . والمؤلف يُعنى فيه بوصف مكة عناية بالغة ، فهو يعدد ضواحيها وتلالها ، والجبال المحيطة بها . ثم هو يصف بكل دقة الكعبة ومقاييسها وبابها والحجر الأسود بها . ثم هو يستطرد في وصف المسجد الحرام ، ويصف بئر زمزم ، وهو خلال ذلك يشرح مناسك الحج . وإلى جانب هذا يصف المساجد الأخرى مثل مسجد الخيف ومسجد الزدلفة . وفيما يتعلق بالمدينة يستطرد المؤلف بنفس الشكل عند الكلام عن مسجد النبي وقبره المبجل ، ومسجد قبا ، وينهى وصفه بالكلام عن قبور الشهداء في سفح جبل أحد .

وهذا الجزء عظيم الأهمية نظرا لمعلوماته الدقيقة وطريقته العلمية ، ولكننا لانعرف من أى المصادر استقيت مادته . فالمعلومات التي يمدنا بها عن مكة مختلفة عن معلومات الأزرقى (القرن الثالث الهجرى = ٩ م) التي ينقلها ابن رسته (نهاية القرن الثالث = ٩ م) ، وهي تختلف كذلك عن معلومات ابن جبير المعاصر لمؤلف الاستبصار ، والمعروف أن ما كتبه الأزرقى وابن جبير يعتبر أهم ما كتب عن مكة والكعبة وأكثره أصالة . وهنا نجد أن المؤلف لا يدين بشئ لهذين الكاتبين . ويمكن بعد هذا أن نفترض أنه نقل عن البكرى الذي كتب في سنة ١٠٦٧/٤٦٠ كتابه المعروف بالمسالك والممالك . والحقيقة أن كتاب البكرى هو المصدر الرئيسى لصاحب الاستبصار

بالنسبة للجزء الخاص بمصر والمغرب ، ولكن ضاعت من كتاب البكرى
 الفصول الخاصة بالأماكن المقدسة ؛ وهكذا فلا سبيل إلى القول بأن صاحب
 الاستبصار نقل هذا الجزء أو شيئاً منه عن البكرى أو لم يفعل . وفيما يتعلق
 بوصف المدينة ومسجد النبي لنعرف أيضاً المصدر الذي أخذ عنه الاستبصار ،
 ومعلوماته تختلف عما كتبه ابن رسته وابن جبير . وهنا نجد أن المؤلف يقول
 إنه في سنة ٥٢٨/١١٣٣-١١٣٤ كان يوجد في رواق المسجد وطاء طبرى
 (ص ٤١) . وهذا يحملنا على الظن أن الجزء الأول من الاستبصار نقله مؤلفه
 سنة ٥٨٧/١١٩١ عن مصدر لم يصل إلينا كتب سنة ٥٢٨ أو بعد ذلك .

أما الجزء الثاني من كتاب الاستبصار فيوضع بصفة عامة ضمن ما كتب
 عن عجائب العالم : فكل ما يحويه عبارة عن غرائب وأشياء مدهشة فريدة
 في نوعها . وزيادة على ذلك نلاحظ أن خطة الفصول الخاصة بمصر تنقسم
 على فترتين : فترة مصر القديمة ، التي تنقسم بدورها على فترتين يفصل بينهما
 الطوفان ؛ ثم فترة مصر الحديثة أي العربية . وتبدأ الفترة الأولى بوصف عام
 للبلاد ، وتنتهى بظهور الإسلام وفتح مصر على أيدي العرب . والفترة الثانية
 خاصة بوصف المدن المصرية ، وتبدأ بقصة الفتح منقولة عن ابن عبد الحكم .
 والحقيقة أن هذه التقسيمات ليست مقبولة إلا بصفة عامة ، وذلك أن المعلومات
 الجغرافية والتاريخية ، القديمة منها والحديثة ، تختلط وتتداخل خلال التقسيمات
 الصغيرة بعد ذلك بشكل لا يدع مجالاً للفرقة بينها .

والمؤلف يستخدم في تصنيفه لهذه الفصول خمسة مصادر مختلفة يذكرها
 في بعض الأحيان ، وهي : المسعودى (توفي ٣٤٥/٩٥٦) ؛ وابن وصيف - شاه
 الذى يظن أنه فارسي الأصل وأنه كان يسكن بلدة اخميم ، الذى يكتب حوالى
 سنة ١٠٠٠ للميلاد (أواخر القرن الرابع الهجرى) (ص ٦٠ هامش ٢) ،
 وكان عالماً بتاريخ مصر القديمة - حسب مفهوم ذلك التاريخ في العصور الوسطى
 بطبيعة الحال ؛ وابن عبد الحكم ؛ ثم البكرى . وأخيراً هناك معلومات الناظر
 الشخصية وهى تتعلق في معظم الأحيان بالأحداث التى عاصرها ، وهى فى كل
 مرة يسبقها بكلمتى : " قال الناظر " . والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو :

(خ)

هل أخذ المؤلف معلوماته مباشرة عن المصادر التي يذكرها ؟ هنا نلاحظ أن القطع الباقية من كتاب البكري والخاصة بمصر (مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي ، رقم ٢٢١٨) تشبه بشكل واضح ، من حيث الخطه ومن حيث التفصيلات ، الفصول المماثلة من الاستبصار . وهذا يجعلنا نعتقد أن صاحب الاستبصار نقل عن كتاب البكري معلوماته التي أخذها عن المسعودي وابن وصيف - شاه وابن عبد الحكم . وهذه الملاحظة لا تمنع من أن يكون المؤلف قد قرأ هذه الكتب التي كانت شائعة في عصره ، وأن يكون قد أخذ منها معلومات أضافها إلى ما كتبه البكري . ورغم أنه لا يذكر كتاب الإدريسي فالظاهر أنه تأثر به في أكثر من موضع . والمؤلف عندما يعالج قصة الفتح العربي لمصر ينقل عن ابن عبد الحكم كما سبق أن نقل البكري ؛ وفيما يختص بمصر القديمة يذكر ابن وصيف - شاه وينقل عنه . وفي مجال التاريخ القديم هذا لا ننظر من المؤلف شيئا جديدا ؛ وذلك على عكس ما كنا ننتظره منه من المعلومات الجديدة عندما يعالج موضوع المدن المصرية ، كما فعل بالذمة مدن المغرب ، وهذا ما لم يفعله . فالصليبية في الشام كانت على أشده والمدن المصرية كانت مسرحا لعدد من المآسي التي كان لها صداها في المغرب ولكن المؤلف الذي خصص صفحات - في آخر هذه الفصول - للصليبية وانتصار صلاح الدين اكتفى بنقل الوصف التقليدي للمدن المصرية كما فعل المسعودي وابن عبد الحكم والبكري . وأكثر من هذا فإنه يؤخذ عليه أنه كاد يوقع القارئ في الخطأ عندما أهمل ذكر المصدر الذي نقل عنه ، وغير شكله إلى حد ما ذا كرا تاريخ الوقت الذي كان يكتب فيه هو نفسه . والمثال لذلك هو معلومات المسعودي عن مدينتي تنيس ودمياط التي يذكرها صاحب الاستبصار ويختتمها بالشكل التالي :

” ويسكن بجزيرة تنيس ودمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله ، ونحن في سنة ٨٦ [٥] [= ١١٩٠] “ (ص ٨٨) ؛ كما لو أن هذه الحقيقة كانت واقعة على أيامه أو كما لو أنه حققها بنفسه . وهو في الحقيقة لم يعرف

أن تنيس كانت هدفا لعدد من غارات الصقليين والصليبيين ، وأن أهلها جلوا عنها في سنة ٥٨٨ [= ١١٩٢] عندما كان يعيد النظر في تأليفه (هامش ١ ص ٨٨) .

وما أن يترك المؤلف مصر ليعالج بلاد المغرب والسودان حتى يتخلص من آثار الماضي التي تسلطت على نفسه وقلمه ، فهو يسجل ما يشاهده ويعطى وصفا أكثر دقة . وإذا ما راعينا أنه كان مغربيا وبالتالي عارفا بالبلاد التي هي موطنه ، فهمنا بسهولة أن هذا القسم من الكتاب يفوق في أهميته ما سبقه من الأقسام .

هنا نجد أن المصادر التي يأخذ عنها الكاتب معلوماته والتي يذكرها هي ، المسعودي والبكري - وهذا الأخير يعتبر المصدر الأول للقسم الثالث من الكتاب خاصة . هذا إلا أن مجهود المؤلف لا ينكر ، فهو ينتهج منهجا خاصا به ، ويعطى معلومات شخصية في غاية الأهمية ، لاسيما عن إفريقيا والمغرب الأقصى .

أهمية الكتاب :

يعتبر الكتاب مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخية وأثرية . وهو يسهب في وصف رخاء مصر الزراعى ، الذى يرجع إلى النيل ، ويؤكد بصفة خاصة خصوبة منطقة الفيوم . والفيوم تجذب انتباهه بفضل عمليات المياه فيها ، وهذه تزيد من مزارعها وفواكهها . وفيما يتعلق بمنطقة القرما يذكر أن ثمرها يعد من عجائب الدنيا . أما عن معادن الزمرد الواقعة بين مدينة قوص ومدينة أسوان فهي موضوع خصب لاسترسال قلمه وإسهابه . وهو بعد ذلك يعنى بصناعة النسيج في دمياط وتنيس ، حيث كانت تصنع أردية لا تدخل في نسجها خيوط الذهب ، ويساوى الرداء منها مع ذلك مائة دينار . وكانت حرفة صيد السمك مربحة لأهالى المدينتين . وفي هذا العصر كانت مدينة عيذاب ميناء مهما منه تتجه المراكب نحو الحجاز واليمن والهند وغيرها من البلاد .

وفىما يختص ببلاد المغرب بين الكتاب الثروة الزراعية والمعدنية لكل مدينة مثل : حرير قابس ، وزيت سفاقص الذى يصدر إلى صقلية وإيطاليا وفرنسا (الأرض الكبيرة) ، ومنسوجات سوسة ، وأسماك بتزرت ، ومرجان طبرقة ، وتمر الواحات وبلاد الجريد ، وذهب البلاد الواقعة بين الواحات ومصر ، وفستق قفصة ، وقمح باجة ، وصوف وجة ، ونحاس فاس ، وزيت مكناسة وضواحيها ، وجلد اللط والملاح ثم السكر ، بصفة خاصة ، التى اشتهرت بها بلاد السوس ، والتى كانت تصدرها إلى كل بلاد المغرب والأندلس وإفريقية ، وكذلك النحاس المصنوع والعسل والنيذ والدقيق والعنبر الممتاز . وعندما يتكلم عن بلاد السودان يستطرد فى ذكر الشب الأبيض وحجر المغناطيس .

ومن الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومات مختلفة فى طبيعتها ، وفى قيمتها : كالقصص التاريخية القديمة المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة وهى من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط ؛ ومثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة .

والقسم الأول الذى يصف الأماكن المقدسة بشكل مطول مهم بالنسبة لتاريخ الفن ، ولا سيما إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى ندرة المصادر الخاصة بالآثار ، مما يجعل مهمة مؤرخ الفن من الصعوبة بمكان .

والقسم الخاص بمصر يعطينا فكرة عن الروح التى كانت تسيطر على مفهوم تاريخ مصر القديمة : فكل ما هو قديم ينبغى أن يكون عجيباً دون اعتبار للوثائق الأكيدة الموجودة فى متناول الأيدي . وهكذا قيل إن الرصاص استعمل بدل الملاط فى بناء الأهرام ، وكان يكفى النظر فى هذه الآثار للتأكد من أن الأمر ليس كذلك . وترتب على هذه الفكرة أن أصبح الجزء الثانى من الكتاب — على عكس الجزء الأول الجاف — ذا صبغة أدبية بصفة خاصة .

والفصل الخاص بمدينة الإسكندرية مهم جداً ؛ ففيه يصف المؤلف المنار المشهور بإسهاب ، ويبين موقع المدينة من الناحية العسكرية ، وكيف أنها كانت هدفاً لتهديدات الأعداء التقليديين النصارى ، وخاصة الصقليين

منهم . أما عن جهاد صلاح الدين وانتصاره على الصليبيين ، وسفار ابن منبج إلى المنصور الموحدي ، فقد شغلت عدة صفحات مهمة كما نأمل لو أنها زادت إلى أكثر من ذلك .

والقسم الأخير الخاص بالمغرب مهم جداً بالنسبة لتاريخ الموحدين . فصاحب الكتاب يتدد بمرارة بثورة علي بن غانية في إفريقية ، ويدافع عن موقف سيده الأمير . أما المعلومات المتعلقة بالمغرب الأقصى فهي أصيلة ومهمة للغاية : مثل المجهودات المعمارية التي قام بها أمراء الموحدين الثلاثة الأول ، وخاصة يعقوب منهم : كعمليات المياه ، وبناء المساجد والقصور ، ثم إنشاء الحصون في مدن مراکش وفاس ومكناسة .

من كل ما تقدم يتبين أن كتاب الاستبصار يعتبر حقيقة موسوعة تاريخية جغرافية مختصرة .

تحقيق النص :

وقد رجعنا في تحقيق النص إلى مخطوطات ثلاث : واحدة بالمكتبة الوطنية بباريز (القسم العربي رقم ٢٢٢٥) ، وهي بخط مغربي مقروء ، ولكن تنقصها الورقات الأولى والأخيرة ، هذا بالإضافة إلى بعض النقص الذي يوجد فيها من حين لآخر ، واثنان بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر : أولاهما (رقم ١٥٦٠) في حالة جيدة وهي كاملة ؛ والثانية (رقم ٣٢١٦) رغم أنها كاملة ، إلا أنها في حالة رديئة وذات خط غير مقروء في بعض الأحوال . وإلى جانب ذلك رجعنا أخيراً إلى طبعة فون كرم (von kremer) الخاصة بالمغرب والتي نشرها عن مخطوط لا نعرف مصيره ، وهي تحتوي على كثير من النقص .

ولقد رمزنا لمخطوط باريز بالحرف "ب" وللمخطوطي الجزائر - حسب ترتيبهما المذكور - بالحرفين "ج" ، "م" ، ولطبعة كرم بالحرف "ك" .

وأول ما نلاحظه هو أن الأخطاء الإملائية الكثيرة والنحوية في بعض الأحيان ، وكذلك اختلاف أسماء الأعلام ، تبين أن هذه المخطوطات نقلت في عصر متأخر بالنسبة للمخطوط الأصلي بمعرفة نساخ لم ينالوا حظا كبيرا من الثقافة . وترتب على ذلك أن اضطررنا إلى الرجوع - في كثير من الأحيان - إلى المؤلفات القديمة ، ومن ذلك أن جامع " الحَيْف " كتب في جميع ما بين أيدينا من نسخ جامع " الحنيفة " (ص ٣٣ و هامش أ) . ورغم اتساع دائرة عملنا نتيجة لذلك فإننا لا ندعي أن النص الذي حققناه قد استقام بشكل كامل لاغبار عليه . فما زالت بعض الكلمات بل وبعض الجمل غير دقيقة أو قليلة الوضوح . وقد صادفتنا عبارات يبدو أنها من مصطلحات العبارة الإسلامية وهي غير محددة المعنى عندنا ، وذلك مثل " بحر مُرَّخَم " (ص ١٤ - ١٥) أو " حجارة مطرورة " (ص ٣٣ ، ٣٤) . وقد فهمنا هذه العبارات حسب المعنى العام للجملة . وهكذا أخذنا " بحر مرخم " بمعنى فراغ مكسو بالرخام (الترجمة ص ٩) ، " وحجارة مطرورة " بمعنى حجارة مصقولة محددة أو حجارة مطبنة مزينة (الترجمة ص ٢٠) . ونذكر كذلك كلمات « ثوران من نحاس » (ص ٢٠) ولقد فهمناها على أنها مسرجتان (شمعدانان) من نحاس (الترجمة ص ١٢) ، وجملة " فَنَازَعْنِي فِي الْقُرْبِ وَالشُّوْلِ فغلبته (ص ١٨٥) " التي فهمناها على أنها : فتنأقشنا في أمر سمك التَّنِّ وَالزَّجَرِ ولكنني فزت عليه . ونذكر أخيرا كلمة " ثليث " (ص ٢٠٠) وهي اسم علم لمدينة في جنوب مراکش قرب سجلماسة ولا نعرف عنها شيئا .

وفيما يخصص بالترجمة فقد اجتهدنا في نقل النص العربي إلى الفرنسية دون تصرف . ولم نخرج عن هذه القاعدة إلا في الحالات التي يصعب فيها الترجمة الحرفية ، ففي هذه الحالات حاولنا نقل المعنى مع الحرص على عدم الابتعاد عن النص على قدر الإمكان . ولقد لاقينا في هذا صعوبات كثيرة : كالتباين الخفيف بين مفهوم الكلمات ذات المعنى الواحد ، والصور التي يصعب نقلها كما هي ، والأساليب الخاصة بكل لغة . وعلى الجملة فقد كانت روح كلا اللغتين هي المهددة في كل هذه الحالات . ويمكن إعطاء أمثلة كثيرة

(س)

لتوضيح هذه العقبات ، ودون البحث بعيدا في أعماق النص يكتفى النظر في الصفحات الأولى من الكتاب ، حيث تكثر أمثلة هذه الصعوبات .

ولقد حرصنا على أن نزود النص بالهوامش المناسبة . والقرض من هذه الهوامش إما تحديد المؤلفات السابقة التي تعتبر من المصادر الرئيسية للنص ، وإما مقارنته بها . ولهذا السبب أيضا ذكرنا في الهوامش بعض المصنفات المهمة من عصور متأخرة .

تقديم الطبعة المغربية

لما كانت طبعة جامعة الاسكندرية (1958) لكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وهو الكتاب الذي كان أصلا رسالة ثانوية للدكتورة التي تقدمنا بها إلى جامعة باريس في يونيو 1951 ، قد نفذت منذ مدة طويلة . ولما كان الدارسون لتاريخ مكة والمدينة ومصر وبلاد السودان الغربي في العصور الإسلامية حتى القرن السادس الهجري / 12م في حاجة إلى النظر في هذا الكتاب، فضلا عن حاجة دارسي تاريخ أقطار الشمال الأفريقي الإسلامية وجغرافيتها، وهو الأمر الذي تنبه إليه منذ مدة طويلة بعض الزملاء الأفاضل والناشرين في تونس وفي مصر، فإنه يسرني أن تقوم الآن دار النشر المغربية بمدينة الدار البيضاء، مشكورة، بمعرفة مديرها السيد البوري محمد سعيد بإعادة نشر الكتاب في طبعة مغربية جديدة، أرجو أن تكون مفيدة للمشتغلين بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الشمال الأفريقي - إن شاء الله .
هذا، ولقد قمنا بتصحيح الأخطاء القليلة بطبعة الاسكندرية الأولى، وعلى الله التوفيق .

محمد زخلول عبد الحميد

الكويت في 1985/1/6

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

الحمد لله عالم الأسرار ، غافر الأضرار ، الواحد القهار ، العزيز الجبار ، المنزه الذي لا يقبض يديه سهاد الليل والنهار ؛ نحمده حمد معترف بوحديته ، ونشكره شكر معترف من بحر نعمته ، متقلب في ظل رحمته . ونصلي على نبيه سيدنا محمد المبعوث بالآيات الباهرة ، والبينات القاهرة ، الآخذ عن النار بالحجرات ، الداعي إلى سبيل ربه بالآيات البينات ، وعلى آله الأخيار ، وأصحابه الأبرار ، صلاة باقية إلى يوم الدين . ونرضى عن نجله الأطهر (١) ، وسليبه الأبر ، الإمام المهدي (١) ، الذي جدد رسم الدين بعد البلى ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده وأبلى ، وإلى طريق الحق [دعا] النفرى والجفلى ، وعن الخلفاء الراشدين ، أئمة الهدى ، ومصابيح من رشد واهتدى . ونوالى الدعاء لخليفهم المبارك الأسعد ، سيدنا أمير المؤمنين يعقوب (٢) بنصر متصل أسبابه بسعاداته ، وفتح يسوقه القدر وفق إرادته .

وبعد ، لما كان العلم أنفس ما يقتنى ، وأشرف ما به يعتنى ، لم يزل ينقله خلف عن سلف ويحمله ذو شرف عن ذى شرف ، وجب أن يكون أفضل ما يهديه مهد أو يستهديه مهدي ، رغبة في الاتسام برسمه ، والارتسام والدخول

(١) ج : الأظهر .

(١) المهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين (توفي ٥٢٢ - ٥٢٤ هـ ؟ = ١١٢٨ - ١١٣٠) .

(٢) أبو يوسف يعقوب المنصور حفيد عبد المومن بن عل وثالث خلفاء الموحدين . وملكه من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٨٤ - ١١٩٩) .

في رعيته ، والاستئثار بحيازة مآثر من تواريخ الأمم ، وسير العرب والعجم ،
إذ كان المرء يقف منها على أخبار من غير ، وآثار من ذهب ودر ،
ويشاهد ممالك ذهبت وبادت (١) ، كأنها عادت إلى الحياة أو كادت :

لم يبق شيء من الدنيا أسره
إلا الدفاتر فيها الشعر والخبر
مات الذين لم فضل ومكرمة
وفي الدفاتر من أخبارهم أثر

وقد بما وضع (ب) الناس التواريخ ورتبوها ، ودونوا الأخبار وكونوها ،
حرصا منهم على نظم فرائدها وتقييد شواردها ، وما زال واضعوها
يتقلبون بين إكثار وإقلال ، وإسهاب واختصار ، وكلهم يجرى على طريقة
إلى غاية يضيفها ويسطرها . وكثيرا ما خلد خدم العقلاء ملوك أزمينهم
بالتواريخ المؤلفة والتوايف المزخرفة ، تفننا لمسراتهم وترضيا لمبراتهم ،
ولولا ذلك لم يحصل الأثر على علم الأول ، ولا عرفت أخبار الملل والدول .
ولذلك رأيت الشيخ الأجل المعظم ، الأغر الأسنى ، الأجد المكرم ،
أبا (ج) عمران بن الشيخ الأرفع ، المرحوم أبي يحيى بن وقتين (١) أدام
الله علامهم ، ووصل مجدهم وسراهم ، قد أبرز على الفضلاء فضلا ، وأربى
على النبلاء نبلا ، وزاد على أهل زمانه في العلم والحلم ، وغبطة بالعلم ووصل
العلماء ومراضاة الفقهاء . وكانت همته السامية إلى طراف الأخبار ، وإثارة
أهل الآثار ، إلى أن شادت بذلك الرفاق ، وامتلأت بحديثه الآفاق ،
ونازعتني الرغبة والتصدى لشكر النعمة ، إلى أن أطرز باسمه كتابا يجمع
بين الأخبار والصحائف ، ويأخذ بطرفي شرائد الطرائف ، متضمنا بذلك
إحسانه ، راجيا بذلك فضله وامتثانه بحسب أردته . و [لما] اتسق وصفه على
ما اخترت ، سميته بكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، بعد أن قصدت
في أكثره التحقيق واطرحت في مستودعه التلفيق .

(١) ج : أبادت . (ب) ج : وضعها . (ج) ج : أبو .

(١) إننا لا نعرف شيئا عن هذين الشخصين ، ولكن يمكن أن يقال ، من اسميهما ، إنهما
من أصل بربرى .

وابتدأت بحمكة شرفها الله تعالى ، وما يجب ذكره من وصف حرمتها ، وأسماء
الجبال المحيطة بها ، وذكر أرباضها ، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع ،
وذرع الكعبة من خارج ، ووصفها من داخل . ووصفت الصفا والمروة ، وعرفة
ومزدلفة ، ومثى وجبل الرحمة ، مع شريعة إبراهيم عليه السلام وصفة بطن
مُحَسَّر إلى غير ذلك من المناسك ، ووصف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة . ووصفت منبره عليه السلام ، ووصفت عدد أبواب المسجد ،
وجميع ما فيه من العمدة (أ) وعدد ما فيه من القناديل ، ووصف روضته
عليه السلام . ثم وصفت بقية المدينة ، وروضة عثمان رضي الله عنه
ووصفت مسجد قُبَا ، وقبور الشهداء (ب) بأحد رحمة الله عليهم تبركا بذلك
وتيمنا بالاستفتاح به :

ثم عدت إلى بلاد مصر وما فيها من العجائب ، ووصفت
نيل مصر وعدد أمياله ، من وسطه إلى موقعه ، وذكرت بناء
الأهرامات والبرابي (ج) ومن بناها ، وصورتها وطولها وعرضها وما صنع
فيها من العجائب ، وذكرت من عمرها من الملوك قبل الطوفان وما نزل
بها بهذا الطوفان ، وذكرت فتحها في أيام سيدنا عمر (د) بن الخطاب
رضي الله عنه . ثم عدت إلى مدينة الإسكندرية ، ووصفت بناءها وصفة
منارها وصفة المرأة التي كانت بها وبناءها وتداول الملوك عليها .

ثم ذكرت بلاد إفريقية وما فيها من العجائب ، ووصفت مدينة قرطاجنة
وآثارها وعجائبها ، ووصفت البلاد إلى آخر بلاد المغرب . وقسمت أقطارها
قسمين ، ورتبتها صنفين : فمنها الصحراوية أو ما قاربها ، والساحلية وما يليها .

ولم أذكر شيئا مما سقته إلا ما كاد يتعقد على أكثره الإجماع ،
ويتفق عليه العيان والسمع ، وللمولى أدام الله تأييده ووصل سعوده ،
أن يقدر عبده فيما أورده ، ويحقق فيما رجاه أمله ومعتمده ، فإنه وإن كان
قد أنفذ وسعه في الاختيار ، وتوسط بين الإقلال والإكثار ، حري بالاحسان

(أ) ج : العمود . (ب) ج : الشهود . (ج) ج : المارمات والبربري .

(د) ج : عمار .

فلنا ، ويرى التغميض عن هناته سنا ، إذ هو فيما ذكر كمن حمل النمر إلى هجر (١) .
ومثلك استعدنا كل غريبة ، فأنت غريبة في عيون الغرائب . وهذا حين
أبتدىء بذكر ما أردته فيما أوردته ، مستعينا بالله سبحانه ، راجيا صفحه
وغفرانه ، والله سبحانه يمتع الأدب ببقاء المولى ، ويشكره ما منع الخلق
من يده وأولى :

الناس يهدون على قدرهم وإننى أهدي على قدركا
يهدون ما يفنى وأهدي الذى يبقى على الأزمان من فخركا

ذكر حدود حرم مكة شرفها الله (٢)

حد الحرم من ناحية المدينة من ذى طوى (٣) على ثلاثة أميال من مكة ،
وحده من طريق جدة على عشرة أميال ، وحده من طريق اليمن على سبعة
أميال ، وحده من طريق العراق على ستة أميال ، وحده من طريق الطائف
على أحد عشر ميلا فعدد أميال الحرم ٣٧ ميلا (٤) ، ودور الحرم
حول مكة ٧٣٣ ميلا (٥) ، وكان النبي صلعم بنى بالحرمين ١٥ مسجدا (٦) .

(١) هجر هي مدينة البحرين المشهورة بكثرة تمرها . أنظر أبو الفدا (الجغرافية) ، الترجمة ،
ج ٢ ص ١٢٧ و هامش ٢ ، ٣ ؛ البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٨٢٥ ، ٨٢٧ .
(٢) الحرم هو المنطقة المقدسة بمكة . ولكن هذا الاسم يطلق أيضا على أرض المدينة ومن هنا
سميت المدينتان الحرمين

(٣) ذو طوى هو أحد أودية مكة على طريق المدينة وفيه توقف النبي عند فتح مكة . أنظر
البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٤٥٧ ؛ الأزرقى ، ص ١٩٧ ، ٤٢٦ ، ٥٠٠ ؛ ابن جبير ،
ص ١١٢ ؛ المبدى ، المخطوط ، ص ٨٩ - ب ؛ الفاسى ، ص ٨٣

(٤) هذا المقياس لا معنى له وذلك أن المؤلف أضاف طول المسافات التي تبين حدود الحرم
في الاتجاهات المختلفة ، بالنسبة إلى المسجد الحرام ، بعضها إلى بعض .

(٥) هذه المسافة مبالغ فيها من غير شك والظاهر أن الصحيح هو ٧٣ ميلا فقط ، وذلك أن
الأرض الحرام تمتد حول مكة مسيرة يوم تقريبا . أنظر أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢
ص ١٠٥ هامش ٥

(٦) أنظر البكرى ، المعجم ، ج ٢ ص ٥٥٩

وصف مكة شرفها الله وأرباضها وأسماء الجبال المحيطة بها

جبل أبي قُبَيْس^(١) وهو جبل أدكن (أميل إلى البياض) ، في رأسه منار يذكر أنه منار إبراهيم عليه السلام . وفي أصله الصفا^(٢) ومن عليه يرقى إليه ، ليس^(٣) له مرقى إلا على أربعة مواضع : على الصفا ، وعلى شِعبِ عمر ، وعلى شعب على^(٤) رضى الله عنهما ، وعلى شِعبِ أجياد الصغير^(٥) ، ليس لأبي قبيس طريق يرقى إليه إلا من هذه الأربعة مواضع . وهو أحد الأخشَبَيْنِ^(٥) فيما يقال ، ويقال إنه أول جبل خلقه الله تعالى ووضع في الأرض . وإنما سمي بأبي قبيس لأن رجلا كان يسكنه على قديم الدهر يكنى بأبي قبيس فنسب إليه ذلك الجبل . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام ، يقابل من مكة ويقابل من الكعبة الركن الأسود .

(١) ج : لرسو .

(١) أبو قبيس هو أحد جبال مكة المشهورة ويشرف على المدينة من جهة الشرق . وحسب الروايات المتداولة كان هذا الجبل يطلق عليه ، قبل الإسلام ، اسم « الأمين » لأنه حفظ الحجر الأسود من الطوفان . وهو أحد الجبلين المعروفين باسم « الأخشبان » . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٠٢ ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٠

(٢) أنظر فيما بعد ص ٢٩ والهامش .

(٣) الشعب هو الوادي الصغير أو الطريق يخرق الجبال . وهو الإسم الذي أطلق على أُرقة مكة والطرق التي تؤدي إليها . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٢٩٦ . وعن شعب عمر وشعب على أنظر الأزرق ، ص ٤٧٩ ، ٤٨٦

(٤) هو الطريق الذي يقع مباشرة إلى جانب جبل «أبو قبيس» والذي يؤدي إلى الطريق الآخر المسمى «أجياد الكبير» . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٨ ؛ الأزرق ، ص ٤٩٤ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ٩٣ - ١ . وعن الإسم «أجياد» أنظر فيما بعد ص ٨

(٥) الأخشبان (ومفردها أخشب وهو الجبل الصعب أو الأرض الخشنة : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٣ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ٩٢ - ب) هما جبلا مكة الشهيران : أبو قبيس وجبل الخنمة (الأزرق ، ص ٤٣ ، ١٣٩ ، ٤٧٨ . وعن الخنمة قارن ص ٦) . وحسب ابن رسته (ص ٢٩) كان موقف إبراهيم الخليل بين هذين الجبلين حينما دعا أهل إيمى والشام والشرق والمغرب إلى الحج إلى مكة والمسجد الحرام . وقارن البكري ، المعجم ، ج ١ ص ٧٨ ؛ الاصطخرى ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٥ ؛ المقدسى ، ص ٧٧ .

ثم جبل الخندمة^(١) وهو الجبل العالى المستعلى على أبى قيس من ناحية الشرق ، وهو (١) جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من البعد ، تراها من المسجد الحرام من باب السهميين (ب) الصغير . وفى ذلك الجبل تحصن أهل مكة يوم القرمطى (ج) (٢) . وأسفل (د) من ذلك الجبل ، بينه وبين الجبل غار ، شعب على رضى الله عنه .

ثم الجبل الأبيض^(٣) الذى على الأبطح إلى باب مِثْنَى^(٤) ، ومن ذلك الجبل إلى الجبل الأحمر السور ، وجعل هنالك بابين من خشب مصفحين بالحديد ، وهما على المعلى (ر) (٥) وهما المعروفان بباب منى . وعند هذا الباب آبار (س) بعيدة الرشا يستقى الناس منها ، وماؤها ليس بعذب

(١) "وهو" ناقصة فى ب (ب) "السهميين" ناقصة فى ب . (ج) ج : القرموطى .
(د) ب : أسهل . (ر) ج : المعالى . (س) ب : آبار .

(١) من الخندمة أنظر الهامش السابق ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٦ ؛ البكرى ، المعجم ، ج ١ ص ٣١٩ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ ابن الأثير ، ج ١ ص ١٨٨ . وتقول الرواية إن اسم هذا الجبل مأخوذ من الفعل «خدم» وذلك أنه عندما فتح للنبي مكة خرج مع المؤمنين رجل كان يسكن هذا الجبل ، وورد امرأته بأن يعود لها بخادم من أمري المسلمين . فأطلق على الجبل بعد انتصار المسلمين اسم الخندمة تنديرا وذكرى لهذا الحدث (الأزرق ص ٤٧٩) .
(٢) القرمطى المذكور هنا هو أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابي الذى استولى على مكة (فى ٨ من ذى الحجة سنة ٣١٧ = ١٢ يناير سنة ٩٣٠) وأخذ الحجر الأسود إلى الأحساء . أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣١٧ ؛ الفاسى ، ص ٢٤١ ؛ G.-Demombynea, Pèlerinage, p. 49. sq. دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٢ ص ٨١٣ .

(٣) قارن الأزرق ، ص ٤٧٩ ، ٤٩٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٩ .
(٤) تسمى نهاية أركة مكة التى تؤدي إلى الأبطح (وهو الجزء المنخفض من منطقة مكة) الذى يشرف على موقع المسجد الحرام «أبواب المسجد الحرام» . وأحدهما هو باب منى . وعن الآبار القريبة من هذا الباب أنظر الأزرق ، ص ٤٧٩ .

(٥) المعلى هو الجزء المرتفع إلى جهة الشرق من مكة وهو الذى يشرف على الأجزاء المنخفضة المسماة بالمسفلة إلى جهة الغرب . العبدري ، المخطوط ، ص ٩٢ - ب ؛ ابن جبير ، ص ١١٣ ؛ G.-Demombynea. Pèlerinage, p. 197 .

جدا . وهذا الجبل الأحمر متصل من مسجد الخيف (١) (١) إلى الحَجُّون (٢) وفيه الثنية العليا ، وعند أصل الثنية بقيع مكة (٣) . وفي شعب منه المحَصَّب (٤) في حوز الشعب الذي يقابل الخيف الذي كان ينزل فيه من سلف من الصلوة الأول عندهم من منى إلى آخر أيام التشريق (٥) ، فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، وكذلك يدخلون مكة . وقد صح عن (ب) النبي صلعم أنه فعل ذلك (٦) .

(١) في النص : « الخيفيين » . أنظر فيما بعد ص ٣٣

(ب) ج : صل .

(١) أنظر فيما بعد ص ٣٣ وهامش ١

(٢) الحجون هو الشعب أى الطريق الذى يؤدي إلى الممل حيث مقبرة مكة . ومن هذا الطريق دخل الذى إلى مكة حين فتحها . ابن جبير ، ص ١٠٩ ، ١١٠ (G. Demombynes, Pèlerinage, p. 314) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢١٥ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ . قارن الهمقوي ، ص ٣١٥ ؛ البخارى ، ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٩ ؛ الفاسي ، ص ٨١ .

(٣) بقيع مكة هو أخفض أنحاء المدينة إلى حيث يتجه ماء السيل ، وهو الذى يسمى أيضا الأبطح والمحصب وذو طوى . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٢ ، ٩٥ ، ج ٤ ص ٤٢٥ ؛ البخارى ، ج ١ ص ٤٤١ .

(٤) أنظر الهامش السابق وهامش ص ٣٢ . وهو المكان الذى تلقى فيه الجمرات (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٩) . ويطلق عليه أيضا اسم المحصب لأن ماء السيل ينطلق إليه ويجمع فيه الحصباء الفاسي ، ص ٩٤ ؛ الهمقوي ، ص ٣١٤ . وأنظر G. Demombynes, Pèlerinage, p. 237 .

(٥) عن أيام التشريق أنظر فيما بعد ص ٣١ . أما عن شرح اسم التشريق الذى تعرف به الأيام العشرة الأولى من شهر ذى الحجة فيقول المسمودي : « وقد اختلف الناس في علة تسميتها أيام التشريق وهى أيام منى ولياليها . فقالت طائفة إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح بمنى ويشرقون (يعرضون) اللحم في الشمس . وقال آخرون إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يخرجون بمنى وغيرها كالمزدلفة إلى مصليات لهم في قضاء من الأرض يسمونها المشارق واحداها مشراق فيسبحون ويدعون . وفيه قول آخر وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم وهو الشرق » . مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ . وقارن تنوير الحوالك ، ص ٣٥٧ .

(٦) قارن تنوير الحوالك ، ص ٣٥٥ ؛ البخارى ، ج ١ ص ٤٣٩ ؛ ابن جبير ،

ص ١٧٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٢ - ب .

ثم الجبل الذى يظهر دار الندوة^(١) يسمى قَعِيقَعَان^(٢)، وهو الذى يتقابل
أبا قبيس ، وهو جبل أخضر . وإنما يسمى قعيقعان لأن مضاض بن جرهم
نزل به ، ونزل السُمَيْدَع بن جرهم بجبل أجياد ، فدارت بينهما حرب عظيمة
في تلك الأيام ، فكانت أجياد - أعنى من سكن بها وهو السُمَيْدَع وآله -
أول من جاد بالدم في الحرم ودعا إلى القتل ، وقالت العرب فيها أجياد
لأنها^(١) أول من جادت بالدم .

ثم جبل أجياد^(٣) ، وهو الجبل العالى الأخضر الذى بغرب المسجد الحرام
في رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضى الله عنه أمر ببنائه^(٤) ، ينادى عليه المؤذن
في رمضان ، ويقابل من الكعبة النبوية ، ويخرج إليه من باب إبراهيم
عليه السلام^(٥) . وهو يقابل قعيقعان من ناحية الغرب .

(١) "لأنها" ناقصة في ب .

(١) عن دار الندوة أنظر فيما بعد ص ٢٦ . بناها قصي بن كلاب وجعل بابها أمام الكعبة .
وفي هذه الدار كان يجتمع القرشيون لمناقشة شئونهم . ولقد اشترأها معاوية ثم دخلت تدريجياً
في المسجد الحرام على عهد عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك بعده ثم سليمان بن عبد الملك ،
وكذلك على عهد المنصور العباسي إلى أن انتهى الأمر بإدخالها جيعاً في المسجد على عهد المتضد بالله
سنة ٢٨١ هـ = ٨٩٤ . الأزرق ، ص ٦٥ ، ١٨٨ ، ٣١٠ ، ٢٤٠ وتابع . قارن ياقوت ،
معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٢٤

(٢) رغم أن المؤلف يظهر رغبته في شرح أصل اسم هذا الجبل إلا أنه لا يفعل . وتقول
الرواية إنه اثناء الحرب بين السُمَيْدَع بن جرهم وبين الخارث بن مضاض بن جرهم ، جعل هذا الأخير
يقبر الرماح والدروع ومنها أتت كلمة قعيقعان بمعنى رنين . المسمودي ، مروج الذهب ، ج ٢
ص ٩٩ ؛ الأزرق ، ص ٤٥ ؛ قارن الاصلخرى ، ص ١٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛
اليقوتى ، ص ٣١٤ ؛ المقدسي ، ص ١٠٣

(٣) قارن الأزرق ، ص ٤٥ وتابع ، ص ٤٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١
ص ١٣٨ ؛ المسمودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٩٩ . فيما يتعلق باسم أجياد يقول الأزرق وياقوت
إنه مأخوذ من كلمة جياذ بمعنى خيل . وذلك أن السُمَيْدَع عند ما خرج للحرب كان معه جياذ مسرجة
حسنة وبها سمي المكان

(٤) لا يقول الكتاب شيئاً عن هذه المئذنة التي بناها أبو بكر .

(٥) عن باب إبراهيم أنظر فيما بعد ص ٢٤ - ٢٥

ثم جبل ابن عمران^(١)، وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قيس وأجباد ، وهو خلفهما . ويظهر من البعد كأنه بينهما ، يقابل من الكعبة الجدار اليماني ؛ وهو أميل إلى الركن اليماني قليلا .

ثم جبل البكا^(٢) ، وهو خارج على الجبال المحيطة بمكة ، وهو في العطف الذي في آخر ذى طوى ، عن يمينك وأنت خارج تريد التمتع^(٣) . وهناك عن يسارك المتكا^(٤) ، وهو الحجر الذي قعد عليه النبي ﷺ واستراح عند إقباله عليه فيما يذكر أهل مكة ، روه عن مشيختهم .

عدد أرباض مكة شرفها الله

ولمكة أربعة أرباض منها الحَجُّون^(٥) وما حوله إلى المروّة^(٦) ، وربض قُعَيْقِعَان^(٧) وما حوله إلى باب ذى طُوًى^(٨) ، وربض أجباد الكبير^(٩)

(١) يسمى الأزرق (ص ٤٩٤) هذا الجبل « رأس الانسان » . قارن ياقوت ، معجم البلدان ،

ج ٢ ص ٧٢١

(٢) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الجبل .

(٣) يبدأ أهل مكة الإحرام من أجل العمرة من هذا المكان . وهو يسمى أيضا « مسجد عائشة » وهو ليس من الحرم . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٩ ؛ البكري ، المعجم ، ج ١ ص ٢٠٠ ؛ ابن جبير ، ص ١١١ (G. Demombynea, Pèlerinage, p. 195) ؛ قارن ابن حوقل ، ص ٤٥ ؛ المقدسي ، ص ٧٧

(٤) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الحجر .

(٥) أنظر فيما قبل هامش ٢ ص ٧

(٦) المروّة أشهر تل في مكة واسمه مرتبط دائما باسم تل « الصفا » ، فيبينها بحرى طقس من أهم طقوس الحج والعمرة ألا وهو السعى . القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٥٣ ؛ البخاري ، ج ١ ص ٤١٤ ؛ البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٥١٩ ؛ ابن جبير ، ص ١٠٧ ؛ المهدري ، المخطوط ، ص ١٠٢ - ١ ؛ ابن رسته ، ص ٥٤ ؛ الاصلطخري ، ص ١٦ ؛ اليعقوبي ، ص ٣١٥ ؛ المقدسي ، ص ٧٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥١٩

(٧) أنظر فيما قبل هامش ٢ ص ٨

(٨) أنظر فيما قبل هامش ٢ ص ٤

(٩) أنظر فيما قبل ص ٨ و هامش ٣

مع شعب أبي بكر رضه إلى المدفنة (١) إلى باب اليمانيين ، ثم إلى الأبطح (١)
وما حوله من باب منى (٢) إلى شعب على مع شعب عثمان (٣).

ذرع الكعبة كرمها الله من خارج (٤)

طول وجه الكعبة وهو الشق الذى فيه الباب ، من الركن الأسود إلى الركن
الشامى ٢٧ ذراعا (٥) . وعند الثلث الباقى من هذا الجدار من ناحية الركن
الشامى ، يوقف منبر الخطيب يوم الجمعة ويرفع فى سائر الأيام ، وهو منبر
كبير مفصل على ثلاثة قطع (٦) . وطول مؤخرها وهو الشق الغربى ، من الركن
اليمانى إلى الركن الغربى ، ٢٧ ذراعا - طول الذراع الذى به هذا الذرع (ب)
٢٠ أصبعا (٧) . وعرضها من ناحية اليمانى إلى الركن الأسود ٣١ ذراعا

(١) ب ، ج : بطح . (ب) القراءة فى ج : الذى هو الذرع .

(١) أنظر فيما قبل هامش ٥ ص ٦

(٢) أنظر فيما قبل هامش ٤ ص ٦

(٣) أنظر فيما قبل ص ٥ والمواش

(٤) لا يتفق الكتاب على مقاييس الكعبة والمسجد الحرام . ودون أن نحاول تحقيق
المقاييس الصحيحة لكل فترة ، ودون تأييد الواحد منهم أو الآخر ، سنكتفى بالإشارة إلى أهم
رواياتهم . ولكن يحسن الإشارة إلى أن كتاب الأزرق يعتبر المصدر الرئيسى لهذا المقام . فلقد
نقله ابن رسته وذكره معظم الجغرافيين والرحالة مثل ابن جبير وياقوت والعبدري والغاسى .. الخ .
ويحسن أيضا أن نشير إلى أن ما كتبه المؤلف هنا يختلف عن بقية المصادر . وهذا يدعو إلى الظن
بأنه عمل شخصى أى مبتكر ، نقله صاحب الاستبصار عن مصدر لم يصل إلينا . وهو هنا وعلى عكس
بقية أجزاء الكتاب لا يذكر اسم أى مؤلف .

(٥) يقول ابن الفقيه (ص ٢٠) دون دقة إن طول المسجد ، فى وقته ، ٢٧ ذراعا ٤
وعلى العكس من ذلك يروى الأزرق أن طول هذه الواجهة ٢٥ ذراعا (ص ٢٠٥؛ ابن رسته ،
ص ٣٠ ؛ اليعقوبى ، ص ٢١٦) . وحسب ابن خردادبه (ص ١٣٣) يكون طوله ٢٤ ذراعا
وشبر وعرضه ٢٣ ذراعا وشبر (المقدسى ، ص ٧٢) .

(٦) قارن ابن جبير ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧) حسب الأزرق (ص ٢٠٣) يكون طول هذه الواجهة ٢٥ ذراعا (ابن رسته ، ص ٣٠) .
وكذلك الحال بالنسبة لليعقوبى (ص ٢١٦) وابن عبد ربه (المقد الفريد ، ج ٣ ص ٢٦٣) .
ويقرر الأزرق (ص ٢٠٣) أن طول الذراع هنا هو ٢٤ أصبعا (ابن رسته ص ٣٠) .

ونصف ذراع (١) ، وعرضها من ناحية الشام وهو الشق الشامى وهو الذى عليه الميزاب (٢) (١) ، من الركن الغربى إلى الركن الشامى ، ٢٤ ذراعا (٣) .

هذا ذراع البيت من خارج . وذرعه من داخل : طول الجدار (ب) الذى يقابلك إذا دخلت البيت الذى فيه محاريب الفضة (٤) ، وهو الذى صلى عليه النبي صلعم ، من الركن الغربى إلى الركن المائى ، ٢٢ ذراعا (٥) . وطول الجدار الذى فيه الباب ، من الركن الأسود إلى الركن الشامى ، ٢٩ ذراعا (٦) ؛ بسبب (ج) الركن الذى بناه الحجاج بن يوسف فى داخل البيت فى الركن الشامى ، وجعل فيه سلما من داخل الركن يرقى منه إلى ظهر الكعبة لتعليق الكسوة (٧) . وعرض الجدار الشامى ، الذى بين الركن الغربى والركن الشامى ، ١٥ ذراعا ونصف ذراع (٨) ، نقص ذراع (د) الجدار

(١) ج : الضراب (ب) ج : الجبال الجدار (ج) "بسبب" ناقصة فى ب .
(د) "نقص ذراع" ناقصة فى ج .

(١) طول هذه الواجهة ، حسب الأزرق (ص ٢٠٣) ، ٢٠ ذراعا (ابن رسته ص ٣٠) ؛ وكذلك الأمر بالنسبة لليقوبى (ص ٣١٦) وبالنسبة لابن عبد ربه (المقد ، ج ٣ ص ٣٦٣) . أما ابن الفقيه فيقول إن طولها ١٥ ذراعا وشبر .

(٢) أنظر فيما بعد ص ١٩ وقارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣٠ ؛ ابن جبير ، ص ٨٧ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٧٩ .
(٣) قارن الأزرق ، ص ٢٠٣ ؛ ابن رسته (٢١ ذراعا) ؛ اليعقوبى ، ص ٣١٦ (٢٢ ذراعا) .

(٤) لا يقول الكتاب شيئا عن هذا الحائط حيث توجد محاريب الفضة . ولكننا نظن أنها عبارة عن بابين صغيرين من فضة أشبه بالشباكين المصنوعين بركن الحجر الأسود . ابن جبير ، ص ٨٤ .

(٥) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣١ (٢٠ ذراعا و ٦ أشبار) .

(٦) الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ص ٣١ (١٩ ذراعا و ١٠ أشبار) .

(٧) بعد أن فتح الحجاج مكة وفيها ابن الزبير هدم ، بأمر الوليد بن : الملك ، الكعبة التى كان ابن الزبير قد بناها (حسب ما كانت عليه أيام إبراهيم الخليل . "تاريخ البخارى" ، ج ١ ص ٤٠١) ، وأعاد بناءها كما كانت من قبل مع بعض الإصلاحات مثل عمل السلم الذى يوصل إلى سطح الكعبة . قارن الأزرق ، ص ١٤٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٣ ؛ ابن جبير ، ص ٨٤ (G. Demombynes, Pèlerinage, p. 52) ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٨) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ ؛ ابن رسته ، ص ٣١ (١٥ ذراعا و ٨ أشبار) .

من أجل ذلك الركن المذكور . وعرض الجدار اليماني ، من الركن الأسود إلى الركن اليماني ، ١٧ ذراعا ونصف ذراع (١) . وذراع قاع البيت مكسرا ٣٥٢ ذراعا ونصف ذراع (٢) .

هذا ذرعه من داخل وتكسیر قاعه . وغلظ جدار الكعبة ٥ أشبار (٣) . وارتفاع البيت من خارج ، من الأرض إلى أعلى البيت ٣٠ ذراعا : طول جدار البيت منها ٢٧ ذراعا ، وعليه طرابزين وارتفاعه ذراع ، تعلق منه الكسوة وقد استعلت عليه ذراعا ، وكل بذلك ارتفاع البيت ٣٠ ذراعا (٤) . هذا ارتفاعه من خارجه . وارتفاعه من داخله : جدره كلها من قاع البيت إلى السماء الأولى (١) ٣٠ ذراعا ، ومن السماء الأولى إلى السقف الأعلى ذراعا (٥) .

هذا ارتفاعه من داخله . وذكر أن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما بني البيت الحرام يوم بناه في ارتفاع ٩ أذرع (٦) غير مسقف (ب) ، فلما بنته قريش واقتصرت عن طوله ٦ أذرع تركت ذلك في الحجر ، وزادت في ارتفاع البيت ٩ أذرع ، فكان البيت يومئذ من ١٨ ذراعا

(١) ج : الأول . (ب) "غير مسقف" ناقصة في ج .

(١) قارن الأزرق ، ص ٢٠٤ (١٦ ذراعا و ٦ أشبار) .

(٢) فيما يتعلق بمقاييس المسجد الحرام الخارجية يقول الأزرق (ص ٢٠٣) ابن رسته (ص ٢٠) إن مساحة الكعبة عبارة عن ٤١٨ ذراعا مربعا .

(٣) قارن الأزرق ص ٢٠٣ ، ابن رسته ، ص ٣٠ (ذراعا) .

(٤) ارتفاع البيت الحرام ، حسب الأزرق (ص ٢٠٣) ؛ ابن رسته (ص ٣٠ - ٣١) ، هو ٢٧ ذراعا دون حبان ذراعين ونصف ذراع هي طول حائط السطوح حيث تعلق الكسوة أو ثياب الكعبة . وهذا يجعل طوله جميعا ٢٩ ذراعا ونصف ذراع : قارن اليعقوبي ، ص ٣١٦ (٢٨ ذراعا) ؛ ابن خردادبة ، ص ١٣٣ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ (٢٧ ذراعا) .

(٥) يقول الأزرق (ص ٢٠٣) ؛ ابن رسته ، ص ٣٠ (إن ارتفاع الكعبة من الداخل هو ١٨ ذراعا ونصف ذراع إلى السقف الأول و ٢٠ ذراعا إلى السقف التالي .

(٦) الأزرق ص ٣١ ، ٤٨ ، ١٤٤ ، ٢٠٢ ؛ ابن رسته ، ص ٢٨ (Blachère, Extraits, p. 44) ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٨ . وعلى عكس هؤلاء الكتاب يقرر ابن الفقيه (ص ٢٠) وياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨١) أن ارتفاع مسجد إبراهيم ٧ أذرع .

في الارتفاع (١). فلما احترق في زمان عبد الله بن الزبير رضه وأمر بينائه وزاد فيه ما كان أنقصته قريش ، ظهر له عند ذلك قصر الارتفاع ، فزاد في ارتفاعه ٩ أذرع . وقال إن قريشا زادت فيه ٩ أذرع وأنا أزيد فيه ٩ ، فصار البيت من يومئذ من ٢٧ ذراعا (٢) (١) في ارتفاعه ، لم يزد فيه أحد من يومئذ .

صفة البيت من داخله وفضله وفضل الصلاة فيه

ينبغي لمن يحج أن يرغب في داخل البيت وفي الصلاة فيه ، فإن في ذلك فضيلة كثيرة (٣). فإذا دخل فيه أحد فليتركع وليلح بالدعاء والرغبة إلى الله ، فإنه مشهد كريم . وليخلع نعليه ولا يبصق ولا يمتخط ولينزه ما استطاع فإنها بقعة مكرمة مقدسة مطهرة ، كرمها الله عز وجل وشرفها على بقاع الأرض كلها . وهو قبال البيت المعمور الذي يحججه الملائكة في السماء كما يحج هذا بنو آدم في الأرض (٤) .

وصفة قاع البيت هو مبسوط بالرخام الأبيض ، وفي رخامة منها عند دخولك من باب الكعبة مسبارفضة ، وكذلك جميع جدره مرخمة بالرخام الأبيض قدر ٩ أذرع (ب) ، وما فوق ذلك منقوش مذهب بفراشة الذهب ليس بصفائح (ج) إلى سماء البيت . وفي ترخيم جدر (د) البيت ألواح حر وخضر ، يقال إن الوليد ابن عبد الملك بعث تلك الألواح من الشام مع الرخام الذي رخم به البيت ، ومع ذلك ٣٠ ألف دينار ، وأمر أن يرخم البيت ويذهب ، وهو أول من كساه بالرخام وذهبه .

(١) ب ، ج : ٢٩ ذراعا . (ب) أذرع ناقصة في ج .
(ج) ج : بصفيح . (د) ب ، ج : الجدد .

(١) الأزرق ، ص ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ٢٠٢ (ابن رسته ، ص ٢٩ - ٣١ ؛ Blachère, Extraits p. 45) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣

(٢) الأزرق ، ص ١٤٤ ، ٢٠٢ (ابن رسته ، ص ٣٠ ؛ Blachère, Extraits p. 45-6) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٠ ؛ المقدسي ، ص ٧٤

(٣) أنظر البخاري ، ج ١ ص ٢٩٩

(٤) تقول الروايات إن الملائكة هم الذين بنوا الكعبة نفسها قبل خلق آدم ولهم أدرا عندها فريضة الحج . الأزرق ، ص ٤ - ٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨١

فن تلك الألواح في الجدار الغربي مقابل من داخل البيت هـ . ألواح :
 ٣ حمر و ٢ أخضران (١) . وبين هذه الألواح الخمسة في ذلك الجدار
 ٣ محاريب فضة ، طول كل محراب منها هـ أشبار وعرضه ٣ أشبار ،
 بين كل محراب منها منقوش : « أقبل على صلاتك ولا تكن
 من الغافلين » . وفي جهة كل محراب منها منقوش : « لا إله إلا الله
 محمد رسول الله » . وفي ذلك الجدار أيضا مما يجاور الركن اليماني ، في أعلى
 الترخيم على رأس اللوح الأحمر ، محراب ذهب طوله شبران وعرضه شبر
 ونصف (١) . وعلى رأس تلك الألواح والمحاريب بحر مرخم فيه مكتوب
 بالمسك المحلول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » مكرر في سطرين .
 وبعد ذلك : « الإمام المطيع لله أمير المؤمنين » (٢) . وفي سطر
 تحته (ب) : « الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين » (٣) .

وفي الجدار اليماني من تلك الألواح ٤ : أخضران وأحمران ، فوقهما بحر
 مرخم فيه مكتوب : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة (ج) مباركاً وهدى
 للعالمين ، فيه آيات بينات (د) مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً » (٤) .

وفي الجدار الذي كان فيه الباب من تلك الألواح ٣ : أخضر بين أحمرين ،
 وفوقهم بحر مرخم مكتوب من طرف عتبة الباب : « ولله على الناس حج
 البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » (٥) ،
 « بسم الله الرحمن الرحيم . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
 آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٦) .

(١) ج : خضر . (ب) ج : في وسط الثاني تحته .
 (ج) ج : بككة . (د) هذه الآية منقولة في "ج" الى كلمة بينات فقط .

(١) يعطى الأزرق (ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ ابن رسته ص ٣٤ ، ٣٥ ،
 ٣٦) تفصيلات أكثر لإسهاباً عن هذه النقاط وهو يذكر أن الوليد بمث ٢٥ ألف دينار ولكنه
 لا يقول شيئاً عن محاريب الفضة ولا عن محاريب الذهب . أما ابن جبير فهو كما سبق أن أشرنا
 (هامش ٤ ص ١١) لا يتكلم إلا عن شباك الفضة المصقون بحائط الركن .

(٢) هو المطيع لله أبو القاسم الفضل ابن المتوكل (توفي سنة ٣٦٤ = ٩٧٤) .

(٣) هو المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن أحمد الخليفة المباسي (توفي سنة ٣٢٠ = ٩٣٢) .

(٤) القرآن ، سورة ٣ ، آية ٨٩

(٥) القرآن ، سورة ٣ ، آية ٨٩ ، ٩٠

(٦) القرآن ، سورة ٢٣ ، آية ٥٦

وفي الجدار الشامي من تلك الألواح ٣ أيضا : أخضر بين أحمرين ، وفوقهما بحر مرخم فيه مكتوب : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » (١) . هذه صفة البيت من داخله وخارجه (١) .

صفة سقف البيت وعمده

وسقف البيت على ثلاثة عتب أطرافها من الجدار الشرقي إلى الجدار الغربي (٢) . والعتب على ثلاثة أعمدة من خشب مخروطة على قواعد من خشب فيها مسامير فضة . وهي مصطفة من الجدار الشامي إلى الجدار اليماني ، بين العמוד الأول والجدار الشامي ٤ أذرع ، وبين ذلك العמוד والعمود الأوسط ٧ أذرع ، وبين الأوسط والثالث الذي يليه الجدار اليماني ٧ أذرع ، وبين العמוד الثالث والجدار اليماني ٦ أذرع (٣) .

وسماء البيت مذهب في خضرة ليس بمنقوش إنما هو دائري في خضرة مذهب . وفي سماء البيت أربعة روازن للضوء ، جميعها مغطاة بحجر أبيض يسمى الطلق ، يذكر أن عبد الله بن الزبير بعث به من اليمن فقطي منه (ب) الروازن ليدخل منها (ج) الضوء ولا يدخل منها الماء . واحدة من الروازن على الحجر (د) الأسود ، والثانية على وسط البيت بإزاء رأس العמוד الأوسط ، وثالثة (ر)

(١) ج : داخلها وخارجها . (ب) ج : منها . (ج) ب : ث
(د) ب : حجر . (ر) ب : ثلاثة .

(١) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١١٩

(٢) حسب بن عبد ربه (المقد ، ج ٣ ص ٢٦٢) يشتمل المسجد على ثلاثة أروقة . ولكن حسب بن جبير (ص ٨ ، ٤٨ ، ٥١) يقوم المسجد على ثلاثة أعمدة من خشب الساج .

(٣) طول المسافات بالأذرع بين الأعمدة والجدران ، حسب الأزرق (ص ٢٠٥ ، بن رسته ص ٢١) ، هي بالتوالي : ٢ ، ٤ ، ٤ ، ٤ ، ٢ ، ٢ . قارن بن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٢٦٢

على الركن الشامي ، ورابعة (١) على الركن اليماني (١) . وفي الركن عمود به قسبة فضة (ب) ، وهي التي كانت بها قرط مارية والقيمة وقرن الكبش (٢) . وليس بها اليوم إلا قنديلان من فضة كبيران منقوشان ، ومعلق فضة بقنديلين آخرين. لا غير (ج) .

صفة باب الكعبة وذرعه وعتبته

عتبة الباب من ساج أسود مكتوبة من داخل البيت مذهبة من خارجه . وطول باب (د) البيت ٧ أذرع ونصف ذراع ، وعرضه ٤ أذرع إلا أربعة أصابع (٣) . وهو مكسو بصفائح الفضة المذهبة ، وله حلقتان من فضة بيضاء غير مذهبتين . وكان قفل البيت من نحاس أحمر مذهب ، بعضه قد انكشف وبقي بعضه مذهباً ، وهو اليوم (د) حديد مكسو بالفضة (٤) ،

-
- (١) أربعة . (ب) القراءة في ب : وبين الركن عمودين قسبة فضة .
أما في "ج" فالقراءة : وبين كل عمودين قسبة فضة .
(ج) ج : ومعلقان فضة في آخرين . (د) كلمتا "طول باب" ناقصتان في ج
(ر) « اليوم » ناقصة في ب .

(١) يقول الأزرق (ص ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ؛ ابن رسته ، ص ٣٠ ، ٣٢ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٣) إن الحجر الذي استجلبه ابن الزبير من اليمن خاصة لكسوة هذه الروازن يسمى البلق وليس المطلق . وحسب ابن جبير (ص ٨٣ ؛ G. Demombynea, Pèlerinage, p. 51) كانت توجد خمسة روازن مغطاة بالزجاج العراقي ولكن أحدها لم يكن ظاهراً .

(٢) كانت الكعبة ، مثلها في ذلك مثل كل المعابد ، تحتوي في الجاهلية كما في الإسلام على بعض الآثار المقدسة . نذكر من بينها قرني الكبش الذي تقول الرواية إنه الكبش الذي ضحى به إبراهيم من أجل ابنه إسماعيل . ولقد ألهمتهما النيران التي أحرقت الكعبة أثناء الحصار الذي ضربه الحسين بن عمر سنة ٦٤ = ٦٨٣ . انظر الأزرق ، ص ١٥٦

(٣) قبل بناء ابن الزبير للكعبة كان للباب مصراع واحد فجعل له ابن الزبير مصراعين ارتفاعهما ١١ ذراعاً . ولكن عقب إصلاحات الحاج أنقص ارتفاع الباب إلى ٤ أذرع وشبر (الأزرق ، ص ١٤٥ - ١٤٦) ، حتى أصبحت مقاييسه ٦ أذرع و ١٠ أصابع طولاً ، و ٣ أذرع و ١٨ أصابع عرضاً (الأزرق ، ص ٢١٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٦) . ابن الفقيه يقول (ص ٢٠) إن عرض الباب ٤ أذرع . أما ابن جبير (ص ٨٢ ؛ G. Demombynea, Pèlerinage, p. 61) فيروي أن ارتفاعه ١٠ أشبار وعرضه ٨ أشبار .

(٤) انظر الأزرق ص ٢١٦ ، ٢١٧ (ابن رسته ص ٦٤) ؛ ابن جبير ، ص ٨٢ ؛

طول القفل شبر . والباب في الجدار الشرق ، بينه وبين الركن الأسود
ه أذرع ، ويسمى هذا الموضع الملتزم (١) ، بينه وبين الركن الشامي
١٨ ذراعا ، وارتفاع الباب من الأرض ه أذرع (٢) .

صفة الحجر الأسود وارتفاعه في الركن وفضله

الحجر الأسود على ثلاثة أذرع من الأرض (٣) ، وطول ما يظهر منه
في الركن شبر غير أصله في الجدار شبر (٤) . وهو مصدوع مكسور
على ثلاثة قطع : اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة (٥) ، ذكر أن عبد الله
ابن الزبير كان ألصقه وشده بالفضة وأدخله في الركن . وكان قد بقيت
القطعة الصغيرة منه عند بني شيبة ، فلما رده القرمطي بعد أخذه ، ألصق
بألك وأضاف إليه بنو شيبة القطعة الثالثة ، وأفرغ حوله الفضة ودارت
الفضة بينها حتى صار كشبه العين (٦) .

(١) الملتزم أو المدعى أو المتمدّد وهو مشهور بالاسم الأول هو المكان الخالي الواقع بين
ركن الحجر الأسود وباب الكعبة . وهو مكان مبارك فيه يستجيب الله لدعاء عباده (الأزرق ،
ص ٢٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٢٩) . أما حسب ابن جبير (ص ٨٢)
فهو المكان الواقع بين ركن الحجر الأسود والحجر . وحسب الأزرق يسمى الجزء الخلق من الكعبة
أيضا ملتزم عجائز قريش .

(٢) يقول الاصطخرى (ص ١٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٧٩) إن الباب
على ارتفاع قامة . ويذكر ابن جبير (ص ٨٢ ؛ G. Demombynes, p. 51) أنه على ارتفاع
١١ شبرا ونصف شبر من الأرض .

(٣) يقول الأزرق (ص ٢٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢١٢) إنه على ارتفاع
ذراعين وثلاثي ذراع من الأرض . أما اليعقوبي فيذكر (ص ٢٣) أنه على ارتفاع قامة من الأرض
وهو حسب ابن جبير (ص ٨٦) على ارتفاع ٦ أشبار .

(٤) يقول الأزرق (ص ٢٤٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٩) إنه مدفون في الحائط إلى عمق
ذراعين وثلاثي ذراع . ولكن حسب ابن جبير (ص ٨٩) لا يصل هذا العمق إلا إلى ذراعين فقط .

(٥) قارن الأزرق ، ص ١٤٤ ، ٢٤٥ (ابن رسته ، ص ٣٨) . يقول ابن جبير
(ص ٨٩ ؛ G. Demombynes, p. 41) إنه يتكون من ٤ أجزاء ملصوقة بعضها إلى بعض .

(٦) نفس المصدر . عن القرمطي أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٦

وفيه أيضا طرق كثيرة غير الصدع ، فأكثر من استلامه ومن (١) الركن الثاني ، فإن ذلك يحط الخطايا (١). وتقول عند استلامه : بسم الله ، والله أكبر ، اللهم إيمانك وتصديقك لما جاء به نبيك عليه السلام .

صفة الحجر وذراع (٢)

الحجر مكعب يشبه الصهرج ليس بالمربع ، مرخم قاعه وحواطه بالرخام الأبيض ، طرفاه ليسا بملصوقين بركن البيت ، يقابلان من الأركان الشامي والغربي . بين طرفي حائط الحجر الواحد والركن الشامي ٨ أذرع ، وبين الطرف الثاني والركن الغربي ٦ أذرع ، وهما بابا (ب) الحجر من حيث يدخل إليه (٣). ودور الحجر ٤٥ ذراعا ونصف ذراع (٤) ،

(١) « ومن » ناقصة في ب . (ب) ب و ج : باب .

(١) الاستلام هو عادة تقبيل اليد بعد لمس الحجر الأسود أو تقبيل الحجر نفسه . ولكي تصبح هذه العادة المأخوذة مما قبل الإسلام والمخافة لروح الإسلام الواحد في المجرّد مقبولة تقول الرواية إن الحجر الأسود يمثل يد الله التي يمدّها للناس لكي يستلموها . ودون الإشارة إلى الأساطير التي تروى أنه حجر من الجنة تذكر أن عمر بن الخطاب اقترب من الحجر الأسود وقبله وقال : « إنما أنت حجر وكولا أني رأيت رسول الله صامم قبلك ما قبلتك » . أنظر البخاري ، ج ١ ص ٤٠٤ وقابع ؛ تنوير الخواص ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ؛ الأزرق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, pp. 43, 209

(٢) الحجر هو المكان الخالي الذي تركه القرشيون عند ما بنوا كعبة إبراهيم من جديد ، واقتد أحاطوه بحائط من حجر واذلك سمي الحجر (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٠٨) . وهو على شكل نصف دائرة تقع بين الركن الشامي والركن الغربي . وحسب ما يقوله الكتاب دقن في هذا الموضع إسماعيل وأمه هاجر . أنظر الأزرق ص ٩١٨ (ابن رسته ، ص ٢٨ ، ٢٧ ، ٣٨ ؛ Blachère, Extraits..., p. 43 et note ؛ الاصطخري ، ص ١٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ ابن خردادبه ، ص ١٣٣ ؛ ابن جبير ، ص ٨٦ ، ٨٨ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, pp. 21, 27, 36; Note sur la Mekke et Médine, p. 22.

(٣) عرض كل من مدخل الحجر ، حسب ابن جبير (ص ٨٨) ، هو أربع خطوات أي ستة أذرع . ولكن الأزرق يقوّن (ص ٢٢٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٨) إن عرض الواحد منها ٥ أذرع و ٣ أصابع .

(٤) مقياسه من الداخل ، حسب الأزرق (ص ٢٢٦ ؛ ابن رسته ، ص ٣٨) ، ٣٨ ذراعا ومن الخارج ٤٠ ذراعا . ويذكر ابن خردادبه (ص ٣٣) أنه ٥٠ ذراعا . أما عند المقدسي (ص ٧٢) فهو ٢٥ ذراعا فقط .

وطوله من جدار البيت إلى آخر جوف الحجر ٢٠ ذراعا (١) ، وعرض ما بين طرفيه ٢٥ ذراعا (٢) لأن طرفه الواحد يخرج عن ركن البيت الشامي قدر ذراع وكذلك مقابله . والميزاب في وسط ذلك الجدار الذي على الحجر (٣) في وسط ما بين طرفي الحجر ، لاصق بجدار الكعبة رخامتان خضراوان تجر إلى صفرة ، ملصوقتان (١) بالرصاص يقع عليهما ماء الميزاب . وارتفاع حائطه ٥ أشبار ، وعرض غلظه أربعة أشبار ، مسطح أعلاه بالرخام الأبيض . وعلى ظهر الحائط في وسطه مما يقابل الميزاب رخامة خضراء ، تجعل صدرك عليها للدعاء في تمام كل أسبوع ، هذه صفة الحجر .

صفة المقام

حجر لونه بين الدكنة والحمرة ، منقط بنقط سوداء ، له رأسان مختصر الوسط مخروم جدا ، وعمق الأقدام في الحجر أكثر من ثلثي الشبر يزيد نصف أصبع (٤) .

صفة القدمين في الحجر : وصفة القدمين في الحجر إبهام الواحد إلى كعب الثاني . وأصابع القدم اليمنى مما يلي مستقبل المقام ، وكعب ذلك القدم إلى البيت الحرام ، وأصابع القدم الشمال إلى البيت الحرام ، وكعبه مما يلي مستقبل

(ب) ب ر ج : ملصوق .

(١) قارن الأزرق ، ص ٢٢٥ ؛ ابن رسته ، ص ٢٨ (٢٠ ذراعا) .

(٢) نفس المصدر (٢٢ ذراعا) .

(٣) أنظر فيما سبق ص ١١ وهامش ٢

(٤) تقدم لنا الروايات الإسلامية عددا من الأفاصيل الطريفة عن المقام وهو أثر الكعبة المشهورة . فتقول إحداها ، وهي أكثرها رواجا ، إنه عند ما كان إبراهيم يبنى المسجد الحرام بمساعدة ابنه اسماعيل وعند ما ارتفع الحائط أحضر اسماعيل حجرا مكعبا لأبيه لكي يقف عليه ويواصل البناء ، فترك إبراهيم بطريقة إعجازية أثر رجله على الحجر . وحسب أقصوصة أخرى كان صعود إبراهيم على الحجر عند ما دعا الناس لحج البيت الحرام (الأزرق ، ص ٢٧١ وتابع ؛ ابن رسته ، ص ٣٨ ، ٥٤) . وحسب رواية ثالثة ثم وطء إبراهيم برجله للحجر عند ما زار ابنه اسماعيل فأحضر أصهاره الحجر فداس عليه وهو راكب على مطيته . وهذا يفسر الوضع الغريب لأثر القدمين على الحجر إذ أنهما معكروسان حسب رواية الاستبصار . أنظر العمودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٩٧

المقام ، وبين القدمين غلظ مما يلي البيت الحرام ثلاثة أصابع ، ثم يضيق (١) فيرجع في وسط المقام إلى أصبعين مغلقين ، ثم يضيق حتى يرجع في آخر الجهة مما يلي مستقبله إلى أقل من غلظ أصبع (١) .

ذكر صفه المقام : والمقام مكسو بغاشية فضة ، في الرأس الأعلى منقوش في الغاشية مقابل مستقبله « سبحان الله » ، وفي الجهة التي تلي زمزم « والحمد لله » ، وفي الجهة التي تلي البيت الحرام « لا إله إلا الله » ، وفي الجهة التي تقابل دار الندوة « والله أكبر » (٢) . وفي المقام ، في رأسه الأسفل ، مقابض فضة ملصقة في الغاشية يرفع بها المقام عند تحريكه وغسله . وهو قاعد في وسط حويض من رخام أبيض مربع مكسو بغاشية فضة ، عمق الحويض ٤ أصابع مغلقة فيه حلقتان . تنزل على المقام مكبة من خشب ارتفاعها ٤ أشبار ، وتدخل تلك الحلقتان في فتح في المكبة ويضرب عليهما قفلان الواحد من جانب زمزم والآخر من جانب دار الندوة . ولها مكبة أخرى من حديد فإذا قرب الحج وكثر الناس وأتى المرور ، رفعت مكبة الخشب وأنزلت مكبة الحديد (٣) ، ويوضع عن يمين المكبة وعن يسارها كرسيان من خشب يجعل عليهما ثوران من نحاس عليهما شمع من قير . وبين المقام والكعبة ٣٠ ذراعاً ، وبينه وبين حد الطواف ١٢ ذراعاً . فعرض الطواف هنالك ٤٢ ذراعاً ، وليس يقابل باب الكعبة إنما يقابل وسط جدارها .

(١) القراءة في ب : بين القدمين قدم غلظه مما يلي البيت الحرام ثلاثة الأصابع .
أما في ب فالقراءة : وبين القدمين غلظ مما يلي البيت الحرام ثلاثة أصابع فيرجع في وسط المقام إلى ...

(١) رواية المؤلف هنا مختلفة عن بقية روايات الكتاب . قارن الأزرق ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ . (ابن رسته ، ص ٤٠) ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٠ ؛ ابن جبير ، ص ٨٤ ؛ المقدسي ، ص ٧٣ ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ١ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ .

(٢) يقول الأزرق (ص ٢٧٨ ؛ ابن رسته ، ص ٣٤) إنه مكسو بغشاء من الذهب . وحسب ابن جبير كان يكسوه طبقة من الفضة . ولكن رغم دقة هؤلاء الكتاب فإنهم لا يذكرون شيئاً عن النقوش التي تزين هذا الغطاء .

(٣) قارن الأزرق ، ص ٢٧٩ (ابن رسته ، ص ٤٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨٠ ، ٥٨٨) ؛ ابن جبير ، ص ٨٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢١ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .

صفة بئر زمزم وذرعها وذرع قبتها وما فيها من الماء وفضلها (١)

يستحب لمن حج أن يستكثر من ماء بئر زمزم (١) ، ويكون منه شرابه ووضوؤه ما أقام بمكة ، ويكثر من الدعاء عند شربه وليقل إذا شربه : « اللهم إني أسألك علما نافعا وشفاء من كل داء » ، فإنه لما شرب . ويستحب لمن حج أن يتزود منه لبلده (ب) فإنه شفاء لمن استسقى موقنا ببركته (٢) . قال ابن عباس : « اشربوا من شراب الأبرار وصلوا في مصلى الأخيار » ؛ قال وشراب الأبرار ماء زمزم (ج) ومصلى الأخيار تحت الميزاب (٣) . وغور بئر زمزم من أعلاها إلى قاعها ٧٢ ذراعا (٤) ، ومن وجه الماء إلى أعلى البئر ٣٤ ذراعا ، ومن وجه الماء إلى قعر البئر ٣٨ (د) ؛ ذراعا (٥) ؛ ويذكر أنها تقرب ليلة النصف من شعبان في وسط الليل (٦) . وذكر أيضا أنه ليس يبق أحد بمكة إلا يطهر منها تلك الليلة ، فيخرج منها من الماء ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، فما زادت ولا نقصت (ر) ولا تغير الماء عن حاله . وكذلك في المواسم ما نقصت شيئا إلا

(١) ب : ماء زمزم ، ج : بئر زمزم . . (ب) لبلده ناقصة في ج .

(ج) هذه الجملة ناقصة في ب . (د) ج : ثلاثة وثلاثون .

(ر) « ولا نقصت » ناقصة في ب .

(١) ينسب أصل بئر زمزم إلى إسماعيل : فعند ما عطش الطفل الصغير وتيقنت والدته الفلقة من موته فجرت ملهوفة بين الصفا والمروة ، ضرب الأرض برجليه فنبع الماء تحت ضرباتها . وهكذا اتخذ هذا المورد صفة قدسية . الأزرقى ، ص ٢٧٩ وقابع (ابن رسته ، ص ٨٠) ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٤١ .

(٢) قارن الأزرقى ، ص ٢٩٠ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠ .

(٣) الأزرقى ، ص ٢٩٢ .

(٤) يبلغ عمقها ، حسب الأزرقى (ص ٣٠٠ ؛ ابن رسته ص ٤٢ - ٤٣) ٦٩٠ ذراعا ؛ ولقد كان في أول الأمر ٦٠ ذراعا ثم زيد فيه ٩ أذرع سنة ٢٢٣ ، ٢٢٤ = ٨٣٨ ، ٩٣٩ . وحسب ابن جبير (ص ٨٨ ؛ ابن بطوطة ، ص ٣١٨ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 78) يبلغ عمقها ١١ قامة .

(٥) يقول ابن جبير (ص ٨٨) إن عمق الماء ٧ قامات .

(٦) يحتج ابن جبير (ص ١٤٠ ؛ G. Demombynes, Pèlerinage, p. 83-4) ضد هذا الاعتقاد الساذج الذى أثبت شخصيا عدم صحته . قارن العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ب .

أن الماء يتمكن قليلا في المواسم . وقيل إنها غارت في سنة ٣٢٤ وعطلت أياما ، وكانت تجم ليجتمع فيها الماء . وذكر أيضا أنها جفت في بعض تلك السنين حتى أن رجلا دخل (١) فيها فصلى في قاعها ركعتين (١) .

ودور سعة البئر ١٨ ذراعا (٢) ، وذرع سورها ٦ أذرع (٣) ، وعليها قبة مربعة على ١٦ سارية (ب) منقوشة كلها (٤) ، و ٤ أركان معلقة بشراحيب الحديد ترجع إلى باب لطيف من ناحية قبة الشراب ، ويعرفها أهل مكة بساقية زبيدة (٥) . قاعها مبسوط بالرخام ، وسقفها ملبس منقوش من داخله بخشب الساج (ج) (٦) ، معمول من خارجه بالفسيفساء ، مصنوع من زاج قد جعل فيه فرشاة الذهب . وفي أعلى القبة قبية فيها سلسلة من نحاس ، يوقد على جميعها الشموع ليلة الختمة في رمضان . وعليها يرتفع الداعي لأمر المؤمنين بالدعاء (٧) ، وله مرتب على ذلك .

وقبة زمزم هذه تقابل من الكعبة الملتزم وهو ما بين الركن الأسود وباب الكعبة (٨) ، وركن القبة خارج عن ركن الكعبة ، ودور القبة من داخل : صهاريج يصب فيها الماء ، يتوضأ الناس منها للصلاة .

(١) « دخل » ناقصة في ب . (ب) ب : ٦ سوارى .

(ج) القراءة في ب : من داخلها في خشب الساج

(١) حدث ذلك كما يقول الأزرقى (ص ٣٠٠ ، ابن رسته ، ص ٤٢ - ٤٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٤٢) سنن ٢٢٣ و ٢٢٤ = ٨٢٨ و ٨٣٩

(٢) قارن الأزرقى ، ص ٣٠٠ ، ابن رسته ، ص ٤٣ (١١ ذراعا) .

(٣) نفس المصدر (ذراعان وشبر) .

(٤) قارن المقدسى ، ص ٧٢

(٥) هي زبيدة زوجة هارون الرشيد . أنظر G. Demonbynes, Pèlerinage, p. 240

(٦) قارن الأزرقى ، ص ٣٠١ ، ٣٣٦

(٧) قارن ابن جبير ، ص ١٠٠ ، ١٠٣

(٨) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ١٧

صفة قبة الشراب (١)

وبإزاء بئر زمزم قبة الشراب ، وهي مقبوة على أرجل من خشب ، مغلوف بينها بالشرح ، ترجع إلى باب صغير من جانب دار الندوة . وذراع القبة ٨٠ ذراعا ، وقاعها معمول بالجيار فيه خواب مملوءة بالماء يستقي الناس منها من المغرب إلى العتمة ، سقفها معمول بالفيسفاء ، في أعلاها زج (١) يشبه صورة طائر من نحاس تديره الرياح ، بينها وبين قبة زمزم ٣٥ ذراعا .

صفة بيت اليهودية (٢)

هو داخل المسجد الحرام ، وهو بيت مربع أعلاه مُشْرِف ، جدره ملبسة بالجيار . وليس في المسجد الحرام بناء غير ما وصفت .

صفة المسجد الحرام وذرحه وما فيه من الصنع

وفي المسجد الحرام أربع أئمة : فالإمام الشافعي إلى المقام ، والإمام المالكي إلى الركن الغربي ، والإمام الحنفي إلى الميزاب ، والإمام الحنبلي يصلي إلى الركن الشمالي (٣) . وطول المسجد الحرام من ركن بني شَيْبَةَ ، وهو الباب الذي يدخل الناس منه أول ما يدخلون المسجد الحرام ، إلى ركن بني جُمُتَح الذي عند باب السهميين الكبير ٤٠٧ أذرع (٤) . وعرضه من باب السهميين ، وهو ركن

(١) ج : زوج .

(١) الأزرق ، ص ٣٣٧ وتابع ؛ ابن جبير ، ص ٨٩ (G.-Demombynes, Pèlerinage, p. 89) . وقبة الشراب تعرف بقبة العباس وطولها ٢٤ ذراعا وعرضها ١٩ ذراعا . قارن العبدري ، المخطوط ، ص ٩٥ - ١ .

(٢) عقب قبة العباس توجد القبة المعروفة بقبة اليهودية وهي منحرفة عنها . والقبتان عبارة عن مخزنين لأوقاف البيت الحرام من مصاحف وكتب وشمع وغيرها . أنظر ابن جبير ، ص ٨٩ .

(٣) يضيف ابن جبير (ص ١٠١ - ١٠٢) إماما خامسا غير مهم هو إمام الزيدية من الشيعة المعتدلين .

(٤) قارن الأزرق ، ص ٣١٩ ؛ ابن رسته ، ص ٤٤ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ (٤٠٤ ذراعا) ؛ ابن خردادبة ، ص ٣٢ ؛ المقدسي ، ص ٧٢ (٣٧٠ ذراعا) .

بنى جمع ، إلى ركن منى وأجياذ الكبير الذى على باب اليمانيين ٢٨٠ ذراعا (١) .
هذا ذرع المسجد الحرام فى الطول وفى العرض .

وللمسجد الحرام خمس منائر (٢) : منارة فى ركن أجياذ ، ومنارة على ركن
أبى قبيس - وفى ركن ذلك المنار مما يلي دار إبراهيم الخليل (٣) عليه السلام
الميل الأخضر (٤) الذى منه ابتداء الهرولة - ومنار ثالث على ركن بنى شيبة ،
ومنار رابع على باب دار الندوة ، ومنار خامس على باب جمع ، ويعرف
بباب السدّة .

عدد أبواب المسجد الحرام شرفها الله

له من الأبواب ١٧ بابا (٥) منها فى الشق الغربى وهو الذى يلي باب
جمع وبنى سهم ٣ أبواب (٦) : باب السهمين الكبير وهو باب العمرة ومنه
يخرج الناس إلى التعميم لعمل العمرة ، وهو حنية كبيرة بلا سارية . ثم باب

(١) قارن الأزرق ، ص ٣١٩ (ابن رسته ، ص ٤٤) . عرض المسجد من مثذنة بنى
أجياذ إلى مثذنة بنى سهم ٢٧٨ ذراعا .

(٢) للمسجد ، حسب الأزرق (ص ٣٣١) ، أربع مآذن تقع فى الأركان الأربعة للبناء .
إلا أن ابن جبير (ص ٩١) يذكر أن للمسجد سبع مآذن : أربع منها فى الأركان الأربعة للمسجد ،
رواحدة قائمة فوق دار الندوة وسادسة فوق باب الصفا والسابعة الأخيرة فوق باب إبراهيم . ولكن
يحسن الإشارة إلى أن رواية العبدري (المخطوط : ص ٩٣ - ب) تتفق بدقة مع رواية الاستبصار .

(٣) دار إبراهيم عبارة عن دار مبنية فوق جبل «أبو قبيس» . ويحتج الأزرق
(ص ٤٢٥ - ٤٢٦) على نسبة هذه الدار إلى إبراهيم الخليل ويقول إنها كانت محل إقامة رجل
من سائر الناس اسمه إبراهيم .

(٤) الميل الأخضر عبارة عن علامة أشبه بالوتد قائمة لتبين حدود الأرض الحرام .
وأول من أقام الأميال الخضراء هو المهدي العباسي . الأزرق ، ص ٣١٢ .

(٥) لا يتفق الكتاب على عدد الأبواب فى المسجد الحرام . فهى حسب الأزرق
(ص ٣٢٣ ؛ ابن رسته ، ص ٤٨) ٢٣ بابا . قارن المقدسي ، ص ٧٣ (١٩ بابا) ؛ ابن جبير ،
ص ١٠٥ (١٠٥ بابا) ؛ ابن بطوطة ، ص ٣٢١ - ١٩ (١٩ بابا) ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ١
(١٨ بابا) ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٩٣ - ١ (٣٩ بابا) . أنظر : G.-Demorbynes, Pèlerinage, p. 131 sq .

(٦) يعد الأزرق (ص ٣٢٧ ؛ ابن رسته ، ص ٥١) ٦ أبواب فى هذه الواجهة ؛ وكذلك الأمر
بالنسبة لابن الفقيه (ص ٢١) .

ابراهيم عليه السلام وهو ٧ أقواس على ٨ أعمدة (١) من آجر (ب) ملبسة بالجيار ، تدخل منه قبل وصولك إلى المسجد ، إلى دار كانت دار الحنطة (ج) زادت زبيدة (١) . وهي دار مربعة طولها ٥٦ ذراعا وعرضها كذلك (د) ؛ وهي سقائف محمولة على أعمدة من آجر ملبسة بالجيار تشتمل على ٥٢ عمودا . ثم تمضي منها إلى صحن المسجد ؛ وخارج هذا الباب على ضفة الوادي بئر غدورة وبئر ابراهيم (٢) ، وهما بعيدا الرشا ملحان لا يشرب منهما . ثم باب جعفر (ر) ، وهو المعروف بباب اليمانيين ، وهو قوسان على سارية .

وفي الشق الذي إلى جانب الوادي وأبي قيس ٦ أبواب (٣) : باب البقالين وهو باب أجياد الكبير ، ويقابل هذا الباب دار أبي جهل ، وهو قوسان على سارية ، ثم باب الغزالين وهو قوسان على سارية ؛ ثم باب الصفا (س) وهو باب بني مخزوم ، ومنه يخرج إلى الصفا وهو ٥ أقواس على ٤ سوار ؛ ثم باب الحياطين وهو باب بني طلحة ، وهو قوسان على سارية وفي هذا الباب يبيع البدو أطعمتهم إذ يأتون إلى مكة .

وفي الشق الذي إلى جانب النسي ٤ أبواب (٤) : باب علي (ص) ابن أبي طالب رضى ، وهو ٣ أقواس على ساريتين — وفي مقابل السارية الواحدة التي إلى جانب باب النبي صلعم الميل الأخضر الذي في ركن دار جعفر لصق دار العباس ؛ وهو رجل ملبس بالجيار ، قد صبغ بالخضرة ، بناه المهدي ، جعله علما حيث تنقطع الهرولة . ثم باب النبي صلعم وهو قوس

-
- (١) القراءة في ج : وهو على سبعة أقواس على ثمانية أعمدة . (ب) ج : آجور .
 (ج) ج : دار الحنطة . (د) "كذلك" ناقصة في ب .
 (ر) ب : الجعفر . (س) كلمات : « ثم باب الصفا » ناقصة في ب .
 (ص) ج : باب اليد على .

(١) قارن الأزرق ، ص ٣١٥ ، ٣٢٨ . ولكن صاحب الاستبصار أكثر دقة فيما يختص بهذه النقطة .

(٢) لا يذكر الكتاب شيئا عن هذين الموردين .

(٣) يعد الأزرق (ص ٣٢٥ ؛ ابن رسته ، ص ٤٩) ٧ أبواب في هذه التوجيه .

(٤) يعد الأزرق هنا (ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ ابن رسته ، ص ٤٩) خمسة أبواب .

صغير بلا سارية ، ومنه يخرج إلى الحدائق وإلى الصيادلة ؛ وعنده طبل عظيم عرضه ٥ أشبار وهو من خشب تنم عليه رائحة الزنجبيل وهو مجلد من ناحية ، يضرب من أول ١٠ ذى الحجة عند كل صلاة . ثم باب بنى شَيْبَة وهو ٣ أقواس على ساريتين ، ومنه دخل النبي صلعم ، ومنه يدخل كل من دخل مكة حاجا أو معتمرا . وعتبته من القوس الأول إلى القوس الثالث هُبل (١) الصنم الأعظم الذى كان فى الكعبة ، وكانت قريش تعبده من دون الله فغيره الإسلام عن حاله وجعله عتبة لهذا الباب (ب) تطأه الأقدام ؛ وإنما قصد به هذا الباب لأن الناس يدخلون عليه من جميع الآفاق (١) ، والحمد لله على نعمة الإسلام . وفى هذا الشق المسعى وهو ما بين انصفا والمروة (٢) ، وهو بطن المسيل (ج) ، وفيه سوق مكة يجتمع فيه الباعة للمطاعم والصنائع .

وفى الشق الذى يلي دار الندوة ٤ أبواب (٣) : باب السوارى وهو قوس صغير بلا سارية ؛ ثم باب الندوة وهو قوسان على سارية ، يدخل منه إلى دار الندوة التى زيدت فى المسجد (٤) . وهى دار مربعة يدخلها تبنيق من جانب دار العجلة (٥) ، وهى مقائف من كل جانب على أعمدة آجر ملبسة بالجيار (د) . طول الدار ٣٢ ذراعا ، وعرضها مثل ذلك ، وجميع ما فيها من العمود ٧٧ عمودا ، ولها باب آخر يدخل منها إلى المسجد أيضا يعرف أيضا بباب الندوة (٦) ،

(١) ب : هل . (ب) « الباب » ناقصة فى ب . (ج) ب : أهيل .
(د) ج : بالجير .

(١) يرى الأزرق (ص ٣١٦) أن هذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة وأنها حجارة أحضرها من يسمى القسارى لبناء الخوض المعروف باسم بركة البردى (ابن جبير ، ص ١١٣ ، G. Demombynea, Pèlerinage, p. 132) .

(٢) أنظر فيما بعد ص ٢٩ و هامش ٤ .

(٣) بعد الأزرق (ص ٣٢٨ ؛ ابن رسته ، ص ٥٢) ستة أبواب فى هذه الواجهة .

(٤) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ٨ .

(٥) يقال إنها أول دار أنشأها القرشيون فى مكة (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٢٢) . أما عن تسميتها فيقول الأزرق (ص ٤٦٤) أنه عندما أعاد ابن الزبير بناءها كانت أحجار البناء تحمل على عجلة تجرها الثيران ومنها أخذ اسم الدار .

(٦) عن وصف دار الندوة يقول الأزرق (ص ٢٤٥) إن طولها ٨٤ ذراعا وعرضها ٧٦ ذراعا . وهو بعد فيها ٢٢ عمودا دون أعمدة الأبواب .

وهو قوسان على سارية مما يلي دار العجلة . ثم باب الطبرى وهو قوس صغير بلا سارية ، يقال له باب السدّة ، ومنه يخرج إلى دار جعفر الصادق . وفي هذا الشق أيضا ستة أبواب (١) إلى الدور التي تجاور المسجد الحرام ليست من المسجد في شيء .

عدد سوارى المسجد الحرام وذكر معجزة النبي صلعم في ابتياعه السارية الحمراء

وجميع ما في المسجد الحرام من السوارى ٤٧٠ سارية ؛ هذا في السقائف خاصة ، وفي أبواب المسجد ٢٦ سارية ليست من العدد الأول . وفي الدارين المزيدين في المسجد : دار الندوة ودار الحنطة ١٢٧ (١) عمودا فكل ذلك عدد السوارى والأعمدة ٩٢١ عموداً (٢) . والمسجد الحرام من كل جانب ٣ بلاطات في كل شق من تربيعة (٣) . وفي طول المسجد من ناحية الصحن ٤٦ قوسا ، وفي عرض المسجد من جهة الصحن أيضا ٣١ قوسا (٤) ، وفي الوجه الذى يلي دار الندوة - في وسط المسافة - سارية حمراء كانت ليهودية ، وطلبها النبي صلعم ليباعها منها فأبت أن تبيعها منه إلا بوزنها من ذهب ، فأبتاعها منها صلعم فأخذها عليه السلام بهذا الشرط . فوضعت السارية في كفة (ب) الميزان ووضع

(١) ب : ١٢٩ والأصح أن تكون ١٢٥ حتى يصبح المجموع ٩٢١

(ب) « كفة » ناقصة في ب .

(١) باضافة هذه الأبواب الستة التي لا يمددها المؤلف يصبح عدد الأبواب جميعا ٢٣ بابا وهو نفس رقم الأزرق (هامش ٥ ص ٢٦) .

(٢) يمدد الأزرق (ص ٣١٩ - ٣٢٠ ؛ ابن رسته ، ص ٤٤ ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ١) ٤٨٤ عمودا ؛ ويمد ابن جبير (ص ٩٠) ٤٧١ عمودا منها ؛ أما ابن الفقيه (ص ٢١) فيذكر أن عددها ٤٦٥ عمودا ؛ ولا يذكر ابن عبد ربه (العقد ، ج ٣ ص ٣٩٢) العدد الكامل للأعمدة بل يكتفى بأن يقول إنه يوجد ٥٠ عمودا في كل صف مقابل للواجهة الداخلية للصحن طولاً و ٣٠ عمودا عرضاً ، وإن عدد الأعمدة ذوات التيجان المذدة ٣٢٠ عمودا .

(٣) قارن ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٩٢ ؛ ابن جبير ، ص ٩٠

(٤) قارن الأزرق (ص ٣٢٢ وتابع) فهو مختلف ولكنه أقل دقة ؛ يذكر أبو جعفر هل الفسكى القرطبي أن كلا من واجهات الجوانب الكبيرة تحتوي على ٣٦ قوسا ، أما الجوانب الصغيرة فلا تحتوي كل منها إلا على ٢٤ قوسا (أنظر : G. Demombynes, Pèlerinage, p. 125) .

النبي صلعم في الكفة الثانية مثقالا فرجع المثقال ببركته صلعم ، فأخذها عليه السلام ووزنها مثقالا واحدا فهذا من براهيته^(١) صلعم . ووجه كل بلاط من ناحية الصحن منزول بالفسيفساء .

عدد قناديل المسجد الحرام وما فيه من الحطيم والثريا^(٢)

داخله ١٠ (١) أرجل من خشب مصفحة بالنحاس تسمى كل واحد منها بالحطيم ، تجعل عليه القناديل وتعلق منه بأكواس من زجاج في رمضان . فنه حطيم صاحب بغداد وحطيم شاه (ب) ملك العجم وحطيم سنجار ملك الفرس وحطيم السيدة : وهذه (ج) من ناحية المقام موقفة . وحطيم الحنيفة من ناحية الشام ينظر إلى الركن الغربي . فحطيم بغداد يتعلق منه ٢٠ قنديلا ، وحطيم شاه يتعلق منه ١٠ قناديل ، وحطيم سنجار يتعلق منه ١٠ قناديل أيضا ، وحطيم الحنيفة يتعلق منه ٦ قناديل . ويتعلق من الذي على زمزم ١٠ قناديل ، ويتعلق من الأربعة الباقية ١٨ قنديلا ، فعدد ما يتعلق منها ٧٢ قنديلا (د) . ويتعلق من سقائف المسجد الحرام

(١) ب : خة . (ب) ج : شاهين . (ج) ب ، ج : هؤلاء .

(د) المجموع يساوي ٧٤ قنديلا .

(١) يذكر الأزرق (ص ٢٠٨ ، ٢٢١) السود الأحمر ولكنه لا ينسب إلى اليهودية ولا يقول شيئا عن المعجزة .

(٢) يطينا المؤلف هنا تفصيلا فريدا . ولكن يرجع الفضل إلى ابن جبير (ص ١٠٢) ؛ ابن بطوطة ، (ص ٢٧٤) في وصف الحطيم : فهو عبارة عن خشبتين موصول بينهما بأذرع من الخشب أشبه بالسلم تقابلها خشبتان على تلك الصفة وكل منهما معقودة على رجلين من الجص قليلتي الارتفاع . وتتصل الخشبتان في أعلاهما بخشبة مسطرة مربعة قد تدلت منها خطاطيف الحديد تحمل القناديل .

أما عن الأزرق (ص ٢٦٧) فالحطيم عبارة عن المكان الواقع بين الركن الأسود والمقام وبئر زمزم والحجر . وهو المكان الذي كان يقوم فيه إساف ونائله اللذين غيرهما الله إلى حجر لجرأتها على اللقاء في الكعبة وتدنيها . أما اسم الحطيم فقد أعطى للمكان لأن الناس يقومون فيه بالدعاء . فهو مكان يحيب الله فيه السائلين ضد الظالمين .

أما عن ياقوت الذي يأخذ بهذا الرأي (معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٩٠) فهو يضيف أن كلمة حطيم ، حسب رواية بن عباس ، تعني حائط وهو حائط الكعبة .

١٥٠ قنديلا و ٥ ثريات : واحدة على باب إبراهيم الخليل عليه السلام ،
والثانية (١) على باب (ب) الصفا ، وثالثة على باب شيبة ، ورابعة على باب
السواري ، والخامسة على باب بني جح (١) .

وأرض المسجد الحرام رملة في قوام السميد (٢) ، وقد رتب فيه نفسان
بأيديهما وضافان يرقعانها عند كل صلاة (٣) .

صفة الصفا والمروة

والصفا حجر أزرق عظيم قد بنى عليه درج (ج) ، ومن عليه يصعد
إلى أبي قبيس ، وعدد درجاته ٣٠ درجة وإلى آخر موضع الوقوف منها (د)
١٨ درجة . والمروة أيضا حجر عظيم كأنه قد انقسم فصار بعضه كذا وبعضه كذا
وصار ما بينهما فرجة نحو ١٢ ذراعا ، بنى في تلك الفرجة درج نحو
العشرة إلى موضع الوقوف عليها ، وبنى في أسفلها من ناحية الشرق محراب .
وليس يرى من البيت من أعلى المروة إلا قدر ذراعين (٤) .

ذرع المسمى : وذلك من الصفا إلى الميل الأخضر الأول ، الذي في ركن
المنار الذي على باب الوادي ، وهو ١٨٠ ذراعا . ومن ذلك الميل إلى الميل

(١) ب : ثمانية . (ب) « باب » ناقصة في ب . (ج) ب : ذرع .
(د) ب : آخر الموضع الموقوف منها .

(١) قارن الأزرق ص ٣٣١ (٤٥٥ قنديلا و ٨ ثريات) .

(٢) يقول المبدري (المخطوط ٩٣ - ١) إن أرض المسجد منطاة بالرمل الأبيض الجميل
المنظر .

(٣) يسمى ابن جبير (ص ٩٦) هذه الآلة الفرقة : وهي عبارة عن عود مخروط أحمر
قد ربط في رأسه مرسى من الأديم المفتول في طرفه عذبة صغيرة ينفضها بيده في الهواء فتأق بصوت
عال يسمع من داخل الحرم وخارجه كأنه إيذان بوصول الخطيب .

(٤) لم يكن هناك سلم على التلين إلى عهد أبي جعفر المنصور العباسي الذي بناه . الأزرق
ص ٣٥٠ (ابن رسته ، ص ٥٤) ؛ ابن جبير (ص ١٠٦) ؛ ابن بطرطه ، ص ٣٢٧ يقول إن
سلم الصفا يتكون من ١٤ درجة .

الأخضر الثاني ، الذى فى ركن دارى جعفر والعباس ١٢٥ ذراعا ، ويقابل كل واحد من الميلىن الأخضرين مثلهما على شكاهما . ومن ذلك الميل إلى المروة ٤٧٥ ذراعا ؛ فجميع ما بين الصفا والمروة ٧٨٠ ذراعا (١) .

صفة منى والجمرة ورميها (٢)

إذا دخلت منى فقل اللهم هذه منى وهى مما دللتنا عليه (١) من المناسك (ب) ، فأسألك أن تمن علينا فيها بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وعبادك الصالحين . ومنى شبه القرية التى بنيت على ضفتى الوادى النازل من عرفات (٢) . وفى وسط ذلك الوادى الجمرتان (٤) : والجمرة الأولى

(١) ج : ذلتنا . (ب) « من المناسك » ناقصة فى ب .

(١) رواية الأزرق أكثر تفصيلا (ص ٣٤٩ وتابع ؛ ابن رسته ، ص ٥٤) ولكنها مختلفة بشكل محسوس عن هذه الرواية . قارن الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ المقدسى ، ص ٧٣ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٢ - ١ .

(٢) منى هو المكان الذى تدور فيه أهم مناسك الحج من رمى الحصى إلى ذبح الأضاحى . وهناك رواية تقول إن الاسم مأخوذ من التقي : وذلك أن جبريل عند ما أتى بآدم إلى هذا المكان سأله ماذا يتسنى فقال العودة إلى الجنة . فهكذا سمي منى . الأزرق ، ص ٤٠٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ . أما ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٤٢) فيقول إنه سمي منى نسبة إلى الدم المراق أثناء احتفال التضحية .

(٣) يقال إن اسم عرفات مأخوذ من الاعتراف بالذنوب . فالملاك جبريل هو الذى نصح آدم بالاعتراف بخطئه فى هذا المكان (ابن رسته ، ص ٢٥) . وحسب أسطورة أخرى يقال إنه المكان الذى التقى فيه آدم بهواء بعد خروجهما من الجنة وحيث عرف كل منهما الآخر (المسعودى مروج الذهب ، ج ١ ص ٩٢) . وحسب قصة ثالثة سمي المكان بعرفات لأن جبريل عرف آدم فيه كيفية انقيام بمناسك الحج (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٤٥ - ٦٤٦) .

وهو عبارة عن أرض مسطحة يحدها اتل الذى يشرف على وادى مرفة ويمتد حتى الجبال ثم المكان المعروف باسم وضيق ثم وادى عرفة (الأزرق ، ص ٤٨) . وحسب ابن جبير (ص ١٧٢) ينتهى بجبل الرحمة . قارن الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٥ ؛ المقدسى ، ص ٧٧ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٨ .

(٤) الجمرة هو المكان الذى تلقى فيه الحصىات ، وإلقاء الحصىات من مناسك الحج والمروة الرئيسية . والاسم مأخوذ من التجبير أى التجميع وذلك لأن الحصىات تتجمع فيه فوق بعضها أيام الحج . أنظر الأزرق ، ص ٤١٠ وتابع . ابن جبير ، ص ١٥٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١١٧ ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٦٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ المقدسى ، ص ٧٦ ؛ البخارى ص ٤٣٧ ، ج ١ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٥٩ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٣ - ب ؛ G. Derombines, Pèlerinage, pp. 238, 275.

هي جرة العقبة أول ما تلقى منى في رأس العقبة على يسار الداخل في منى من ناحية مكة ، فارمها من أسفلها من بطن الوادي بسبع حصيات . وتقول مع كل حصاة (أ) : « لا إله إلا الله والله أكبر على رغم الشياطين (ب) أو الشيطان وخزيه » . فإن رماها قبل الفجر لم تجز وأعاد رميها بعد الفجر ولا ذم عليه . والحصاة قربان فما تقبل منه رفع ، وما لم يتقبل منه بقي (١) . وليس على الخارج بمنى صلاة العيد وإنما صلاتهم في ذلك اليوم وقوفهم بالمشعر الحرام (٢) .

وأيام منى أيام ذكر الله ، قال الله تعالى : « وأذكروا الله في أيام معدودات » (٣) فالمعدودات أيام منى الثلاثة ، ترمى فيها الجمار وهي أيام التشريق (٤) وليس يوم النحر منها لقوله تعالى : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه » (٥) فلو كان منها لقال فمن تعجل في ثلاثة . فالنحر هو في اليوم الثاني من الثلاثة التي بعد يوم النحر (ج) ، والأيام المعلومات يوم النحر واليومان اللذان بعده ، واليوم الرابع للمعدودات خاصة . فإذا رميت جرة العقبة نحررت هديك واستقبلت به إلى القبلة ، وقلت : « باسم الله اللهم منك ولك فأسألك أن تتقبل منى كما تقبلت من إبراهيم (د) خليلك عليه السلام » . وفي سفح الجبل على جرة العقبة مسجد وفي حائطه من ناحية الجوف ججر مبسوط أدكن فيه (ر) أثر قدم إسماعيل عليه السلام ولد إبراهيم الخليل حين أضجعه للذبح فركض برجله فلان له الحجر

-
- (أ) ب : حصيات . (ب) « الشياطين » ناقصة في ج .
(ج) هذه الجملة مشوشة في ب إذ أن قراءتها : فالنحر الأول الثاني من الثلاثة التي يعمل بعد يوم النحر . (د) ج : سيدنا إبراهيم .
(ر) « فيه » ناقصة في ب .

- (١) قارن تنوير الحوائك ، ص ٣٥٩ .
(٢) المشعر الحرام الذي يعرف أيضا باسم جمع أو المزدلفة أو قزح ، هو المكان الواقع بين منى ومرفة . وهو المكان الذي يقف فيه الحاج ليلة (وقفه) عيد الأضحي .
قارن الأزرق ، ص ٤١٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٨٧ ؛ ابن جبير ، ص ١٧٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١١٨ ؛ الفاسي ، ص ٩٧ . وانظر G. Demombynes, Pèlerinage, p. 238 .
(٣) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٩٩
(٤) أنظر فيما سبق هامش ٥ ص ٧
(٥) القرآن ، سورة ٢ ، آية ١٩٩

ففرق رجله فيه صلعم (١) . وفي هذا الموضع أثر الكبش وأسفل من ذلك في جوف الشعب عند طلوعك إلى العقبة عن يسار الطريق مسجد بيعة (١) الأنصار التي كانت في الإسلام ، بقي أثره إلى اليوم (٢) . ثم تدخل منى فتلقى الجمرة الثانية عن يسارك على باب مضرب السيل ومضرب المعتر ، بينهما وبين جرة العقبة ٤٠٠ ذراع (٣) ، ثم الجمرة الثالثة وهي وسط المحجة بينها وبين الجمرة الوسطى ٣٥٠ ذراعا (٤) . وترعى الجمرات الثلاث بسبع حصيات ، وتقول إذا رميتها مثل ما تقدم من القول . وليعلن الحاج بالتكبير أيام منى ، ويذكر الله ويكبر في أي ساعات النهار شاء ، ولا يقطع (ب) التكبير حتى يصلي الظهر والعصر بالمُحَصَّب (٥) . فإذا دخلت مكة وطفقت طواف الإفاضة (٦) فقل : « اللهم لك الحمد على تسليمك إياي حتى قضيت حاجتي مفلحا ، قد غفرت لي ذنبي وقضيت لي حوائجي ، إنك على كل شيء قدير » (ج) . فإذا ودعت البيت وصدرت (د) عنه ، فلا ترد له ظهره حتى تغيبه ؛ وتقول عند ذلك : « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وعملاً مقبولاً وسعيًا مشكوراً يا أرحم الراحمين . اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك المعظم (ر) ومن زيارة قبر نبيك المكرم وأقلبي سالماً إلى أهلي إنك على كل شيء قدير » .

(١) ب : بحث (ب) ب : يقطعوا . (ج) « شيء قدير » ناقصة في ب .
(د) ب : صدرت . (ر) « المعظم » ناقصة في ب .

(١) أنظر ابن جبير ، ص ١٥٧

(٢) قارن الأزرق ، ص ٢١٣ ، ٢٢٨ ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ . عن بيعة المدنيين انظر ابن الأثير : ج ١ ص ٧٣ وتابع .

(٣) مقياس هذا المكان حسب الأزرق (ص ٤١١) ٤٨٧ ذراعا و ١٢ أصبعا .

(٤) يقول الأزرق (ص ٤١١) إن المسافة بين هاتين الجمرتين ٣٢١ ذراعا .

(٥) عن المحصب أنظر فيما سبق ص ٧ و هامش ٣ ، ٤ . وهو مكان قليل الارتفاع على يسار الطريق من شعب الحجون إلى منى . واسم المحصب مأخوذ من الحصباء وهي الحصى الدقيقة التي تتجمع فيه . وليس لهذا المكان أهمية خاصة فيما يتعلق بمناسك الحج ؛ فالذي حدث هو أن النبي وقف فيه ينتظر عائشة التي كانت تقوم بالحج . وعمل ذلك فهو غلة اختيارية للحاج . البخاري ، ج ١ ص ٤٤١ ، الأزرق ، ص ٣٨٧ ؛ الفاسي ، ص ٩٤ . وانظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٢٦ ؛ البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٥١٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٠٧ و هامش ٣ .

(٦) أنظر G. Demombynes, Pèlerinage, pp. 224, 256

صفة مسجد الحنيفة (١) وذرحه وذكر الغار الذي بقربه (١)

المسجد في أصل الجبل يمين الطريق إذا سرت إلى المزدلفة من منى . وهو مبنى من حجارة . ضرورة (ب) أكثرها آجر ملبسة بالجيار ؛ البيت منه على ثلاث بلاطات ، وحول الصحن من جانب سقيفة على أقواس معقودة على أرجل من آجر ملبسة بالجيار ؛ جميع ما في المسجد كله ١٨٥ رجلا (٢) . وطول المسجد ١٧٥ ذراعا وله ٧ أبواب وباب ثامن صغير في قبلة المسجد قريب من المحراب إلى دار الإمام (٣) . وفي وسط محضه منار قد تثلّم أعلاه (٤) . وبالقرب من المسجد في أصل الجبل غار دخله النبي صلعم منحنيا فلم يتمكن له فيه جلوس حتى لأن له فيه الحجر ففرق فيه مرفقه ورأسه صلعم (ج) ؛ فكل من دخله لا يتمكن له فيه جلوس حتى يضع مرفقه ورأسه في الموضع الذي وضعه فيه النبي صلعم (ج) . وفي هذا الغار أنزلت عليه سورة « المرسلات » (٥) فيعرف بغار المرسلات .

صفة مسجد المزدلفة (٦)

ومسجد المزدلفة أسفل من المسجد الحرام على يسارك إذا مضيت إلى عرفات ؛ وفيه يجمع ما بين المغرب والعشاء إذا نفرت من عرفات ، لقول النبي صلعم : « الصلاة أمامك » (٧) . وهو مبنى بحجارة مطرورة دون سقف ؛ إنما هو حائط

(١) القراءة في النص : الحنيفة . (ب) ج : مطرده .
(ج) الحملة الواقعة بين صلعم وصلعم ناقصة في ج .

(١) أنظر الأزرق ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ (ابن رسته ، ص ٥٥ - ٥٦) ؛ ابن جبير ، ص ١٥٧ ؛ الاصطخرى ، ص ١٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٥ ؛ المقدسى ، ص ٧٦ ؛ ياقوت ؛ معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٠٨ .
(٢) الأزرق ، ص ٤٠٧ ؛ ابن رسته ، ص ٥٦ (١٦٨ هـ) .

(٣) نفس المصدر (٢٠ بابا) .

(٤) قارن الأزرق ، ص ٤٠٨ .

(٥) القرآن ، سورة ٧٧ ، وانظر G.-Demombynes, Pèlerinages, p. 238

(٦) الأزرق ، ص ٤١٢ (ابن رسته ، ص ٥٥) ؛ ابن جبير (ص ١٧٧) يسميه مسجد المشعر الحرام ؛ الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٣ ؛ البدرى ، المخطوط ، ص ٩٨ - ب .

(٧) البخارى ، ج ١ ص ٤٢٠ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٣٦ ؛ ابن جبير ، ص ١١٧

من جميع جهاته الثلاثة ، والوجه الرابع غير قائم وليس له محراب . وفي القبلة منه حجر منقوش . وطول المسجد ٦٣ ذراعا ، وعرضه ٥٠ ذراعا (١) ، وارتفاع حائطه ١٠ أذرع . والمزدلفة كلها مشعر الالبطن مُحَسَّر (٢) . ولا تدع التكبير والتهليل في نزولك بالمزدلفة ، وفي دفعك منها إلى منى وقل : « اللهم إني أسألك جوامع الخير كله » ، وأسأله ما شئت فإنه (١) موقف عظيم ، وتخذ حصيات الجمرات من المزدلفة فإنه أحسن (٣) .

صفة المشعر الحرام (٤)

وهو موضع مرتفع ، عن يمين الطريق إذا مضيت إلى عرفات ، من أصل جبل بنى قُرَاح (٥) في ذلك إلى الارتفاع . وهو منار من حجارة مطروقة بالجيار (٦) ، ارتفاع ذلك المنار ١٢ ذراعا ، ودور غلظه ١٢ ذراعا ونصف ذراع . ويرقى إليه من داخله على ١٥ درجة ، وله باب صغير نحو الكعبة . وحيثما وقفت من المشعر الحرام فكله موقف ، وارتفع عن بطن مُحَسَّر . وإذا دفعت مع الناس فادفع بالسكينة والوقار والذكر حتى تأتي بطن مُحَسَّر (ب) فتحرك فيه بكل حال إن كنت ماشيا أو كنت راكبا ، فهرول حتى تخرج منه فلأنها السنة .

(١) ب : قلانه . (ب) الجملة السابقة ابتداء من كلمتي " وإذا دفعت " فاقصة في ج .

(١) يتكون المسجد حسب الأزرق (ص ٢١٢ ؛ ابن رسته ، ص ٥٥) من مربع طول الضلع فيه ٥٩ ذراعا وشبرا . ويحتوى على أربع واجهات وليس ثلاث فقط : حائط الجزء الخلفي منها ارتفاعه ثلاثة أذرع بينما ارتفاع الحوائط الثلاثة الأخرى كالاتي : حائط القبلة ٧ أذرع و ٣ أشبار ، والحائط الشرقي ١٠ أذرع ثم الحائط الغربي ١٠ أذرع .

(٢) بطن محسر عبارة عن واد ضيق يقع بين وادي منى ووادي المزدلفة أنظر ص ٣٦ . وكل امتداد المزدلفة عبارة عن « موقف » سوى الوادي الذي يبدأ عنده « الدفع » من المزدلفة إلى منى . ابن جبير ، ص ١٧٢ ، ١٧٧ (ابن بطوطة ، ص ٤٠٠) ؛ الأزرق ، ص ٤٥ ؛ القاسي ، ص ٩٣ ؛ تنوير الحوالك ، ص ٣٤٨ ؛ الاصطخرى ، ص ١٧ ؛ المقدسي ، ص ٧٧ . وانظر G. Demombynes: Pèlerinage, p. 238 .

(٣) ابن جبير ، ص ١٧٧

(٤) أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٣١

(٥) الأزرق ، ص ٤١٢

(٦) ابن جبير ، ص ١٧٢

صفة عرفات وجبل الرحمة (١) (١)

وعرفات قرية صغيرة في جانب بني ضبة، غربها تحت الموقف، عن يمينك إذا استقبلت الموقف. وجبل الرحمة الذي يطلع الناس إليه للدعاء هو أقرب الجبال إلى الموقف؛ وهو جبل صغير ليس بالعالي جدا ينقطع من كل جانب. وهو على الموقف، وقد بنى حوله شبه الساقية، يرتقى منه إلى الجبل من ثلاثة مواضع من ناحية الموقف، في الواحد منها ١٧ درجة، وفي الاثنين عشر. وفي أسفل الجبل منها ٣ صهاريج للماء (ب)؛ وفي أعلى المبنى مسجد لأم سلمة زوج النبي صلعم (٢).

صفة شريعة إبراهيم عم (٣)

وهو حائط مبنى من كل جهاتها غير مسقف، وقد أنهدم أكثرها فما بقي منها إلا نجرار القبلة وفيه المحراب؛ وعن يمينك إذا استقبلت المحراب ٣ أقواس معقودة يدخل منها الناس. وموضع المنبر هناك عن يمين مستقبل المحراب، طول الشريعة ١٧٠ ذراعا وعرضها ١٥٠ ذراعا. وبقبلي الشريعة بركة للماء، وخلف تلك البركة منبت الأراك (ج)؛ وهو بطن عرنة، قريبة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم. وهناك يجب الارتفاع للمشاة والراكب؛ ومن وقف عليه عشية الوقوف (د) فقد فسدت حجته لقوله عليه السلام: «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة (٤)». وقبل إنه من الحرم؛ وعرض ذلك الوادي قدر ٨٠٠ ذراع إلى العلمين (ر).

(١) القراءة في ب «وجبال الرحمة» بينما في ج «وجبل الحرم».

(ب) «للماء» ناقصة في ب. (ج) ب: الاداء.

(د) ب: الموقف. (ر) ب: العلمين.

(١) جبل الرحمة: حسب رواية ابن جبير (ص ١٧٣)، جبل منزل في أرض مسطحة. وهو عبارة عن حجارة متقطعة كان من الصعب الصمود عليها فيما مضى. قارن الفاسي، ص ٨٥.

(٢) قارن ابن جبير، ص ١٧٣.

(٣) ابن جبير، ص ١٧٣؛ أبو القدا، الترجمة، ص ١٠٠. هنا يجب ألا نخلط بين هذا المسجد ومسجد الخيف كما فعل الأزرق (ص ٢١٠). فسجد الخيف يقع في منى وهو معروف بهذا الاسم أي بمسجد منى بينما يقع جامع إبراهيم بعرفة.

(٤) يقع بطن عرنة عقب منطقة عرفة مباشرة بينها وبين الميادين الأخضرين اللذين يحددان الأرض الحرام، وهو يظهر وكأنه من عرفة. قارن تنوير الحوالك، ص ٣٤٨؛ ابن جبير، ص ١٧٢؛ الأزرق، ص ٤١٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٣ ص ٩٥٧؛ الفاسي، ص ٨٧. وانظر G. Demumbynes, Pèlerinage, pr 245

صفة بطن مُحْتَسِر (١) وفي أى موضع هو من المزدلفة

بطن مُحْتَسِر في أول دخولك إلى المزدلفة من ناحية الغرب إلى الشرق يشقه الطريق ؛ وهو بطن مسيل عرضه ١٠٠ ذراع ، ثم تفصل عنه إلى موضع مرتفع وأنت خارج إلى المزدلفة ؛ وسقاية عباس هناك عن يمينك . وهي بركة عظيمة ليس بها ماء عظيم (١) اليوم .

صفة المآزمَيْن (٢)

هما جبلان في قم المضيق إذا خرجت عن المشعر الحرام تريد إلى عرفات ، وتوقد هناك في ليلة النحر مشاعل كثيرة عن يمين الطريق وعن يساره .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : ثم جمع ما شرطنا من وصف مكة - شرفها الله تعالى - فلنذكر الآن صفة مسجد النبي صلعم بالمدينة وصفة روضته وصفة البقيع وصفة قبور الشهداء (٣) رضى الله عنهم .

(١) « عظيم » ناقصة في ب .

(١) أنظر فيما سبق هامش ٢ ص ٣٤ .

(٢) المآزمان مفرد مأزم ومعناه المضيق . ولكن كلمة مأزم هنا تطلق على كل من التلين الواقعين بين المشعر الحرام وعرفات . والحقيقة أن المقصود بها هو المضيق بينهما . ويرف التلان باسم مأزمى عرفة أو مأزمى منى . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٩١ ؛ الأزرق ، ص ٤١٠ ؛ الفاسى ، ص ٧١ ، ٩٦ .

(٣) هنا تنبنى الإشارة إلى أن كتاب ابن النجار المعروف باسم «الدرة الثينة» (مخطوط المكتبة الوطنية بباريز - القسم العربى رقم ١٨٣٠) يستحق مديح (المرحوم الاستاذ) ج . سوفاجيه : J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine. p. 39

ولما كان ما كتبه الكتاب لا يختلف كثيراً بعضه عن بعض ، فلن نحاول أن نعرض لكل النصوص ولا لذكر جميع المصادر . أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 13

صفة مسجده صلعم

ومسجد النبي صلعم مستطيل غير مربع ، يزيد طوله على عرضه ١٠٠ ذراع (١) . وسواء المسجد منقوشة مدهونة (١) محفورة مذهبة ، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز (ب) أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار (٢) . وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فإنه أقواس معقودة وجوها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار . والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلقة بشرايب الساج ؛ مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك (٣) ، ومجنية المسجد الشرقية فيها ٣ بلاطات معترضة ، ومجنيته الغربية ٤ بلاطات (٤) ؛ ومن مقدم المسجد إلى الصحن ١١ قوسا ، وكذلك من مجنيته الأخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال رضه وهو الذي بإزاء قبر النبي صلعم (ج) إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام وهو الذي بإزاء قبر النبي صلعم (ج) إلى باب الرحمة التي بجانب دار السيدة ١٧٠ ذراعا .

(١) « مدهونة » ناقصة في ب . (ب) ج : رخام .

(ج) الحمل الواقعة بين صلعم و صلعم ناقصة في ج .

(١) نكرر أنه لا جدوى من مقارنة ما أورده الكتاب من الروايات المأخوذة من أصول مشتركة بما يورده صاحب الاستبصار . انظر ابن رسته ، ص ٦٤ ، ٧٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٢٤ ؛ المقدسي ، ص ١١ . وفيما يختص بما كتبه ابن النجار والعبدري (المخطوط ، ص ١١٦-١) وياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٦٦) فإنه يتفق مع ما يكتبه مؤلفنا . حسب ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٣-١) أصبح مقياس المسجد بعد إضافات عمر والوليد والمهدي ٣٠٠ ذراع طولا و ٢٠٠ عرضا . ويقول ابن جبير (ص ١٩٣) إن طوله ١٩٦ خطوه وعرضه ١٢٦ خطوة .

(٢) يقول ابن جبير (ص ١٩٣) إن السواري التي تشبه الأعمدة من حجر منحوت قطعا صغيرة مثقبة ، توضع أنثى في ذكر ويشدها الرصاص حتى تصبح عمودا ثم تكسى بغلالة من الجيار الذي يدلك بدقة حتى تصبح كالرخام .

(٣) ابن جبير ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ (ابن بطرطة ، ص ٢٦٣) .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٩٠ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب .

صفة الروضة التي بين القبر والمنبر

طول الروضة التي بين قبره صلعم والمنبر ٥٦ ذراعا (١). وذرع الموضع المرخم الذي في وسطه الروضة ، وهو الموضع الذي كان يقعد فيه النبي صلعم ، ويستند إلى تابوت من خشب كان يرفع فيه حوائجه صلعم ، فذلك الموضع اليوم شبه الحوض ، مرخم عمقه قدر شبر وطوله ٣ أذرع . والتابوت فيه باق إلى اليوم ، وعليه قفل من حديد ما فتحه أحد ولا يعلم ما في داخله ، والتابوت في قبلة الحوض منزول منه إلى الأرض بمقدار ما يتحرك (٢) .

صفة الروضة التي فيها قبر النبي صلعم (٣)

قبره صلعم في ثلث البلاط الأوسط من ناحية الشرق ، وهو في روضة مخلقة ولها ٥ أركان : في الحائط الذي ينظر إلى القبلة منها ، في الركن منه من ناحية المنبر ، وجه النبي صلعم إلى القبلة ، وعند قدر وسطه عليه السلام وجه أبي بكر رضى ، وقبال ذلك مسبار فضة علامة لموضع وجهه رضى ، وعند قدر وسط أبي بكر وجه عمر رضى (٤) ومن ذلك الحائط إلى حائط القبلة ٢٠ ذراعا ، وطول هذا الحائط ١٩ ذراعا ، وطول الحائط الذي يلي باب جبريل عليه السلام ١٥ ذراعا ،

(١) يقول ابن جبر (ص ١٩٢) إن المسافة بين المنبر والروضة ٤٢ خطوة .

(٢) يتكلم ابن جبر (ص ١٩١) عن صندوق من خشب الأبنوس والصندل تكسوه لوحات من الفضة على شكل النجوم . والصندوق موضوع قرب الحائط الشرقى من الروضة . وبعد ذلك (ص ١٩٢) يذكر حوضا يكسوه الرخام موضوع في وسط الروضة . ويقول عنه البعض إنه بيت (غرفة) فاطمة ويقول الآخرون إنه قبرها . قارن البدرى ، المخطوط ، ص ١٠٩ - ب .

(٣) تقول الرواية إن اسم الروضة مأخوذ من حديث منسوب إلى النبي ، قال فيه : « ما بين حجرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . وحسب تفسير آخر : قيل معناه كانت الصحابة تقتبس من العلم في ذلك الموضع فهو مثل الروضة . ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٦ - ٢٦ ، ب ؛ البخارى ، ج ١ ص ٣٠٠ .

(٤) يورد ابن النجار في هذا المقام الروايات المتباينة التي يوردها الكتاب عن الموضع الصحيح للقبر الثلاثة . المخطوط ، ص ٤٢ - ٤٢ ، وقارن الاصطخرى ، ص ١٨ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛ المقدسى ، ص ٨٢ ؛ ابن جبر ، ص ١٩١ (ابن بطوطة ، ص ٢٦٤) ؛ البدرى ، المخطوط ، ص ١٠٩ - ب .

وبين هذا الحائط وحائط المسجد الشرقى ٩ أذرع . وطول الثلاثة أوجه سوى هذه ١٥ ذراعا ، وارتفاعها من الأرض نحو ١٢ ذراعا ، وهى مرخمة كلها ، وعليها مما يلي سقف المسجد شبك الحديد ، وهى مكشوفة ليس لها سقف ، ولها سماء إلى سقف المسجد (١) . وقد أسدلت عليها أستار من الديباج الملون إلى قدر ثلثي المحيطان ، والثلث الباقي من ناحية القبلة والغرب ملطخ بالعنبر والمسك والزعفران .

وفى الركن الذى عند رأس النبی صلعم رخامة خضراء ما رأى أحد أجمل منها ، جعلت علامة لموضع رأسه (٢) صلعم .

صفة المنبر

هو من ٨ درجات (٣) يقعد الخطيب منها فى الدرجة السابعة ، والثامنة عليها مكتبة من خشب لثلا يرقى عليها أحد لأنها الدرجة التى كان يقف عليها النبی (٤) عم . وبين المنبر وحائط القبلة ٢٠ ذراعا ، وبينه وبين المقصورة (٥) ١٢ ذراعا ، وبين وجه المقصورة وحائط القبلة ٨ أذرع (١) . وفى جانب المنبر من ناحية الروضة حلقة فضة على كوكب فضة تدور لها صوت

(١) « القبلة » ناقصة فى ب .

(١) انظر ابن جبير ، ص ١٩١ .

(٢) يقول ابن جبير (ص ١٩١) إن العلامة عبارة عن سمار فضة يحدد مكان وجه النبی .

(٣) يقول الاصطخرى (ص ١٨) إن المنبر الأول يطلوه منبر آخر أحدث منه . وحسب ابن رسته (ص ٧٩) قام مروان بن الحكم بعمل المنبر على عهد معاوية . وهو من تسع درجات بينما كان منبر النبی من ثلاث درجات فقط (ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب ، ٢٦ - ب) . والمنبر حسب المقدسى (ص ٨٢) يتكون من ثمانى درجات (ثلاث قديمة وخمس أضافها معاوية ، ابن جبير ، ص ١٩٢) . أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 87

(٤) إن وجود اللوح الذى يغطى الدرجة الأخيرة حتى لا يجلس الخطيب فى مكان النبی يدعو إلى الظن أن الدرجات التى أنشأها الأمويون كانت قاعدة للدرجات الثلاث القديمة . وبعد أن يقرر المبدى ذلك (المخطوط ، ص ١١٧ - ١) يقول إن منبر معاوية بما فيه منبر النبی راح ضحية للحريق وإن المنبر الموجود أنشئ بعد ذلك الحادث .

(٥) أنظر J. Sauvaget, La Mosquée Omeyyade de Médine, p. 41

إذا حركت ، كان النبي صلعم يشغل بها الحسن والحسين^(١) رضه عنهما .
وفي قبة المنبر ، مائلا إلى الشرق قليلا ، عمود من أعمدة المسجد قد قطع فيه
قدر شبر ، ودخل في جوف العمود الخدع الذي حن لرسول الله^(٢) صلعم .

صفة المحراب

المحراب ليس في وسط (١) . حائط القبلة ، إنما هو أميل إلى الشرق بـ ٢٠
ذراعا^(٢) . والقبلة مرخة وعلى الترخيم مكتوب ، من باب الرحمة إلى باب
السلام ، من أول سورة « والشمس وضحاها » إلى آخر سورة « قل أعوذ برب
الناس »^(٣) الخ . وعلى جانب المحراب كوكب كبير ، وفي وسطه حجر
من باقوت أزرق يذكر أنه وسط عقد فاطمة الزهراء رضه . وفي قبة
المسجد عن يمين المحراب باب صغير ، تحت المقصورة في وسط البلاط ،
يهبط منه على درج إلى باب كان يسكن فيه آل عمر^(٤) رضه .

عدد أبواب مسجد النبي صلعم

وللمسجد ٢٠ بابا : منها في الجانب الشرقي ٧ أبواب (ب) مربعة بمصاريع
مشرجة ؛ وفي الجانب الغربي كذلك منها باب صغير بدقة ، وهو قوس

(١) « وسط » ناقصة في ج . (ب) القراءة في ج : عشرة سبعة أبواب .

(١) قارن ابن جبير ، ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ٢٤ - ب ، ص ٢٥ - أ .

(٣) قارن ابن رسته ، ص ٧٥ . يؤكد العبدري (المخطوط ، ص ١١٩ - ١) أنه يقع
إلى الغرب أكثر منه إلى الشرق .

(٤) القرآن ، سورة ٩٣ ، آية ١١٤ . عمر بن عبد العزيز هو الذي أمر بنقش هذه
الآيات على القبلة . أنظر ابن رسته ، ص ٧٠ ؛ ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٢ - أ .

(٥) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٢ - أ) إن هذه الفتحة كانت باب مسكن آل
عمر بن الخطاب . وإنه عند ما أمر المهدي بتوسيع المسجد سدت ؛ ولكنه عند ما صالح العمرين
أعاد فتحها وجعل لها ثلاث درجات وباب تحت الأرض (قارن ابن رسته ، ص ٧٣) . ويقول
ابن جبير (ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ ابن بطوطة ، ص ٢٦٤) إن هذا السرداب يؤدي إلى مسكن
آل أبي بكر .

ليس للمسجد باب بقوس غيره (١) . وفي الجانب الخلفي ٤ أبواب أيضا كبار ، وباب في القبلة ، وباب تحت المقصورة التي تقدم ذكرها (١) .

عدد ما في المسجد من العمدة (ب)

وجميع ما في المسجد من العمدة ٢٧٦ عمودا (٢) . وللمسجد ٣ منائر على ٣ أركان (٣) : منها على ركن القبلة الشرقي منار ، وعلى الغربي منار ، وعلى ركن مؤخر المسجد منار . والمسجد مبسوط مقدمه ومؤخره ومُجَنَّبَتُهُ بالحصى الأدكن . وكان في البلاط الأوسط عام ٥٢٨ [= ١١٣٤] وطاء طبرى (ج) مُبَسَّطَن . وجميع جدره مُرْتَمَّة قدر قامتين أو أزيد قليلا ، وصحنه مبسوط بالحصى ، وهو مغروس بالنخيل . في البلاط الشرقي بناء قائم يشبه المحراب ، ذكر أنه كان موضع صلاة فاطمة رضى . وفي الجوف (د) ، في وجه البلاط في الصحن ، بناء قائم كأنه بيت ، ذكر أنه مخزن المسجد .

عدد ما فيه من القناديل

وفي المسجد من القناديل ٢٨٤ (ر) قنديلا (٤) ، وكان يحرق كل ليلة ١٠ أرطال من الزيت .

-
- (١) « بقوس غيره » ناقصة في ج . (ب) ب ، م : العمود .
 (ج) ب : صبرى ، ج : وطاصر . (د) « في الجوف » ناقصة في ب .
 (ر) القراءة في النص : ثلاثمائة قناديل الا ستة قناديل .

(١) حسب ابن رسته (ص ٧٥) كان للمسجد ٢٢ بابا سنة ٢٩٠ = ٩٠٢ . وعند ما يتكلم عن فتحات المسجد بالتفصيل (ص ٧٧) يقول إن للمسجد ٢٤ بابا ، ولكنه لا يمدد منها سوى ٢٠ فقط . المقدسى ، ص ٨٠ (بابا) ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ (للمسجد ١٨ بابا . ولكن المؤلف لا يعمل حساب باب حائط القبلة ولا باب المقصورة) . ابن جبير (ص ١٩٥) يمد منها ١٩ بابا . وما يلتفت النظر أن العبدري (المخطوط ، ص ١٠٩ - ١) لا يمد منها إلا ٤ أبواب .

(٢) يروي ابن رسته (ص ٧٩) أن عدد الأعمدة ٢٩٦ عمودا . وابن جبير (ص ١٩٣) يمد في المسجد ٢٩٠ عمودا .

(٣) يقول ابن رسته (ص ٧٥) إنه يمد إضافات الوليد بن عبد الملك أصبح للمسجد ٤ مآذن : واحدة في كل زاوية . ولكنه عند ما يتكلم عن المآذن بالتفصيل (ص ١٧٦) لا يذكر منها إلا ثلاث . والحقيقة أن إحداها هدمت على عهد سليمان بن عبد الملك . أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٢ - ١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ ابن جبير ، ص ١٩٥ .

(٤) قارن ابن رسته ، ص ٧٦ (٢٩٠ قنديلا) .

صفة بقیع المدينة (١)

بقیع المدينة من ناحية الشرق ، فأول ما تلتقى إذا خرجت إلى البقیع قبر مالك رضى ، وهو قبر مهمل مبنى بالحجر والطین مرتفع من الأرض نحو ٤ أشبار . وعند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات . ثم تسير منه قليلا وقد بصقت القبور موتاها ورفضت الأرض جميع ما دفن فيها من صغير وكبير ، ولم يبق في بطنها منهم شيء إلا رفضته (١) على وجهها . فلم يبق عضو من أعضائها ولا عظم من عظامها ، ولو كان مقدار خردلة إلا وخرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة . وترى البقیع شبه المقتلة من دفن قديم وحديث وجماع الموتى بالية قديمة وأخرى حديثة ، فهذا عبرة لمن اعتبر . ثم تسير قليلا فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب رضى ، ثم روضة إبراهيم ولد النبي عم ، ثم روضة عثمان بن عفان رضى ، وروضات كثيرة (٢) .

صفة مسجد قبا (٣)

وهو مسجد على ثلاثة أميال من المدينة ، تصلى فيه إذا مررت به . وهو مسجد مربع طوله ٧٠ ذراعا (٤) وعرضه كذلك ، مقدمه ٣ بلاطات ، ومؤخره مع مجنبته سقيفة واحدة على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار عددها

(١) ربما كانت كلمة لفظت هنا خير من كلمة رفضت الموجودة في النص .

(١) تسمى مقبرة المدينة بقیع الفرق لأنها كانت منطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالفرقد . أما كلمة بقیع فمعناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر . أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٠٤ وهامش ٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٠٣ ، البكري ، المعجم ، ج ١ ص ١٧٠ ، ابن جبير ، ص ١٩٥ ، المقدسي ، ص ٨٢ ، ابن النجار ، المخطوط ، ص ٤٩ - ب

(٢) قارن ابن جبير ، ص ١٩٦ ، ابن النجار ، المخطوط ، ص ٥١ - ١ ، العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٣) ابن جبير ، ص ١٩٧ (ابن بطوطة ، ص ٢٨٨) ، ابن النجار ، المخطوط ، ص ٣٤ - ١ ، الاصلطخري ، ص ١٨ ، ابن حوقل ، ص ٢٦ ، ابن الفقيه ، ص ٢٦ ، المقدسي ، ص ٨٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٣ .

(٤) يقول ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ب) إن طوله ٦٨ ذراعا وعرضه مثل طوله . ويكتفى ابن جبير (ص ١٩٧) بأن طوله مثل عرضه .

٤٣ عموداً (١) ، وله ٣ أبواب بلا مصارع (٢) . وعلى ركن مؤخر المسجد مكتوب عن يسار من استقبل المهراب : « إن النبي صلعم دخل على أم أيمن وهي حزينة فقالت له ليس عندي ما أحج به فقال لها صومي أيام العشر ثم آيت مسجد قبا يوم عرفة فصلى فيه ركعتين تنقلبي بثواب حجة » (٣) . ومكتوب أيضا أن سعد بن أبي وقاص رضى عنه قال : « لئن آتت مسجد قبا فأصلى فيه ركعتين أحب إلى من أن أزور بيت المقدس مرتين . ولو علم الناس ما في مسجد قبا لضربوا إليه أبواب الإبل » (٤) .

وبئر قبا التي مضمض النبي صلعم ومج فيها وكانت ملحة فعذبت ببركته (٥) صلعم ، وهو بغربي المسجد . وبيت سعد بن خيثمة الأنصاري الذي كان يقيم فيه النبي صلعم بين المسلمين ، هو قريب من ركن المسجد الغربي (٦) . ومن مقدم المسجد والشجرة التي كانت تحتمل البيعة سقف ، وذلك السقف جزع وهو مغطى بالألواح (٧) .

صفة قبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم

وقبور الشهداء في أصل جبل أحد (٨) ، أقرب ما يكون منها بأحد حظير (١) مبنى من حجارة ارتفاعه إلى المحترم (ب) ، فيه من القبور ٣٧ قبرا (ج) .

(١) ب ، م : بحضير . (ب) ب : المحرم . (ج) ب و ج : منبرا .

(١) حسب ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ب) يكون عدد الأعمدة ٣٩ عمودا .

(٢) يقول ابن جبير (١٩٧) إنه ليس له إلا باب واحد .

(٣) أم أيمن هي مربية النبي (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٠) . أما فيما يختص بفضل هذا المسجد فيروى ابن النجار (المخطوط ، ص ٣٦ - ٦) أن النبي قال : « من توضأ وجاء مسجد قبا فصل فيه ركعتين كان له أجر عمرة ... » . وقارن ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ٩

(٤) أنظر ابن النجار المخطوط ، ص ٣٦ - ١ .

(٥) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٧ .

(٦) أنظر مقال دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) أنظر البكري ، المعجم ، ج ٢ ص ٨٠١ .

(٨) أحد هو أقرب الجبال إلى المدينة . وهو جبل أحر على بعد ميل تقريبا من شمال المدينة ، وقربه دارت معركة أحد الشهيرة حيث استشهد ٧٠ من صحابة النبي . ياقوت ، =

مغطاة بالجندل . وقبر العروسين معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن عمر
الذين أمر النبي صلعم أن يدفنا في قبر واحد (١) ، وهما بغربي ذلك الحظير ،
بينهما قدر رميتين بحجر ؛ وعليه لوحان مكتوبان الواحد من مسن المدينة والآخر
من خشب . وقبراهما مقبو عليهما ؛ ارتفاعه قدر القامة عنده ١٢ قبرا . وأسفل
من الحظير قبر حمزة بن عبد المطلب (٢) ، وقد بنى حوله حظير ، وقطع منه مسجد
وقبر . والقبر في الحظير أمام المسجد غير ممهد ، عند رأسه لوح من مسن المدينة
فيه مكتوب : « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلعم ، أسد الله وأسد
رسوله ، سيد الشهداء وقائدهم إلى الجنة ؛ شهد بدرا وقتل يوم أحد رضه » . وعند
ظهره لوح مكتوب فيه : « إن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » إلى آخر الآية (٣) . وعند رجله
لوح مكتوب فيه : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما » (٤) . « هذا قبر حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد
رسوله ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا » .

ومن ذلك الحظير على يساره إذا مضيت إلى أحد ، عن يمينك قبل
أن تبلغ قبر حمزة ، مبنى ارتفاعه إلى المخزم ، عليه لوح مكتوب من خشب : « هذا
قبر سهل بن قيس بن سعد ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا » (٥) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : انتهى ما قصدته من ذكر مكة شرفها الله ،
وما سقته معها من ذكر المناسك ، ووصف مسجد النبي عم بالمدينة . والآن أشرع
فيما أشرطه من ذكر البلاد بمبلغ الوسع والاجتهاد ، والله الموفق للصواب .

== معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٤ وقارن الاضطخري ، ص ١٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٦ ؛
ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٠٨ - ب ؛ ابن الاثير ، ج ٢ ص ١١٣

(١) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٦ - ب ، ١٧ - ب .

(٢) أنظر ابن جبير ، ص ١٩٥ ؛ المقدسي ، ص ٦٢ ؛ ابن النجار ، المخطوط ،
ص - ب .

(٣) القرآن ، سورة ٩ ، آية ١١٢

(٤) القرآن ، سورة ٣٣ ، آية ٥٦

(٥) أنظر ابن النجار ، المخطوط ، ص ١٥ - ب .

ذكر بلاد مصر وما فيها من العجائب (١)


بلاد مصر في أول الإقليم الرابع ، لها من البروج الجوزاء ، ومن النجوم عطارد (٢) . وهي من أسوان إلى الإسكندرية ، وخصبها وزرعها وفواكهها كثير جدا ، يسقى جميعا بالنيل (١) . والنيل من عجائب العالم لا يعرف له منبع من تحت جبل القمر (٣) ، وراء خط الاستواء بتسع درجات ونصف درجة ، يخرج من ١٢ عينا هنالك ، يجتمع في بحيرتين هناك كالبطائح (٤) ، ثم ينبعث من كل بطحة ٣ أنهار ، منها نيل مصر وغيره من الأنهار الكبار التي يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى . وذلك في البلاد المحترقة الجنوبية التي لا يكون فيها نبات ولا حيوان ، لقرب الشمس من ذلك الموضع (٥) .

(١) ب : يسع جميعها .

(١) هنا ينبغي ألا يفيب عن الذهن أن كتاب البكري المعروف بالمسالك والممالك (أنظر مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي ، رقم ٢٢١٨) يعتبر المصدر الرئيسي الذي يأخذ عنه صاحب الاستبصار . والبكري ينقل بدوره عن المسعودي وابن عبد الحكم وابن وصيف - شاه جزءا مهما من معلوماته .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٨٢ ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، التنبيه ، ص ٣٤ وتابع . وتحسن الإشارة إلى أن مصر ، حسب الجغرافيين العرب ، تقع في الاقليمين الثاني والثالث . وحسب الإدريسي (ص ١٤) تقع أسوان في الاقليم الأول . قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣١ ، ج ٤ ص ٥٤٥ ، الإدريسي ، ص ٤٢ ، ١٥٦ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ص ١٤ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٨ .

(٣) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤ والترجمة ص ٢ والهامش ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦١ ، التنبيه ، ص ٥٤ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ص ١٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ . وحسب صاحب كتاب الجغرافية (المخطوط ، ص ٦ - ١) يطلق على هذا الجبل اسم جبل القمر لأن لونه يتغير تدريجيا بالنسبة لكبر القمر التدريجي يوما بعد يوم .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٥ ، ولكنه بعد ذلك (ج ٢ ص ٢٥٩) يغير منهجه ويبحث عن تفسير  ديني فيقول إن النيل يخرج من الجنة ، أنظر ابن رسته ، ص ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ابن الفقيه ، ص ٦٣ ، كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ - ب ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٥) قارن ابن رسته ، ص ٩٩ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ .

قيل ينبعث نيل مصر في رمال وجبال ، ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج يصب في بحر الزنج (١) . وتظهر (١) في هذا الخليج الزيادة التي تظهر في نيل مصر ، وفيه التماسح الكائن في نيل مصر ، ويسمى الورل الذي يكون في الصحراء والبراري إنما أصله من التماسح . وذلك أن التماسح يخرج من النيل فيسرح على السواحل ، فربما قبض عنه الماء فيبقى في البر ، فيتناسل فيكون منه الورل المشهور . والتماسح لا يوجد إلا في نيل مصر ، أو في نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر (٢) .

وفي نيل مصر السمك الرعاد (٣) ، من صاده لم تزل يده ترتعد ما دام في شبكته أو في صنارته . وعلى النيل جبل هامد ، يراه أهل تلك الجهة ، من انتضى سيفه ثم أوجله فيه ، وقبض على مقبضه بيديه جميعا ، اضطرب السيف في يده

(١) ب : شهر .

(١) بحر الزنج هو المحيط الهندي .

(٢) قارن عبد اللطيف ، ص ٧٢ ، ٧٤ ؛ الاصطخري ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٥ ؛ الإدريسي ، ص ٤٦ ، ١٤٥ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٦٧

ولما كان التماسح يوجد في نهر مهران (الاندوس) ظن بعض الجغرافيين العرب أن هذا النهر يشترك مع النيل في منابعه (اليقوت ، ص ٣٣٦ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦١ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٨ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٥٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٨) . ولكن روح النقد عند المسعودي تنضح عندما يحتاج على هذا الاعتقاد الخطأ الذي يلقى تبته على الجاحظ إذ يقول (مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٦) : «وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر واستدل على ذلك بوجود التماسح فيه فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل . وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان وهو كتاب في نهاية الحسن ، وإن كان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ... ولم يعلم أن مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد السند : من أرض قنوج من مملكة بوورة وأرض قشمر والقندهار والطافن حتى ينتهي إلى بلاد المولتان ...» .

(٣) أنظر عبد اللطيف ، ص ٤٢ والترجمة ص ٤١٦ وهامش ٥٣ ص ١٦٧ ؛ الاصطخري ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦

فارتعد ، ولا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس . وإذا أُحْدَتْ بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبداً ، وجذب الإبر والمسالك أشد جذباً من المغناطيس ، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغناطيس . وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد ، فإن أُحْدَتْ عليه الحديد ، جذب ذلك الحديد (١) ، وهذا من العجائب .

ويقال إن نيل مصر يجري على وجه الأرض ٧٠٠ فرسخ ، ويجرى في غير عمران مسيرة ٤ أشهر ، وفي بلاد السودان مسيرة شهرين ، وفي بلاد مصر (أ) مسيرة شهر ، من أسوان إلى أن يصب في البحر يخلق رشيد بشرقي الإسكندرية (٢) . وذكر هورثيش الرومي (٣) في تاريخه أن منبعه إلى موقمه ٩٩٠٨٣٠ ميلاً (٤) . والنيل يخالف لكل نهر من أنهار الأرض : لأن كل نهر يستقبل الجنوب ، والنيل يستقبل الشمال ، فهو يخالف لجميع أنهار الدنيا ؛ وعلة ذلك أن منبعه من الجنوب ؛ قال الشاعر :

بلاد مصر شأنها عجيب ونيلها تجري به الجنوب (٥)

قبل وليس في الدنيا نهر يسمى بحراً وإنما غير النيل ؛ قال الله تعالى : « فإذا خفت

(١) الأمصار .

(١) أنظر نفس الرواية : ابن الفقيه ، ص ٩٧ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٧٢ . وقارن كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ - ١ . وعن تأثير الثوم على المغناطيس أنظر المسودي مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٢ ؛ عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٤ . وحسب ابن خردادبة (ص ٨٢) وابن الفقيه (ص ٥٩) يكون طول النيل ٤٠ ليلة . ولكن حسب الأخير طول بلاد السودان ٧ أشهر . ومن الغريب أن هذه الرواية الأخيرة اقتبسها المسودي (مروج الذهب ، ج ١ ص ٣٦٨) دون تعليق .

(٣) هو المؤرخ الروماني Paulus Orosius (القرن الخامس الميلادي) .

(٤) لا يتفق الكتاب بشأن طول النيل : المسودي ، التنبيه ، ص ٥٧ (٧٤٨ فرسخاً = ٢٢٤٥ ميلاً) ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٠٨ (٩٠٠ - ١٠٠٠ فرسخ تقريباً) الإدريسي ، ص ١٤٤ (٥٦٣٤ ميلاً) ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٦ - ب (١٠٤٥ فرسخاً) ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٦ (٨٦١٤، ٩٦٦ ميلاً) .

(٥) ينقل ويؤكد معظم الجغرافيين العرب هذه الرواية التي لا أساس لها . المسودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٧٣ . أنظر ابن الفقيه ، ص ٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٢ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ١٨٥ ؛ المقرئ المخطوط ، ج ١ ص ٦٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ٢٤٥ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٩ .

عليه فألقيه في اليم^(١) ؛ والعرب تسميه بحرا . وليس في الدنيا نهر يفيض على الأرض ويزرع عليه ويغنى عن المطر غير النيل . وقيل إن بلاد مصر ٣ أشهر درة بيضاء ، و ٣ أشهر مسكة سوداء ، و ٣ أشهر زمردة خضراء ، و ٣ أشهر سبيكة حمراء . وتفسير ذلك أن النيل إذا استوى ، طما جميع أرض مصر فتبقى قراها وضياعها في رواب وتلال كأنها الكواكب ؛ ويتصرف الناس بينها في الترواق فتكون الأرض كدرة بيضاء . ويمكث عليها الماء ٣ أشهر ، فإذا قبض عنها الماء أخذ الخزائون في بذر الزرع ، فتمكث الأرض سوداء إلى أن ينبت الزرع وتظهر خضرته ٣ أشهر ، فكان الأرض مسكة سوداء ، وأيضا فإنها تفوح منها رائحة طيبة عطرة . فإذا كبر الزرع وظهرت خضرته ، كانت الأرض كأنها زبرجدة خضراء . وبقيت كذلك ٣ أشهر ، إلى أن يصفر الزرع ويبس ويتناهى ، كانت الأرض عند ذلك كأنها سبيكة ذهب حمراء ، وبقيت كذلك ٣ أشهر حتى يتم الحصاد^(٢) .

وذكر أن مصر في كتب الأوائل مصورة وسائر البلاد مادة اليها أيديها تستطعمها^(٣) ، ومعنى^(١) ذلك أنها أكثر بلاد الله زروعا . وذكر أن هارون الرشيد صورت له مدائن مصر ومدائن الدنيا^(١) فما استحسن منها غير عمل مدينة أسيوط ؛ وهي بسيط واحد لو قطرت فيه قطرة فاضت على جميع نواحيه ، يندرفيها جميع^(ب) الحبوب ، فإذا اخضر فلا يكون على الأرض بساط أعجب

(١) الخزن الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في ب .

(ب) « جميع » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ٢٠ ، آية ٢٩ . أنظر المسعودي ، ج ٢ ص ٣٦٠ ؛ عبد القلطيف ، الترجمة ، ص ٧ وهامش ١ ؛ ابن جبير ، ص ٥٧ . ويحاول المقدسي (ص ١٨) أن يعطى تفسيراً آخر فيقول إن مصب النيل ربما كان في بحر القلزم (البحر الأحمر) وإن أم موسى أُلقت بابنها في هذا البحر ومنه دخل إلى النيل .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٥٧ وتابع ، التنبيه ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ البكري ، المخطوط ، ص ٧ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٣١ - ب ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٦ .

(٣) البكري ، المخطوط ، ص ١١ ؛ السيوطي ، حسن الحاضرة ، ج ١ ص ١٢ .

منه (١) . والجانب الغربي من هذه المدينة جبل أبيض كأنه طيلسان (١) ،
ويحيط بها من الجانب الشرقي النيل كأنه جدول فضة ، قد تشبكت عليه في
الأرض الأشجار والكروم ، فلا تسمع فيه الكلام من شدة أصوات الطيور (٢) .

وليل مصر في زيادته ونقصانه عجائب كثيرة ، عرضنا عن ذكرها لكثرة
معرفة الناس بها . وليلة الفطاس بمصر من أعجب شيء ؛ وتسمى في هذا الزمان
كسر الخليج ، وهي لعشر تمضي من كانون الآخر (ب) وهو بلغة الروم ينثر ؛
وذلك الوقت يستوى مد النيل ويأخذ في الانحطاط . وأصفي ما يكون ماء النيل
في ذلك الوقت . وهذه الليلة بمصر شأن عظيم ؛ وذلك أنه يخرج تلك الليلة جميع
البشر ممن يقدر على الخروج تلك الليلة وقد أعدوا ما أمكنهم من الأطعمة
والأشربة ، ولبسوا أحسن ما عندهم من الملابس ، وأظهروا ما أمكنهم
من الجواهر وأواني الذهب والفضة ، وأحضروا جميع الملاحى . ويدخل الناس
في الزوارق ، ومنهم من يدخل في الدور المشرقة على النيل ، ويشعلون المشاعل (ج)
والشمع الكثير . ويشعل صاحب مصر الشمع على جانب النيل (ج) ، فيحرق
في تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده ؛ فترى الناس على شواطئ النيل
في الزوارق ، ومنهم في الدور المشرقة على النيل بالطبول والأبواق وجميع الملاحى .
وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأكملها سرورا ؛ ويغطس أكثر الناس في النيل ،
ومن لم يغطس يرش عليه من الماء ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض (٣) .

قال عمرو بن العاص : « ولاية مصر تعدل الخلافة » (٤) ، لأنها جعلها الله
متوسطة بين الإقليم الثالث والرابع ؛ سلمت من حر الإقليم الأول والثاني ، ومن برد
الإقليم الخامس والسادس . وقال الجاحظ : « أهل مصر أعقل الناس صفارا

(١) القراءة في النص « سيلطان » ولكنها « طيلسان » في البكرى (المخطوط ،
ص ١١) . (ب) ج : كانون الأول الآخر .
(ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ج .

(١) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ وانظر فيما بعد هامش ص ٣ ص ٨٤

(٢) البكرى ، المخطوط ، ص ١١

(٣) البكرى ، المخطوط ، ص ٩ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٦٤-٣٦٥
(المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ٤٩٤) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٦٦ ؛ المقرئى ،
الخطط ، ج ١ ص ٦٠ ، ٢٦٤ - ٢٦٥

(٤) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ ؛
المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ٢٧

وأحقهم كباراً^(١) . وقيل إن مصر لم يجعل الله في أرزاق أهلها ولا في أقواتهم نصيباً مما قسم على عباده : من الرحمة بالغيث الذي جعله الله عمارة البلاد .

نبد من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها

يقال والله أعلم إن أول من ملك مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم ، زمن أنوش ، بوصية آدم عليه السلام ، ملك يقال له نقرأوش بن أضرم . وهو أول من اتخذ المصانع ، وعمل الطلسمات وأقام الأساطين ، وزبر عليها التواريخ ، ونى المدن^(١) . وهو الذى حفر النيل وعمقه ووسعه ؛ وكان قبل ذلك ينقطع ويستنقع . وعمل للتاسيع على شاطئ النيل فى آخر بلاد النوبة مبنيين ، وزبر عليهما أحرفاً منعت التماسيح أن تنحدر فى النيل . وكانت كتابتهم بالقلم الخلقطير وهو قلم آدم عليه السلام . وكان عالماً كاهناً وكان له رأى من الجن ؛ ويقال وقع إليه بعض العلوم التى كان رزآبيل الملك علمها آدم عم ، فعمل بها عجائب : منها صورة طائر على أسطوانة عالية يصفر فى كل يوم مرتين ، عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، تصفيرا مختلفا يستدل به على ما يكون من الحوادث . وعمل فى مدينة برسان ، وهى التى بناها لابنه مصرام ، قبة ذهب على منار عال ، لا تزال على تلك القبة سحب تمنعها من الشمس . وعمل على باب المدينة أصناماً موجهة إلى نواح مختلفة ، إذا قصد أرضهم قاصد بسوء أرسلت عليه ناراً فأحرقتة . فكان ملكه ٢٣٠ سنة . فلما مات جزع عليه قومه أشد جزع ، فقاموا يطوفون به على أعناقهم ٣٠ سنة^(٢) .

(١) القراءة فى النص « المدون » .

(١) البكرى ، المخطوط ، ص ١١ ؛ المقرئى ، ج ١ ص ٥٠ .

(٢) يوجد فى مخطوط البكرى خرم لا تعرف مقداره ، ولكنه يستمر من هنا إلى بناء الأهرامات (انظر هامش ٢ ص ٥٦) . ورغم ذلك فإن معظم المعلومات الخاصة بمصر القديمة ، حسب ما كانت مفهومة فى ذلك العصر ، توجد فى كتاب المقرئى . أنظر الخطط ، ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ (عن الملك نقرأوش) ، ص ٥٢ (عن تقويم بحرى النيل) .

أما عن تسمية كتابة قدماء المصريين بالخلقطير فالكلمة يونانية . أنظر Journal Asiatique 1913, t I p. 201 . ويسمى البعض هذه الكتابة بالخط « المسند » (ابن خردادبه ، ص ١٥٩ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ المسودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠١) . ولكن للأسف يمتدح

ثم ملكهم من بعده ابنه مصرام ، وكان يعبد زحلا ، وحارب أمة من الجن حتى أدخلهم في طاعته بالعزائم الشداد . وبني في صحراء المغرب مدائن معلقة على أساطين رخام ، تحيط بها شباك من ذهب ، وجعل فيها خزائن الحكمة . وجعل لها أبوابا تحت الأرض لا يدخل إليها إلا منها ؛ وجعل لها أقفالا ومفاتيح مدبرات . وكانت ٣ مدن في كل مدينة ٣ خزائن ، فيها عجائب العلم وطرائف الحكمة ورموز الصنعة ، وأجرام من الماء المعقود لا يتحلل ، ومن الهواء المجمد لا يضمحل . وفيها مطهرة من ماء الحياة الإلهي الصنع ، وفيها صورة الكواكب في بيوت شرفها ، وعلى رؤوسها أكاليل الغلبة ، وبازائها صور الحكماء المقيمين لأمرها بأيديهم مصاحف (١) الصنعة ، وجميع الطلسمات والعلوم ، ومن دروب الأحجار الرفيعة والجواهر النفيسة والأجرام العجيبة : من الدر الخطير ، وسبائك الذهب والفضة ، والحجارة الرفيعة ، والعقاقير المكنونة والأدوية المؤلفة . وصور هذه الخزائن في كل برقي من برقي مصر ، قد زبروا عليها بخطوطهم ، وخبرها مشهور في جميع مصاحفهم القديمة وهياكلهم المرسومة .

وبني هذا الملك بمدينة بالقرب من هذه المدن الثلاث على هيئة اللجنة بزعمه ، وجعل لها أسرابا تحت الأرض ، يوصل منها إلى هذه المدائن الثلاث ، وتوصل من بعضها إلى بعض (١) .

أخبرني رجل دخل (ب) بلادا كثيرة ، أن الغاوي الذي بجبل الموت إمام الحشيشية ، يرى اغتيال الملوك عند مدينة تحت الأرض على هذه الصورة . يدخل فيها المستجيب له ، فإذا عاين ما أعد له فيها ، يقال له : هذا لك إذا قتلت فلانا في الموضع الفلاني . ويكون إدخاله في تلك المدينة وهو قد سقى المرقد ، فينتبه فيها . فإذا أريد إخراجه ، سقى المرقد أيضا ، ويخرج فينتبه في منزله ، ويتذكر ما رأى ،

(١) ج : مصابيح . (ب) « دخل » ناقصة في ب .

الاصطخري (ص ١٥) أن هذه الكتابة هي اليونانية . ولكن السيوطي (حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٣) ذهب بخياله إلى أبعد من ذلك . فلكي يقطع الاختلاف ، وربما لكي يرضي الجميع في نفس الوقت ، قال إن هذه الكتابة تشمل سبع كتابات معا هي : اليونانية والعبرية واللاتينية والفارسية والحميرية وخط أهل الهند .

(١) النظر المقريري ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٨

فيقصه على من أمامه . فيقول له : إنك رأيت هذا في منامك وهو بشرى لك ، فلا تنثنى عما أمرت به وبيشره بالثوبة عليه ، ويرفع له خنجرًا مسمومًا معده عنده من حينه (١) .

قال المؤلف فلما هلك الملك نقراوش المتقدم الذكر ، ملك بعده ابنه سورت . وكان موحدًا مؤمنًا . ففلق هياكل الكواكب فقل النيل في أيامه ، فرفضه بنو أبيه وخلعوه وملكوا أخاه الأصغر مصرام المتقدم الذكر . وكان جبارًا فزاد في هياكل الكواكب ، واحتفل في شكرها وبر سدنثا وزاد في دخلها وقرايينها . وكان له رأي فأمره أن محتجب عن الناس ، وألقى على وجهه نورًا حتى لم يتمكن أحد من النظر إليه ؛ وذلك له الأسد فركبها ، وادعى الإلهية ودعا الناس إلى عبادته ، وغاب عن الناس نحو ٣٠ سنة . وركب في غيبته أنواعًا من الدواب العظام من الوحوش والسباع لها منظر يهول . ومضى به ذلك اليربى حتى أوقفه على البحر الأسود ، فبنى في وسطه صنيًا من حجر أسود أبيض ، وزبر عليه اسمه وجعله قربانًا للشمس ، وعمل قلعة الفضة التي في البحر الأسود وخبرها مشهور .

ذكر ذلك الموس الكاهن في سير الملوك القدماء . وزبر على ذلك الصنم : « أنا مصرام الحبار جامع الأخبار وكاشف الأسرار والعالم القهار : وأظهرت الحكمة العجيبة وكشفت الأمور الغريبة ؛ ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا ملك مثل ملكي » . وقيل إنه ركب في مدينة برسان شجرة تؤكل منها كل فاكهة ، وعمل عجائب وغرائب يطول وصفها (٢) .

فلما هلك مصرام ملك بعده من بنيه عدة ملوك ، كل واحد منهم يعمل في وقته عجائب وغرائب في البناء ، وغير ذلك من الطلسمات والصور والأصنام المركبة من الحواهر الغالية ؛ إلى أن ملك من بنيه شوندين بن سلمون صاحب الأهرام . وكان ملكًا عاقلًا عالمًا محبًا للعلماء ، وكان أوتي من العلم والحكمة ما لم يسبقه إلى ذلك ملك ولا غيره ، وكان يتعهد من مصالح الرعية ما لم يتعهده سواه من الملوك ، وكان يتفق على الزمنا والضعفاء من ماله . واتخذ امرأة من أخلاط

(١) المقصود هنا بالحشيشية طوائف الإسماعيلية المعروفين أيضًا بالحشاشين الذين كانوا على عهد الصليبيين يحتلون عددًا من القلاع وخاصة بالشام ، والذين اشتهروا باغتيال خصومهم . والإسم مأخوذ من الحشيش الذي كانوا يستعملونه للوصول إلى حالة الذهول أو الانجذاب . أنظر دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) أنظر ابن وصيف شاه (المجانب) ، الترجمة ، ص ١٨١ ؛ قارن المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٠ ، ١٧١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٦ .

وأقامها على منار في وسط قصره . فكان ينظر فيها جميع الأمم والأقاليم وغير ذلك .
 ويتقابل ذلك بما يصاحبه . وكان قد عهد إلى رئيس كهنته أن يأمرهم بالنظر
 في كل يوم ما يحدث في العالم . ونفذ ذلك في كتاب . فجمع إليه العلماء والكهنة
 والمنجمون من جميع أقطار الأرض . وبحثوا له ما أرادوه وتم له ذلك . وعملت له
 الغرائب والعجائب في البناء والطلاسمات وغير ذلك ، وفي أيامه بنيت الأهرام التي
 بأرض مصر . فيقال إنه ليس على وجه الأرض حجر موضوع على حجر أغرب
 من بناء أهرام مصر .

وكان سبب بناء هذه الأهرام أن الملك شوندين رأى رؤيا هائلة ،
 وذلك أنه رأى الكواكب المعروفة بالبابية في صورة طير أبيض
 وكأنه تختطف العالم ويأقنهم بين جبلين . وكان الجبلين انطبعا عليهم ، وأن
 الكواكب المنيرة مظلمة كاسفة كلها . فأخبر بذلك رؤساء الكهنة والعلماء
 وأمرهم أن ينظروا ما تدل عليه الكواكب مما يحدث في العالم ، فأقاموا
 الكواكب في مراكزها في وقت مسألة فدلّت على آفة نازلة من السماء وخارجة
 من الأرض . فلما بان لهم ذلك أخبروه به . فقال ما هو ذلك فنظروا في خفي
 أمورها ودقائق علمها . فوجدوها مفسدة للأرض وأهلها وحيوانها وجميع
 ما فيها . وقالوا إن هذه الآفة محيطة بجميع أقطار الأرض إلا اليسير . وذلك إذا نزل
 قلب الأسد بأول دقيقة من السرطان . وتكون الشمس والقمر في أول دقيقة
 من الحمل . فلما تيقن الملك شوندين من ذلك . وعلم أن تلك الآفة تكون ماء يفرق
 الأرض ومن عليها ، أمر ببناء الأهرام (١) - وهي البرابي لتخليد علومهم
 وصناعاتهم وسير ملوكهم وسنهم في رعيتهم وأهل مملكتهم - وبنیان أعلام
 عظام تكون خزائن لأموالهم وكنوزهم و ذخائرهم ، وتكون أيضا قبورهم ولأهل
 بيتهم . تحفظ أجسادهم من الفساد وتبقى علمهم صحيحا (٢) . وأمر بأن يبنى
 ذلك كله من حجر صلد لا يغيره الدهر ولا يفسده الطوفان .

(١) هذه المقطعات منقولة عن ابن وصيف - شاه . أنظر العجائب ، الترجمة ، ص ٢٠٠
 وتابع . وينسب المسعودي بناء الأهرام حيناً إلى يوسف (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٦٥)
 وحيناً إلى المصريين القدماء (نفس المصدر ، ص ٤٠٢) . أما ابن خردادبه (ص ١٥٩) فينسبها
 إلى بطليموس . هذا وينسبها آخرون إلى باني الإسكندرية وسائرها وهو الإسكندر أو شداد
 ابن عاد الأسطوري (ابن عبد الحكم ، ص ٣٤ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٠) . أنظر ياقوت ،
 معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٦٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١١١ وتابع ؛ السيوطي ،
 حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٩ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٠ .

(٢) عن معنى كلمة «بربي» أنظر عبد اللطيف ، الترجمة ، ص ١٨٢ وهاشم ٤٨ (ص ٢٢٩) .
 وفيما يختص بالاهرامات ، حسب الاصطلاح (ص ٥٢) ، فكانت مقابر لملوك .

ويقال إنه أمر أن تبنى هذه الأهرام والبرابي من حجارة ومن طين . فإذا كان الحادث ماء ذهب التي من طين (١) وبقيت التي هي من حجارة ، وإن كانت نارا ذهب التي هي من حجارة وبقيت التي هي من طين (ب) . فكان ذلك الحادث ماء فذهب الطين وبقيت الحجارة . ثم أمر الملك وزرائه فمشوا مع المنجمين والكهان فاختاروا موصعا لبناء تلك الأعلام ، وهي الأهرام والبرابي ، فاختاروا موصعا بقرب النيل في الجانب الغربي فبنيت فيه مدينة مرقه ، معناه بلسانهم «مطلب الحكمة» . ثم أمر الملك بجمع الناس والفعلة فجمع ٧٠٠٠ لقطع الحجارة ونحتها ، ومثلهم هندستها ، وأضعافهم للبناء . وعمل قضبان الحديد واستخرج الرصاص ، فكانوا ينصبون البلاطة ويجعلون في وسطها عامود حديد قد نفذها ، والعامود قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك ، وتركب عليها بلاطة أخرى في قدرها وهندستها ، مثقوبة بقدر دخول القضيب فيها ، ثم يسكب الرصاص حول العامود وعلى البلاطتين معا ، حتى أتى ببناء ما بُني في العالم قط مثله (١) . وطول حائط الهرم ١٥٠ ذراعا بأذرعهم ، وفي عرضه مثل ذلك وارتفاعه في الفضاء ٤٠٠ ذراع (٢) . ويقال إن عمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض ؛ وعرض الحائط من حيطانها ٢٠ ذراعا بأذرعهم .

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (ب) ناقصة في ج .

== أما حسب ابن حوقل (ص ١٠١) فإنها كانت بمقابر ومخازن لجميع الطعام . ويرى المقدسي (ص ٢١٠) أنها طلبات وأهرام بناها يوسف أو أنها مقابر .

(١) إن استعمال الرصاص في بناء الأهرام لا أساس له من الحقيقة إلا في خيال الكتاب . وليس من الضروري أن يكون الإنسان عالما بالآثار لكي يقرر أن الأمر ليس كذلك ، فالنظرة العابرة تدل على عدم استعمال أي معدن في بناء هذه الآثار .

(٢) يتفق معظم الكتاب ، على عكس صاحب الاستبصار ، بالنسبة لمقاييس الأهرامات فهي حسب رواياتهم عبارة عن ٤٠٠ ذراع في كل ناحية . عبد اللطيف ، ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٤ (ولكنه في مكان آخر - ص ٩٤ والترجمة ، ص ١٧٥ - يقول إنه رأى « بعض أرباب القياس قال عمودها ٣٠٠ ذراع ونحو ١٧ ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات طول كل ضلع منها ٤٦٠ ذراعا ») ؛ الاصطخري ، ص ٥١ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ١٩ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١١٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢ (٥٠٠ ذراع) .

فلما تم ببناء هذه الأهرام والبرابي ، أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابي وسقوفها جميع الأشياء وغوامض الأمور : من دلائل النجوم وعللها وسائر الصنائع والطبائع ومكنونها ، والنواميس العظام وعمل الأدوية وتأليفها ، ومعرفة العقاقير وأسمائها وصورها ، وعلم صنعة الكيمياء وغير ذلك مما ينفع ويضر . كل ذلك ملخص مفسر لمن عرف كتابتهم وفهمها . ونقش في حيطانها وسقوفها جميع الطلسمات وكتب على كل طلسم خاصيته ونفعه وضرره ، وكما وضع في تلك الأهرام فنونا من الذهب والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرفيعة والجواهر النفيسة مالا يحصّله وصف واصف . وكذلك فعل بنوه من بعده .

فلما تمت هذه الأهرام والبرابي على ما أراد الملك قال لهم أنظروا هل تفسد هذه الأعلام ، فنظروا فوجدوها باقية لا تزول . فقال لهم هل يفتح منها وضع ، أو هل يدخل إليها ، فنظروا فقالوا له يفتح في الهرم الفلاني في الجانب الشمالي منه ، فقال لهم حققوا النظر في معرفة الموضع بعينه ، فنظروا وعرفوه بالموضع . فقال لهم عرفوني متى يكون ذلك ، فنظروا فعرفوه أنه يكون ذلك لمدة ٤٠٠٠ دورة للشمس والدورة سنة . فقال لهم أنظروا مقدار ما ينفق في فتح هذا الموضع ، فنظروا فعرفوه بالقدر ، فقال لهم اجعلوا في الموضع الذي يوصل منه إلى داخل الهرم ذهابا بمقدار ما ينفق على فتحه . ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام والبرابي ، ففرغوا منها في ٦٠ سنة . وأمر أن يكتب عليها : « بنينا هذه الأهرام في ٦٠ سنة فلهدمها من يهدمها في ٦٠ سنة ، على أن الهدم أهون من البناء » (١) . ثم قال لهم أنظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر غيرها ، فنظروا فإذا الكواكب تدل في وقتهم وتظهرهم على آفة أخرى نازلة من السماء ، وتكون في آخر الزمان وهي ضد الأولى ، وهي نار محرقة لأقطار العالم ، فأخبروه بذلك . فقال لهم فهل من خبر آخر توقفونا عليه بعد هذه الأمور ، فقالوا له ننظر في ذلك ، فنظروا على آلاف السنين ، وقالوا له إذا قطع قلب الأسد ثلثي دورة ، وهي آخر دقيقة من برج العقرب ، لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف ، فإذا استتم دورة تحللت عقد الفلك . فقال لهم في أي يوم تتحلل عقد الفلك ، فقالوا له اليوم الثاني من وجود الفلك . قال فتعجب الملك من ذلك ، وأمر بكل ما قاله العلماء من هذه الحكم أن تخلد في الكتب ، وتستودع في تلك الأهرام ، فيقال إن فيها علم الأولين والآخرين .

(١) قارن ابن حوقل ، ص ٨٨ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٨ ؛ المقدسي ، ص ٢١٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١١٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٢

نرجع الآن إلى حديث الثلثة : قيل فلما كان في زمان المأمون بن هارون الرشيد ، وفرغ من حرب التياء وأقام بمصر (١) ، أراد هدم الأهرام ، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير متمكن ، وقال له ولا يحسن بأمر المؤمنين أن يطلب شيئا ولا يبلغه (٢) ، فقال له لا بد أن أعلم ما فيها . ثم أمر بفتح هرم من أعظم الأهرام ، ففتح فيه ثلم من جانبه الشمالى ، لقلة دوام الشمس على من يعمل فيه ؛ فلما ابتدؤا عمله وجدوا حجرا صلبا يكل فيه الحديد . فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فإذا حمى رش بالحل ورعى بالمنجنيق فزبر الحديد ؛ وأقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا الثلثة التى فيه الآن ، فنها يدخل إلى ذلك الهرم . ووجدوا بنيانه بالحديد والرصاص (٣) ووجدوا عرض الحائط ٢٠ ذراعا ؛ وبالقرب من الموضع الذى فتحوا مظهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العريضة ، وزن كل دينار منها ٢٧ مثقالا وثلاثي مثقال . فقال المأمون زنوه فوزنوا الحملة فوجدوا فيها مالا معلوما ، وكان المأمون رحمه الله فطنا ، فقال رحمه الله ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه الثلثة ، ففعلوا فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال . فعجب أمير المؤمنين من ذلك ، ومن معرفتهم بالموضع الذى يفتح منه ذلك الهرم على طول الزمان ، وازداد في علم النجوم يقينا . قال فشئى المأمون حتى دخل الهرم ، ومشى فيه فوجد صنما أخضرا مادا يده وهو قائم فلم يعلم خبره . ونظر إلى الزلاقة والبئر الذى فى الهرم ، وأمر بالدخول والنزول فيه . قال فنزل فيه قوم من رجاله من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أحمر ، عيناه مجزعتان سواد في بياض كأنهما حدقتا لإنسان ينظر إليهم ، فهاهم أمره وقدروا أن له حركة ، فجزعوا منه فخرجوا وعرفوا أمير المؤمنين الحال . قال فجراه ذلك على طلب مخابىء كثيرة . ويقال إنه وجد فيه مالا كثيرا .

(١) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٠ . كان حضور المأمون من الشام إلى مصر سنة ٢١٦ هـ = ٨٣١ م عقب قيام ثورة محلية . ابن الأثير ، ج ٦ ص ٢٩٦ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٦

(٢) من الغريب أن هدم هذه الآثار الشهيرة كان مجالا لتفكير ملوك مصر الذين غلبت عليهم فكرة وجود كنوز مدفونة فيها . وحسب عبد المظيف (ص ٩٦) حاول عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٣ = ١١٩٦ هـ هدم واحد من الأهرامات الصغيرة ، ليستعمل حجارتها في بعض مشاريعه العمرانية ، ولكنه اضطر إلى العزل عن هذه المحاولة الصعبة (المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ١١٥)

(٣) هنا ينتهى الحرم الأول الموجود في مخطوط البكرى (أنظر هامش ٢ ص ٥٠) .

قيل فسأل المأمون عن وجد بمصر من العلماء بتاريخ العالم : هل لهذه الأهرام
 أبواب يدخل إليها منها ؟ فقيل له إن لها أبوابا تحت الأرض ، في أزاج مبنية بالحجارة ،
 طول كل زج منها ٢٠ ذراعا ، له باب من حجر واحد يدور بكوكب ، إذا أطبق
 لم يعرف أنه باب ، وصار كالبنيان لا يدخل الذر في خصاصته ، ولا يوصل إليه
 إلا بكلام وقرابين وبخورات معروفة . وإن في هذه الأهرام قبورا من الذهب
 والفضة والكيمياء وحجارة الزبرجد الرقيقة النفيسة ما لا يسعه وصف واصف .
 وفيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة وكمال الصنعة ، ومن التماثيل الهائلة
 من الذهب الملون على رؤسها التيجان الفاخرة مكحلة بالجوهر النفيسة ، ما يستدل به
 على عظيم ملكهم ، وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه ، ويدفع عنه
 إلى أوقات معلومة وأمد لا بد منه . وإنما قصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء
 ذخيرة لأعقابهم ، ولمن يكون من بعدهم ، علما على عظيم ملكهم . قال ووضعوا
 أساس تلك الأعلام في وقت السعادة ، وجعلوا في أساس كل علم منها صنما ،
 وزبروا في صدورهم دفع المضار والآفات عنها . وفي كل صنم منها آلة كالقوق ،
 وهو واضعه على فيه . وفي وسط كل هرم منها شرفات موجهة إلى أزاج ضيقة
 المنافذ واسعة المداخل ، تجتذب الرياح إليها على طول الزمان ، وتخرج من وجه
 الداخل إليها ، ولها صغير فمن لم يحس دفعها أهلكته . قال فعجب المأمون
 من ذلك ولم يتعرض إلى شيء من تلك الأعلام .

وقيل إنه عمل تحت تلك الأهرام أسرابا تخرج إلى نواح مختلفة : منها ما يخرج
 إلى الفيوم وهي على نحو يوم ونصف من مصر ، وإلى ناحية المغرب على مسيرة
 يومين وأزيد ، وفي أسفلها مسارب للماء تفيض إلى النيل . قيل ووكل بكل
 هرم من تلك الأهرام روحانيين ، فجعل في الهرم الغربي روحاني في صورة
 امرأة عريانة مكشوفة الفرج لها ذؤابتان حسنة الخلق . وإذا أرادت تستفز
 الإنسان ضحككت إليه ، واستجرتة إلى نفسها ، فإن تبعها أهلكته .
 ذكر ذلك من رآها مرارا . ووكل بالهرم القبلي روحاني في صورة غلام أمرد
 عريان حسن الخلق يفعل كذلك . وقد رأى من خارج مرة بعد مرة ثم يغيب
 في الهرم . وفي الهرم الملون صورة شيخ عليه ثياب الرهبان ، ويده مجمرة كأنه
 يتبخر . وكذلك وكل بجميع البرابي^(١) . ويبلد إخم يشاهد أهله أن روحاني

(١) قارن ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٧ . وانظر البكري ، المخطوط ،
 في ١٢ - ١٣ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص (معلوماته مأخوذة عن كتاب المسعودي
 المفقود والمعروف باسم أخبار الزمان) ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٣ ، السيوطي ، حسن
 المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

البربي الذي بها (١) في صورة غلام أسود بيده عصا ، فلا يقدر أحد أن يدخل (١) البربي من بعد العصر إلى الصبح . وكذلك بربي مدينة سمود (٢) فيه روحاني في صورة رجل طويل ، آدم اللون صغير اللحية أشيب . وأما بربي قفط ، فجارية سوداء معها صبي صغير أسود تحمله (٣) . ولكل بربي من البرابي (ب) قربان وكلام بطيع به ذلك الروحاني ، ويدل على علوم البربي (ب) وكنوزه . ويقال إن ذوالنون الإخيمي (٤) إنما قدر على ما قدر عليه من علوم البربي حتى عمل الصنعة الكبيرة ، وهي الكيمياء والجواهر ، وحمل من مصر إلى بغداد في ليلة واحدة ، وغير ذلك مما كان عنده من الغرائب وخبره مشهور . فيقال إنه خدم راهبا كان بإخميم يقال له ساس مدة صباه ، فعلمه قراءة الخط الذي في البربي ، وعلمه القربان والبخور واسم الروحاني ، وأوصاه أن يكتم ذلك . فلما علم ذوالنون ما علم من علم الكيمياء وغيرها ، عمد إلى طين الحكمة ، فطمس به صنعة الكيمياء حتى لا يبلغ إليها أحد غيره ، وهذا الطين لا ينقطع أبدا . وهذا القلم هو المسطر في كتاب السياسة الأوسط وهو كتاب مشهور :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ن ل م
 ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١

ن ص ص ع ع غ ف ق س ش ه و لا ی (۱۱).

x x s e du m u q h b d v

وبها من الكيمياء . وفي بعض أخبار مصر أن قوما قصدوا الأهرام ، فزلوا في تلك الآبار ، وطلبوا أن يدخلوا في تلك المضائق التي تخرج منها الرياح ، واحتملوا معهم سرجا في أوان رخام . فلما حصلوا في تلك المضائق ، خرجت عليهم ريح شديدة وأخرجتهم منها عنفا ، وأطفأت أكبر سرجهم . فأخذوا أحدهم وكان أقواهم جأشا وأشدهم عزيمة وأصلبهم قلبا ، فربطوا وسطه بالحبال ، وقالوا ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبتك ، فلما دخل الممرور وزاحم تلك الرياح ، انطبق عليه ذلك الفتحة ، فجذبوه فانقطعت حبالهم ، وبقي الرجل في ذلك الشق وهم لا يعلمون له خبرا ، فصعدوا هاربين حتى خرجوا من البئر ، واغتموا لما أصاب صاحبهم . فجلسوا عند الطمة مفكرين في أمر صاحبهم ، وفي أمرهم وما أقاموا عليه ، فبينما هم كذلك إذ انفجرت من الأرض فرجة كالسكة ، وأثارت لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت الدم جامد العينين ، وهو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم ، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا . فازداد وجلهم وتضاعف حزنهم وجزعهم ، وعلموا أنهم خالصون من أمر عظيم (٢) . قال فاحتملوا صاحبهم ، واتصلت أنباؤهم بوالى مصر وهو ابن المدبر في أيام المتوكل (٣) ، فسألهم عن أمرهم ، وأخبروه بذلك فعجب . وأمر أن يكتب الكلام الذى قال ذلك الرجل الذى مات ، حسب ما قاله ، وأقام ابن المدبر يطلب من يفسره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان ، ففسره : « هذا جزاء من طلب ما ليس له وأراد الكشف على ما يخفى ، فليعتبر من رآه » . قال فنع حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام .

(١) لا نستطيع التعليق على مصدر هذا الخط ولا عن طبيعة العلاقة بين هذه الحروف وبين النقوش المصرية القديمة أو الحروف اليونانية أو القبطية وإن كان هناك تشابه بين بعضها . الأمر متروك للاختصاصيين .

(٢) أنظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢١٣ . وقارن البكري ، المخطوط ، ص ١٤ : المقريزي ، الخطط ، ج ١ ص ١٣ - ١٤ .

(٣) أحمد بن المدبر كان صاحب خراج مصر حوالي سنة ٢٤٢ = ٨٥٦ م . وعند ما وصل
أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ = ٨٦٨ قام بين الرجلين الطموحين صراع مر ، انتهى
انتصار أحمد بن طولون انتصارا حاسما فاغتول ابن المدبر دون أن تعرف تاريخ وفاته . أنظر

Zaky Hassan, *Les Tulunides*, p. 35 sq., 71 sq

وفي خبر آخر أن جماعة دخلوا الأهرام فوجدوا في بعض البيوت زلاقة إلى بئر ، فنزلوا فيها فوجدوا سربا ، فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق وفي عدوته باب لطيف . وكانوا يتبينون منه شعاع الذهب والفضة والجواهر النفيسة . ومن رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذي لهم ، الذي فيه الذهب والجواهر ، عامود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه ولا يستمسك في دورانه . فاحتالوا في وقوفه وذهاب حركته فلم يقدرُوا على ذلك ، فربطوا أحدهم في حبل ، وتعلق بالعامود ليصل إلى الجانب الآخر ، فدار به المحور (١) فتحير وسقط وانقطع الحبل الذي كان فيه ، فخرجوا هاربين لا يلوون على شيء .

وفي خبر آخر أن قوما دخلوا بعض الأسراب التي في الهرم ، فأنهوا إلى صنم أخضر على صورة شيخ ، وبين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم . ثم ساروا فوجدوا فوارة تحت قبة يقع فيها ماء من أعلى تلك القبة ، فيكون له نشيش شديد كأنه يطفى نارا ، ثم يفيض هناك ولا يتبين . ثم داروا فوجدوا بيتا مسدودا لا يظهر له باب غير حجر صلد ، وفيه دوى شديد لا يدرى ما هو ، ووجدوا عنده شبه المطهرة الكبيرة فيها ماء ودنانير ، منقوش في الوجه الواحد صورة أسد وفي الوجه الثاني صورة طير ، فأخذوا من تلك الدنانير شيئا ، فلم يقدرُوا على حركة ولا كلام حتى تركوها في موضعها .

وأما البرابي ففيها من الطلسمات والكتابة ، وعمل الصناعات وتصوير جميع الآلات وتعليم جميع الصناعات ، كل ذلك منقوش في الحجر الصلد ، وإن الناس يمشون إليها فيأخذون فوائد كثيرة (١) . قال الوصيفي (٢) : رأيت في برني إخم صورة عقرب فألصقت عليها شمعا فلم أتركها في موضع إلا أن انحاشت العقارب إليها من كل موضع ، وإن كانت في تابوت اجتمعت

(١) « المهور » ناقصة في ب .

(١) أنظر البكري ، المخطوط ، ص ١٥

(٢) أننا لا نعرف شيئا دقيقا عن هذا المؤلف . وكل ما يذكره المقرئ الذي يأخذ عنه كثيرا من معلوماته هو أنه يسميه الأستاذ إبراهيم بن وصيف - شاه (المخطوط ، ج ١ ص ١١١ ، ١٢٥) . أما عن مصنفه عن المجانب فلقد ترجمه Carra de Vaux ترجمة جزئية (L'Abregé des Merveilles. Paris, 1908) . وحسب ما حققه Seybold كان ابن وصيف شاه يكتب حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية (أنظر Orientalische Literatur Zeitung, Mai 1908, p. 146) .

حول التابوت وتحتة . فطلبها منى بعض إخوانى فرجعت إلى إخميم فوجدت تلك الصورة قد تقرت وأفسدت . وفى هذا البرى ، عند الباب الذى يدخل منه إلى المصعد على يسار الداخل ، صورة رأس إنسان عظيم اللحية كثير الشعر كأنه رأس روحى بغير جسد ، فذكر أن الأولين كانوا يبخرون ذلك الرأس ، يبخور لهم معروف عندهم ، فكل من بخره وجد عنده دينارا ، فكان فى ذلك معونة لأهل المسألة . قال الوصيفى : تصفحت الموضع الذى بقرب ذلك الرأس ، فوجدت أثر البخور والطيب بينا فيه . وذكر أن على باب إخميم طلسم ، وهو قطعة من الحجر فى صورة القلنسوة ، معقبة الرأس كأنه منقار طائر ، يقال إن تحتة مال عظيم ، وقد جهد جماعة من الولاة على إخميم فى قلعها أو كسرها فلم يقدرُوا على ذلك ، وتنكسر المعاول كلها ولا يتسلم منها شئ . وأخبرنى رجل بأنه رأى هنالك صورة استحسناها ، وهى صورة إنسان على رأسه طائر وإلى جنبه كلب رابض وتحت رجليه كتابة ، قال فأخذتها وصورتها فى قرطاس كما رأيتها فأقمت ثلاثة أيام فلم أهجع ولم أكل ولم أشته شيئا من الطعام ولم أدر ما السبب لذلك حتى فكرت فى الصورة التى عندى فزعتها عنى فاشتبهت الطعام وأكلت ونمت (١) . وحدث رجل من أهل إخميم أن رجلا من أهل المشرق نزل عندهم وكان بصيرا بهذه العلوم فتذاكروا معه أمر البرى فقال ذلك المشرق لبعضهم إن وجدت فى صورة إنسان عريان مؤثر بمؤثر وفى يده اليمنى فأس له رأسان وفيه ورقة معلقة فأنسخه لى وما حوله من الكتابة . قال ففعلت ذلك وأتيت بها إليه وسألته عن خاصيتها ، فأطعننى (١) فيها وقال ليس ينتفع عندها أو تفسد البرى . قال فشيت إليها فخذشتها بمنقار حتى أفسدتها وطمسها ثم سألته عن علمها فخلط على ولم يعطنى فائدة . فلما كان بعد ذلك تحدثت به مع قوم أهل المشرق فتلهف أحدهم فسألته عن أمرها فقال إن تلك الصورة إذا جعلت فى موقع فيه كنز ارتفع من الموضع غبار فيعلم أن فيه خيرا وهى دلالة على الكنوز فغمنى أن كنت أفسدتها . وكذلك يتحدث أهل سمود عن البرى الذى عندهم (٢) بعجائب كثيرة منها أن بعض من دخله كتب على كفه صورة من تلك الصور أعجبته ، فأطبقت عينه الواحدة حتى أتاه من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه .

(١) ج : فأطعننى .

(١) هنا يوجد خرم فى مخطوط البكرى لا تعرف مداه . قارن المقرئى ، المخطوط ،

ج ١ ص ٢٤٠

(٢) عن برى سمود أنظر فيما سبق ص ٥٨ وهامش ٢

قال الوصيفي : وأخبرني من أثقه أنه رأى برّبي سمود صورة شيطانين تحوط بهما سلسلة بكتابة ، وهما بمسكان طرفي السلسلة وبينهما كتابة ، قال : فصورته ذلك كما هو ، وأمسكته عندي إلى أن جاءني من عرفها ، فقال لي : هذا حرز عظيم من جميع السباع ، ومن كل من يروم الإذابة ، ولوجعل على هذا الطلسم لحم ، وجوع كلب أو سبع وقرب منه لم يقدر على (١) أخذ شيء منه بوجه ولا بحال ، قال فعمجبت من قوله فامتحننت الطلسم فوجدته كما قال . ومن المتعارف عند أهل الإخيم ، أنه كان في البرّبي الذي كان عندهم ، صورة شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة قد رفعها إلى الهواء ، وفي جبهته وحواليه كتابة ، وله إحليل ظاهر ملتصق بالحائط . فقبل من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه ، وينزعه من غير أن ينكسر ، ويعلقه في وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه ، ويجماع ما أحب ولا ينكسر ما دام عليه . وقيل إن ابن الغمر لما ولي إخميم أخبر بذلك ، فطلب تلك الصورة في البرّبي فلم يجد منها غير واحدة قرب سقف البرّبي ، فاحتال عليها حتى أخذ الإحليل ، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب ، وقيل إنه كان في البرّبي منه صور كثيرة فلم [تزل] تؤخذ حتى فقدت (١) .

قال الوصيفي : حدثني من أثقه أنهم وجدوا في بعض البرابي أشنانه زجاج أحمر مربعة الشكل موضوعة في طاق وفيها ماء أصفر ، فلم يدروا لم يصلح ذلك الماء فاهرقوه منها ، وأخذ أحدهم تلك الأشنانه . قال فأقامت عنده مدة إلى أن رآها رجل غريب نزل عليه ضيفا ، فاستظرفها فسأله عنها فأخبره بخبرها وبخبر الماء الذي كان فيها ، فتلهف ذلك الرجل على الماء ، وقال أضعتم علما عظيما وخيرا كثيرا . وقال إنكم لو حيمتم الفضة وغمستموها في ذلك الماء لصارت ذهبا ، قال فندمت على التفريط في ذلك الماء . ثم قال لي أنريد أن أريك في هذه الأشنانه عجبا ؟ قلت نعم قال زنها ، قال فوزنتها فوجدت بها ٤ أرطال سواء ، فقال لي املاها ماء أو ما أحببت ، قال ففعلت ، قال لي زنها فوزنتها ، فوجدت وزنها واحد وهي ممتلئة مثل وزنها وهي فارغة ٤ أرطال لا تزيد ولا تنقص شيئا (٢) ،

(١) « لم يقدر على » ناقصة في ب .

(١) قارن المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٣٥ ، ٢٤٠

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٤٧

فعجبت من ذلك . وشاع خبرها حتى اتصل ببعض الولاة فوجه إلى فأخذها مني .
 وكان في هذه البرابي عجائب من الطلائع في قبور شتى قد درس أكثرها . وتهدم
 أكثر البرابي . وأما الأهرام فهي باقية على حالها ما اختل منها شيء ، فيقال إن كل
 ما تهدم من هذه الهياكل وتغير . مثل برني بوسير (١) وبرني سمود وغير ذلك
 من الهياكل . أن المنجمين تركوا الاستقصاء في أخذ الطالع وتصحيحه في وقت
 وضع الأساس . وكذلك ما بقي منها فلنقرب الطالع من الصحيح . ولا شك
 أن الذين بنوا هذه البرابي كانوا على بعد من الملوك ، ولم يكونوا يحضرونهم ولا
 تحت نظرهم . فيستقصوا النظر كما اتفق في بناء الأهرام . وكان بالقرب من صاحب
 مصر فكان يتفقدوها . والبرابي أكثر إنما هي في الكور . قبل ولكل برني
 من هذه البرابي خاصة ومنفعة في الموضع الذي يكون فيه وما إلى جهته ،
 وأهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم برني سمود ، وحملت حجارتها إلى أشتوم
 دمياط (٢) ، أن اليوم الذي فرغ فيه من هدم الحائط الغربي ، دخل حياصة
 الإسكندرية وخر بها (٣) ، وكثرت الرمال في أسباب البحر بها حتى انقطع النيل
 عنها في شهور الصيف ، وكان يمر عليها صيفا وشتاء ، وقلت زكاة الزرع
 وكثر الفأر فيه والجراد والفساد الذي لم يعهد قبل ذلك . ومن العجائب
 المذكورة بأرض مصر في قرية يقال لها بدرسنة (١) ، كنيسة قديمة للروم
 فيها بيت يصعد إليه في نيف وعشرين مرقى ، وهناك سرير عليه صبي ميت ،
 وتحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج في جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة
 نحاس موضوع فيها فتيل كتان ، ويصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلئ

(١) « بدرسنة » غير مقروءة في ب .

(١) كانت هناك أربع مدن تحمل اسم بوسير ، ونعتقد أن بوسير المذكورة هنا هي التابعة
 لمدينة سمود والتي كانت شهيرة بمعبدتها القديم . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦ .
 وقارن البكري ، المخطوط ، ص ٥٧ ؛ Quatremère, Mém. géog. et hist., t I, p. 112

(٢) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٦

(٣) هو حياصة بن يوسف قائد عبيد الله الفاطمي . ولقد نجح في محاولاته الأولى من أجل
 دخول مصر لحساب سيده في دخول الإسكندرية على رأس مائة ألف مقاتل ، وذلك في ٨ من
 المحرم سنة ٣٠٢ هـ ؛ أغسطس سنة ٩١٤ . السكندرية ، الولاة والقضاة ، ص ٢٦٩ ؛
 ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٧٢ ؛ السيوطي ، حنن المحاضرة ،
 ج ٢ ص ١٩٨ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٨٢

الباطية من الزيت حتى يفيض إلى جوف الثور ، فيأخذ قيم الكنيسة ذلك الزيت دائماً ، فيسرج منه قناديل الكنيسة كلها ، ولا ينقطع نماؤه وزيادته على مرور الدهور والأيام . فإن أزيل الصبي الميت ، طفيت النار ولم يفيض الزيت ، فإذا أعيد عاد الزيت إلى ما كان عليه . وقد سار إلى هذه الكنيسة جماعة من الناس رأوا ذلك وأفرغوا الباطية ثم أسرجوها بيسير من الزيت ، ففاضت وبدأ منها ما ذكرنا .

ثم نرجع إلى ذكر الملك شوندين (١) .

قال فلما هلك الملك شوندين بعد أن ملك ١٣٥ سنة ودفن في الهرم الغربي ، ملك بعده ابنه قمناوش وكان جباراً فظلم وجار وسفك الدماء واغتصب النساء ، واستخرج كثيراً من الكنوز ، فبنى بها قصور الذهب والفضة وورصعها بالجواهر الغالية ، وعمل بركاً فصب فيها الجواهر وأرسل عليها الماء ، وفعل من مثل هذه الأشياء ما لم يفعل غيره من الملوك ، واستجهل من مضى من آبائه ، واستعبد الناس واستخف بالهياكل . فلما هلك ملك بعده ابنه فترك الظلم وتحبب إلى الناس ، وطلب العلم (١) وأعاد الهياكل كل إلى ما كانت عليه في أزمان أجداده ، وجمع المنجمين والكهان ، وعملت في أيامه من العجائب والغرائب ما كانت تعمل في أيام آبائه (٢) ، وملك مدة ولم يكن له ولد . وطلب النسل من ٣٠٠ امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقت في أيامه . وفي وقته شاع خبر نوح عم . قال فلما لم يكن له ولد ولا أخ ، خاف على ذهاب ملكه فأشرك في أمره فرعان ، وكان من بني عمه ، وكان أحد الجبابرة ففتح البلاد وقهر الأمم ، فوافقته امرأة من نساء الملك على أن يقتل الملك ويلى الملك ففعل ، واحتوى على المملكة فتجبر وعلا وقهر . وأصل الفراعنة مشتقة منه ومن اسمه (٣) .

(١) هنا يوجد خرم قدره حوالي صفحتين في ج (أنظر هامش ١ ص ٦٦) .

(١) أنظر ابن رسته ، ص ٨١ ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ٣٢ ، ٣٧ .

(٢) هنا ينتهى خرم البكرى (أنظر هامش ١ ص ٦١) .

(٣) عن كلمة فرعون يقول المسعودى (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤١٤ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٦٩) : « سألت جماعة من القبط بالصعيد وغيره من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل في لغتهم . فيمكن والله أعلم أن هذا الاسم كان سمياً »

وكتب إليه ذو ميشيل بن عدييل بن درشيل الأكبر يخبره بأمر نوح ، فكتب إليه قرعان يشير عليه بقتل نوح فهلكا في الطوفان .

ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان

يقال إن أول من نزل مصر بعد الطوفان مصر بن ينصر بن حام بن نوح عم ، بدعوة سبقت له من جده نوح عم . روى عن ابن عباس أنه قال دعا نوح عم لمصر بن ينصر بن حام ، وهو أبو القبط ، فقال : « اللهم بارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض المباركة ، التي هي أم البلاد وغوث العباد ، التي نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذلها لهم وقوم عليها » . قيل وكان السبب في نزول مصر أرض مصر ، وبه سميت ، أن فليمون الكاهن صدق نوحا عم وآمن بالله تعالى ، وسأل نوحا أن يحمله بأهله وولده معه في السفينة فحملة . قال فلما انجلى الطوفان ، قال فليمون لنوح عم يا نبي الله اجعل لي رفعة وقدرًا أذكر به بعدى ؛ فزوج نوح [مصر بن] ينصر بن حام من بنت فليمون (١) فولدت له ولدا فسماه فليمون (١) على اسم جده لأمه . فلما أراد نوح قسمة الأرض بين بنيه قال له فليمون : يا نبي الله إن بلدي خير البلاد وأولى الناس به ابني مصر ، فابعثه معي إليه أظهره على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه . قال فأنفذه معه في جماعة من أهل بلده ، قيل إن عددهم كان ٣٠ رجلا فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم ، وبنوا مدينة سماها ماقه ، ومعنى ماقه ٣٠ بلغتهم (١) وهي مدينة منف . وأطلع فليمون صهره مصر بن ينصر على

(١) الكلمات الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في النص ولكنها موجودة في البكري (المخطوط ، ص ١٧) .

== للملوك تلك الأمصار ، وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهي الفارسية الأولى إلى الفارسية الثانية . وحسب الطبري (ج ١ ص ٢١٧) يكون الفراعنة من نسل العالقة . قارن البكري ، المخطوط ، ص ١٦

(١) انظر البكري ، المخطوط ، ص ١٦ - ١٧ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧ - ٨ ؛ المسمودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٨٠ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٣٥ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥١ - ٥٢ ؛ السيوطي ، حزن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٦٧ ؛ ابن دقيق . ص ١٣٠

كنوز مصر وعلومها ، وعلمه خط البراني ، وأخرج له المعادن من الذهب والفضة والزبرجد والفيروز وغير ذلك من الجواهر ، وأطلعه على عمل الصنعة في الجبل الشرقى فسمى به المقطم .

وتزوج الملك امرأة من بنات الكهنة ، فولدت له أربعة من الولد منهم قطيم وإليه عهد بعد موته . فلما حضرته الوفاة أمر أن يحفر له سرب بين جبلين طوله ١٥٠ ذراعاً ، ويفرش بالمرمر ، ويجعل في وسطه مجلس مصفح بالذهب له ٤ أبواب ، على كل باب تمثال من الذهب عليه تاج مرصع بنفيس من الجواهر ، جالس على كرسي من الذهب قوائمه من الزبرجد . ونقشوا في صدر كل تمثال آيات عظاما وأسماء من أسماء الله تعالى مانعة من أخذه ، وجعلوا جسده في تابوت من زبرجد مصفح بالذهب ، وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجواهر النفيس ، وألف إناء مملوءة من الدر الفاخر . ووضعوا هنالك الصنعة الإلهية والعقاير السرية ، ومعها الطلسمات العجيبة ، وأكوام من سبائك الذهب بعضها فوق بعض ، ثم كتبوا على المجلس : « مات مصر بن ينصر بن حام بن نوح عم بعد ٧٠٠ سنة مضت من أيام الطوفان ، ولم يعبد الأصنام إذ لا هرم ولا أسقام ، ولا عوز ولا اهتمام ، وحصن مجلسه بأسماء الله تعالى العظام ، التي لا يصل إليها أحد من الأنعام ، وكان يدين للملك الديان ، ويؤمن بالمبعوث بالقرآن ، الداعي إلى الإيمان ، الظاهر في آخر الزمان » . ثم دهموا ذلك بالصخور العظام وجعلوا فوقها الرمال ، وذلك بين جبلين متقابلين ، وجعلوا فيها علامات (١) .

ثم ولي ابنه قطيم وهو أبو الأقباط ، وكان (١) جباراً عظيم الخلق وفي أيامه هلكت عاد (٢) بالريح ، فكان ملكه ٤٠٠ سنة . وكان قد عمل

(١) هنا ينتهي الحرم الموجود في ج (أنظر هامش ١ ص ٦٦) .

(١) انظر البكري ، المخطوط ، ص ١٧ - ١٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٤ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٩ ، ٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥٢ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٠ .

(٢) عاد هي القبيلة التي قضت عليها المأسفة كما هو مذكور في القرآن ، سورة ٨٦ ،

لنفسه قبل موته سربا تحت الأرض معقودا على آراج في الجبل الغربي .
وجعل فيه من الذخائر والفرائث والتمائيل ، ومن الطلسمات والعجائب
التي يطول وصفها ، كما كان في نواويس آبائه .

قال ، فما زال هؤلاء الملوك من ذرية مصر بن ينصر يتوارثون
الملك خلف عن سلف ، إلى أن كان منهم ملك يسمى عديم . وكان عاقلا عالما ،
وهو أول من صلب . وكان سبب ذلك أن امرأة ورجلا زنيا في أيامه . فأمر بهما
فصلبا على منارين بناهما لهما ، وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر الآخر .
وطلاهما بأطلية مانعة لفناء جثتيهما ، وزبر على المنارين اسماهما وما فعلا . وتاريخ
الوقت الذي عمل بهما ذلك فيه ؛ فأنهى الناس في أيامه عن الزنا . وناووس عديم
هذا من أعاجيب الدنيا ، وهو في صحراء قفط (١) على وجه الأرض . وهو قبة عظيمة
من زجاج أخضر براق ، معقودة على ثمانية آراج ، قدر قطرها (ب) ١٠٠ ذراع
وارتفاعها في الهواء ١٠٠ ذراع ، ينحصر بنحصرتها ما حولها من الأرض
وعلى رأس القبة طائر من الذهب منشور الجناحين موشع بجوهر نفيس ، وهو
طاسم تلك القبة ؛ يمنع الوصول إليها وإلى ما فيها . وذكر أن قوما قصدوا ذلك
الناووس في صحراء قفط ، ورأوا القبة وعابنوا ما فيها ، وأقاموا عليها أياما
لا يقدرون عابها ؛ وكانوا منها على قدر ٨ أذرع ، وكانوا إذا قصدوها (ج) دارت
الثبة على يمينهم وشمالهم . وذكروا أنهم عابنوا ما فيها من العجائب ، وأنهم رأوا
الملك وهو على سرير من ذهب ، مشبك عليه ثياب منسوجة بالذهب منظمة
بنفيس الجواهر ، وهو مكشوف الوجه ، فقدروا وجهه بذراع ونصف ، وقدروا
طول بدنه بـ ١٠ أذرع ، وله لحية كبيرة . وفي جانب القبة ١٧٠ مصحفا
من مصاحف الحكمة ، وفيها ٧ موائد على كل مائدة أوانها ؛ ففيها مائدة درر ماني
وآنيها منها ، ومنها مائدة ذهب أحمر يختطف الأبصار وهو الذهب الذي يعمل
منه تيجان الملوك وآنية المائدة منها ، ومنها مائدة من حجر الشمس المضيء
وآنيها منها ، ومائدة من الزبرجد الذي إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها ،
ومنها مائدة كبريت أحمر مدبر على ما ذكروه من تدبيره في مصاحف حكمتهم
وآنيها منها ، ومائدة ملح أبيض براق (د) يكاد نوره أن يختطف الأبصار

(١) القراءة في النص « ثبط » ولكننا فضلنا تفظ حسب البكري (المخطوط ،

ص ٢١) والمقرئ (المخطوط ، ج ١ ص ٢٢) .

(ب) « قطرها » ناقصة في ب . (ج) الجملة الأخيرة ناقصة في ب .

(د) الجملة الأخيرة ناقصة في ب .

وآتيها منها ، ومنها مائدة زئبق معقود وحافاتها وقوائمها زئبق أصفر معقود وآتيها من زئبق أحمر معقود . وقيل وجعل معه في القبة جواهر عظيمة ، وأواني من الفضة المدبرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وسبعة كاهنية ، وفي القبة معه تماثيل أفراس من ذهب ، وعليها سروج من ذهب ، وعدة تواييت مملوءة بالدنانير التي ضربها وصور عليها صورته . وفي تلك القبة أشياء من العجائب والغرائب يطول وصفها (١).

وقيل إنه ملك من ذرية هؤلاء الملوك ملك يسمى ساوس ، وهو أول من عبد البقر . وقيل إن السبب في ذلك أنه اعتل بعلة يئس فيها من نفسه ، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم الخلق يخاطبه ويقول له : لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر ، لأن الطالع كان حلوله بك في صورة ثور . فأمر ذلك الملك بأخذ ثور أبلق حسن الصورة ، فبنى له مجلسا في وسط قصره عليه قبة مذهبة ، ووكّل به سادنا ، وكان يبخره له ويطيبه . وكان يعبده سرا من أهل مملكته ، فبرأ من علته وعاد إلى أحسن حاله . وقال آخرون وكان السبب في ذلك أن هذا الملك كان يتفقد بلاده ويطوف عليها ، وهو أول من عملت له العجل ، وعملت عليها قباب من خشب مذهبة وفرشت بالفرش . وكانت البقر تجره فيطوف على جميع بلاده ، فإذا مر بالمكان الحرب أمر بعمارته . فقيل إنه نظر ذات يوم إلى ثور من تلك البقر التي كانت تجر تلك العجلة التي كان فيها الملك ، وكان ثورا أبلقا حسن الهيئة ، فأعجبه فأمر بإزالته من جر العجلة وسوقه بين يديه ، وجعل عليه حللا من فاخر الديباج . فتفرد به يوما ينظر إليه ، فبينما هو قائم بين يديه خاطبه الثور فقال له : لو رفعتني أيها الملك كفيتك جميع أمورك ، وأعتك على ما تريد ، وقويتك على ملكك وأزلت عنك جميع علك . فارتاع الملك من كلامه ، وأمر به حينئذ وغسل وطيب وبنى له هيكلًا ، وأمر بعبادته . وكان في ذلك الثور آية أنه لا يروث ولا يبول ولا يأكل إلا أطراف ورق الشجر مرة واحدة في الشهر . قال فافتن الناس به ، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر بأرض مصر . وصار ذلك الثور يعبد مدة ثم إن ذلك الثور أمرهم أن يصنعوا صورة مثل صورته من ذهب مجوفة ، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن تحت قرونيه ومن أظلافه ويجعل في ذلك التمثال . وعرفهم أنه لاحق

(١) انظر ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢٤٧ . وقارن البكري ، المخطوط ،

ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٣٢ ، ١٣٧

بعالمه ، وأمرهم أن يجداوا جسده في حرز من حجارة وينصب في الهيكل ، وينصب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه ، والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث ، والقمر زائد ، وتنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة . فأمر الملك فعملت صورة الثور من ذهب ، وكللت بأصناف الجواهر ، وصنعوا ساير ما أمرهم به ذلك الثور ، وفي الوقت الذي حدد لهم . وكان ذلك التمثال يخبرهم بالمعجائب وما يحدث وقتا وقتا ، ويجيبهم عن جميع ما يسألونه عنه ، فعظم أمر ذلك التمثال ، فنذرت له النذور وقربت له القرابين ، وقصده الناس من الآفاق فكان يخبرهم بما يريدون . وبقيت عبادة البقر سنة في دولة ذلك الملك يتوارثونها خلف عن سلف (١) ، إلى أن تملك منهم ملك يقال له ماليق ، وكان موحدًا على دين من سبق من أجداده ، قطيم ومصر ، فكانت القبط تدمه لذلك ، وكانت القبط تعبد الكواكب والبقر . وكان هذا الملك يستعمل الغزو والجولان على البلاد ، وزعم بعض أهل مصر أن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يوعظه ويرشده ، وربما أتاه في نومه فأخبره بالأشياء وأمره ونهاه . فجمع جيوشا عظيمة وأخذ سفنا كثيرة في البحر ، وغزا جوع البربر برا وبحرا وهزمهم وأستأصل أكثرهم ، وبلغ إفريقية وقتل أكثر أهلها وكانوا على الكفر . واتخذ في بحر الروم ٤٠٠ سفينة ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن غزا بلاد الأندلس . ومشى إلى بلاد الأفرنج وكان بها ملك عظيم ، فحشد أمم نواحيه وأقام يحاربه شهرا ثم طلب السلامة والأمان ، وأهدى إليه هدايا كثيرة . فسار عنه ودوخ الأمم المتصلة بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها ، وعمل أعلاما على البحر الأخضر ، وزير عليها اسمه وتاريخ الوقت الذي عملها فيه . وخرب مدن البربر حيث كانت حتى الجاهم إلى فرى الجبال ، ثم رجع إلى مصر ، فتلقاه أهل مصر بصنوف اللهو والطيب ، وفرشت له الطرقات بأنواع الرياحين والأزاهير ، ودخل قصره وهو غانم موفور ؛ وذلك صنع الله لمن وحده ولم يشرك به شيئا . وأمر أن يبني له ناووس فكان يتعبد فيه ، فلما حضرته الوفاة أمر أن يدفن فيه ، وألا يدفن معه ذهب ولا فضة ولا جواهر . فلم يدفن معه سوى الطيب ، وصحيفة مكتوبة بخطه : هذا ناووس فلان

(١) قارن البكري ، المخطوط ، ص ٢٤ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٢٨

ابن فلان الملك، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه غيره، بريفا من الأصنام وعبادتها، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليؤمن بما أومن به (١).

وكان من ذرية هؤلاء الملوك، كذلك الملك الجبار، كان يعقد التاج على رأسه، وكانت دار مملكته منف، وهي كانت دار الملوك قبله. وكان يحب الحكمة، وإظهار الحكمة والعجائب، ويقرب العلماء والمنجمين وأهل الصنعة، فلم تعمل الكيمياء قط في وقت من الأوقات كما عملت في أيامه، حتى أستغنى أهل ذلك العصر عن معادن الذهب فلم يشتروها، ولم يكن الذهب أكثر منه في أيامه، ولا الصنعة أقوى منها في وقته. كان يطرح المثقال من مثاقيل الكيمياء على القناطير الكثيرة من الفضة فيصبغها. ويحكى القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن حد العقل حتى أنهم يسمونه حكيم الملوك، غلب جميع الكهنة في علمهم حتى كان يخبرهم بما غاب عنهم فخافوه. وفي وقته كان عمرو دابراهيم الخليل عم (١)، وكان عمرو جبارا شديد البأس، وكان ملكه بالعراق، وكان قد أوتي قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض، فأراد أن يستوزر كذلك الملك. وبعث إليه في ذلك فخافه كلكن وأجابه إلى ذلك، ووجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه، ليريه من حكمته وبهره، فسار عمرو إلى موضع يلقاه فيه كلكن. فأقبل كلكن تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كنار، وهو في صورة مهيبة، فدخل بها وهو متوشح تنينا عظيما، والتنين فاغرقاه، ومعه قضيب آس، فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب الذي بيده، فلما رأى عمرو هاله ما رآه، واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا ففعل. وتزعم القبط أن كلكن الملك كان يجلس إلى الهرم الغربي، وهو أعظم الأهرام، في قبة على رأس الهرم. وكان يجمع إليه رعيته وحشمه ويأمرهم وينهاهم من أعلى الهرم، ويقم

(١) الحملة الأخيرة ناقضة في ب.

(١) أنظر ابن وصيف - شاه، الترجمة، ص ٣١٣، البكري، المخطوط، ص ٢٧ - ٢٨، المقرئ، المخطوط، ج ١ ص ٣٦، ١٣٩، ١٤٠، النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٦٢، السيوطي، حن الحاضرة، ج ١ ص ٢٠، ابن عبد الحكم، ص ٩، المسودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٩٥. حسب ابن الفقيه (ص ٦٧) كانت ملكة فرعون تمتد غربا حتى تشمل بلاد المغرب والأندلس.

بذلك الموضع أياما كثيرة لا يأكل ولا يشرب ، ثم إنه غاب عنهم فلم يقفوا على موته ولا على شيء من أمره . وكان عهد إلى أخيه ماليا فلما غاب عنهم أقاموا ماليا أخاه مقامه ، فكان همه في الأكل والشراب والرياسة ، غير ناظر في شيء من الحكمة ، وإنما استقام له الأمر بهيبة أخيه كلكن ، وتقديرهم أنه لم يمت وأنه سيرجع إليهم . وكان ماليا ولد كان أكبر ولده ، وكان جبارا جريئا شديدا البأس ، وكان يتهجهم أباه لخلوده إلى الراحة ، فأعمل الحيلة في قتله وحملته على ذلك أمه وبعض وزراء أبيه ، فهجم على أبيه في رواقه وهو سكران فقتله ، وقتل معه امرأة له من بنات الملوك كانت قد غلبت على أمره ، فقتلها وصلبها وجلس على سرير ملك أبيه . وكان مهيبا شديدا البأس كثير القتل ، فترجم القبط أنه أول الفراعنة بمصر ، وأنه فرعون ابراهيم عم (١) .

والفراعنة سبعة وهو كان أولهم . وقيل إنما سمي فرعون لأنه أكثر القتل حتى قتل قرابته وأهل بيته وخدمه ونسائه وكثيرا من الكهنة والحكام . وكان حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنة واحدة سماها حورية ، وكانت عاقلة حكيمة ، وكانت تسدد أباه كثيرا ، وتمنعه من كثير من الشر والقتل . فلما رأت أمره يزداد فسادا خافت على زوال ملكه فسمته ، فمات بعد أن ملك سبعين سنة . فتنازعوا في تملكها عليهم ثم اجتمعوا عليها إلا أهل مدينة أبريت فانهم ملكوا عليهم رجلا منهم ، وكان من ولد أبريت بن مصر الملك المتقدم الذكر ، وبه سميت مدينة أبريت ، يقال له أبراحش . فجرت بينهم حروب كانت الدائرة فيها على أبراحش ، فهرب خوفا من حورية إلى الشام ، وكان بها الكنعانيون من ولد عمليق ، فاستغاث بملكهم فأخبره بأمره وقرب عليه مصر ، وسول له تصيرها إليه . فجهز ملك الشام مع أبراحش جيشا عظيما (١) ، وقدم عليه رجلا من قواده ، فلما قرب من مصر بعثت حورية (١) طيرا لها إلى جيرون تقول له : إن فلانة سمعت بك وأحبتك ، وهي تريد زواجك وأن تكون لها أهلا ، وتعطيك بلاد مصر . فسر جيرون بما سمع منها ورغب فيما قالت له ، ثم عقدت معه أن يقتل أبراحش . فقال

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (١) فاقصة في ب .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٦ ، ابن عبد الحكم ، ص ٩ ، المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ١٤٠

لها وكيف أصنع ؟ فأخرجت له سما ، قسم به أبراحش فأتت في الحين . فلما أراد أن يصل إليها بعثت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تظهر في بلادى قوتك وحكمتك لكي أعذر في زواجك ، وأريد أن تبني لي مدينة عجيبة أدخل معك فيها ، فأني أكره الدخول عليك في بلادى وبين أهل بلدى . وأن مدينة في بلاد مصر كانت لأوائلنا قد خربت ، فانظر موضعها واطهر حكمتك فيها ، وبعثت معه من يريه الإسكندرية .

قبل فجد جيرون في بنائها ، وبعثت إليه حورية من مصر مائة ألف صانع ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، فلما فرغ من بناء المدينة ، وجه إليها يعلمها بنام المدينة ويحضرها على التقدوم عليه . فوجهت إليه فرشاً كثيرة فاخرة وآلات عجيبة ، وقالت له : « قسم جيشك أثلاثاً وابعث الثلث الأول ، حتى إذا بلغت نصف الطريق فابعث إلى الثلث الثاني ، فإذا بلغت الثلثين من الطريق ، فابعث إلى الثلث الثالث حتى يكون الجيش من ورائي ومن أمامي ، لئلا يراني أحد إذا دخلت عليك ؛ ولا أحب أن أجد معك سوى صبية تخدمك . ثم أقامت تجهز له الجهاز والأموال حتى أيقن بإقبالها ، فوجه إليها ثلث جيشه . فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة وخرجت إليهم في خيولها وخدامها ، فلما لقوها أنزلتهم وأمرت حشمها فأقبلوا عليهم بالأطعمة والأشربة والطيب ، كل ذلك من مسموم ، فلم تصبح منهم عين تطرف (١) . ثم سارت فلقبها الثلث الثاني من الجيش ، ففعلت بهم كذلك . ثم سارت فلقبها الثلث الثالث ، ففعلت بهم مثل ذلك ، وهي تبعث إليه وتقول : إني بعثت الجيش إلى مصر بحفظها بعدى ، إلى أن دخلت على جيرون هي وطيروها وجوار كن معها ، فرشقت طيرها عليه ، فارتعدت مفاصله وخارت قواه ، ولم يملك نفسه شيئاً فأيقن بالهلاك ، وقال جيرون : « من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبه نفسه » . فقيل إنها فصدهته وأسالت دمه حتى مات ، فقالت : « دماء الملوك شفاء النفوس » . وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنصبته عليه ، وحملت بيوت أمواله إلى منف دار مملكتها ، وبنت حينئذ منار الإسكندرية ، وزبرت عليه اسمها واسمه ، وما أراد وما فعلت به ، وتاريخ الوقت الذي كان فيه ذلك . ويذكر في بناء منار الإسكندرية غير ذلك مما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . قبل فلما اتصل خبر حورية بالملوك وما فعلت بالجيش الذي دخل بلادها ، هابوها وعظمت في أعينهم ، فمن كان

ينازعها ويروم أخذ بلادها كف عن ذلك فاشتد ملكها وعظم أمرها ،
وبنت حصونا على بلاد مصر من ناحية النوبة ، وعملت طلائع كثيرة وأعلاما
وأشياء كثيرة يطول وصفها (١) .

قبل فلما ضعفت حورية عن الملك عهدت إلى بنت عم لها تسمى دليفة . فلما
هلكت حورية ضعفت دليفة عن الملك ، وخرج عليها أيموش يطلب ثأر خاله
أبراحش ، واستنصر بملك العماليق صاحب الشام فأجابه ، وخرج في نصرته لما
كانت حورية فعلت بقائده وبجيشه فيما تقدم . وقدم جيش أيموش ، فخرجت
إليه دليفة تحاربه فغلها ، فلما أيقنت بالغلبة سمت نفسها فهلكت في الحين .
ثم إن ملك الشام العمليقي غلب على مملكة مصر ، وكان اسمه الوليد بن دومع ،
وأصل العماليقة من العرب العاربة ، وكان شديد البأس فأباد الأمم ودوخ البلاد
حتى بلغ فيما يقال إلى جبل القمر الذي ينبعث من تحته النيل ، وإنما سمي جبل
القمر لأن القمر يطلع عليه أبدا لخروجه عن خط الاستواء ، وبلغ هيكल الشمس
وأرض الذهب ، وهي أرض تثبت قضبان الذهب ، واستعبد هذا الملك القبط
وملكهم ١٢٠ سنة ثم هلك . ويقال إنه ركب ذات يوم فرسا وخرج متصيда
فركض به الفرس فقتله ، ودفن في بعض تلك الأهرام (٢) . ثم ملك بعده ابنه
الريان بن الوليد ، وهو فرعون يوسف عم ، والقبط تسميه نقرأوش ، وكان عظيم
الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا إلى الناس . لما ولي بعد أبيه أسقط الخراج عن
الناس ٣ سنين ، وفتح خزائن الأموال وفرق على الضعفاء فأحبه الناس وشكروه .
وكان يميل إلى الراحة وغلبت عليه اللذات ، وملك أمر الناس رجلا من أهل
بيته يقال له قطفير ، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز . وقد ذكره الله تعالى
في القرآن العظيم في قصة يوسف عم (٣) ، وكان رجلا عاقلا حصيف الرأي
نزى النفس مؤثرا العدل ، وأمر أن ينصب له في قصره سرير من الفضة يجلس

(١) ابن وصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٢٢٢ . وقارن البكري ، المخطوط ، ٣١ - ٣٢
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٦ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٩ ؛ المقرئ ، المخطوط ،
ج ١ ص ١٤١ . وعن الأساطير المختلفة الخاصة ببناء الاسكندرية أنظر فيما بعد ، ص ٩١
وهامش ٢

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٣٤ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١١ ؛ المسعودي ، مروج
الذهب ، ج ٢ ص ٣٩٧
(٣) القرآن ، سورة ١٢ ، آية ٨٨

عليه والوزراء والكتاب بن يديه ، وقام بجميع أمور الملك الريان وكفاه أحسن الكفاية ، والملك مشغول ببلذاته عاكف عليها ، قد صنعت له مجلس من الزجاج الملون ومن البللور الشفاف والبللور المصبوغ ، وأرسل حوالها المياه ووضع فيها السمك ، فكانت الشمس إذا وقعت على ذلك الموقع أرسلت شعاعا عجيبا يهر العيون به وعملت له متزهات على النيل وعلى غير النيل على عدد أيام السنة ، وكان ينتقل (١) كل يوم إلى متزه منها ، وكان في كل متزه من الفرش الغربية والآنية العجيبة ما ليس في غيره . وفي أيامه كان من أمر يوسف عليه السلام ما قصه الله تعالى في محكم تنزيله ، وخبره مع امرأة العزيز وهي زليخة بنت صاحب عين الشمس ، وعين الشمس مدينة عظيمة من مدن أهل مصر فيها عجائب . وكانت زليخة بنت عم العزيز ، واسم العزيز قطفير بلغة القبط ، واسم الملك نقرأوش بلغة القبط ، وقد ذكر الله تعالى اسم العزيز في كتابه العزيز (١) .

ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف عم

قيل إن في كتب تواريخ القبط أنه أدخل مصر غلام من أهل الشام كان قد باعه أخوته ، وكانت قوافل الشام تعمرس بناحية الموقف (٢) اليوم ، فأوقف غلام فتودى عليه وهو يوسف عم فبلغ زنته ذهباً ، فاشتراه قطفير وهو العزيز لهدية للملك . فلما أتى به منزله ورأته زليخة امرأته ، قالت له أتركه لنا نربيه ففعل ، فكان من أمر افتتانها به ما قصه الله تعالى (٣) إلى أن رأى الملك الرؤيا ، فأخرج يوسف من السجن ، وأمر بغسله وكساه الثياب الرفيعة ، وحمل إليه فلما دخل عليه ورآه امتلأ به سرورا وألقيت عليه منه المحبة والهيبة ، وسأله عن الرؤيا ففسرها له كما ذكر الله تعالى ، فقال له الملك ومن يقوم لي بذلك ، فقال له يوسف أنا ، فإني حفيظ عليم . قيل فرأى الملك امتحان يوسف عم ومعرفته فأمر له بعمل الفيوم ، وكان موضعاً يفيض فيه ماء النيل ، فأقام تلك الأرض وأتى بتلك الحكمة

(١) « كان ينتقل » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ١٢ آية ٨٨ ، الطبري ، ج ١ ص ٣٧٨

(٢) كان « الموقف » سوقا للحيوانات . انظر ابن دقاق ، ص ٣٤ . وقارن ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ٤ ص ٦٨٨

(٣) القرآن ، سورة ١٢

المعجزة والآية البينة في ٤ أشهر، وقيل في ٩٠ يوما، وشق تلك الخللجان الثلاثة فلما فرغ يوسف عم من عمل الفيوم وأعلم بذلك الملك، خرج هو ووزراؤه وأهل دولته ينظرون إلى ما صنع يوسف عم، فلما نظر الملك إلى حكمة صنع ذلك الموضع في مادة يسيرة، قال الملك لوزرائه: هذا عمل ألف يوم، فسمى الفيوم من حينئذ. قيل فسر الملك بيوسف سرورا عظيما وخلع عليه وألبسه تاجا مكللا بفاخر الجواهر، وأمر الجيش أن يركب معه ويطاف به و يرد إلى القصر ويجلس على سرير العزيز. وكان العزيز قد مات فاستخلفه الملك على ملكه، وسماه العزيز وزوجه امرأته زليخة، فدخل بها يوسف عم فوجدها عذراء فقال لها هذا أصلح مما أردت، فقالت له اعذرنى فإن زوجى كان عينا، ولم تكن تراك امرأة في حسنك وجمالك إلا صبا قلبها إليك.

قيل فلما جاءت سنين الخصب أخذ يوسف في توفير الغلات والاستثمار من الأقوات، وبني لاختزان الزرع مخازن عظيمة، ويقال إن بعضها باق إلى الآن فإن الطعام كان يخزن بسنبله كما ذكر الله تعالى. فلما جاءت سنين الجذب ونقص فيض النيل وتوالي نقصانه فأحسن يوسف عم السياسة والتدبير في تلك المجاعة، وقسط بيع الزرع بين الناس فلا يبيع لأحد إلا بقدر حتى ساوى بين الناس؛ ولولا ذلك لهلك الناس. وقيل إنه صار ليوسف جميع أموال أهل مصر بما باع منهم من الطعام، فإنه باع منهم بالذهب والفضة والحلى والثياب والدواب والأبنة والعقار، وبجميع ما بأيديهم من الأموال، حتى أنه يقال إنهم باعوا منه أولادهم ونساءهم وأنفسهم حتى صاروا له كلهم عبيدا، وتلك كرامة من الله أكرمه بها لأجل ما بيع ببلدهم^(١). فمن ذلك الوقت صارت أرض مصر كلها للسلطان ليس للرعية فيها ضيعة ولا فدان. وقد اعترضهم بعض ولاية مصر في أيام بنى عبيد الذين كانوا بها قبل اليوم ملوكا، وأراد أخذ ديارهم واحتج عليهم بهذا القول. قيل وقحط أهل الشام في ذلك الوقت، فكان من أمر يوسف مع أخوته ما قصه الله تعالى في كتابه. فوجه يوسف عم إلى أبيه وحمله من الشام إلى مصر بجميع أهله وولده، فلما قرب يعقوب عم من مصر خرج

(١) أنظر البكرى، المخطوط، ص ٣٧، ٤٠، ٤١؛ الطبرى، ج ١ ص ٢٧٦ وتابع؛ ابن عبد الحكم، ص ١٢، ١٣؛ المسودى، مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٦٩، ٣٧٠؛ الاضطرى، ص ٥٠؛ ابن حوقل، ص ٩٧؛ المقدسى، ص ٢٠٨؛ المقرئى، المخطوط، ج ١ ص ٢٤١ وتابع.

إليه يوسف في وجوه أهل مصر، وتلقاه وأدخله على الملك، وكان يعقوب عم نبيا جليلا فصيحاً فأعظمه الملك وأحبه . قيل فدعاه يعقوب إلى توحيد الله تعالى ونبتذ الأصنام ، وكان يوسف قد قدر عنده ذلك فتمكن من استبصار الملك وآمن . فيقال إنه كتم إيمانه خوفاً من ذهاب ملكه ، ثم لم يزل يعقوب عليه السلام مكرماً معظماً حتى حضرته الوفاة ، وذلك في حياة الملك الريان بن الوليد ، فأوصى يعقوب أن يدفن في مكانه ومكان آبائه بالشام ، فوضع في تابوت وخرج به يوسف ووجوه أهل مصر حتى بلغوه إلى موضعه . قيل فنعهم عيصوم أخو يعقوب أن يدفنوه هناك لأن إسحاق عم آباهما وهب لعيصوم ذلك الموضع حتى اشتراه يوسف منه ودفن فيه يعقوب . ثم انصرف يوسف إلى مصر ، وولد له بعد ذلك أولاد كثير .

ثم هلك الملاء الريان واستخلف ابنه دريموس بن الريان ، وهو فرعون الرابع ويسميه أهل الأثر دارم ، وكان الملك الريان قد أوصى ابنه دريموس أن يبنى يوسف على ما كان عليه (١) من استخلاف وحجابه وأن يسمع من رأيه ، فبنى يوسف على ما كان عليه (١) . وكان الملك دريموس يسمع من رأيه غير أنه خالفه في دينه وما كان اعتقده أبوه ، فكان يخدم القمر لأنه كان طالعه ، فكان يصنع له أصناف الفضة وينصبها في قصر الرخام الذي بناه أبوه في شرق النيل . قيل وقبض يوسف عم بعد سنين من ولاية هذا الملك ، فجزع عليه جزعاً شديداً وكذلك أهل مصر ، وأمر الملك أن يكفن في ثياب الملوك ، وجعل في تابوت من رخام ، ودفن في الجانب الغربي من النيل عاماً فأخصب ذلك الجانب ثم نقل إلى الجانب الشرقي عاماً فأخصب أيضاً ذلك الجانب ، فلما ظهرت لهم بركته رأوا رأيا أن يجعل التابوت في وسط النيل ، فشدوه بالحبال ودلوه في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما جميعاً (١) .

(١) الجمل الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة في ج .

(١) قارن البكري ، المخطوط ، ص ٤١ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٨٧ ؛ الطبري ، ج ١ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٤٤

ويقال إن الملك الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام لم يمت
وانه عاش إلى زمان موسى ؛ وإنه فرعون موسى عم المذكور في القرآن ، وإنه لما
أطال الله في عمره أدركه الإعجاب فتأله ودعا الناس إلى عبادته ، وقيل غير ذلك .
وتنازع الناس في أمر فرعون موسى عم ، فمنهم من رأى أنه من العماليق ، ومنهم من رأى
أنه من لحم من الشام ، ومنهم من رأى أنه من الفرس من مدينة اصطخر ، ومنهم من
رأى أنه من ولد مصر المتقدم المذكور والقبط أثبتت ذلك ، وزعم قوم من الأعاجم
أنه من الأندلس من مدينة قرمونة ، وذكر أن اسمه الوليد بن مصعب . وكان
سبب ملكه أنه دخل مدينة منف (أ) من البادية يحمل خمرا للبيع على أتان له ،
وكان أهل منف (أ) قد اختلفوا في (ب) تولية ملك عليهم فأجمعوا أن يملكوا أول
من يدخل في ذلك اليوم ، فكان أول داخل (ب) ذلك اليوم على باب المدينة
فرعون ، فولوه الملك . ومدينة منف كانت في ذلك الزمان قاعدة مدن مصر ودار
مملكته ، فلما تمكن ملك فرعون ببلاد مصر بذل الأموال وجمع الجيوش وقتل
من خالفه وناوأه ومدن المدن وخندق الخنادق فاستقر له الأمر ، وكان جبارا
معجبا يدعو الناس إلى عبادته ، ويقول لهم أنا ربكم الأعلى كما حكى الله تعالى
عنه في كتابه العزيز (١) . واستعبد بنى اسرائيل فكان من أمره مع موسى ما قصه
الله تعالى . ثم ملك موسى بلاد مصر والشام (ج) لبنى اسرائيل يتوارثونها ملك عن
ملك ، ومنهم كان داود وسليمان عم إلى أن بعث الله تعالى عيسى عم ، وظهر
دين النصرانية ، ملك أرض مصر النصارى وكانوا يتوارثونها ملك عن ملك
إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام ، فدخل المسلمون بلاد مصر وملكوها في أيام
عمر بن الخطاب رضي .

(١) الجمل الواقعة بين (أ) ، (١) ناقصة في ب .
(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ب .
(ج) « الشام » ناقصة في ب

(١) القرآن ، سورة ٢٠ ، آية . وقارن البكرى ، المخطوط ، ص ٤٢ ؛ إ
هد الحكم ، ص ١٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٩٧
عن مدينة منف أنظر فيما بعد ص ٨٣ وهاش ٢

ذكر فتح مصر

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن [عبد] الحكم (١) : لما كان سنة ١٨ من الهجرة [٦٤٠ =] في خلافة عمر بن الخطاب رضى وقدم عمر رضى الجابية ، خلا به عمرو ابن العاص وقد كان دخل مصر في الجاهلية وجرى له بها خبر الكرة (١) ، فكان عمرو بن العاص يعرف أحوال مصر ، فجعل يعظم عند عمر بن الخطاب أمرها ، ويعرفه بكثرة جبايتها ويهون عليه أمرها وفتحها ، حتى ركن لذلك عمر رضى . فعقد له على ٤٠٠٠ وجهزم معه ، وقال له : « سر وأنا مستخير الله تعالى وسياثيك كتابي سريعا بما أرى إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف قبل أن تدخل أرض مصر فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصر به » . فسار عمرو بن العاص في جوف الليل ولم يشعر به أحد ، ثم استخار عمر فكأنه تخوف على المسلمين فكتب إلى عمرو يأمره بالانصراف بمن معه ، فأدركه الكتاب وهو في رفع فتخوف عمرو إن قرأ الكتاب يكون فيه الأمر بالانصراف ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها ف قيل له إنها من أرض مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ثم قال لهم : ألسم تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر؟ فقالوا بلى . فقال لهم إن أمير المؤمنين عهد إلى إن لحقني كتابه وأنا لم أدخل أرض مصر أن أرجع بمن معي ، وإن كتابه لم يلحقني حتى دخلت أرض مصر فسيروا على بركة الله . فساروا حتى توسطوا بلاد مصر فنزلوا بموضع على النيل وهو الفسطاط ، ولم يكن فيه حينئذ مدينة وإنما بنى الفسطاط عمرو . وكان ملك مصر في ذلك الزمان المقوقس وهو الذي أهدى

(١) القراءة في ب : وجرا له الخير الكثير .

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحكم (توفي بالفسطاط سنة ٢٥٧ = ٨٧١) هو أقدم مؤرخ مصر العربية . وكتابه يعتبر أحسن وثيقة أصيلة وصلت إلينا عن افتتاح مصر على أيدي العرب ، ولذلك اقتبس منه معظم الكتاب فيما بعد . أما عن الصفحات التالية فقد أخذ عنه البكري ، وعن هذا الأخير نقل مؤلفنا . أنظر البكري ، المخطوط ، ص ٤٥ وتابع . وقارن ابن عبد الحكم ، ص ٤٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٩٢ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٨٨ وتابع ؛ النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٥ وتابع ؛ السيوطي ، حزر المحاضرة ، ج ١ ص ٦٣ وتابع .

لرسول الله صلعم مارية القبطية ، فلما سمع المقوقس دخول المسلمين بلاده وزولهم في موضع القسطنطين ولم يكن له بهم علم راعه ذلك ، ونظر في توجيه الجيوش إليهم . فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضه يستمده ، فأمدّه بأربعة الآلاف . ويقال إن أسقفا كان بالإسكندرية من أهل العلم بالكوائن ، لما بلغه قدوم عمرو مع المسلمين إلى بلاد مصر كتب إلى القبط يعلمهم أن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقّي عمرو والطاعة له ، فأطاعه كثير من القبط فاستعان بهم على من سواهم . ثم سار عمرو إلى البلد الذي كان فيه الملك المقوقس ، وكان حصنا عظيما مانعا وقد خندقوا حوله وجعلوا للخندق أبوابا وعلقوا شبك الحديد على تلك الأبواب ، فكان عمرو يفرق أصحابه على جوانب الحصن ليرى العدو أنهم أكثر مما هم ، ويغدوا بهم في الأسفار ويصففهم على أبواب الخندق عليهم السلاح والدروع .

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضه بعث الزبير بن العوام في ١٢ ألفا فتقوى المسلمون ، فجعل عمرو يلح بالقتال ووضع المنجنيق ، فلما أبطأ الفتح على المسلمين قال الزبير بن العوام رضه : أنا أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله على المسلمين . فوضع له سلم (أ) إلى جانب الحصن فرقى ثم قال لهم إذا سمعتم تكبيري أجيئوني ، فما شعر أهل الحصن إلا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف بيده منتفخ ، فتحامل المسلمون على السلم حتى نهام عمرو خوفا أن ينكسر بهم ، فهرب أهل الحصن جميعا . وعمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه واقتحم المسلمون فيه ، فلجأ الروم والقبط إلى الفوق وهو قصر منيع في الحصن ، فعاربهم المسلمون نحو شهر ، وكان في ذلك القصر المقوقس مع أكابر الروم والقبط ، فخاف المقوقس على نفسه وعلى من معه فخرج من باب خفي وترك في القصر جماعة يقاتلون ، وسار إلى الجزيرة موضع دار الصناعة اليوم ، وأمر بقطع الجسر (ب) . ثم أرسل (ج) المقوقس إلى عمرو بن العاص : « إنكم قوم قد دخلتم بلادنا وطلال مقامكم بأرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أضلنكم الروم وجهزوا إليكم الجيوش ، وقد أحاط بكم هذا النيل وأنتم أسارى بأيدينا ، فابعثوا إلينا رجلا منكم نسمع كلامه فعسى أن يتأق الأمر بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ،

(أ) ب : سلم . (ب) ب : الجسر . (ج) « أرسل » ناقصة في ب .

وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جيوش الروم فتندموا . فرد عمرو مع رسله أنه ليس بيننا وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن تدخلوا في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لنا مالكم وعلينا ما عليكم ، فإن أنتم أبيتم إعطيتكم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، أو جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . فلما رجعت رسل المقوقس قال لهم كيف رأيتموهم ، قالوا رأينا أقواما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على الركب وأميرهم كواحد منهم ، يغسلون أطرافهم بالماء ، فإذا حضرت صلاتهم لم يتخلف عنها أحد منهم ويتخشعون في صلاتهم تخشعا كثيرا . فقال المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لزلزلوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، وإن لم يغتنا صلح (أ) هؤلاء القوم وهم محصورون بهذا النيل فإنهم لن يجيئوكا إذا تمكنوا من الأرض . وكان ذلك وقت خروج النيل وفيضه ، والمسلمون قد أهدقت بهم المياه من كل جانب لا يقدرّون على النفوذ إلى الصعيد ولا إلى غيره . ثم بعث إليهم عمرو بن العاص ١٠ رجال أحدهم عبادة ابن الصامت ، وكان أسود اللون من العرب ، وأمرهم أن يكون متكلم القوم فإنه كان فصيحاً ، وأمرهم أنه لا يجيبهم إلا إلى إحدى ثلاث خصال وهي المتقدم ذكرها . فركبوا السفن ودخلوا على المقوقس ؛ فتقدم عبادة للكلام فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره ، فقالوا جميعاً إن هذا الأسود سيدنا وأفضلنا رأياً وعلماً . فكلّمه عبادة (ب) ثانياً ، فقال المقوقس لأصحابه : لقد هبت منظره وإن قوله عندي لأهيب ، وإن هذا وأصحابه إنما خرجوا إلى خراب الأرض وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها . وقال نعطي كل من في الجيش دينارين ونعطي أميرهم ١٠٠ دينار ونبعث إلى خليفتهم ١٠٠٠ دينار ؛ فلم يجبه عبادة إلا إلى إحدى ثلاث خصال . فقال المقوقس لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا : أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يمكن ولا نترك دين المسيح إلى دين لا نعرفه ، وأما ما أرادوا [من] أن يجعلونا عبيداً قالموت أيسر من ذلك ، فإن رضوا بأن نضعف لهم ما أعطيناهم وينصرفوا عنا كان أمون علينا .

(أ) « لم يغتنا صلح » فاقصة في ب .

(ب) هنا يوجد خرم في ب يقدر بحوالى صفتين تقريباً .

فانصرف عنهم عبادة بن الصامت وأصحابه ولم ينمقد بينهم صلح على شيء ، فألح عليهم المسلمون بالقتال حتى أذعن المقوقس لإعطاء الجزية عن القبط خاصة .
وأما الروم فيخبرون في المقام على الجزية والخروج إلى أرض الروم ، وتم ذلك (أ) بينهم وبين المسلمين ؛ قيل فأحصى (ب) يومئذ جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط فكانوا ٦٠٠٠ ألف ممن بلغ الحلم ، سوى الشيخ القاني والصغير الناشئ والنساء . وفرض على كل رجل منهم دينارين في السنة فكانت فريضتهم ١٢ ألف دينار ، ورفع ذلك عرفاؤهم بالإيمان المؤكدة ثم زادت بمن استقرها من النصراني وغيرهم من النوبة ٣٠٠٠ دينار . فجعل عمرو يبحث عن الأموال ويضمها إلى بيت مال المسلمين ، فذكر له أنه عند عظيم الصعيد مال كثير ، فبعث إليه فيه فقال له ما عندي مال فسجنه . وسأل عمرو من كان يدخل إليه هل سمعوه يذكر أحدا ، فقالوا له سمعناه يذكر راهب بالطور ، فبعث عمرو فأتوا بخاتم المسجون فكتب كتابا على لسانه إلى ذلك الراهب بالرومية وختم عليه ، وبعث به إلى ذلك الراهب فأتى بقدره نحاس مخطومة بالرصا ص فاذا فيها كتاب فيه : يا بني إذا أردتم مالكم فاحفروا تحت الفسقية . فبعث عمرو الأمناء إلى الفسقية وهي الساقية ، فحفروا تحتها فاستخرجوا ٥٠ أردب دنابر ، والأردب نحو قنطار ونصف .

ثم أمر عمرو المسلمين ببناء دور يسكنونها بالفسطاط وهي مدينة مصر اليوم ، وإنما سميت مدينة مصر بالفسطاط لأن عمرو بن العاص حين دخل مصر ضرب فسطاطه بذلك الموقع ، فلما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع الفسطاط فإذا فيه عمام قد فرخ ، فقال عمرو لقد تحرم هذا منا بحرم ، فأمر الفسطاط فأقر مكانه وأوصى عليه . فقام المسلمون من الإسكندرية بعد فتحها وقال الناس أين نزل فقبل الفسطاط ، لفسطاط عمرو الذي تركه في المنزل مضروبا بالموضع الذي يعرف اليوم بدار الحصى . ثم بدأ عمرو ابن العاص ببناء المسجد وكان موضعه حدائق وأعتاب فقطعت ، ووضعوا أيديهم على البناء فلم يزل عمرو ومن حضر من أصحاب رسول الله صلعم قياما حتى وضعت القبة ، فلما أتمه اتخذ فيه منبرا فكان يخطب عليه . وقال أبو تميم الجهماني : فوصل ذلك عمر بن الخطاب رضى فكتب إلى عمرو ابن العاص : أما بعد فإنه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى فيه على رقاب المسلمين

(١) « وتم ذلك » فاقصة في ب و ج . (ب) القراءة في النص « أحصا » .

أما بحسبك أن تقوم قائما والناس من تحتك ، فعزمت (١) عليك إلا كسرتة . ثم اختط عمرو داره التي هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق ، وكذلك اختط جميع من أراد السكنى بمصر من المسلمين دارا لنفسه . وكان الزبير بن العوام اختط دارا وجعل فيها السلم الذي صعد (ب) عليه إلى الحصن المتقدم الذكر ، فلما ولي عبد الملك بن مروان اغتصبها من الزبير وأصفها لنفسه ، فلما [ولى] أبو جعفر المنصور من بنى العباس ردها على هشام بن عروة بن الزبير (١) .

ذكر المشهور من مدن أرض مصر (٢)

منها مدينة مصر وهي القسطاط (٣) الذي ذكرنا آنفا : وهي حاضرة بلاد مصر فيها من المباني والمصانع والبساتين والغرف المشرقة على النيل والقصور ما يبهج العيون ويضطرب المخزون .

(١) هنا ينتهى الحرم في ب (أنظر هامش (ب) ص ٨٠) .
(ب) " صعد " ناقصة في ب .

(١) لا تتفق روايات الكتاب الآخرين مع هذه الرواية . حسب ابن دقاق (ص ٨ ، ١١) كان الزبير يملك دارين إحداهما في زقاق القناديل والثانية في المكان المعروف بسوق وردان . وهذه الأخيرة التي كانت تقع قرب دار عمرو بن العاص والمسجد هي المقصودة عند ما يتكلم الكتاب عن دار ابن الزبير . ويقول البعض إنها أدخلت في المسجد (ابن دقاق ، ص ٦٥ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٤٩) ويقول آخرون إنها راحت ضحية للحريق (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٩٥ ؛ السيروطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٧٧) .

(٢) يلاحظ أن المؤلف يكتفى بنقل المعلومات القديمة عن مدن مصر دون تصرف ، فهو لا يحاول تجديد معلوماته كما يفعل عند ما يتكلم عن أعمال بنى غانية في إفريقية . والحقيقة أنه وقعت أحداث مدرية على أيامه في مصر كان ينبغى أن يكون لها صدى عظيم في المغرب ، مثلها في ذلك مثل أحداث بنى غانية . فالقاهرة كان يهددها الصليبيون ، والقسطاط أحرقت (سنة ٥٦٤ = ١١٦٩) لوقف تقدمهم ضد العاصمة . ثم كثيرا ما كانت الفرما ودمياط وتيس ضحايا لغاراتهم البرية والبحرية . لم يهتم صاحب الاستبصار بهذا ، وكل ما هم هو انتصارات صلاح الدين في فلسطين فنحصر لذلك صفحات فيما بعد (ص ١٠٤-١٠٦) .

(٣) قارن البكرى ، المخطوط ، ص ٥٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٣ وتابع (عند ما يتكلم عن القسطاط ، يذكر قصة الفتح السابقة) . أنظر ابن دقاق ، ص ٢ وتابع ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٩٦ وتابع ؛ ابن الفقيه ، ص ٥٩ ؛ المقدسى ، ص ١٩٧ ؛ الإدريسي ، ص ١٤١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٢ وتابع .

مدينة القاهرة : محدثة من بناء العبيديين الشيعة الذين كانوا بها ، بينها وبين مصر نحو ٣ أميال . وهي مدينة كبيرة فيها من القصور والمباني ما يعجز الوصف عنه وكانت دار مملكة العبيديين . وكان الحاكم من بني عبيد قد بنى بين القسطنطين والقاهرة مسجدا عظيما على ٣ مشاهد كانت هناك ، وجعل فيه مسدنة وخدما يوقدون فيه السرج الليل كله . وذكر أنه أراد أن ينقل إليه جثة النبي صلعم ، وقد كانت توجهت له الحيلة في ذلك غير أن الله دفع وأظهر الله تعالى أهل المدينة على ذلك وقاية لرسوله صلعم وردا لكيد عدوه . وذلك أن الحاكم بذلك الأموال لرجال من شيعته فمشوا إلى المدينة فاشتروا دارا تلاصق بمسجد رسول الله صلعم ، وبذلوا فيها مالا كثيرا ، وأخذوا ذرع ما بين الدار والقبر ، واحضروا سربا عظيما حتى تكادوا أن يصلوا إلى القبر المكرم ، فأطلع الله أهل المدينة على ذلك ، فقتلوا أولئك البغاة الفسقة ومثلوا بهم وردموا ذلك الحفير بالحجارة وأفرغوا عليها الرصاص فلا يطمع في الوصول إلى مثل ذلك طامع أبدا (١)

مدينة منف : مدينة عظيمة أزلية قديمة . وهي كانت دار مملكة الملوك القدماء (١) ، وكان بها فرعون موسى عليه السلام . وكان اتخذ لها ٧٠ بابا وفصل حيطان المدينة بالحديد والصفير ، وفيها كانت الأنهار تجري من تحت سريره وكانت ٤ أنهار . ذكر رجل من ولد علي بن أبي طالب رضى ، قال : رأيت بمنف دار فرعون ، وكنت أمشي في مشارفها ومجالسها وغرفها (ب) وجميع سقائفها وحجورها فإذا ذلك كله حجر واحد منقور . فإن كان بناء قد أحكم حتى صار في الاستواء كحجر واحد لا يستبان فيه جمع حجرتين ولا ملكتي حيزتين فذلك عجب ، وإن كان جبلا واحدا فنقر الرجال فيه بالمنابر حتى خرقت فيه تلك الحارق فهو أعجب وأعجب (٢) .

(١) ب : القديم ، ج : القديمة .
(ب) القراءة في النص : مشارفه ومجالسه وغرفته .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٥٥ . قارن المقرئى (المخطوط ، ج ٢ ص ٢٧٧ وقابم) الذى يتكلم بالتفصيل عن الجوامع الثلاثة المنسوبة للحاكم وهي جامع باب الفتوح والمسجد المعروف بجامع راشدة ثم جامع المقس ، ولكنه لا يذكر شيئا عن هذه القصة .

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٥٦ . وقارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٩٧ ؛ عبد الطيف ، ص ١١٦ والترجمة ص ١٨٤ ؛ الاصطخرى ، ص ٥٤ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٣ ؛ الحقوقي ، ص ٣٣١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٩ . وأنظر ابن دقاق ، ص ١٣٠ ؛ المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ص ١٣٤

مدينة دلاص : هي مدينة قديمة أزلية عجيبة البناء فيها غرائب ؛
وهي كانت مجتمع صحرة مصر (١) .

مدينة إخميم : وهي مدينة كبيرة أزلية قديمة في الضفة الشرقية من النيل ، وفيها
أسواق وحمامات ومساجد كثيرة . وداخل سورها (١) البرقي المتقدم الذكر ،
لم يتغير منه شيء . وفيها من عجيب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه (٢) .

مدينة أسيوط : وهي مدينة قديمة أزلية مسورة على الجانب الغربي
من النيل ، حيلة القصبة كثيرة الفوائد وهي أكثر بلاد الله قصب السكر وأطيب ؛
وفي وسط سوقها برقي تهدم بعضه (٣) .

مدينة عين الشمس : هذه مدينة قديمة أزلية وهي كانت مدينة فرعون ، وفيها
آثار كثيرة ومباني عجيبة من أساطين الرخام وتماثيل ونقوش ، وفيها بركة عظيمة
وقد نقرت في حجر صلد وحواليها كراسي من رخام ، فكان يجلس فرعون
عليها وتملأ بالخمير وحواليها أنهار العسل وأنواع المشروبات ؛ وبالقرب منها
صورة من رخام يخيل للناظر أنها تتكلم (ب) ، ذكر أنها كانت ماشطة فرعون .
وبالقرب منها صنمان من حجارة كل صنم منها طوله ٦ أذرع ، أحدهما يكي
والآخر يضحك . وهذه المدينة كانت في طاعة والد زليخة زوجة العزيز ،
وكانت تعرف بيئت صاحبها (٤) .

(١) ب : صورها . (ب) « تتكلم » فاقصة في ب .

(١) أنظر البكري ، المخطوط ، ص ٥٧ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣١ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٢ ؛
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٨١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ ويقول
الادريسي (ص ٥١ والترجمة ، ص ٥٩) إنها مدينة صغيرة تلبط عليها البرابر من لواته وشرار
العرب فأفئوا عمارتها .

(٢) عن برقي إخميم أنظر ابن جبير ، ص ٦٠ وتابع ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،
ج ٢ ص ٤٠٤ ؛ الادريسي ، ص ٤٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٦٥ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٢ والهامش ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٣٣ - ب ؛ ابن دقاق ،
ص ٢٥ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٣٩

(٣) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٧٢ ، ج ٣ ص ٢٢٢ ؛ الادريسي ،
ص ٤٨ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٤ ؛ ابن دقاق ، ص ٢٢ ؛ المقرئ ،
الخطط ، ج ١ ص ١٨٩

(٤) قازن عبد اللطيف ، ص ١٠٩ وتابع والترجمة ص ١٨٠ وتابع ؛ الاصطخري ،
ص ٥٤ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٧ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧١ ؛ ياقوت ،

مدينة أنصنا : وهي كانت مدينة السحرة في زمن فرعون وأكثرها خراب . وكان بها أيضا برقي لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة . ويقال إن مارية القبطية التي أهداها المقوقس إلى النبي صلعم كانت من كورة أنصنا ، من قرية يقال لها جفن . ومدينة أنصنا لا يقربها التماسح والناس منه آمنون هناك . وأكثر ما يكون التماسح عدوانا بالشاطي الذي يقابل أنصنا في قرية يقال لها الأشمون ، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها ، فإذا صارت التماسيح في حد أنصنا تحولت على ظهورها حتى تجاوز حدها (١) ، وكذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بنحو ١٠ أميال حتى تخرج عن حد المدينة بمثل ذلك .

مدينة قوص (٢) : هي مدينة كبيرة أزلية قدمة فيها آثار كثيرة للأوائل ، وبينها وبين مدينة أسوان غير أن منحوتة في جبال هنالك فيها قبور الأيووات لا يعلم لها عهد ، تستخرج منها المومياة الطيبة (٣) ، وهم يجدونها في رممهم وبين أجفانهم . ويقال إن في تلك الصحراء التي بين قوص (أ) وأسوان معادن الذهب ، غير أن البجاة وهم جنس من الحبشة تمنع منه ، وبلادهم بين بحر القلزم ونيل مصر ، ويسكن عندهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب هذا

(١) ب : قوم .

== معجم البلدان ، ج ٢ ص ٧٦٢ ؛ ابن دقاق ، ص ٤٢ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٢٨ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٣ ص ٨١

(١) قارن المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٤ ؛ الإدريسي ، ص ٤٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٧ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٩ ، ٢٠٤ (نقل لرواية البكري الناقصة في مخطوط باريز) ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٤٤ . جب ابن رسته (ص ٨١) والمقدسي (ص ٢١١) يكون التماسح أخطر ما يكون قرب قرية سردوس ، حتى ليتمثل بذلك فيقال : « أحذر سردوس ولو كان الماء في قادوس » . أما عن النيل والتماسح الذي شغل اهتمام كل الرحالة والجغرافيين العرب فيقول عنه الشاعر (المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٦ ص ٢٧٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٧٦) :

أظهرت لنيل هجراً ومقلية اذ قيل لي إنما التماسح في النيل
فن رأيت النيل رأي العين من كتب فأرى النيل إلا في البواقي

وكذلك عندما يمدح الشندي اشبيلية يقول إن شرفها غابة لا سباع فيها وإن نهرها نيل خال من التماسيح (أنظر E. G. Gomez, Elogio del Islam español. Madrid-Grenade. 1934) .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٠١ ؛ الإدريسي ، ص ٤٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥١

(٣) عن المومياة أنظر عبد اللطيف ، ص ١٥٠ والترجمة ص ٢٠٠

المعدن (١). ويتصل ببلادهم معدن الزمرد الفائق الذي ليس له مثيل بحدود الأرض ، وهو بموضع يعرف بالحربة في مفازة وجبال محمية بالبجاة ، وإليهم يؤدي الحفارة من يرد لحفر الزمرد . وبين هذا الموضع والنيل أكثر من ٢٠ مرحلة ، وبين هذا المعدن والعمران مسيرة سبعة أيام . ولا يعرف معدن للزمرد غيره إلا ببلاد البلهرى من بلاد الهند ولا يلحق بهذا (١) . والهندي هو الذي يعرف بالملكى لأنه يحمل إلى عدن فيؤتى به مكة فاشتهر (١) بهذا الاسم . والزمرد الذي يقطع من الحربة هو أربعة أنواع : فأعلاها الذي يعرف بالمرور ، وهو كثير المائبة تشبه خضرته السلق إلا أنه يضرب إلى السواد . والنوع الثانى هو البحرى فى لون ورق الآس ، وإنما غلب عليه اسم البحرى لأن ملوك الهند والسند والصين يرغبون فيه ، ويفضلونه على غيره من الزمرد . والنوع الثالث يعرف بالمغربى لأن ملوك المغرب والأفرنج والأندلس والجلالة يتنافسون فيه . والصنف الرابع وهو المسمى بالأصم ، وهو أدناها وأقلها ثمنًا لقلة مائه وخضرته وكثرة ركوده . وأكثر حجارة الزمرد الفائق يبلغ وزن العدسة ١٠ دنانير ، وهذا المعدن قد انهارت غيرانه وتهدمت لبعده العارة عنه وانقطاع الناس . ولا خلاف عند جميع من يقرب من موضع ذلك المعدن أن الحيات والأفاعى وسائر الحيوان المسموم لا يقرب هذا المعدن ولا حومته ، وقيل إن هذه الحيوانات إذا بصرت بالزمرد الفائق سالت عيونها ، وإن الملسوع إذا سقى منه وزن دائق برئ باذن الله تعالى . وكانت ملوك اليونانيين من أرباب الحكمة تفضله على جميع الأحجار ، وأهل الحكمة يقولون إن شعاعه نورى وخضرته تقوى بزيادة القمر وامتلائه ، والله تعالى فى علمه أسرار مخفية (٢).

(١) الحمل الواقعة بين (١) ، (١) ناقصة فى ج .

(١) قارن الاصطخرى ، ص ٥٤ ؛ ابن حوقل ، ص ١٠٧ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٦ ؛ اليمقوبى ، ص ٣٣٤ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٣ ؛ المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ١٩٤

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن المسعودى (مروج الذهب ، ج ٣ ص ٤٣ وتابع ؛ أنظر المقرئى ، الخطط ، ج ١ ص ١٩٤ ، ١٩٧) . وقارن المسعودى ، التنبيه ، ص ٢٢ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٩ ؛ اليمقوبى ، ص ٣٣ ؛ ابن الفقيه ، ص ٥٩

مدينة قنط : هي مدينة متوسطة المقدار أزلية لها سور ، وبينها وبين مدينة
قوص أربعة أميال وفيها برقي وبقرها شعراء كثيفة (١) .

مدينة أسوان : هي آخر مدن (١) مصر لأنها ثغر متصل ببلاد النوبة وهم
كفرة ، ولولا ما بين بلاد مصر وبلادهم من الجبال والأوعار التي تحول بينهم
لأفسد النوبة بلاد مصر . والنيل إنما يهبط من بلاد النوبة على مصور وأوعار
ولا يدخل ذلك الموضع مركب (٢) . ومن أسوان الطريق إلى عيذاب ،
وعيذاب مدينة على ضفة البحر الغربي المعروف ببحر القلزم . ومن عيذاب يعبر
إلى ساحل الحجاز إلى جدة ، ومن عيذاب يسلك إلى بلاد اليمن والهند وغير
ذلك من البلاد (٣) .

ومن مدن مصر تنيس ودمياط : وهما مدينتان قد غلب على أكثر أرضهما
ماء البحر . فمدينة تنيس مدينة كبيرة أزلية فيها آثار كثيرة للأول ، وأهلها
ذو يسار وثروة وأكثرهم حاكم ، وبها تحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها
في الدنيا . ويصنع فيها لصاحب مصر قميص لا يدخل فيه من الغزل سداة (ب)
وخمسة غير أوقيتين وينسج من الذهب ٤٠٠ دينار ، قد أحكمه صانعه حتى لم
يحتاج إلى تفصيل ولا خياطة غير الجيب والبناثق (ج) ، والذي تبلغ القيمة فيه
١٠٠٠ دينار . وقد أحكمه صانعه حتى لم يحتاج إلى تفصيل ولا خياطة غير ما قلنا ،
وكذلك إلى الآن يصنع لكل ملك من ملوك مصر هذا الثوب في كل عام .
ويسمى هذا القميص البدنة ، وليس في جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب

(١) النص : مدينة . (ب) ج : مدارة
(ج) « البناثق » ناقصة في ب ، أما في ج فهي البناثق .

(١) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٥٢ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٢٢ ؛ المسعودي ،
مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٠ ؛ ابن جبير ، ص ٦٤ ؛ الإدريسي ، ص ٤٨ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ج ٢ ص ١٥١ ؛ ابن دقاق ، ص ٣٢

(٢) أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٩ ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٠ ؛ اليعقوبي ،
ص ٣٢٤ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٠

(٣) قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٥١ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٢٥ ؛
ابن جبير ، ص ٦٦ وتابع ؛ ابن دقاق ، ص ٣٥

منه وهو سادج دون ذهب ١٠٠ دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط . ويسكن
 بجزيرة تنيس ودمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله ؛ ونحن في سنة
 ٨٦ [٥] (١) . وأهل تنيس يصيدون السمك وغير ذلك من الطير على أبواب
 دورهم ، فإنهم يمدون شبا كافى سككهم عند أبواب دورهم ، والسمك طير (ب)
 يجزع عند خروجه من البحر فيقع في تلك الشباك . وكانت تنيس أخصب
 بلاد الله وأكثرها ثمارا وفاكهة ، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد
 أبريت بن مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا . فأنفق المؤمن فيها
 من أمواله في وجوه البر حتى باع من أخيه الكافر حصته في تنيس ، فزاد فيها
 الكافر غروسا وأنهارا وبني فيها مصانع ، فاحتاج أخوه إلى ما في يده فبعه وسطا
 عليه بماله وحشمه وحقره لفقره ، فقال له أخوه المؤمن : ما لي أراك غير شاكر
 لله تعالى على ما رزقك ويوشك أن ينزع ذلك (ج) منك ويغير نعمته عنك .
 فأرسل الله تعالى على جناته ومصانعه الماء فأضحت خاوية على عروشها (١) ؛
 فهما اللذان عني الله تعالى في سورة الكهف عز وجل : « واضرب لهم مثلا
 رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا
 فكنتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » إلى آخر الآيات المحكمات (٢) .
 وتركب السفن من تنيس إلى القروما وهي [على] ساحل البحر .

(١) ب : ثمان وثمانون (ب) ب : يطير . (ج) ب : لذلك .

(١) قارن ابن رصيف - شاه ، الترجمة ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ الادريسي ، ص ١٥٦ ؛
 ابن رسته ، ص ٩٠ ؛ ابن حوقل ، ص ١٠١ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٧ ؛ ابن عبد ربه ، العقد ،
 ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ عبد اللطيف ، الترجمة ، ص ١٤٥ والهامش ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،
 ج ٢ ص ١٦٠ ، ١٦٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٨٢ (تنيس) ، ج ٢ ص ٦٠٢
 (دمياط) ؛ المقدسي ، ص ١٩٥ ؛ ابن دقاق ، ص ٧٨ وتابع ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ،
 ص ٤٠ - ب (تنيس) ، ص ٤ - ب (دمياط) ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٧٦ وتابع ؛
 Maspéro (J.) et Wiet (G.), Mémoires de l'Institut du Caire. t 36 p. 60-1.

هنا لا يكتفى المؤلف بنقل رواية المسعودي كما هي (أنظر المقرئ ، المخطوط ، ج ١
 ص ١٧٧) بل نجده يضيف إليها التاريخ الذي يكتب فيه حتى ليظن أن المعلومات التي يوردها إنما هي
 معلوماته الخاصة . وهو لذلك يجهل أن تنيس كانت هدفا لعدد من غارات أهل صقلية سنة ٥٧١
 (١١٧٥) وسنة ٥٧٣ (١١٧٧) ، وكذلك غارات الصليبيين بصقلان سنة ٥٧٥ (١١٨٠) حتى
 أن الملك الكامل أمر في سنة ٦٢٤ = ١٢٢٧ بهدم المدينة التي كان قد تم الجلاء عنها سنة ٥٨٨ = ١١٩٢
 وهي نفس السنة التي كان يصنف فيها كتابه . أنظر المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٧٦

(٢) القرآن ، سورة ١٨ ، آية ٣١ ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٧٦

مدينة الفرما : وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة . ويقال إن الذي بناها هو الفرما الملك ، ويذكر أهل مصر أن [ابن] المدبر لما ولي مصر وجه إلى الفرما لهدم أبواب من ربحها بها في شرق الحصن احتاج إلى أن يعمل منها فرشاً في داره ففنع من ذلك أهل الفرما ، وخرجوا إلى رسله بالسلاح ، وقالوا هذه الأبواب التي ذكرها الله تعالى على لسان يعقوب : « يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة » . ومن عجائب الدنيا نخل الفرما فلأنها تثمر حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد ، فيكون رطب نخل (١) الفرما بكانون الأول حين تلد النخل في كل مكان فلا ينقطع في أشهر ، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرما ، وهو (١) تمر كبير يوجد في وزن القمرة ٢٠ درهما وطولها فتر (١) .

مدينة رشيد : وهي مدينة كبيرة على كتيب رمل عظيم ، إذا هبت الرياح الغربية ، وهي تشتد عندهم ، ملأت عليهم سلكهم ويوتهم رملاً فلا يقدرّون على التصرف في أسواقهم . وهم على ضفة النيل قرب البحر ، ومن أعجب منزهات الدنيا ضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه ، ولا غلة لثمار الأرض كغلة هذه الناحية . قال أبو عبيد البكري أن رجلاً أخبره ، من أهل تلك النواحي ، أنه رأى ضيعة ما (ب) لأحد المصريين تغل في رمانها وموزها خاصة ١٥ ألف مثقال في العام (٢) . قال ، وهناك كانت ضيعة الليث بن سعد (ج) رحمة الله ، قال قتيبة سمعت الليث بن سعد يقول : « يدخل (د) على في كل سنة ٥٠ ألف دينار ما وجبت عليها الزكاة قط ، يعني أنها من الفواكه التي لا (ر) تجب فيها الزكاة (٣) » .

(١) الكلمات الواقعة بين (ا) ، (١) ناقصة في ج . (ب) ب : ما ضيعة .
(ج) ب : سعيد . (د) ب : دخلت . (ر) « لا » ناقصة في ب .

(١) القرآن ، سورة ١٢ ، آية ٦٧ ؛ قارن ابن دقاق ، ص ٥٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢١٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٨٢ - ٨٨٣ ؛ ابن خردادبه ، ص ٨١ (Blachère, Extraits, p. 28 et note) ؛ الهمقوي ، ص ٣٣٠ ، ٣٣٧ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٩ . لا بأس من أن نذكر هنا أن الفرما لقيت نفس مصير تنيس ، ففي سنة ٥٤٥ (١١٥٠) دمرها الصليبيون وأحرقوها .

(٢) هنا يوجد خرم في مخطوط البكري . قارن ابن دقاق ، ص ١١٤

(٣) هو أبو الحارث المصري الليث بن سعد بن عبد الرحمن القهني (٩٤ - ١٧٥ = ٧١٣ - ٧٩٢) أشهر بمعرفة بالحديث . ولا نعرف الظروف التي ضاعت فيها تعاليم ومذاهبه =

ذكر الفيوم : وهو قطر كبير فيه قرى كثيرة ، يقال إن فيه من القرى عدة ما في قطر مصر كله من القرى ، فإن يوسف عم حين صنعه أنزل في كل قرية أهل بيت من قرى مصر ؛ وسير لكل قرية من الماء بقدر ما يروى أرضها من غير زيادة ولا نقصان . ويقال أيضا إن بالفيوم ٣٦٠ قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الري أبدا لحكمة شربها ، فإذا نقص النيل في سنة من السنين وغلا السعر بمصر مارت كل قرية منها مصر يوما . وحجر اللاهون بالفيوم من عجائب الدنيا واللاهون قرية كبيرة من قرى الفيوم . وهذا الحجر شاذروان مبنى بأحكام صنعة ، مدرج على ٦٠ درجة فيها فوارات (أ) في أعلاها وفي وسطها وفي أسفلها . فتسقى (ب) العليا الأرض العليا ، والوسطى الأرض الوسطى ، والسفلى الأرض السفلى بوزن وقدر لا ينقص لأحد من دون حقه ولا يزداد له فوق حقه . وهو من أحكم البنيان وأتقنه ؛ قيل من ذلك الوقت عرفت الهندسة ؛ وذكر كثير من الناس أن يوسف عم عمله بالوحي . ولم تزل الملوك من الأمم تقصد هذا الموضع ويتأملون حسن صنعته ويتعجبون من غرائب حكمته ، ويقال إن الملك المعاصر ليوسف عم لما تأمله قال هذا من ملكوت السماء ، وهو من البناء الذي يبقى على غابر الأزمان ؛ ويقال إنه عمل من ٣ أشياء : من الفضة والنحاس والزجاج ؛ وفي الضفة الغربية منه مسجد يوسف عليه السلام . والفيوم يشرب من ١٢ ذراعا ، وليس بأرض مصر موضع يشرب من ١٢ ذراعا غير الفيوم لحكمة بنيان حجر اللاهون ، وإنما رى أرض مصر من ١٦ ذراعا ، فإذا زاد النيل على ١٢ قطع الماء عن الفيوم . فإذا كان يوم زيادته (ج) سد حجر اللاهون ، وحضر ذلك شهود أهل تلك الجهة والمهندسون وأمروهم بالطبول والبندود (د) فلم يكن لمن يدعى نقصان الماء عذر ، وخرجت الإرسال عند ذلك بالبشائر إلى مصر ، وهو عندهم يوم سرور ونزهة . وأهل الفيوم يزدعون والماء باق على جميع أرض مصر ولم يتم جريه ، فإذا كان حصاد أهل مصر كان

(أ) ب : فوران . (ب) « فتسقى » ناقصة في ب .

(ج) « زيادته » ناقصة في ب .

(د) القراءة في النص : حضر ذلك شهود تلك الجهة وأمروهم بالطبول والبندود والمهندسون في أهل تلك الجهة .

وذلك أن الشافعي أشاد بعلمه بل وفضله على مالك بن أنس . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٦٤ ، الكندي ، القضاة والولاة ، ص ٢٩ ؛ Brockelmann, G. A. L, II, 82 .

ذلك أول السقية الثانية لأهل الفيوم فإنهم يزدرعون في العام مرتين ، ويزدراعون السقية الثانية القمح والشعر والأرز فضلاً عن القطاني . والفيوم أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها فاكهة ، لا يعدم بها التمر والرطب شتاء ولا صيفا ، ولذلك غلتها أكثر جبايات بلاد مصر .

قال عبد الملك بن حبيب إنما سميت الفيوم لأن أخرأجها ألف دينار كل يوم . والفيوم (١) في وسط بلاد مصر فلا يؤتى إلى كورة (١) الفيوم من ناحية من النواحي إلا من صحراء أو مفازة ، ذكر ابن عفر وغيره أن عمرو بن العاص لما فتح بلاد مصر أقام سنة لا يعلم أين موضع الفيوم ولا حيث مكانه حتى بعث عمرو قيس بن الحارث إلى ناحية الصعيد يبحث عن الفيوم ، فسار حتى أتى القيس وبه سميت . فأبطأ على عمرو خبره فقال من يأتنا بخبر قيس ، فقال ربيعة بن حبيب أنا آتيك به ، فركب فرسا له أنثى فجاز بها النيل من الجهة الشرقية وكان معه عمرو بن ربيعة بن حبيب بن الصدف وأصحابهم ، فشوا فلما سلكوا في الهابة لم يروا شيئا وهما بالانصراف ، ثم ساروا قليلا فطلع له سواد الفيوم فطلبوا قيسا فوجدوه في القيسيين فأثوا عمرو بخبر الفيوم (١) .

مدينة الإسكندرية : (٢) ذكر أن اسمها برودة ولها ١٥ كورة ، قالوا كانت الإسكندرية ٣ مدن كبار بعضها بجانب بعض : منها شنة وهي موضع المنار وما إلى ذلك ، والإسكندرية اسم قصبة السلطان وموضعها وهي باقية إلى اليوم ، والمدينة

(١) الكلمات الواقعة بين (١) و (١) ناقصة في ب .

(١) أنظر فيما سبق ، ص ٧٤ - ٧٥ . قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٩٢٢ وتابع ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٣ ، ١٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٨٤ (ينسب أصل أهل هذه الجهات إلى فتاة رومية وأما) ، ج ١ ص ٢٠٩ ، ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ المقدسي ، ص ٢٠٣ ؛ ابن عبد ربه ، المقد ، ج ٣ ص ٣٦٢ ؛ الإدريسي ، ص ١٤٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ وهامش ١ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٤٥ وتابع . وعن قيس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢١٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٧٣ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٢٠٤ . ويخج Quatromèro على نسبة قير إلى رجل عربي ، ويقول إن القرية كانت موجودة وتحمل نفس هذا الاسم قبل الفتح العربي . Mém. géog. *de l'Egypte*, t. I p. 141 et suiv.

(٢) الفصول الخاصة بالإسكندرية نقلها البكري عن المسعودي ؛ والجزء الأول منها ناقص في مخطوط البكري . أنظر المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٢١ وتابع ، ٤٢٩ وتابع . ويجمع ياقوت في معجمه (ج ١ ص ٢٥٦) أهم ما قيل عن الإسكندرية ولا تنتقصه في ذلك =

الثالثة نقيطة . وكان على كل واحدة منها سور ، وقيل إنه كان على الإسكندرية ٣ مدن كبار و ٧ أسوار ب ٧ خنادق . وكان أصل بنائها أن الإسكندر استقام له ملكه (١) في بلاده ، وكانت بلاده رومة وما إلى ذلك من بلاد الروم ، وكان فيما يقال روميا ، فيقال إنه خرج يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء يبني بها مدينة يسكنها ، فأتى موضع الإسكندرية فأصاب به أثر بنيان وعمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند (ب) ، وهو القلم الأول من أقلام حبر وملوك عاد : « أنا شداد بن عاد ، سددت بساعدي الوادي وقطعت عظيم العماد من شوامخ الجبال والأوطاد ، وبنيت إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . أردت أن أبني هنا مدينة كارم وأنقل إليها كل ذي قدم من القبائل والأمم ، فأصابني ما أعجلني وعمما ذهبت إليه قطعتني ، فارتحلت عن هذه الدار ، لا لقهر ملك جبار ولا بخوف جيش جرار ، ولكن تمام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز الجبار . فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى فلا يفتّر بالدنيا بعدى » . قيل فلما رأى الإسكندر طيب أرض ذلك المكان وصحة هوائه وما به عزم على بنيان مدينة بذلك الموضع ، فبعث إلى البلاد فحشد الصناع واختط الأساس ، واستجلب العمد والرخام وأنواع المرمر الملون والأحجار في البحر من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية وأقريطش .

فلما اختط أساس المدينة كلها وحفره أراد أن يكون إنزال البناء في وقت سعادة وبقاء على الدهور ، فوضع على حفير الأساس عمود رخام وعلى كل

(١) « له ملكه » ناقصة في ب . (ب) ب : الهند .

== روح النقد . فهو يعرف أن الذي بناها هو الإسكندر بن فيليب ، ولكنه لا يستطيع إنكار المصادر الأخرى مثل ابن عبد الحكم وابن الفقيه والمسعودي وغيرهم ، فهو يورد رواياتهم . وهو لذلك يقدم عددا من الأساطير والخرافات الشعبية ، وينكر بعضها قائلا إن الجهال هم الذين يعتقدون فيها .

قارن عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٣ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢٢ وتابع ؛ ابن خردادبه ، ص ١٥٩ (حسب روايته طالت مدة بناء المدينة إلى ٣٠٠ سنة . ابن رسته ، ص ٨٠) ؛ ابن الفقيه ، ص ٦٩ - ٧٠ ؛ المقدسي ، ص ١٩٦ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٣٩ ؛ الإدريسي ، ص ١٣٨ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٥٥ ؛ ابن دقاق ، ص ١١٦ وتابع ؛ ابن جبير ، ص ٤٠ وتابع ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٤٩ - ١ وتابع ؛ كتاب الجغرافيا ، المخطوط ، ص ٣٨ - ١ وتابع ؛ المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٤٢ وتابع .

قطعة من الأرض خشبة قائمة ، ووصل بها حبالا منوطة بعضها ببعض يرجع جميعها إلى عمود الرخام ، وعلى العمود جرسا عظيما وعلى كل قطعة من تلك الحبال جرسا صغيرا ، فإذا حركوا حبل الجرس الكبير على العمود وخفقت تحركت سائر الحبال وخفقت الأجراس . وأقام الإسكندر يرقب الوقت المحمود ، وأمر الصناع إذا سمعوا تحريك الأجراس أن يضعوا الأساس دفعة واحدة وقد كانوا استعدوا لذلك . فبينما الإسكندر يرقب الوقت أصابته سنة ، فوقع غراب على حبل الجرس الكبير فحركه فتحركت جميع الأجراس ، فوضع البناؤون في تلك الساعة الأساس (١) . وارتفع الضجيج بالتحميد والتسبيح فاستيقظ الإسكندر لضجيجهم ، فسأل عن الخبر فأعلن ، فعجب من ذلك ، وقال : « أردت أمرا فأراد الله غيره ويأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها وأراد الله سرعة بنائها » (٢) . ثم تمادى على عملها وبني المدينة على أزاج وطبقات قد عمل لها مخاريق ومتنفسات للضوء ، يسير الفارس ويأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها وأراد الله سرعة بنائها » (٢) . يدور جميع الإسكندرية . وكذلك كانت أسواقها مقنطرة فلا يصيب أهلها المطر . وبني أسوارها من أنواع الرخام الأبيض والملون ، وكذلك جميع قصورها ودورها ، فكانت تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام ، وربما علت على أسوارها شقائق الحرير الأخضر لا يختطف أبصار الناس (٣) . وبني عليها ٧ أسوار وأمام كل سور خندق ، وبين كل خندق وسور فصيل .

ويقال إنها كانت أعظم مدينة بنيت في معمر الأرض وأغربها بنيانا ، فقليل إنه كان سكان البحر يؤذون الناس ويختطفونهم بالليل ، فاتخذ الإسكندر الطلسمات مصورة على أعمدة رخام على هيئة شجرة السرو ، طول العمود منها ٨٠ ذراعا ، وهي باقية إلى هذه الغاية . يقال إنها على أعمدة نحاس قد خرقت الأرض فصورت

(١) هنا تجدر الإشارة إلى أن ابن تيمزي بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٤١٥) ينسب هذه الأسطورة إلى بناء القاهرة .

(٢) القراءة في المسمى (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٢٤) : « .. أردت طول بقائها وأراد الله سرعة بنائها وخرابها .. » .

(٣) حسب رواية أخرى ظل أهل المدينة يضعون الخرق السود على عيونهم طوال ٧٠ عاما خوفا على أبصارهم من شدة بياض الرخام . ابن عبد الحكم ، ص ٢٦ ؛ ابن خردادبه ، ص ١٥٩ ؛ ابن رسته ، ص ٨٠ .

فيها أشكال وصور تمنع وتدفع (أ). وبنى المنار على طرف اللسان الداخلى
 فى البحر من البر ، وجعله على كرسى من زجاج على هيئة السرطان فى جوف
 البحر (١) ، وجعل طوله فى الهواء ألف ذراع (٢) ، وجعل فى أعلاه المرآة .
 وكانت المرآة قد ركبت من أخلاط غريبة فيبصر فيها ما يأتى من مراكب العدو
 على مسيرة أيام فيتأهب لهم ، فإن قربت المراكب من البلد عملت أخلاط
 بأدهان يعرفونها وطلبت بها المرآة وعكس شعاعها على تلك المراكب فأحرقتها .
 وجعل فى المنار تماثيل من نحاس وطلاسم كثيرة تمنع وتدفع ولها خواص ، ففى
 تمثال قد أشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس حيث كانت من مشرق أو مغرب
 أو أفق فيدور معها ، وتمثال يشير بيده نحو العدو إذا كان منه على مقدار ليلة ، فإن
 دنا وأمكن أن يرى بالبصر يسمع لذلك التمثال صوت هائل على ميلين أو ثلاثة .
 وتمثال آخر كلما مضى من الليل أو من النهار ساعة سمع له صوت طرب
 بخلاف الصوت الذى كان منه قبل ذلك . وقد اختلف الناس والرواة فى أمر
 بناء هذا المنار فمنهم من رأى أنه من بناء الإسكندر ، ومنهم من رأى أن دلوكة (ب)
 الملكة بنتها ، ومنهم من رأى أن جيرون الملك المتقدم الذكر بناها . وقيل إن الذى
 بنى الأهرام بناها ، وقيل إن الذى بنى رومة المدينة العظمى بنى الإسكندرية
 وبنى منارتها . وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لسكنائه بها وغلخته
 بممالك الأرض منها . وقيل إن الإسكندر كان لا يخاف أن يطرده العدو فى البحر
 ولا يهاب ملكا يرد عليه فيجعل لذلك مرقبا وحراسا . قال عبد الله بن عمرو

(أ) ب : تدوم . (ب) « دلوكة » نالصة فى ب .

(١) يقول المسعودى (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٣٩ ، التنبيه ، ص ٤٧) إن بطليموس
 بنى المنار بعد موت الإسكندر بن فيليب . ويروى ابن رسته (ص ٨٠ ، ١١٨) وابن الفقيه
 (ص ٧٠) وابن خردادبه (ص ١٥٩) والمسعودى (فى مناسبة أخرى ، مروج الذهب ، ج ٢
 ص ٤٣١) أن المنار من عمل الإسكندر ، وأنه حسب قول البعض من عمل دلوكة بالية الأهرام .

(٢) لا يتفق الكتاب فيما يختص بمقاييس المنار . ورغم الإعجاب البالغ الذى يثيره فإن
 ياقوت يؤكد بحجة أهل حينها رآه بعد ما سمعه عنه (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٣) .

وعن ارتفاع المنار أنظر عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٣ (٢٥٠ ذراعا) ،
 ابن جبير ، ص ٤١ (أكثر من ١٥٠ قامة) ، المقبول ، ص ٣٣٨ (١٧٥ ذراعا) ،
 ابن رسته ، ص ١١٨ (٣٠٠ ذراع بذراع الملك أى ٤٥٠ ذراع بمقياس اليد) ، الإدريسي ،
 ص ١٣٩ (١٠٠ قامة) . قارن

Alejo Palacios, Una descripción nueva del Faro de
 Alejandria, Al-Andalus, 1933, fasc. 2, p. 245, 599.

ابن العاص إن أول من ملك الإسكندرية فرعون واتخذ فيها مصانع ومجالس ، وهو أول من عمرها ثم تداولها الملوك بعده ، وإن سليمان بن داود عم اتخذها مسكنا وبني فيها قصورا ومصانع عجيبة من بناء الجحش ، وبني في المنار مسجدا متقنا وهو باق إلى الآن . والأصح أن الإسكندر بناها من أولها واختط أسامها وبني المنار فيها وعمل المرأة في أعلاها ، فيقال إنه ما ظهر العدو في البحر ولا ضرب بأسيافه الإسكندرية إلا بعد زوال تلك المرأة ، وكان زوالها في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان . وذلك أن ملك الروم أعمل الحيلة في زوال المرأة من المنار ، فبعث خادما من خواص خدمه ذا دهاء ورأى ومعرفة بما يتناول من أشغاله ، فجاء مستأمنا إلى بعض الثغور . فحمل إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان فأعلمه أنه كان من خواص ملك الروم وأنه أراد قتله لموجدة لم يكن لها حقيقة ، وأنه هرب منها ورغب في الإسلام فأسلم بين يدي الوليد ، وأظهر له النصيح في أشياء خدمه فيها . ثم إنه استخرج له دقائق في بلاد دمشق وغيرها من بلاد الشام بكتب كانت عنده ، فلما رأى ذلك الوليد شرفت (١) نفسه وتمكن طمعه وباحته عما عنده من هذا الفن ، فقال له إن الإسكندر استولى على ممالك العالم ، واحتوى على الأموال والذخائر التي كانت لشداد بن هاد وغيره من ملوك العرب والعجم والفرس وغيرهم من الأمم ، فبني لها الآزاج والأسراب والأخباء ، وأودعها تلك الذخائر والأموال والجواهر ثم بنى فوقها تلك المنارة التي بالإسكندرية . فلو هدم ذلك المنار استخرج من تحته (ب) من الأموال والذخائر والكنوز وما لا عين رأت ، فصدق ذلك الوليد وطمع فيه ، وبعث معه (ب) من خواصه وثقاته من يقف على هدم المنار ، وأمر صاحب الإسكندرية أن يعينه على جميع ما يريد ، فهدم ذلك الرومي قلبر نصف المنار (١) وأزال المرأة التي كانت غرضه وأراد هدم الكل ، فضج أهل

(١) ب : شرحت .

(ب) الحمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ج

(١) حسب المسعودي (التنبية ، ص ٤٨ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٥٧) انهدم جزء من المنار بمقدار بحوالى ٣٠ ذراعا في شهر رمضان سنة ٣٤٤ = أكتوبر ٩٥٥ بفعل الزلزال .

الإسكندرية ، وعلموا أنها مكيدة وحيلة . فلما استفاض ذلك خشي الرومي على نفسه ، وهرب في الليل (١) في مركب كان قد أعدّه لذلك الوقت ، وبقيت المنارة على ذلك المقدار إلى هذا الوقت .

صفة المنارة اليوم : هي اليوم ٣ أحزم ؛ أما الحزام الأول فهو مربع البناء ، قد عمل أحسن عمل بحجارة مربعة قد خنى التصاقها حتى صارت كالحجر الواحد لم يغيره الزمان ، ارتفاعه ٣٢٠ ذراعا . ثم ترك في أعلاه قدر غلظ الحائط وهو ٨ أصابع ونحو ١٠ أذرع سوى ذلك الغلظ (١) ؛ ورفع على ما بقي من البناء بناء مشمن الشكل طوله ٨٠ ذراعا (٢) . ثم ترك قدر غلظ حائطه وهو أقل من غلظ الأسفل وهو نحو ٨ أذرع سوى ذلك [الغلظ] ؛ ثم أقيم عليه بناء مربع الشكل ارتفاعه ٥٠ ذراعا (٣) ونحوها . وفي أعلاه ذلك مسجد محكم البناء ويقال إنه مسجد سليمان (٤) . وفي الناحية الشمالية من البناء كتابة من النحاس لم يقدر أحد على فكها ولا معرفة ما هي . وباب المنارة حديد لا يعلم له عهد ، ويرقى إلى الباب من أسفل المنارة في علوة لا تتبين ، وكذلك إلى أعلاه (ب) الحزام الأول في طريق يمشى فيه فارسان متناكبان في أرض سهلة لا يكاد الراقى يعلم فيه

(١) ب : النيل . (ب) « إلى » ناقصة في ب ، ج .

(١) قارن المسمودي ، التنبيه ، ص ٤٧ (الطبقة الأولى ارتفاعها ١١٠ ذراعا) ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٤ (الطبقة الأولى مربعة وارتفاعها ١٢١ ذراعا) . حسب العبدري (المخطوط ، ص ٥٠ - ١) غلظ الحائط ١٠ أشبار .

(٢) قارن المسمودي ، التنبيه ، ص ٤٥ (ارتفاع الطبقة الثانية ٦٠ ذراعا) ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٤ والترجمة ص ١٨٧ (الطبقة الثانية مشمنة وارتفاعها ٨١ ذراعا ونصف ذراع) .

(٣) على عكس ما يقوله صاحب الاستبصار يذكر عبد اللطيف (ص ١١٤) والترجمة (ص ١٨٤) أن الطبقة الثالثة دائرية (وارتفاعها ٣١ ذراعا) . قارن المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٥٧ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٤ .

(٤) يروي ابن عبد الحكم (ص ٣٥) أن سليمان بنى هذا المسجد عند ما اتخذ الإسكندرية عاصمة للملكه ؛ وبعده هدم الإسكندر المدينة عدا المنار الذي ظل سليما ثم أعاد بناءها . وفي رواية أخرى (ص ٣٦) يقول إن المنار ، حسب ما يقال ، كان من عمل كليوباتره . قارن ابن جبير ، ص ٤١ ؛ عبد اللطيف ، ص ١١٦ والترجمة ص ١٨٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٤ (الذي ينسب بناء المسجد إلى ابن طولون) .

هل هو راق أو ماش؛ في كل عطف من هذا المصعد باب دار داخلها بيوت
مربعة ، سعة كل بيت منها ٢٠ ذراعا إلى ١٠ أذرع ، قد فتح له مضار ومنافس
للهواء لئلا تهدمها الرياح . وعدد ما في المنار من البيوت ٣٦٤ بيتا (١) ، وعطف
مطالعها من أسفلها إلى أعلاها ٧٢ عطفًا وفي كل عطف ١٢ درجة . وبيوتها
كلها آراج معقودة ، وبناء المنار كله معقود بخشب الساج ، وعدة أبوابها الظاهرة
خارجا ٢٢ بابا ، فتحت لتخرقه الرياح ولولا ذلك لهدمته . وهذا المنار من دخله
ولم يعرف مسالكه تاه فيه وضل لأن فيه طرقا تولى إلى أسفلهِ وإلى سرطان
الزجاج المتقدم الذكر وإلى البحر . ويقال (٢) إن جيش صاحب المغرب حين
وصل الإسكندرية وذلك في خلافة المقتدر (٣) ، دخل جماعة منهم المنار على خيولهم
ليروا ما فيه من الفرائب ، فتأهوا ونهروا هم ودوابهم وفقد منهم عدد
كثير . وقد كان البحر أثر في أسفل المنارة من غربها كالكهف العظيم فسد
بعض أمراء مصر - أظنه من العبيدين (٤) - ذلك الثلم بأساطين الرخام بعضها
فوق بعض . فالبحر يضرب اليوم في تلك الأساطين فلا يؤثر فيها شيئا .
وفي جهة الشمال من المنار بناء عظيم عريض ارتفع من قعر البحر حتى ظهر
على وجه الماء ، يدل على أنه كانت عليه مصانع قد ذهبت ، ويسمى ذلك
البنيان الفاروس ؛ تحته ترسو السفن لأنه يكف عنها الرياح والموج . وقد زعم قوم
أن ذلك الظاهر ليس بيتا وإنما هو ما هدم من حجارة المنار الذي ذكرنا .

قال بعض العارفين إذا أردت أن تبصر ارتفاع المنار وعلوه من الجو
فاخرج من الإسكندرية من باب أشتوم (ب) ، وتسير على ضفة البحر نحو نصف
ميل ثم تسير نحو الشمال مقدار ذلك ثم تسير على بناء في البحر كالقناطر (ج) ولها
منافس والبحر يضرب من ناحيتها نحو ٤٠٠ خطوه ، فإذا خرجت من ذلك البناء سرت

(١) و« يقال » ناقصة في ب (ب) ب : استور .

(ج) القراءة في النص : كالقناطير .

(١) رغم الروايات المختلفة مثل التي يوردها الاصطخرى (ص ٥١) والمقدسي (ص ٢١١)
يقرن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٣) أنها مبنية على خرافات ومبالغات لا أساس لها .

(٢) أنظر فيما سبق هامش ٣ ص ١٤

(٣) ينسب المسعودي (التبليغ ، ص ٤٨) هذه الترميمات إلى أحمد بن طولون . قارن

المقريزي ، الخطط ، ج ١ ص ١٥٧

في فضاء داخل في البحر كأنه جزيرة والمنارة في أعلا هضبة منها . وقد أحاط البحر بالمنارة من ٣ جهات : من ناحية الشمال والغرب والجنوب ؛ فتتظر حينئذ إلى المنارة فتراها كأنها بحابة قد ارتفعت في الجو ، فتظن أنها ترتعد من انعكاس شعاع الشمس وضرباته في المنارة (١) .

ولهذه المنارة بالإسكندرية مجتمع في العام يسمونه خميس العدس (١) ، وهو أول خميس في شهر ما به لا يختلف في مدينة الإسكندرية عن الخروج إلى المنار في ذلك اليوم أحد . وقد أعدوا لذلك اليوم الأطعمة والأشربة ، ولا بد في ذلك الطعام من العدس . فيفتح بابها للناس ويدخلون فيها ، فمن ذاكر لله تعالى ومن مصل ومن لاه ومتفرج ، فيقيمون إلى نصف النهار ثم ينصرفون (٢) . ومن ذلك اليوم بعينه يحترس البحر . وفي المنارة قوم مرتبون يوقدون النار الليل كله في الحزام الأول ، فيوم أهل السفن سميت تلك النار (ب) من جميع البلاد ، ويوقد صاحب السفينة النار في سفينته فإذا رأى المحترسون النار في البحر ، زادوا في وقود النار وأوقدوها من جهة المدينة ، فإذا رأى ذلك محترسو المدينة ضربوا البوقات والأجراس حذرا من العدو .

وكان حول المنار مغائص يستخرج منها أنواع من الأحجار يتخذ منها فصوص الخواتم ، مثل الاسباد شيخ ومثل الكركهن والباقلمون وغير ذلك من الأحجار الغريبة التي لا توجد في هذا الزمان ولها خواص . وهذا الباقلمون حجر يتلون ألوانا مختلفة عند النظر إليه كلون ريش الطواويس الهندية ؛ فإن ألوان ريشها أحسن ألوانا من هذه الطواويس التي بهذه البلاد . ولطواويس الهند جمال عظيم وخلق عجيب ، تمازج ألوان ريشها وتترادف فيها فري لها منظر عجيب ، وأصلها من الهند وما خرج منها من ديار الهند صفر حجمة وكدر لونه كما (ج) يفعل مانقل من التارنج والأترج من بلاد الهند ، فإنها تصفر وتعدم تلك الروائح العطرية لعدم ذلك الهواء والتربة . قيل وكان حول المنار من تلك الجواهر كثير ، فيقال إن الإسكندر أغرق ذلك حول المنار فيوجد هناك إذا طلب ، ويكون ذلك الموضع أبقى لها ويرى الناس على مر الدهور عظيم ملكه

(١) النص : المرس . (ب) ب : الناس .

(ج) « كا » ناقصة في ب .

(١) قارن ابن رسته ، ص ١١٨ ، انقدسي ، ص ٢١١

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٦٠ ، انظر المقرئزي ، المخطوط ، ص ٢٦٦ ، ٤٩٥

وما قدر عليه لوجود ما عز عند غيره (١) مطلبه . وقيل أيضا إنها كانت آلات شراب الإسكندر ، فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع غير أن ينتفع بها أحد (١) . والقصر الأعظم الذي كان بالإسكندرية ، لم يكن له على معمور الأرض نظير ، هو اليوم خراب . وهو على ربوة عظيمة بإزاء باب المدينة طوله ٥٠٠ ذراع وعرضه على النصف من ذلك ولم يبق منه إلا بعض سواريه ، وبابه من أحكم بناء وأتقنه على عضادة من حجر واحد ، وعتبته حجر واحد ، فيه نحو ١٠٠ أسطوانة قائمة غلط كل واحدة نحو عشرة إشباز (ب) . وفي نحو الشمال منه أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها ، غلطها (ب) ٣٦ شبرا وهي من العلو بحيث لا يدرك أعلاها قاذف بحجر ، وعليها رأس محكم الصناعة يدل على أن بناء كان عليها ، وتحتها قاعدة من حجر أحمر مربع الشكل محكم عرض كل ضلع من أضلاعه ٢٠ شبرا في ارتفاع ٨ أشبار . والأسطوانة منزلة في عامود من حديد قد خرقت به الأرض ، فإذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما جعلت تحتها الحجارة فتطحنها لشدة حركتها (٢) . وهذه الأسطوانة (ج) من إحدى أعاجيب الدنيا ، ويقال إن الجن صنعها لسليمان بن داود عم . وكانت وسط قبة وحولها أساطين ، وأعلا الكل قبة تشبه الصفحة من حجر واحد رخام أبيض بأحسن صنعة (د) وأغرب إتقان . فلما مات سليمان بن داود عم (ر) ، رفعت الجن تلك القبة ورمت بها في البحر ، فلما كانت من غرائب ما عملت الجن لسيدنا سليمان بن داود عم (ر) . قال حزة بن محمد المصري إن بعض ملوك مصر دخل الإسكندرية ورأى قصرها فنظر إلى قصر عجيب الشأن غريب البنيان من بناء الأولين ، فدعا الصناع وسألم أن يبنوا له مثله فقالوا له لا نقدر على ذلك ، فعزم عليهم فقام إليه شيخ وقال : أنا أبني لك مثله وأحسن منه إن فعلت لي ما أريد ، قال بلى ، قال : إيتوني بثورين مطبقين وعجلة فأمر له بذلك فدخل

(١) « غيره » ناقصة في ب .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ب .

(ج) ب : السطوفه . (د) ج : صفة .

(ر) الجمل الواقعة بين (ر) ، (ر) ناقصة في ب .

(١) المسودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٣٧ وتابع .

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٦١ (والمقتطف الذي نقله De Sacy : عبد اللطيف

هامش ٥٣ ص ٢٢٢ وتابع ٢)

مقابر الأولين واحتفر قبرا منها واستخرج جمجمة عظيمة ، فوضعها في العجلة
فما جرها الثوران إلا بعد مشقة وجهه ، فجاءه فقال أصلح الله الأمير إن أعطيتني
من تكون رؤوسهم مثل هذا الرأس بنيت لك مثل هذا القصر ، فعلم أنه لا يقدر
على ذلك ^(١). وقال حمزة بن محمد أيضا : رأيت بالإسكندرية قصابا عنده
ضرس يزن به اللحم زنته ٨ أرطال ^(٢). وكان بالإسكندرية دار ملعب قد تهدم
أكثرها ، وكانت قد بنيت بضروب من الحكمة ، وكانوا يجلسون فيها لقضاء
حوادثهم ، فكان كل جالس فيها إنما جلوسه تلقاء وجه صاحبه ولا يتخفى على أحد
منهم شيء من حال غيره ، يتساوى قريبتهم وبعيدهم في ذلك . وكان لهم يوم مهرجان
يجتمعون فيه في هذا الملعب ، ويحضره رؤساؤهم وأبناء ملوكهم وعامتهم ، ويلعب
فيه الصبيان (١) والفتيان بالصوايح وبينهم كرة (ب) . فإن دخلت تلك الكرة كم
رجل ممن حضر في ذلك اليوم فلا بد له من ولاية مصر ؛ كان هذا عيدهم معروف
لا ينكره أحد . وكان عمرو بن العاص رحمه الله قد سافر إلى الإسكندرية
في الجاهلية تاجرا بالقطن والأدم ، فحضر ذلك الملعب في ذلك اليوم ، فلعبوا فيه
بالكرة فدخلت كم عمرو بن العاص حتى أتى (ج) الله بالإسلام فكان ما قدر
الله تعالى من دخول عمرو مصر وولايتها ٣ مرات ^(٣).

والإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها ، وارتفاع مبانيها
وإتقانها وسعة شوارعها وطرقاتها . وهي بركة بحرية ، وفيها من النعم والأرزاق
والقواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها وترتبتها . وقد ذهب بعض المفسرين

(١) « الصبيان » ناقصة في ب . (ب) ج : كورة .

(ج) « أتى » ناقصة في ب .

(١) البكري ، المخطوط ، ص ٦٢ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٦٠ . يحتاج
عبد اللطيف (ص ١٣٠ والترجمة ص ١٩٠) ضد هذا الاعتقاد ويقول : « وإذا رأى البيب
هذه الآثار عذر العوام في اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة ، أو أنه
كان لهم عصا إذ ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم » .

(٢) أنظر المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٦٠ . وقارن ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ١ ص ٢٦١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٤

(٣) أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٧ ؛ ابن دقاق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛
المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ٣١ ، ١٥٨ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٥٥

إلى أن إرم ذات العماد هي الإسكندرية^(١). وقال الناظرون في الأعمار في جميع الأقاليم والأمصار : لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان كطولها بمريوط ووادي فرغانة ، ومريوط قرية من قرى الإسكندرية بالقرب منها ؛ وهي كبيرة ولها بساتين كثيرة (١) ومنها تجلب الفواكه إلى الإسكندرية . ويروى أن عوف بن مالك حين دخل مدينة الإسكندرية قال لأهلها^(٢) : « ما أحسن مدينتكم » ، فقالوا له إن الإسكندر حين بناها قال : « أبني مدينة إلى الله فقيرة وعن (ب) الناس غنية » فبقيت بهجتها على مر الدهور . وكان الفرما أخو الإسكندر بنى مدينة الفرما وقال : « إني أبني مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة » ، فذهبت بهجتها ولا يزال يهدم منها كل يوم شيء لا يجبر أبدا^(٣) ويقال إن عمر بن عبد العزيز لما دخل الإسكندرية ، وكان إذ ذاك والي مصر ، ورأى عظمها وسعة آثارها وعلم أنها كانت مدينة كبيرة قال لعاملها وكان من أهلها : « أخبرني كم كان عدد سكان الإسكندرية في أيام الروم » ، فقال له : « والله لا أدرك علم ذلك أحد إلا الله وحده ، ولكني أخبرك كم كان عدد رؤسائهم ورؤسائها وملوكها فإن ملك الروم أمر بإحصائهم ، وكتب ذلك في تواريتهم وكتبهم ، فوجدتهم ٦٠٠ ألف ملك^(٤) . والدليل على عظم شأنها وكثرة ملوكها أن المطر إذا نزل فيها نزولا شديدا وسال ترابها مع الماء ، خرج من فيها من الرجال والنساء والصبيان والضعفاء يلتمسون حوالها ، فيجدون قطع الذهب والفضة من الحلوى وغيره والياقوت والزمرد وأنواع الجواهر ، وليس يرجع أحدا منهم بغير شيء » .

(١) « ولها بساتين كثيرة » ناقصة في ب . (ب) النص : وإلى .

(١) تقول الروايات إن إرم ذات العماد ، عاصمة قبيلة عاد المذكورة في القرآن (سورة ٨٩ ، آية ٦) ، هي الإسكندرية لوجود الأعمدة بها وخاصة عمود السوارى المشهور . ومن هذه الأسطورة خرجت الخرافة التي تقول إن باني الإسكندرية هو شداد بن عاد الذي ينسب إليه زيادة على ذلك بناء الأهرام . أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢) البكري ، المخطوط ، ص ٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٨٣ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٦٥

(٣) البكري ، المخطوط ، ص ٦٤ ؛ المقرئ ، الخطط ، ج ١ ص ١٦٢ ؛ ابن خردادبه (ص ١٥٩) يقول أنه كان بها من اليهود ٦٠٠ ألف سوى أهلها

(٤) البكري ، المخطوط ، ص ٦٥ ؛ اليعقوبي ، ص ٣١٩ ؛ المقدسي ، ص ١٩٤ ؛

ابن دقاق ، ص ١٢٦

ومدينة الاسكندرية أعظم مدن مصر ؛ وبلاد مصر كلها فيها من العجائب والفرائب ما يعجز عنه الواصفون . ذكر أن أحمد بن طولون كان صاحب مصر في سنة نيف ومائتين وكان مولعا بمعرفة هذه الآثار القديمة والعجائب (١) ، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد ، وهي من أعالي بلاد مصر ، له (١) نحو ١٣٠ سنة ، وهو ممن عني من لدن حدائته بالعلم والإشراف على الآراء وانتحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم ، وأنه علامة بالممالك والملوك ومعرفة بهيئة الأفلاك والنجوم ؛ وكان نصرانيا على مذهب اليعاقبة . فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه في النيل مكرما ؛ وكان الشيخ قد انفرد عن الناس في بيان قد اتخذ وسكن في أعلاه ، وكان قد رأى الرابع عشر من ولده . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه وأبره وأسكنه بعض مقاصيره ومهد له موضع جلوسه وحمل إليه لذيذ المأكول والمشرب ، فأبى الشيخ أن يتغذى أو يلبس إلا ما حمل مع نفسه من كعك وسويق ونحوها ، وقال هذه بنية قوامها بما ترون من الغذاء والملبس فإن أنتم ستمتوون النقل على العادة كان ذلك سبب انحلال البنية ويفوتكم مني ما تطلبونه ، فتركه ابن طولون وما يريد . ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه وخوادم مجلسه وصرف إليه همته وغرضه ؛ فلما سأله عن بحيرة تنيس ودمياط المتقدم ذكرهما ، قال كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة وذكاء الربيع ؛ وكانت جنات متصلة ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هي وحدها ، وكانت أكثر فاكهة منه ؛ وكان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا وشتاء يسقون منه متى شاءوا ، وفضلة الماء تنصب في البحيرة . وكان بين العريش وقبرص طريق مسلوكة في ييس ، وبينهما اليوم مسير طويل في البحر ، فلما كان قبل استفتاح المسلمين ببلاد مصر بـ ١٠٠ سنة طام ماء البحر وزاد فأغرق القرى التي كانت في موضع البحيرة ، وما كان منها في البقاع المرتفعة فهي باقية إلى الآن قد أحاط بها الماء . وقال وعند هذه الزيادة التي زادها ماء البحر ، طفى الماء على القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين

(١) « له » ناقصة في ب .

(١) الصفحات التالية مأخوذة عن المسعودي (مروج الذهب ، ج ٢ ص ٣٧٢ وتابع) بمعرفة البكري كما لاحظ ذلك البكري (المخطوط ، ص ٦٩ - ١) . قارن النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٤٣

ساحل طنجة من أرض المغرب . وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم في معمر
الأرض مثلها ، مبنية بالحجارة ، تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب
إلى الأندلس ، وكان طولها ١٢ ميلا في عرض واسع وسمو كبير ، وربما بدت
هذه القنطرة لأهل السفن تحت الماء فمرفوها .

وسئل عن ممالك الحبشة والأحباش التي على النيل ، فقال ألفت منهم
٦٠ ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه . قال وبسبب استحكام النارية في بلادهم ،
تكون عندهم معادن الذهب كثيرة ، فإن حرارة الشمس ويبسها يغير الفضة
ذهبا ، فإذا طبخ ذلك الذهب بالملح والزاج والطوب ، خرج مافيه من الفضة .

وسئل عن منتهى النيل في أعلاه ، فقال أصله من البحيرة التي لا يدرك
طولها ولا عرضها ، وهي تحت خط الاستواء تحت قنطرة الفلك المستقيم ،
وهو الموضع الذي فيه الليل والنهار متساويان الدهر كله .

وسئل عن الأهرام ، فقال إنها قبور الملوك ، وكان الملك إذا مات وضع
في حوض من رخام ثم أطبق عليه وبني له هرم على قدره وليه (١) ، ثم يوضع
الحوض في وسط الهرم ويصنع باب الهرم تحت الحوض ، ثم يحفر له طريق
في الأرض ويعقدونه آزاجا . ف قيل له فكيف هذه الأهرام المملسة وكيف كانوا
يصعدون (ب) لبنائها ، فقال كانوا يبنون الهرم مدرجا ويصعدون لبنائه فإذا
فرغوا من عمله نحتوه . قيل له وكيف كانوا يصنعون (ب) بهذه الحجارة
العظيمة التي لا يقدر ١٠٠ رجل منا أن يزحزحوا منها حجرا واحدا ،
قال كانت لهم فراقل قد دروها بأخلاط من المعادن وأنواع من الحكم ، فكانوا
يضربون بها الحجر الكبير فينقسم لهم على القدر الذي يريدون ويتأني لهم النحت ،
ومع هذا فإنه كان لهم صبر وجلد على أعمالهم ليس لمن بعدهم . قال الوصيفي (١) ،
قال رجل قبلى ، وقد أجرينا من هذا الذي ذكرنا (ج) ، إنهم أصابوا في بعض
الكنايس في طاق سفطا في (د) سلة ففتحوها فوجدوا فيها فرقة فمجبوا منها
ولم يدركوا لها معنى ، فطرحوها في النار فكانت تثب من النار حتى تبلغ
سقف الكنيسة فكسروها (ر) ، ثم ندموا على فسادها .

(١) « وليه » ناقصة في ب .

(ب) الجمل الواقعة بين (ب) ، (ب) ناقصة في ج .

(ج) القراءة في ج : من هذا الذكر . (د) « في » ناقصة في ب .

(ر) « فكسروها » ناقصة في ب .

(١) انظر فيما سبق هامش ٢ ص ٦٠

قال : الناظر هذه مدينة الإسكندرية يطمع فيها عدو صقلية أبدا ، ويجشم مراكبه بأهوال تصيبه عليها ؛ فنها ما أدركته عشية العاشر (١) من محرم سنة ٥٧٠ [١١- أغسطس ١١٧٤] . وذلك أنه احتفل في مراكب كثيرة ونزل في ساحلها وحصن ما قدر وعزم على محاصرة البلد ، فما كان إلا أن عزم على المقارعة حتى صاح في الأعداء صائح وصرخ بينهم صارخ فولوا مدبرين (١) ، وقتل بعضهم والحمد لله رب العالمين .

وفتح الله تعالى بركة هذا الأمر (ب) العزيز على المسلمين بديار مصر ، عندما سمع بخاطر أمير البلاد بها ، وهو يوسف بن أيوب الكردي ، المخطط بصلاح الدين ، أن تخاطب الخليفة الإمام أبا (ج) يوسف يعقوب (د) بن الإمامين الخليفين رضه أجمعين ؛ فهزم روم الشام واستأصل شأفتهم ، وفتح بيت المقدس شرفها الله ، وجميع تلك البلاد التي كانت بأيدي أعداء الله . ونص الرسالة الواردة بصورة فتح ، كلام مختصر من كتاب وصل من الإسكندرية (د) ، تاريخه في العشر الوسط من شعبان المكرم سنة ٨٣ [٥] [= أكتوبر ١١٨٧] ، يصف ما سناه الله تعالى وبسره بقدرته من الفتوحات في الروم دمرهم الله تعالى (٢) . وذلك أن رسل ملكهم وصلوا إلى دمشق في الصلح ، فأراد يوسف بن أيوب أن يصلحهم ويعقد لهم الصلح على أن يدفع لهم ١٠٠ ألف أردب من القمح مع المضاف إليه ، وكان بن أخيه ، المخطط عندهم بتقى الدين ، قد تصاهر مع أمير التركمان وجاء بخلق كثير من الأتراك ، فلما عاين عمه يريد الصلح عز عليه ذلك وغضب . فسأله عمه عن شأنه فقال له : يأتي الناس متطوعين مسارعين للجهاد وتصلح أنت الأعداء الروم ، ماذا يقوله أهل العراق وأهل الأمصار عنا . فقال يوسف لابن أخيه : تعرف ما صنع أصحابنا

(١) « العاشر » ناقصة في ب .

(ب) ج : الأمير . (ج) « أبا » ناقصة في ب . (د) ب : بن يعقوب .

(ر) ب : بكلام مختصر بكتاب وصل من الاسكندرية .

(١) فيما يختص بمحاولة الصقليين الفاشلة من أجل الاستيلاء على الاسكندرية سنة ٥٧٠ هـ . ١١٧٤ ، يعطى ابن الأثير تفاصيل مهمة من أسطول العدو ومعدات القتال وعن استراتيجية وتكتيك المعركة التي انتهت بانسحاب المهاجمين ، بعد قتال دار طوال أربعة أيام (الكامل ، ج ١١ ص ٥٧٠ ؛ أبو شامة ، ج ١ ص ٢٢٤) .

(٢) بعد انتصار صلاح الدين المدوي على الصليبيين وفتح بيت المقدس ، بعث الرسل إلى ملوك الاسلام في مختلف الجهات يعلنهم بالنبا السعيد . أنظر عماد الدين ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛

G. - Demombynes, Mélanges René Basset, 1915, Une Lettre de Saladin au Calife almohade, p. 279.

يوم الرملة ، وقد كان خرج معهم إلى لقاء الأعداء الروم فهربوا وتركوه ، وكاد أن يقتل أو يؤسر ، وأخذ له جميع ما كان معه من عدد وأمتعة ، وذلك سنة ٥٧٢ . فلما سمع الأجناد (١) قالوا : صدق ونحن ثابتون ونحلف له (١) . فدخل تقي الدين مع الأمراء وأشياخ الأجناد على يوسف ، وحلفوا له كلهم في المصاحف أنه لا يشرب أحد منهم كأس خمر أبدا ولا يرتكب معصية . فلما حلفوا كلهم . فرح يوسف بذلك وأرسل إلى الرسل ، فاجتمع الرسل مع تقي الدين ومع علي بن يوسف بن أيوب وجماعة أشياخ الأجناد فاشتروا شروطا كثيرة في مصالحهم : منها ألا يؤخذ من أحد مكس ، وأن ترد بعض البلاد . فغضب الرسل ووقع بينهم كلام كثير وقالوا بيننا وبينكم السيف ، فاستخف الرسل بكلامهم وفارقوهم ، فقامت قلوب المسلمين وليقضى الله أمرا كان مفعولا . وخرجوا بنيات صادقة وعزائم ناجحة ، فأخذوا طبرية من فورهم ، وبقيت قصبتها لأنها مانعة جدا (٢) . ووصل الروم دمرهم الله في جمع حفيل طامعين في المسلمين ، فنعهم المسلمون الماء ، فعزموا على المقاتلة ، وصفت الصفوف غرة جمادى الأولى ، وقيل إن المقاتلة كانت في يوم الجمعة ٢٠ من ربيع الآخر [٢٩ يونيه] ، فكان يوما عظيما ، دفع عليهم الروم دمرهم الله ١١ دفعة والمسلمون بحمد الله ثابتون ، فدفع عليهم المسلمون دفعة واحدة فلم يقف منهم أحد ، فهم بين أسر وقتيل ، وأحصى عدد من قتل وأسر ٢٢ ألفا . وأخذ ملوك الروم أسارى وأعيانهم وصاحب الكرك والشوبك ، وقد كان هذا اللعين صالح يوسف ابن أيوب وغدره ، فلما مثل بين يديه في جملة الأسارى ، لم يتألك أن قام يوسف بن أيوب فقتله بخنجر كان بيده (٣) . ثم قاتل يوسف قصبة طبرية فرغبوا في المصالحة ، فحصن البلد وقصبته وبعث الأسارى إلى دمشق (٤) ، وأسرع السير إلى حكة فدخلها صلحا وأخرجهم منها دون سلاح ولا عدة (٥) . وقد كان سيف الدين ، أخو يوسف المذكور ، حصر يافا ودخلها صلحا ،

(١) « الأخبار » نائبة في ب .

(١) حسب أبي شامة (ج ١ ص ٢٧٣) دارت هذه المعركة التي انهزم فيها صلاح الدين سنة ٥٧٣ = ١١٧٧ م .

(٢) أنظر عماد الدين ، ص ٢٢ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥١ - ٣٥٢

(٣) أنظر عماد الدين ، ص ٢٥ وتابع ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٢

(٤) أنظر عماد الدين ، ص ٢٨ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٥

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٩ ؛ ج ١١ ص ٣٥٥

فوجد أهلها قد قتلوا أسارى المسلمين ، فقتلهم أجمعين^(١) ، ونزل على عسقلان ، واتصل به أخوه يوسف بعد أن ترك على صور عسكرا يحصرها ، ودخل عسقلان آخر جمادى الثاني [٥ سبتمبر]^(٢).

وعدد البلاد التي فتح الله تعالى وأسمائها هي هذه :

الدارُوم وغزة وعسقلان وأرسوف ويافا وحيثفا وقيصارية وعكة وإسكندرية وصيداء وبירות وجبله - أسلم صاحبها وجماعة معه . وفتحت تبنين وجبل الطور والفولة وناصره - مدينة المسيح عم - وطبرية وفلسطين ونابلس وبينا وصفورية والرملة . ونهض يوسف بن أيوب خارج عسقلان إلى بيت المقدس ، وقال للأجناد: بيت المقدس لكم طعمة^(٣) (١) ، فدخله منتصف رجب سنة ٨٣ [٥] [٢٠ سبتمبر ١١٨٧]^(٢) بعد ٩٥ سنة بأيدي الروم أو نحوها ، وقد كانوا تملكوه في شعبان سنة ٤٨٨ هـ كذا [١٠٩٥ أغسطس]. ونص النسخات التي وصل بها الطائر إلى الإسكندرية من مصر بصورة فتحه هو هذا المسطر .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

شرح هذا الطير الطائر ورفيقه في أول ساعة من نهار الأربعاء ، عند ورود البشري بالمكانة المعظمة السلطانية ، بتاريخ يوم الجمعة ٢٨ من رجب سنة ٥٨٣ [٣ أكتوبر ١١٨٧] بما من الله تعالى به من فتح بيت المقدس ، ورفع الأعلام الناصرية في أشرف موضع فيه . وتقرر على كل من فيه لشراء أنفسهم الرجل بـ ١٠ دنانير والمرأة بـ ٥ دنانير والطفل بدينارين ، وتلك نعمة لا تحصر ولا تحصى . وعدد من خلص فيه من أسارى المسلمين ٤٠٠٠ أسير^(٤) ، وكان له في النفوس من الفرح والجلد ما لا خفاء فيه .

(١) الجملة الأخيرة ناقصة في ب .

(١) انظر عماد الدين ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٥٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤ ؛ ج ١١ ص ٣٦٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٧ وتابع ؛ ج ١١ ص ٣٦٧ ؛ أبو شامة ، ج ٢ ص ٩٢

(٤) حسب شروط المعاهدة اتفق على أن من لم يستطع فدية نفسه خلال أربعين يوما يصبح عبدا . وعند انتهاء هذا الأجل فقد ١٤ ألف رجل و ٧ آلاف امرأة حريتهم . انظر عماد الدين ،

وكل ذلك ببركة استجابة هذا الرجل لطاعة الإمام - مهد الله عمره - وقد بعث إرساله بما وجد فيه وفي تلك البلاد من الذخائر . وهم الآن في مدينة فاس - حرسها الله - مستمعين للأوامر المطاعة ؛ ونحن الآن في شهر رمضان الفرد من سنة ٥٨٧ [= سبتمبر - أكتوبر ١١٩١] ؛ وكان اجتماع هذا الرسول وهو عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدي (١) سادس محرم سنة ٨٨ [٥] . [= ٢٣ يناير ١١٩٢] بالخليفة الإمام أبي يوسف رضى ؛ وخرج من الحضرة بعد ذلك بخمسة أيام ولم يعلم به (١) .

(١) ج : الأزرق .

(١) لم يكن انتصار صلاح الدين نهائيا إذ تشبث الصليبيون ببعض النقاط على الساحل وخاصة في صور . وبعد قليل تمكنوا من محاصرة عكا وضغطوا ضغطا شديدا على صلاح الدين الذي كانت تنقصه القوة البحرية المناسبة . وهكذا اضطر إلى طلب المعونة من أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي . ولكن لما كان هذا الأخير في صراع مستمر ضد النصارى في الأندلس والشوارج في إفريقيا ، فإنه لم يستطع إجابة هذا الطلب العزيز على كل المسلمين (أنظر سعد زغول عبد الحميد ، العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٥٣ م) .

ونلاحظ هنا ، ربما بشيء من التعجب ، أن المؤلف بعد أن أثبت تاريخ تدوين كتابه (سنة ٥٨٧ = ١١٩١) عاد ليقول إن رسول صلاح الدين غادر العاصمة الخلافية في السنة التالية (٥٨٨ = ١١٩٢) . ولا ينبغي أن نخدعنا هذا التضارب إذ الحقيقة أن المؤلف أضاف ، كما كانت هي العادة ، هذه الأسطر إلى كتابه الذي كان قد تم عند رحيل السفير .

ذكر المشهور من المدن والعمائر

من بلاد مصر إلى آخر بلاد المغرب حسب المعرفة إن شاء الله تعالى

نجعل ذلك على قسمين : فالبلاد الساحلية أو ما يقرب من الساحل بمرحلة ونحوها بجهة ، والبلاد التي تبعد (أ) من الساحل بمرحلة أو نحوها بجهة ، ونضيف إليها ما كان (ب) في الصحراء منها .

فن مدينة الإسكندرية على الساحل عمائر كثيرة للعرب ولقبائل من البربر سكنوا في تلك الأحياء إلى مدينة سرت . ومدينة سرت (ج) مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر ، وأهلها أخس الناس (د) خلقا وأسوأهم معاملة ، لا يبيعون ولا يتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه . وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت ، وهم أحوج الناس إليه ، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها ويصففونها في حوانيتهم ، ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير بائر . فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا ، ما باعوا منهم إلا على حكمهم . وهم يعرفون بعبيد قرلة (ر) ويغضبون لذلك (١) .

(١) القراءة في ب : البلد الذي تبعه . (ب) ب : الآن .
(ج) النص : سرات . (د) ب ، ج : أحسن . أنظر ترجمة Fagoo ، ص ١ والهامش . (ر) القراءة في النص « بعيد منزلة » ولكن قراءة البكرى (ص ٦ : عبيد قرلة) هي الصحيحة ؛ أنظر ترجمة Fagoo ، ص ١٧ ، هامش ١ ، والقرلة طائر صغير يضرب بشراته وحرصه المثل (أنظر أحد النائب ، المهمل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٠٨)

(١) هذه الرواية مأخوذة عن البكرى (النص ، ص ٦ والترجمة ، ص ١٥ وهامش ٤ ، ص ١٧ وهامش ١ ؛ Quatremère, Note d'un manuscrit., p. 16) . ولقد نقلها ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٨ - ٦٩) بحذافيرها أيضا . قارن الإدريسي (صرت) ، ص ١٢٢ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٤ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٠٣ ؛ اليمقوبي ، ص ٣٤٤ . أما العبدري (المخطوط ، ص ٤٦ - ب) فيلاحظ أن اسم سرت يطلق ، على عكس ما يقول البكرى ، على عدد من القلاع (القصور) .

ذكر بلاد إفريقية وما فيها من العجائب وذكر البلاد الساحلية منها والصحراوية وذكر ما فيها من الآثار

مدينة أطرابلس (١)

فأول مدن إفريقية على الساحل مدينة أطرابلس . وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر ، والبحر يضرب في سورها (أ) ، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين . وقيل إن تفسير أطرابلس ٣ مدن ، وقيل مدينة أياس (ب) . وبها سوق حافلة وحمامات (ج) كثيرة وبساتين في شرقها ، وهي كثيرة الفواكه بجة الخيرات ، وأكثر أهلها تجار يسافرون برا وبحرا ، ولهم سمح في تجارتهم ، وهم أحسن الناس معاملة ضد أهل سرت . وداخل سورها بئر يعرف ببئر أبي الكنود ، يقال إنه من شرب منه يحمق فهم يعبرون به ؛ يقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه (د) : لا عتب عليك لأنك شربت من بئر (د) أبي الكنود .

ومن أطرابلس إلى نفوسة ٣ أيام ، وطرف هذا الجبل الخارج في البحر هو طرف أو ثان ، ما بين أطرابلس والإسكندرية ، وهو الطرف الذي إذا عدته المراكب استبشرت بالسلامة . وهذه المدينة تعد من بلاد إفريقية ، وسنذكر ما ورد فيها من الآثار والله المستعان (س) .

قال الناظر كان في مدينة أطرابلس المذكورة رجل غزى اسمه قراقوش (ص) (٢) استند إلى ذروة (ط) هذا الأمر العزيز - أيد الله دوامه -

(١) ب ، ج ، م : صورها . (ب) ب : الناس ، ك : الإياس . والكلمة ناقصة في ج . أنظر البكري ، ص ٨ (ج) « حمامات » ناقصة في ك .
(د) ب : مائلا بدلا من يلام على . (د) « بئر » ناقصة في ك .
(س) « من الآثار راحة المستعان » ناقصة في طبعة كرمز التي تورد بقية هذا الفصل فيما بعد ص ٨١ (ص) ك : قروش ، ج : قراقوش . (ط) ك : داره .

(١) عن أطرابلس أنظر البكري ، ص ٧ - ٨ والترجمة ، ص ١٨ وتابع (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٢١) ؛ أنظر الإدريسي ، ص ١٢١ ؛ وعن رأس أو ثان قارن أبو الفداء ، الترجمة ، ص ١٧٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٥ ؛ وترجمة Fagnan ، ص ٤ هامش ؛

(٢) حوال سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م خرج أحد ممالك تنق الدين (ابن أخى صلاح الدين) واسمه قراقوش على رأس عدد من الممالك المصريين واتجه نحو برقة وطرابلس . وهناك أثار الاضطراب واستولى على عدد من مدن الولاية الموحدية واتخذ طرابلس مركزا لقيادته ، وأخيرا تعاون مع بني غانية حينما أتوا من ميورقة واستقروا في إفريقية ثم خرج عليهم ، وذلك على عهد يعقوب المنصور . أنظر التيجاني ، الرحلة ص ١٧٥ ، - الترجمة - ص ١٠٢ وتابع ؛ ابن خلدون ، العبر ، ص ٥٠٠

بعد شروء وفرار كان منه ، وأسلم لأوليائه وآلائه (أ) ، وساعد غاويا شقيا لفظه البحر من جزيرة ميورقة - فتحها الله - ولم تزل سعادته مخلصه من تلك الورطات ، إلى أن هلك (ب) الشقي الميورقي ، وأتاب قراقوش إلى حزب التوحيد ، فغلب على طرابلس وأخرج منها المستولى عليها أبا زبا الفارسي (ج) ، وهو ثائر الزاب المذكور في الأراجيز (د) . قال الضبي :

و ثائر الزاب إن (ر) حلت عساكره بأرض سوسة ضاقت بالورى الحبل

فأدرك أهل علم الحدثان اسما مركبا من الزاي والباء ، فقالوا ثائر الزاب ، لعلمهم بموضع ثورته وجهلهم باسمه ، حتى أبرز الأمر (س) العزيز أبا زبا في الزاب . فلما توجه الخليفة أبو يوسف رضى لفتح بلاد إفريقية سنة ٨٣ [٥] [١١٨٧-١١٨٨] ، خاطبه أبو زبا (ص) ضارعا راغبا في الصلح والقبول ، ثم نكث واستبد بطرابلس حتى أتاب قراقوش (ط) وصح توحيده ، فأخرجه منها وبعثه مقيدا ، فحل (ع) بحضرة مراکش سنة ٥٨٦ [١١٩٠] (ف) ، ونحن الآن في شهر رجب الفرد سنة ٥٨٧ [= يولييه - أغسطس ١١٩١] ، وكلمة (ك) التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة وكوكو .

قبل وإنما سميت إفريقية لأن قوما من الأفارق (ل) سكنوها ، وهم أولاد فاروق بن مضر من العرب العاربة ؛ وزعموا أن إفريقية اسم ملكة ملكت إفريقية ؛ وقيل إنها إريقية . وحد إفريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة (م) طنجة غربا ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي حاجز بين بلاد

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (أ) ب ، ك : أبنائه . | (ب) ك : ملك . |
| (ج) ك : الفلوس . | (د) ب : الأجر ، ك : الأراجيز . |
| (ر) « ان » ناقصة في ك . | (س) ج : الأمير . |
| (ص) النص : خاطب أبا زبا | |
| (ط) ك : حتى أئدب قراقوش . | (ع) ب : بهبل ، ج : الحبل . |
| (ف) « خبيثة » ناقصة في ب ، ك . | (ك) ب : وحلت . |
| (ل) ك : الأبارق . | (م) « مدينة » ناقصة في ك . |

== ج د ص ٢٨٦ ، الترجمة ، ج ٢ ص ٩١-٩٢ ؛ A. Bel, Les Beni Ganiya, p. 61 sq. ; G. Demombynes, Mém. R. Basset, Paris, 1915, Lettre de Saladin au Calife almohade . . . p 289 sq. سعد زغلول عبد الحميد ، العلاقة بين صلاح الدين وأبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٣

إفريقية^(١) وبلاد السودان ، وهى جبال من الرمال من المشرق (١) إلى المغرب ؛
وفىها يصاد الفئك الذى لا يوجد لجلده مثال . وجاء فى حديث رسول
الله صلعم : « ينقطع الجهاد من جميع الجهات ولا يبقى إلا بلاد إفريقية . فبينما القوم
يلزاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سبرت فيخرون (ب) لله سجدا فلا ينزع
أطوارهم عنهم إلا أزواجهم من الحور العين » . وروى عنه صلعم أنه بعث سرية
فى سبيل الله . فلما قفلوا (ج) منها ، شكوا شدة برد أصابهم ، فقال رسول الله صلعم :
« لكن (د) إفريقية أكثر بردا وأعظم أجرا »^(٢) . وبلاد إفريقية فى هذا الوقت
من أبناء الإمام الخليفة وحفدته السادات النجباء — أدام الله نصرهم — ما تمهدت
به (ر) أكنافها وعمرت لهم أوساطها وأطرافها ؛ ولكن الشقى يحيى بن اسحق ، صنو
الشقى على متوغل فى صحاريها ، وقراقوش متصيد له متوئب عليه^(٣) ؛ والله
سبحانه ولى التوفيق بمنه وكرمه .

مدينة قايـس^(٤) : وتعد أيضا من بلاد الجريد ، بينها وبين طرابلس ٨ أيام ،
وهى مدينة كبيرة قديمة أزلية وعليها سور صخر جليل من بناء الأول ، ولها حصن
حصين وأرباض واسعة ؛ وفيها فنادق وحمامات ؛ وقد أحاط بجميعها خندق
كبير يجرون إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو إليهم (س) فيكون أمنع شيء .
ولها واد يسقى بساقيها وأرباضها ومزارعها ؛ وأصل هذا الوادى من عين خراة

(١) « المشرق » ناقصة فى ب . (ب) ك : يفخرون .
(ج) ج ، ك : قبلوا . (د) ب : لاشيء . (ر) ك : شهدت بهم .
(س) القراءة فى ك : يجرون إليه الماء وقت نزول العدو عليهم .

(١) عن إفريقية (تسميتها ومساحتها) أنظر البكرى ، ص ٢١ والترجمة ، ص ٥٢ ؛
اندمشق ، ص ٢٢٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٢٤ . يسمى أبو الفدا (الترجمة ،
ص ١٦٨) البلاد الممتدة من تخوم مصر غربا وتشمل كل إفريقية الشمالية إلى طنجة وكذلك الأندلس .
« بلاد المغرب » .

(٢) هذه الأحاديث المنتحلة والمنسوبة إلى النبي موجودة فى كتاب البكرى (ص ٢٢) .

(٣) أنظر هامش ٢ ص ١١٠

(٤) البكرى ، ص ١٧ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣ - ٤ ؛ Quatremère ،
Note d'un Manuscrit, p. 28 . قارن الإدريسي ، ص ١٠٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٤ ؛ أبو الفدا ،
الترجمة ، ص ١٩٨ ؛ المبدرى ، المخطوط ، ص ٤١ - ١ .

في جبل بين القبلة والمغرب ، وهو يصب في البحر . وبين مدينة قابس وبين البحر نحو ٣ أميال وجناتها أكثر إلى البحر (أ) ، وهي كثيرة الثمار والموز بها كثير وليس بإفريقية موز إلا فيها ؛ وفيها شجر التوت كثير ويربى بها الحرير ، وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس يعمل بإفريقية حرير إلا بها . وهي مدينة فخيرة (ب) بحرية صحراوية ، والصحراء منها قريبة ، فيقال إنه ما اجتمع في مائدة رجل ٣ أشياء متضادة المواضع إلا في مائدة من يسكن قابس : يجتمع فيها الحوت الطرى ولحم الغزال الطرى والرطب الجنى . فهي حاضرة هذا الإقليم وقطبه وروحه وقلبه ، ومركز دائرته التي عليها يدور محيطه (ج) وبالاستناد إليه يتمهد رحبه ، والله يعصمنا بعزته .

ذكر مدينة القيروان وكيفية وضعها سنة ٤٧ هـ من الهجرة (د) (١)

ولى (ر) معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع القرشي على إفريقية فافتتحها في ١٠ آلاف من المسلمين ، ووضع السيف وأفنى من بها من النصارى . ثم قال ، إنى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا (س) بالإسلام ، فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله ، فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد . فأجابه الناس واتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين فيها ؛ وقالوا نقرّبها من البحر ليتم الجهاد والرباط . فقال لهم عقبة : نخاف من ملك القسطنطينية ؛ فاتفق رأيهم على موضعها ، فقال : قربوها من السبخة

(أ) القراءة في ب ، ج : وجناتها أكثرها إنما هي منها إلى البحر .

(ب) « فخيرة » ناقصة في ج .

(ج) القراءة في ب : ومركز دائرته الذي عليه يدور محيطه .

(د) القراءة في ب : سنة سبعة وثمانين وأربعين من الهجرة .

(ر) ب : ولا . (س) ك : يحرموا .

(١) قارن البكري ، ص ٢٢ وتابع والترجة ، ص ٥٧ وهامش ١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢١٢ - ٢١٣ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ص ١٢ - ١٣ ؛ الإدريسي ، ص ١١٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ المبدى ، المخطوط ، ص ٣٥ - ١ ، ص ٣٥ - ب ؛ وحسب الدمشقي (ص ٢٣٧) كانت القيروان تتكون من أربع مدن هي : رقادة وصبرة والمنصورية والقصر القديم . أنظر ابن خلدون ، الترجمة (Berberes) ، (ملحق ابن عبد الحكم ج ١ ص ٣١١ ، النوير ص ٢٢٧) ؛ اليعقوبى ، ص ٣٤٧ ؛ المقدسى ، ص ٢٢٤ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٩ ؛ J. Despoirs, La Tunisie Orientale, p. 188

فإن أكثر دوابكم الإبل ، تكون إيلكم على بابها في مراعيها آمنة من البربر .
فدعا ما كان في الغيضة من الوحوش والهوام ، وقال اخرجوا بإذن الله فخرج
كل ما كان فيها حتى لم يبق من الحيوانات شيء ؛ وهم ينظرون إليها .
وقال ابن الرقيق (١) في تاريخه : فبقيت القبروان ٤٠ سنة لم يرفها خشاش
ولا هوام .

وتنازعوا في قبلة الجامع فبات عقبة مهموما ، فرأى في المنام قائلا يقول
له : خذ اللواء بيدك فحيث ما سمعت التكبير فامش ، فإذا انقطع التكبير فأركز
اللواء فإنه موضع قبلتكم ؛ ففعل عقبة ذلك فهو موضع القبلة ، وهو محراب
جامع القبروان إلى اليوم ؛ وقد هدم حسان بن النعمان جامع القبروان وبناه
حاشي المحراب فإنه تركه . ويقال إنه هدم وبني ٣ مرات ، كل وال يلي
القبروان يريد أن يكون الجامع من بنيانه ؛ وكانوا يتركون منه المحراب تبركا
ببناء عقبة رحمه الله . ويقال إنه لما أراد معد بن إسماعيل بن عبيد الله الشيعي (٢)
تحريف قبلة مسجد القبروان وذلك سنة ٣٤٥ [٩٥٦] بلغه أهل القبروان يقولون
إن الله عز وجل يمنعه منه بدعاء عقبة بن نافع الفاضل في وقت تأسيسه الجامع .
فلما وصل ذلك إلى معد غضب ، وأمر بنبش قبر عقبة بن نافع وإحراق رتمته
بالنار ، وكان قبره بظاهر مدينة تهودا ، حيث استشهد رحمه الله . وبعث معد لذلك
٥٠٠ فارس وراجل ؛ قيل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما أمرهم به ،
هبّت عليهم ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقت رعود قاصفة كادت
تهلكهم ، فأضربوا ولم يعرضوا له ؛ فخافوا عقوبة معد فتاهوا في صحارى إفريقية
حتى سمعوا أنه هلك ، فحينئذ أتوا إلى أوطانهم معتبرين مستبشرين (ب) . وبإزاء
جامع القبروان الساريتان الحمراء والموشاة بالصفرة ، اللتان لم ير الراؤون
أحسن منها ولا مثلها ؛ كانت في كنيسة من كنائس الروم ، فنقلها إلى جامع
القبروان حسان بن النعمان ؛ وهما مقابلتان المحراب ، عليهما القبة المتصلة بالمحراب .

(١) ب : أبو الرقيق ، ج : الرقيق .

(ب) ج : مستبشرين . (ج) القراءة في ب : وبإزاء جامع القبروان الساريتين
الحر الموشاة بالصفرة اللتان لم ير الروائد أحسن منهما .

(١) هو أبو اسحاق إبراهيم ابن القاسم الذي يكتب سنة ٣٧٧ (٩٨٧) على عهد بني زيري
بإفريقية . قارن ابن خلدون ، الترجمة ، هامش ٣ ج ١ ص ٢٩٢
(٢) معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي رابع الخلفاء الفاطميين ، المعروف
بائعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ = ٩٥٢ - ٩٧٦) .

وبخارج مدينة القيروان ١٥ ماجلا للماء ، هي سقايات لأهل القيروان ، منها ما بنى في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان وفي أيام غيره من الخلفاء ، وأعظمها شأنا وأفخمها منصبا ، الماجل الذى بناه أحمد بن الأغلب بباب تونس من القيروان ، وهو متناهى الكبير (١) وفي وسطه صومعة مشننة ، وفي أعلاها قبة مفتحة على أبواب ، فإذا وقف الرامى على ضفته ، ورعى بأشد ما يكون من القسى لا يدرك الصومعة (ب) التى فى وسطه . وكان على ذلك الماجل قصر عظيم فيه من البناء العجيب والغرف المشرفة على ذلك الماجل كل شئ غريب ، ويمر فى هذا الماجل (ج) ماجل لطيف متصل به ، يقع فيه ماء الوادى إذا جرى ، فتتكسر فيه حدة جريانه (د) ، ثم يدخل الماجل الكبير . وهذا الوادى الذى يدخل الماجل إنما واد شتوى (ر) يجرى فى أيام الشتاء ، فإذا امتلأ هذا الماجل وغيره من المواجل ، شرب منه أهل القيروان ومواشيهم . ويرفع ماء هذا الماجل إلى أيام الصيف ، فيكون ماؤه باردا عذبا صافيا لكثرة الماء فيه . وكان عبید الله (س) الشيعى يقول ، رأيت بإفريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالشرق : الحفير الذى بباب تونس من القيروان ، يعنى هذا الماجل الكبير ، والقصر الذى برقادة المعروف بقصر البحر (١) ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وهو الموفق للصواب بمنه (ص) .

مدينة صبرة (ط) (٢) : وهى متصلة بمدينة القيروان ، وهى مدينة كبيرة بناها إسماعيل وسماها المنصورة ، وكانت لها جبايا كثيرة (ع) ، يقال إنه كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ٢٦ ألف درهم ، والله أعلم بالصواب .

-
- (١) ك : وهو مستدير منتهى الكبير . (ب) ك : لا يدرك إلى الصومعة .
(ج) ج : وفى جوف هذا الماجل . (د) القراءة فى ب : فيتكسر فيه حد جريانه ، وفى ك : « مرة » بدلا من « حدة » . (ر) ج : شفاء .
(س) ك : عبد الله . (ص) هذا الدعاء ناقص فى ب ، ج ، م .
(ط) ج : صغيرة ، صبرا . (ع) : ب ، ج : كان لها فائد كبير .

(١) قارن البكرى ، ص ٢٦ والترجمة ، ص ٦٦

(٢) البكرى ، ص ٢٥ والترجمة ، ص ٦٤ . بنيت المدينة سنة ٣٣٧ (= ٩٤٨-٩٤٩)

بمعرفة إسماعيل المنصور الفاطمى إثر انتصاره على أبى يزيد الخارجى . قارن المقدسى ، ص ٢٢٩ =

مدينة رَقَادَة ^(١) : وهي من القيروان على ٤ أميال ، وهي مدينة كبيرة دورها ٢٤٠٤٠ ذراع . وكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه ، وليس بإفريقية أعدل هواء من رقادة ولا أرق نسima ، ولا أطيب تربة . يقال إن من دخلها لم يزل يضحك مستبشرا مسرورا من غير سبب . وذكر أن واحدا من ملوك بني الأغلب كان قد أصابه أرق شديد ، وشرد عنه النوم أياما ، فعالجه اسحق المتطبب ، وهو الذي ينسب إليه الأطر فيل ، فأمر الملك بالخروج والتنزه والمشى . قيل فلما وصل إلى موضع رقادة نام ، فسميت رقادة من يومئذ ، واتخذت موضع فرجة ومنزها للملوك . ويقال إن الملك الذي بنى مدينة رقادة هو إبراهيم بن أحمد بن [محمد بن] الأغلب [٢٦١ - ٢٨٩ = ٨٧٤ - ٩٠٢] ، فجعلها دار مملكته ومسكنه . قيل ومنع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقادة بسبب جنده وعبيده ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

يا سيّد الناس وابن سيّدهم ومن إليه القلوب منقاد
ما حرّم الشرب في مدينتنا وهو حلال بأرض رقادة

وفيهما بويع عبيد الله الشيعي ، ذكره ابن الجزار في تاريخه (١) ، والله أعلم .

مدينة سَفَّاقس ^(٢) : هي مدينة أزلية عليها غابة كبيرة من الزيتون . وزيتها أطيب من كل زيت إلا الشرقي ، ومن الناس من يفضلها عليه ، ومنها

(١) ج : تأليفه .

= يقول ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٦٦) الذي ينقل رواية البكري أن الباني الحقيقي لهذه المدينة هو المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي والد باديس وجد المعز بن باديس (توفي سنة ٢٨٦ = ٩٩٦) . وهنا يخلط ياقوت بين صبرة وبين بجاية التي انتقل إليها ملك الحماديين على عهد المنصور بن الناصر بن علناس (توفي ٤٩٦ = ١١٠٤ - ١١٠٥) . أنظر فيما بعد ص ١٢٨ - ١٢٩ والهامش .

(١) البكري ، ص ٢٧ - ٢٨ والترجمة ، ص ٦٨ و هامش ١ (اصحاح بن سليمان ، المذكور في النص ، توفي سنة ٣٢٠ = ٩٣٢ ؛ وعن ابن الجزار أنظر هامش ٢ ص ١٢٤) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٧٩٧ ؛ الإدريسي (ص ١١١) الذي يسمى هذه المدينة قصور رقادة ، يقول إنها كانت خربة على أيامه وذلك بعد دخول الأهلاليين إفريقية . قارن أبو الفدا ، الترجمة ص ١٩٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ١ ص ٢١٥

(٢) البكري ، ص ٢٠ : بعد أن يصف الإدريسي المدينة (ص ١٠٧) يفخر بافتتاح الملك رجار الصقل لها سنة ٥٤٣ = ١١٤٨ - ١١٤٩ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٣٢٢ =

يمتاز (١) أهل إفريقية الزيت ، وتحمله المراكب إلى بلاد الروم ، وعليه معول أهل صقلية ، وإيطالية ، وأنكبوردة ، وقلورية ، وجميع سواحل الأرض الكبيرة ، لكثرة وطيبه . وقد كانوا ملكوا هذه الجهات الساحلية إلى أن أخرجهم منها أمير المؤمنين سنة ٥٥٥ [= ١١٦٠] .

مدينة المهديّة^(١) : وهي مدينة عظيمة بناها عبيد الله الشيعي إذ قام عليه (ب) [أبو] عبد الله الداعي وهو الذي أقامه ونصره ، ودخل عليه سجالمة وأخرجه من سجن ابن مدرار ثم استحال عليه ، وأراد خلعه . وأعانه على ذلك أشياخ كتامة ، وكان يقول للناس إنه هو يهودي وضعته مكان العلوي الفاطمي حتى يأتي ، وأبحث عنه حتى أجده فإنه صاحب هذا الأمر ، وقد آن وقته (ج) وخبرهما مشهور . وبين مدينة المهديّة والقيروان ٦٠ ميلا ، والبحر قد أحاط بمدينة المهديّة من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربي ، وفيه بابها . ولها ربض كبير يسمى زويلة ، وفيه الأسواق : وللمهديّة أسواق مبنية بالصخر الجليل . ولها بابان من حديد لا خشب فيهما (د) زنة كل واحد منهما ١٠٠٠ قنطار وطوله ٣٠ شبرا ، وفيها صور الحيوان وهي من أعجب ما عمل في الإسلام . وفي المهديّة ٣٦٠ ماجلا لماء المطر (ر) سوى ما جرى إليها من القناة التي جلبها إليها عبيد الله من قرية مثناس^(٢) ، وهي على مقربة

(١) ب : يمتاز ، ك : يمتاز . (ب) ب ، ج : اذ قام اليه ، ك : انه قام عليه . (ج) ج : وان ، ك : دان . (د) القراءة في ب : ولها باب لا خشب فيها ، وفي ج : ولها بابان من مدينة ، وفي ك : لا خشبة بدلا من لا خشب . (ر) ب : ما ماجلا من المطر .

= قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٤ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٧ ؛ مرآة الإطلاع ، ص ٣٤ . أما عن فتح عبد المؤمن لإفريقية على الصقليين من النرمنديين فانظر ابن الأثير ، ج ١١ ص ١٥٨ وتابع ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٦٢ ؛ التيجاني ، الرحلة (الترجمة) ، ص ٢٦٤ ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٩٢ .

(١) البكري ، ص ٢٩ . قبل أن يورد ياقوت رواية البكري (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٩٣ ، ج ٣ ص ١٠٩ ؛ كتاب الجغرافية ، المخطوط ، ص ٨٧ - ١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٨٣) نراه يفرق بين مدينتين تحمل كل منها اسم المهديّة : أشهرهما مدينة إفريقية التي بناها عبيد الله ، والثانية بناها عبد المؤمن بن علي قرب مدينة سلا ، وسماها بإسم المهدي ابن تومرت . قارن الإدريسي ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ؛ ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٠ (عن أبي عبيد الله الشيعي أنظر ص ٢٣ : ٢٧ ، ٢٩ وتابع) ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٧ ؛ J. despoirs, La Tunisie Orientale p. 170 .

(٢) البكري ، ص ٢٩

من المهديّة . وللمهديّة مرسى (١) للمراكب من عجائب العالم ، فإنه منقور في حجر صلد ، يسع ٣٠ مركبا ، وكان على المرسى برجين بينهما سلسلة حديد من أغرب ما عمل . وإذا أرادوا أن تدخل سفينة أو مركب ، أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت ، وذلك (ب) تحصينا لئلا تنطرقها مراكب الروم من صقلية وغيرها ، كما كان في أيام الحسن الذي (ب) دخلها الروم عليه (١) ؛ وذلك مشهور في جميع الأقطار .

ومن المهديّة إلى قصر لتخشم (٢) ، وهو المعروف بقصر الكاهنة ، ١٨ ميلا . وذكر أن الكاهنة حصرها عدوها في هذا القصر ، فحفرت سربا في صخرة صماء (ج) من هذا القصر إلى مدينة (د) ملقطة (٣) عمشي فيه العدد الكثير ، وبينهما ١٨ ميلا . ويقال إن أخت الكاهنة كانت في ملقطة ، فكان الطعام يجلب إليها في ذلك السرب على ظهور الدواب . وقصر تلم عجيب البنيان ، قد بنى وأحكم (ر) بحجارة طول الحجر منها ٢٥ شبرا ، وارتفاع القصر في الهواء ٢٤ قامة . وهو من داخله كله مدرج إلى أعلاه ، وأبوابه طاقات بعضها فوق بعض .

مدينة 'تمناجير' (س) (٤) : هي بغرب المهديّة ، كبيرة أزلية فيها آثار للأول ؛ وبينها وبين المهديّة الوادى .

(١) ب : مرضى .

(ب) الحمل الواقعة بين (ب) ، (ب) فاقصة في ب .

(ج) ك : صمد . (د) ج : منقطة . (ر) ب : احتكم .

(س) القراءة في النص ، تمناجرن ولكننا أخذنا بقراءة البكرى . وهذه المدينة لا توجد في ج .

(١) قارن الإدريسي ، ص ١٠٩ . هنا يفخر الإدريسي كمادته بافتتاح المدينة بمعرفة ملك صقلية رجار على أميرها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس سنة ٥٤٣ = ١١٤٨ . أنظر ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٢٦ وتابع .

(٢) يقول الإدريسي (ص ١٢٨) إن اسم هذه المنطقة مأخوذ من اسم أهلها وهم مختصون بتجارة الشهد . قارن العبدري ، المخطوط ، ص ٨٥ - ١ . وهنا يقرر العبدري (سنة ٩٨٨ = ١٢٨٩) خطأ رواية البكرى وينسب عامل الزمن وتغير الظروف .

(٣) البكرى (سلفطة) ، ص ٣١ والترجمة ، ص ٧١

(٤) البكرى ، ص ٢٩ والترجمة ، ص ٧٣

مدينة جتولاً (١) : مدينة قديمة أزلية لها حصن ، وعين سُرة في وسطها (١) ، وهي كثيرة البساتين والأشجار ، غزيرة الفواكه والثمار والأزهار ، والرياحين بها كثيرة جداً وأكثر رباحينها الياسمين ، وبطيّب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وحرش (ب) نخلها له ، وأكثر فواكه القيروان تجلب إليها من جلولا .

مدينة سوسة (٢) : مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول ، وهي على ساحل البحر ، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب ، وهو من أغرب البنيان فيه أقباء معقودة بحجر النشّاف الذي يطفو فوق الماء ، المحلوب من بركان صقلية . وداخل سور المدينة هيكل عظيم يسميه البحرىون الفنتاس ، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها ؛ وسوسة في سند عال ترى دورها من بحر صقلية . وهي مخصوصة بكثير الأمتعة وجودة الثياب الرقاق ، وقصارتها . وجميع أشغال الثياب الرفيعة من طرزها (ج) ، وكدها لا يصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة . والثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير ، لها بياض رائع (د) وبصيص (ر) لا يوجد في غيرها . ومنها تجلب الثياب الرفيعة مثل عمائم المعمور (س) وغيرها ، تساوى منها العمامة ١٠٠ دينار وأزيد (ص) ، يحمله التجار إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً ، ويباع الغزل بها زنة (ط) المتقال بمقالين .

-
- (١) للقراءة في ج : وعين ستوفر سره . . في وسطها .
 (ب) ج : ومرسى . (ج) طرزها ناقصة في ج . (د) ك : زائد .
 (ر) ب ، ج : مصيص . (س) ج : المصور ، ك : المقصور .
 (ص) للقراءة في ب : تساوى منها العمامة ديناراً وأزيد . (ط) ج : سنة .

- (١) البكرى ، ص ٣١ ؛ الإدريسي ، ص ١٢٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٠ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٦٢
 (٢) البكرى ، ص ٢٤ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ١٢٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٩٠ وتابع . فيما يختص بالآثر الذي يسمى الفنتاس فإن De Slane (ترجمة البكرى ، ص ٨٧ وهامش ١) يفترض أنه هيكل سفينة . ولكن ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٩١) يقرر أن المدينة كان لها سور حصين وبرج يعرف باسم خلف القى . ومن المحتمل أن هذا هو الذي أطلق عليه الملاحون اسم الفنتاس . قارن أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٨

ولحم سوسة من أطيب لحوم بلاد إفريقية لطيب مراعيها . وبالقرب منها محرس (١) المُنَسْتَبِر الذي جاء في الأثر (ب) ، وهو حصن على البناء متقن العمل ، وفيه جماعة من الصالحين الذين حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والعشائر ؛ وأهل تلك البلاد يخرجون إليهم الصدقات (١) . وبقربه نحو ٥ محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين .

مدينة تُونُس (ج) (٢) : مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة ٣ أيام ؛ وبينها وبين البحر نحو ٤ أيام ؛ وبينها وبين قرطاجنة نحو ١٠ أميال ومرسأهما واحد يسمى رادس . ويقال إن يبحر رادس خرق (د) الخضر عم السفينة (ر) ؛ وكان الملك المذكور في القرآن (س) (٣) ، الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، ملك قرطاجنة وكان يسمى أجلندا . وبين المرسى وتونس بحيرة يقول أهل تونس إنها كانت [من] نحو ١٠٠ سنة (ص) أرضا لهم ، كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه ، فغلب عليها ماء البحر ؛ وهم يعرفون موضع ضياعهم فيها إلى الآن . ومدينة تونس مدينة قدمة البناء لها سور عظيم ويدور بها حفر ؛ يقال إن دورها ٢٤ ألف ذراع (ط) وبها جامع متقن البناء مليح الصنعة مظل على البحر ؛ بناه عبيد الله بن الحبحاب (٤) هو ودار الصناعة ، وأنفذ إليه البحر ، وهو من عجائب الدنيا . ومدينة تونس في سفح جبل ، وبها مبان عجيبة ، وأكثر عضادات أبواب دورهم (ع) رخام أبيض ؛ لوحان قائمان وثالث معترض مكان العتبة . ومن الأمثال بإفريقية : دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام . وهي دار علم

(١) ج : محرض (ب) ب وك : الآثار . (ج) القراءة في ب : مدينة تونس عمرها الله وكلأها . (د) "خرق" ناقصة في ك ، وهي في ب «غرق» . (ر) «السفينة» ناقصة في ب . (س) ب ، ج : القيروان . (ص) القراءة في ب ، ج : أنها مائة سنة . (ط) ب ، أربعة وعشرة ألف دور . (ع) ج : دور أبوابهم .

(١) البكري ، ص ٢٦ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٦١) ؛ الإدريسي ، ص ١٠٨ (اتخذ أهل سوسة هذا المكان مقبرة لهم ، ولأنهم ينقلون إليه موتاهم في القوارب) . أنظر G. Marcais, Mém. R. Basset, Paris, 1925, Note sur les Ribâta en Berbérie, p. 405.

(٢) البكري ، ص ٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٧ - ٨٩٨ ؛ الإدريسي ، ص ١١١ ، ابن أبي دينار ، المونس ، ص ٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٩٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) القرآن : سورة ١٣ ، آية ٧٠ ، ٧٨

(٤) ابن الحبحاب كان عامل إفريقية سنة ١١٦ (٧٣٤) .

وفقه ، وأهلها موصوفون (أ) بالقيام على الولاية ؛ يعد لأهلها القيام على أمرائهم نحو ٢٠ مرة ، لأنها أكثر البلاد باعة (ب) وغوغاء ؛ وإن سلامتها من شق ميورقة لمن يراهن هذا الأمر العالى (ج) ؛ وما ذلك إلا لسعادة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أيداه الله .

وبالقرب من تونس بنحو ١٠ أميال نهر كبير يسمى بجردة ، وهو على الطريق إلى المغرب ؛ ويقال إن من شرب من مائه قسى (د) قلبه فأكثر الناس يجتنبون شربه . ومدينة تونس أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة ، فمن ذلك اللوز الفريك ، يفرك بعضه بعضا دون أن تمسه يد لركة بشرته ، وكذلك الرمان والأترج والسفرجل والتين وجميع الفواكه ؛ لا يوجد لها نظير . وفيها من أجناس الحوت البحرى ما لا يحصى كثرة . وكان اسمها فى القديم ترشيش ، وإنما سميت تونس فى أيام الإسلام . وذلك أن المسلمين إذ فتحوا إفريقية على الروم كانوا يضربون على بلادها ، وكان بقرب ترشيش هذه صومعة راهب ، فكانت سرايا المسلمين تنزل (ر) بإزاء تلك الصومعة ، وتأنس (س) بصوت الراهب ؛ فيقولون (ص) هذه الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم ، فسميت تونس .

مدينة قرطاجنة (١) : بينها توبين ونس ١٠ أميال ومرساها واحد . وهى من المدن المشهورة ؛ فيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس فى بلد شرقا ولا غربا . وقبل لو دخلها إنسان ومشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى فيها كل يوم أعجوبة لم يرها قبل ذلك . ويقال إن ملكها (ط) كان ملكا عظيما جبارا ، وكان ملك أكثر الأرض وكان يسمى أنبيل (ع) ، فدخل بلاد الروم ، وقتل ملوكها ، وأخذ بلادهم ، وبعث لقرطاجنة من خواتم الملوك الذين قتل ٣ أمداد . ويقال إنه نازل مدينة رومة الكبرى التى هى دار مملكة الروم ،

(أ) ج : موضوعون . (ب) ج : باغة ، ك : بقاء .

(ج) القراءة فى ب : لمن يرا هذا العدل الأمر العالى .

(د) ب : قسى . (ر) ب : ينزلون . (س) ب : ويأنسون .

(ص) ك : يقولون . (ط) ك : ساكنها . (ع) ج : النيل .

(١) أنظر البكرى ، ص ٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٩٧ - ٨٩٨ .

الإدريسى ، ص ١١١ ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦ وتابع ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،

ص ١٩٧ ؛ المبدى ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٩ .

فلما حاصرها وضيق على ملكها ، وأفسد أقطارها ، أرسل ملك رومة قائدا من قواده ، فحشر من كان ببلاده من الروم والجيش ، وأمرهم بالوصول إلى بلاد إفريقية ، ونزلوا على قرطاجنة ولم يكن فيها من يعاونهم ، فأرسلوا إلى ملكهم أنبيل يعلمونه بما حل ببلادهم من البلاء من أهل رومة ، ويسألونه الإسراع لأغاثتهم . قال فعجب من ذلك ملك قرطاجنة ، وقال : أردت قطع رسم الرومانيين من الدنيا ، وأظن إله (١) السماء أراد غير ذلك . ثم رجع إلى بلاده مسرعا ، فزحف إليه شبليون قائد صاحب رومة ، فهزمه مرارا عديدة حتى قتله واستأصل عسكره ، ودخل في قرطاجنة فهدمها وأحرقها ، وخرب المسلمون بقيتها وذلك مشهور . وليس يسكن منها الآن إلا قصر واحد ، يسمى بالملعقة (ب) (١١) ، وبنائه من أغرب ما يكون من البناء ، مفرط العظم والعلو ، أقباء معقودة بعضها فوق بعض طبقات كثيرة (ج) ، وهو مطل على البحر ، وهو حصن عظيم .

وبقرطاجنة دار الملعب ويسميه أهل تلك البلاد بالطباطير ، هو كله أقباء معقودة على سوارى رخام ، وعليها مثلها نحو أربع مرات ، وقد أحاطت بالدار . والدار دائرة من أغرب ما يكون من البناء ، ولها أبواب كثيرة وقد صور على كل منها صورة نوع من الحيوان ، وقد صور في الحيطان صور جميع الصناعات بأيديهم آلاتهم . وفي هذه الدار من الرخام ما لو أجمع أهل إفريقية على نقله ما قدروا عليه لكثرت . وكان فيها قصران يعرفان بالأختين (٢) ، ليس فيهما حجر سوى الرخام ، ورخام (د) الواحد لا يشبه رخام الثاني ، ويوجد فيها لوح رخام طوله ٣٠ شبرا وعرضه ١٥ شبرا ، ويقال إنه وجد في غربها بيت من لوح واحد (ر) . والناس ينقلون من رخام هذين القصرين ، لحسنه على قديم الزمان ، وما فرغ إلى الآن . وبهذين القصرين ماء مجلوب من ناحية الجوف لا يعرف منبعه ، وكانت عليه نواعير وسواق تسقى

(١) ب : أن ، ك : الآن . (ب) ك : بالقلمة . (ج) ك : كبيرة .
(د) (الرخام ، ورخام) ناقصة في ك . (ر) القراءة في ب ، ج : ويقال وجد فيها غارب بيت من لوح واحد .

(١) أنظر البكري ، ص ١٣ والترجمة ، ص ١٠٦ ، الإدريسي ، ص ١١١

(٢) أنظر البكري ، ص ١٤ (ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢١) .

بساتينهم . وكان بها قصر عظيم مطل على البحر يسمى قومس^(١) ، وهو من أعجب ما فيها ، لأنه مبني على سواري رخام مفرطة الكبر والعظم - يجلس على رأس السارية ١٢ رجلا بينهم سفرة طعام أو شراب - وهي مشطبة ، كالثلج بياضا ، يكون دور السارية منها نحو ٣٠ شرا في علو مفرط ، وعليها سواري آخر معترضة . وقد بني القصر على أقباء معقودة بعضها فوق بعض بأغرب صناعة وأحكم بناء ، فكان هذا القصر حصنا وإنما هدم من عهد قريب ؛ وذلك أنه تحصن فيه قوم من القطاع ، فكانوا يقطعون بتلك الجهات ، ويلجأون إليه ، فخرج إليهم أهل تونس وقتلوهم وهدموا القصر . وبقربه موضع فيه أقباء ودهاليز تحت الأرض يهاب الدخول فيها ، وفيها جثث الموتى على حالها ، فإذا مست تلاشت لقدمها^(٢) .

وداخل ميناء المدينة تدخله المراكب (ب) بقلوعها . وفيها مواجل كثيرة للماء ، وبعضها تسمى مواجل الشياطين ، بسبب [أن] من يقرب منها يسمع فيها دويا . والناس يتقاسمون (ج) في الدخول فيها ، فمن جسر على الدخول فيها ، علم أنه جرى (د) قوى القلب . وقد دخلتها بالنهار مع أصحاب لي (ر) ، فرأيت منظرا هائلا ، من تكلم فيها بأدنى كلمة يسمع لها دوى عظيم ، وأغرب ما رأيت فيها الماء باق إلى الآن . وليس يدخلها ماء المطر وذلك لاحكام سطوحها ؛ وهي ١٨ صهريجاً منفوذة بعضها إلى بعض ، في ارتفاعها نحو ٢٠٠ ذراع ، في عرض كبير . وفيها من الماء نحو ٦ قيام ، ولا يعلم من أين يدخل (س) ذلك الماء . وكذلك ذكر أبو عبيد [الله] البكري ، في كتاب المسالك والممالك ، أن أغرب ما في قرطاجنة الماء الذي في المواجل المعروف بمواجل الشيطان ، الذي لا يعلم له عهد (ص) .

ومن عجائب الدنيا بنيان القناة التي كان يأتي فيها الماء المخلوب من عين جفان إلى مدينة قرطاجنة على مسيرة ٥ أيام ؛ وهي قناة عظيمة كان يأتي عليها ماء كثير ب ٥ أرحاء أو أكثر . وعرض القناة نحو ٨ أشبار ، وارتفاع ماؤها

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ك .

(ب) القراءة في ك : وداخل المدينة قناة تدخلها المراكب . (ج) ك : يتقاسبون

(د) ك : جدا . (ر) القراءة في ك : وقد دخلنا بالنهار اليها مع أصحاب لي .

(س) ب : قامة . (ص) القراءة في ك : انه لا يعلم له عهد .

(١) أنظر البكري ، ص ٤٤ (ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٢٠) .

نحو القامة ونصف ، تغيب مرة تحت الأرض في المواضع المرتفعة ، فإذا جازت على المواقع المنخفضة ، تكون على قناطر فوقها قناطر (١) حتى تساوى السحاب علواً ، وهي (١) من أغرب بزيان الأرض . وفي وسط المدينة صهريج كبير حوله ، في وقتنا هذا ، نحو ١٧٠٠ حنية (ب) سوى ما تهدم منها ؛ وكان يقع فيه الماء المخلوب في هذه القناة ؛ ويخرج من هذا الصهريج إلى بعض تلك المواجل . ورأيت في بعض أرجل تلك القناطر كتابة في حجر ، قيل إنها رحمت فوجدت : « هذا من عمل أهل سمرقند » ؛ فانظر إلى سعة مملكة هذا الملك (ج) الذي جلب هذا الماء ، وقيل إن ذلك الماء جلب في ٤٠ سنة (ج) ، ولو قيل في ٤٠٠ سنة لكان أعجب .

قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب (٢) ، في كتاب مغازي إفريقية ، إن موسى ابن نصير لما فتح جزيرة الأندلس ، قال لهم : « دلوني على أسن شيخ عنكم » . قال ، فأتي بشيخ قد رفعت حاجباه عن عينيه بعصابة من الكبر ، قال له موسى : « من أين أنت يا شيخ » ، قال : « من إفريقية من مدينة قرطاجنة » . فقال له موسى : « فما الذي سرك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة » ، قال له الشيخ : « بناها قوم من بقية العاديين ، فسكنوها ما شاء الله ، ثم خربت ألف سنة ، فبناها أرمين الملك ابن الأزدي بن عمرو الجبار ، وجلب إليها الماء بالقناطر على الأودية ، وشق (د) لها الجبال حتى أوصلها إلى مدينة قرطاجنة ، فسكنها قومي ما شاء الله أن يسكنوها ، إلى أن حفر إنسان أساس تلك القناطر ، فوجد حجر عليه كتابة هي : « ان هذه المدينة ستخرب إذا ظهر فيها الملح » . قال الشيخ فبينما نحن في ندى (ر) قومنا جلوساً ، إذا ملح على حجر قد عقد عليه ؛ قال : « فتأملنا فإذا ذلك في جميع المدينة ، فعند ذلك رحلت إلى هنا » . وروى الثقات عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم (٣) قال : « كنت أمشي مع عمي بقرطاجنة تتأمل آثارها ، ونعتبر

(١) ب ، ج : قناطر . (ب) ج ، ك : ساقية ، ولكن القراءة « حنية » في ب هي الصحيحة ومماها قوس أو عقد . (ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ب . (د) ك : وشوطا . (ر) « ندى » ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٤٤ ؛ الإدريسي ، ص ١١٤ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٢٣ - ١

(٢) يعرف هذا الكاتب بابن الجزار (توفي حوالي سنة ٤٠٠-١٠٠٩) (أنظر فيما سبق

ص ١١٦) قارن البكري ، الترجمة ، ص ١٠٢ وهامش ١

(٣) كان قاضي قضاة إفريقية على عهد المنصور العباسي . البكري ، الترجمة ، هامش ٢

عجائبها ، فإذا بقبر عليه مكتوب بالحميرية : أنا عبد الله رسول الله صالح ، بعثني الله إلى أهل تلك القرية أدعوهم إلى الله ، فقتلوني ظلما ، فحسبهم الله وهو نعم الوكيل . فهذا لا شك خراب قرطاجنة .

مدينة بَنْزَرْت (١) : هي مدينة على البحر ، بينها وبين تونس نحو يومين ، وفيها آثار للأول وسور صخر قديم ، ولها نهر كبير يصب في البحر ، وفيه حوت كثير . وبالقرب منها بحيرة كبيرة تنسب إلى بنزرت ، يدخل إليها ماء البحر ، وهي ملحة وفيها من أنواع الحوت ما لا يحصى ، يصطاد فيها في كل شهر من الشهور الأعجمية نوع من الحوت لا يوجد ذلك النوع إلى ذلك الشهر بعينه في العام القابل ؛ ولها غلة عظيمة فإن منها يحمل الحوت إلى جميع بلاد إفريقية . وأكثر حوت تونس إنما هو من بنزرت ؛ وأجناس هذا الحوت وأنواعه تتصير ، فتبقى أعواما صحيحة الجرم لذينة الطعم . وأكثر ما يتمكن من (أ) صيد الحوت ما بين البحر وهذه البحيرة ، وذلك أن الحوت يتوالد في البحر ويخرج منه صغيرا كالذر (ب) فيتربى في هذه البحيرة ، ثم يرجع في وقت سفاده وولادته إلى البحر ، فيصطاد (ج) في البحر الذي بينهما ، ومنه ما يصطاد (ج) بالنقازة كما يصطاد الحمام . وهذه النقازة ، هي أنثى الحوت المعروف بالبورى . فيأتى التاجر إلى الصياد ، فيتفق معه على عدد معلوم ، فيخرج النقازة ويرسلها وقد ربط خيطا في خرص (د) وثيق في شفتها ، فتسير في البحر ويتبعها بزورقه وشبكته ، فتدور عليها الذكور فيطرح عليهم شبكته ويخرج ما قدر له (ر) ؛ ويعيد أبدا حتى يستوفى أربه . وعلى مقربة من هذه البحيرة إلى جهة البر بحيرتان : إحداهما حلوة والأخرى ملحة من غير أن يدخلها ماء البحر ، تنصب كل واحدة منها بالأخرى ستة أشهر على التوالى لا يتغير لواحدة منها طعم ، فلا الحلوة تصير ملحة ولا الملحة تصير حلوة .

(١) ك : يتكمن من . (ب) ك : كالوز . (ج) اجمل الواقعة بين (ج) ،

(ج) ناقصة في ب ، ك .

(د) ب ، ج : جرس ، ك : خرش . (ر) ج : ما قدر عليه .

(١) البكرى ، ص ٥٨ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٤٥) ؛ الإدريسي ،

ص ١١٤ - ١١٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٦

مدينة طَبَرْقَة (١) (١) : هي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول ، وهي على نهر كبير . بقرب البحر ، تدخل السفن حتى إلى باب المدينة . وبالقرب منها مرسى الخَزَر (٢) ، وهي مدينة قديمة قد أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك لطيف ، وربما قطعه البحر في زمن الشتاء ، وعليها سور قديم ، وبها كانت تنشأ المراكب لغزو بلاد الروم . وفيها يخرج المرجان ، ومنها يحمل إلى بلاد الدنيا . وهناك قوم لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر ؛ وهو نبات مشجر له أغصان . وصورة إخراجها من البحر [أن] لهم خشبا قد صلب بعضها على بعض ، ويلقون عليها جرات (ب) الكتان أو القنب (ج) ، يثقلونها بمراسم ، ويلقونها في البحر ويمشون بالزوارق ، فينجر (د) ذلك الكتان على قعر البحر فينكسر المرجان ويتعلق بالكتان ، فيتفقدونه ويأخذون ما تعلق منه . ويقال إن المرجان إذا كان في قعر البحر إنما هو رطب لين فإذا مسه الهواء اشتد . ويخرج منه في ذلك البحر كل سنة من القناطير ؛ وهو أنفوس مرجان الدنيا ، وهو أنفق شيء بالهند والصين . ويكون في بحر الزقاق بساحل قرية بَلْيُونَش (ر) (٣) من قرى سبتة ؛ وهو مثل هذا في الطيب أو أجل ، ويكون في بحر الأندلس ، ويكون في بعض جزائر البحر الأخضر ، وهذا أنفذه .

وبالقرب من مدينة طبرقة ، بينها وبين مدينة باجة ، بحيرة عظيمة في دورها نحو أربعين ميلا تصب في البحر ، ويصب البحر فيها ، وماؤها لأملاح ولا حلوف فيها أنواع كثيرة من الحوت . وبها بوري ليس له في الدنيا نظير ، يقال إنه يوجد في الحوت الكبير منها ١٠ أرتال وأزيد ، وأهل تلك النواحي يستخرجون دهنه ويستعملونه في مصابيحهم (س) (٤) .

(١) ك : طرفه . (ب) ب : حراب . (ج) النص : القم .

(د) ك : فينجو . (ر) ب ، ج : بليوانش .

(س) القراءة في ك : وأهل تلك النواحي يستخرجون منه ويستعملونه في مصابيحهم .

(١) أنظر البكري ، ص ٥٧ ، الإدرسي ، ص ١١٥ ، اللامشي ، ص ٢٣٥ ،

ابن حوقل ، ص ٥٠ ، المقدسي ، ص ٢٢٦ ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١٩٤

(٢) البكري ، ص ٥٥ ، الإدرسي ، ص ١١٦ ، ابن حوقل ، ص ٥٠ ، ياقوت ،

معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ . خربت المدينة في سنة ١٢٨٦ ميلادية وتقوم عليها الآن المدينة

المروفة باسم La Calle . أنظر G. Marçais, La Berbérie, Musulmane, p. 226

(٣) البكري ، ص ١٠٦ ، الإدرسي ، ص ١٦٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١

ص ٧٦٤

(٤) هذا الفصل الأخير لا يوجد في كتاب البكري .

مدينة بُونَة (١) : مدينة قديمة من بناء الأول وفيها آثار كثيرة ، وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها (١) ، وهي من أئمة البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا . والبحر يضرب في سورها ، وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد ، ماؤها أعذب ماء وأنفقه ؛ ومنها يشرب أكثر أهلها لعدوبة ماؤها . وبغرب هذه المدينة ماء سائح يسقى بساتينها وأرضها ؛ وموضع جنايتها منتزه حسن مشرف على البحر . ويطل (ب) على مدينة بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد ، ومن العجائب أن فيه مسجدا قديما لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج ؛ فإذا عم الثلج الجبل كله رأيت المسجد في وسطه كأنه شامة . وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو ١٠ أميال ، وفيها سمك كثير جليل . وفيها طائر يعرف بالكَيْكَيْكل ويسمى بالحواص (٢) ، وهو يمشي على وجه الماء ويفرخ ، فإن أحس بحيوان أو إنسان يروم أخذه ، رفع عشه بفراخه برجليه حتى يصيره في وسط البركة حيث يأمن . وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر بالحواص ، ويتخذ بمصر من جلوده ثياب للنساء وجمالها ؛ وتباع بالآثمان الغالية . ومرسى مدينة بونة يسمى مرسى الأزقاق ، وهو من المراسى المشهورة (ج) . وبونة في جون (د) من البحر يسمى جون الأزقاق ، وهو صعب ، وفيه عطب مركب القبطاني ومركب الفخري ومراكب كثيرة .

مدينة القُلّ (٣) : مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم ، وهي على ضفة البحر ، وهي مرسى مدينة القسطنطينية . وهي كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير ، وفيها تفاح جليل ؛ ولها نظر وجباية عظيمة (ر) وهي بركة بحرية .

(١) « وعلى فحوصها وقراها » ناقصة في ك .

(ب) ك : يطيل . (ج) القراءة في ب ، ج : ومرسى بونة يسمى مرسى منيع وهو من المراسى المشهورة . (د) ك : جوف . (ر) ك : فوائد عظيمة .

(١) البكري ، ص ٥٤ وتايح ؛ الإدريسي ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ٢١ - ٢١ ؛ ابن حوقل ، ص ٥١ .

(٢) يتكلم البكري (ص ٥٨ والترجمة ، ص ١٤١) عن هذا الطائر عندما يصف بنزرت . وكذلك الأمر بالنسبة للإدريسي (ص ١١٥) .

(٣) البكري (ص ٨٣) لا يقول شيئا عن هذا الميناء ؛ الإدريسي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

مدينة *جيجل* ^(١) : مدينة قديمة على البحر وكان لها سور قديم بضرب البحر فيه ، وهي على نظر كبير . وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه ، ومنها تحمل الفواكه والعنب والترب إلى مدينة بجاية . وعلى هذه المدينة جبل كتامة ، ويسمى جبل *زاندوي* ^(٢) (١) ، وهو كثير الخصب فيه قبائل كثيرة من البربر ، وفيه كانت دعوة [أبي] عبد الله الداعي . وبين جيجل وبجاية ، على ساحل البحر ، موضع يسمى بالمنصورية ^(٣) عليه جبل عظيم ، مما يلي البر من حافة مثل الحائط ، فيها ثقب في غلظ حجر الربيع الموزون به ، ينبعث منه ماء في كل وقت من الأوقات المعهودة بالصلوات الخمس (ب) ، يسمع قبل انبعائه دوى كدوى الرحي الفارغة ، ينبعث الماء هكذا ليلاً ونهاراً في أوقات الصلاة خاصة . أخبر بذلك من شاهده وسهر الليل كله .

مدينة بجاية ^(٤) : هي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، والبحر يضرب في سورها . وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة ، أصحاب قلعة أبي طويل ، وتعرف بقلعة حماد اليوم . وكان سبب بنائها ، أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية ، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي ، وتحصن بمدينة المهدية . وكان ابن عمه صاحب القلعة ، المنصور بن حماد ، أشد

(١) أنظر Fagnan ، ص ٣١ (ب) القراءة في النص : فيها ثقب ينبعث منه ماء في غلظ حجر الربيع الموزون به في كل وقت من الأوقات المعهودة للصلوات الخمس.

(١) البكري ، ص ٦٤ ؛ الإدريسي ، ص ٩٧

(٢) قارن ابن خلدون ، الترجمة (Berbèrea) ، ج ١ ص ٢٩٢ ؛ الإدريسي (سوق بني زندوي) . أنظر Fagnan ، هامش ٤ ص ٣١

(٣) الإدريسي ، ص ٩٨ (حصن المنصورية) ؛ البكري (ص ٨٢) يتكلم عن ينبوع المتقطع ولكنه يذكر سبباً بدلاً من المنصورية . قارن Fagnan ، هامش ٢ ص ٣٢

(٤) لا يخصص البكري لبجاية (ص ٨٢ والترجمة ، ص ١٩٢) إلا عدة أسطر . قارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٣١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٩٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩١ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ ؛ مرآة الإطلاع ، ج ١ ص ١٢٧ . عن الواقعة بين العرب والحماديين في سببها على عهد الناصر والد المنصور ، وعن بناء مدينة بجاية (الناصرية ثم المنصورية) أنظر G. Marcais, Les Arabes en Berbérie du XI au XIV siècles, p. 137 sq., La Berbérie Musulmane, pp. 199, 200 et notes.

شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشا ، فخرج لنصرة ابن عمه وجيش جيشا كبيرا . فلقيته العرب بجملتها بفحص (ا) سيبية ، على مقربة من القيروان ، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاجة . وذلك أن أخاه كان أسن منه فهاه عن مقابلة العرب ، وقال له : « أقم أنت ببلادك وابعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين وفي جباثك طامعين ، فهذا من خلق العرب قدما فلا تلقاهم » (ب) . فلما كان ذلك اليوم : وهزم ، قال له أخوه : « ألم أنك أن تلقاهم بنفسك ، ولكن اعطى تاجك والراية أقم على الجيش ، واتج بنفسك ، فإن كانت السلامة فن الله ، وإلا بقيت أنت للناس ، فليس منك الخلف » . وهذا من أغرب ما يصنع الأخ مع أخيه والولى مع وليه . فأعطاه عمامته ورايته وكانت مشهورة ، فسار بالجيش حتى لحق وقتل . وكانت للملك صنهاجة عمام شرب (ج) مذهبة يغلون في أثمانها ، تساوى العمامة الـ ٥٠٠ دينار والـ ٦٠٠ دينار وأزيد . وكانوا يعممون بها بأثمن صنعة فتأتى تيجانا (د) وكان (ر) ببلادهم صناع لذلك ، يأخذ (س) الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد . وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم ، يسمونها الرؤوس ، يعممون عليها تلك العمام . فلما نجا المنصور إلى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا [عليه] ببلاده ، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم ، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده ، فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب (ص) فدل على موضع بحاية وكان مرسى . ويقال إنه كانت فيه آثار قديمة وإنها كانت مدينة فيما سلف ، فبناها المنصور ، وسمّاها المنصورية ، وانتقل ملكهم من القلعة إلى بحاية ، واتخذها دار مملكتهم . وبينها وبين قلعة حماد مسيرة أربعة أيام .

وهي مدينة عظيمة ، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها ، والبحر منها في ٣ جهات : في الشرق والغرب والجنوب . ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على خفة النهر المسمى بالوادي الكبير ، وطريق القبلية إلى قلعة حماد على عقاب وأوعار ، وكذلك طريقها إلى الشرق . وليس لها طريق

(ا) ب ، ك : بأهل .

(ب) القراءة في ك : وفي جباثك طامعين .. الا تلقاهم . وفي ب :

طامعين .. فاني لا ألقاهم . (ج) «شرب» ذقصة في ك .

(د) ب ، ك : تاجان ، ج : تاج . (ر) «وكان» ناقصة في ب ، ك .

(س) ك : فأخذ . (ص) القراءة في ك : ولا يلحقها العرب .

سهلة إلا من جهة الغرب ، فلم يكن للعرب إليها سبيل ، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه (أ) الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها ، فيدخلها أفراد وفرسان (ب) دون عسكر . فبقى صاحب بجاية في ملك شامخ وعز باذخ (ج) يضاهى في ملكه صاحب مصر ، فإن بجاية على نظر كبير وفائد عظيم . وبجاية معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون (د) ، وعليها سور عظيم ، والبحر يضرب فيه . ولها داران لصناعة المراكب ، وإنشاء السفن ، ومنها تغزا بلاد الروم فلأنها ليس بينها وبين صقلية غير ٣ بحار (ر) . وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم ، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن ، والهند ، والصين ، وغيرها . ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار ، وجميع الحيرات . وهي مشرفة ، نزيهة ، ومطلّة على البحر وعلى فحصى قد أحاطت به جبال دوره نحو ١٠ أميال ، تسقيه أنهار وعيون ، وفيه (س) أكثر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميادين أو دونهما ، وعليه كثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر ، وله منزه عظيم . وفي بجاية موضع يعرف بالثلثة ، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر ، متصل بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المحرمة المحنية ، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ، قد نقش أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور المحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها (ص) منزهها وجمالا . وهذا الجبل مسيون (ط) ، الذي فيه بجاية ، جبل عظيم عال قد ذهب في الجو ، وقد خرج في البحر ، وفيه مياه سائحة ، وعيون كثيرة وبساتين ، وهو كثير القرودة ، ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب (ع) .

(أ) ب ، ج : يبعث عند . (ب) ك : فارس أو فارسان . (ج) «في ملك شامخ وعز باذخ» ناقصة في ك . (د) النص أميول . أنظر Fagnan ، ص ٣٥ (ر) ب ، م ، ك : بحار . (س) ك : وفيها . (ص) «أتمها» ناقصة في ك . (ط) ب : أميول ، ك : أميول . (ع) ب : الذي يسمى الذوب .

قال الناظر : لما كانت هذه المدينة على ما وصفت ، وكان فيها بقية صنهاجة الموتورين (١) ، جملوا يداخاؤن أمثالهم ممن وترت دنياه وأخراه ، كأهل ميورقة المنقطعين فيها من أبناء جنسهم ، فدهم بجاية منهم على بن اسحق بن حو بن غانية المسوق (ب) سنة ٥٨٠ [= ١١٨٤] أول ولاية الخليفة أمير المؤمنين أبي يوسف ، أيد الله أمره وأعز نصره . وعاث فيها وفي ذواتها (ج) ودرج منها إلى قسطنطينية فطرده منها عساكر الموحدين ، فتوغل في بلاد الجريد ، وعاث فيها ، وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وأباح الحرم ، وفعل ما هو لائق بجذته (د) ووخامة مولده (ر) . فسارع لغزوه أمير المؤمنين ، واستأصل شأفته (س) ، ومات — لعنة الله عليه — برشقة سهم على توزر ، عقب سنة ٥٨٤ [= ١١٨٩] (١).

مدينة مرسى الدجاج (٢) : مدينة أزلية على شاطئ البحر ، والبحر يضرب في سورها . وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأول ، ولها بساتين وجنات ، وبها الطير المسمى بالسفاني كثير من البحر ، ويقابلها (ص) جزيرة ميورقة .

(١) ب : المورثون ، ج : الموتورين ، ك : الماثرين .

(ب) القراءة في ب : كأهل ميورقة جنسهم منهم على بجاية منهم على بن اسحاق ابن غانية ، وفي ج : بن غانية المسوق ، وفي ك : . . جنسهم على بجاية منهم محمد بن اسحاق بن غانية المتوفى .

(ج) ب : دارتها ، ك : دوراتها . (د) ب : متحدة . والظاهر أن المؤلف يريد بهذا التعريض بجدة العائلة الميورقية وهي غانية . (ر) هـ وفعل ما هو لائق بجذته ووخامة مولده هـ ناقصة في ك . (س) ك : شأنه .

(ص) ك : ونقار بابها .

(١) عن فتح بجاية سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وغزو إفريقية على أيدي بني غانية أنظر E. Lévi. Provençal, Lettres officielles almohades (مجموعة رسائل موحدية ، الرسائل رقم ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥) ، Etudes, p. 58 sq. ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٥ ؛ ابن مغازي (Anónimo) ص ٤٣ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٢٢٤ ؛ ابن عطلون ، المعبر ، ج ٦ ص ١٩٠ . A. Bel, le Banu Ganiya .

(٢) قارن البكري ، ص ٦٥ ، ٨٢ ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

مدينة جزائر بني مزغناي (١) (١) : مدينة أزلية على ضفة البحر ، والبحر يضرب في سورها . وهي قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم ؛ وفيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملونة (ب) مثل الفسيفساء ، فيها صور الخيل والحيوان بأحكام صناعة ، وأبداع عمل . ويتصل بجزائر بني مزغناي فحوص كبير يسمى فحوص مَشِيَجَة ، وهو فحوص عظيم كثير الحصب والقرى والعمائر تشقه الأنهار ؛ وهو مرحلتين في مثلها قد أهدقت به جبال مثل الإكليل . وفي آخر هذا الفحوص جبل عليه الطريق ، وهو وعر المحاز ، يسمى حلق واجر (ج) ، ويسميه أهل البلاد باب الغرب ؛ وليس يدخل إلى بلاد الغرب إلا منه . وكانت بمدينة بني مزغناي كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان ، بقي اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة للعديد (د) ، وهو كثير النقوش والصور . ومرساها مأمون ، وفيه عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن ؛ ويقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكله . وتليها بجهة الغرب مدينة لغانية .

مدينة لغانية (٢) : هي مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول ؛ وهي غير مسكونة ، ولها نهر يصب في البحر . ويقابل هذا المرسى - في بر الأندلس - مرسى مدينة دانية أو هو أوسع بوسطه في هذا البحر .

مدينة شرشال (٣) : مدينة كبيرة فيها آثار للأول ، وهي غير مسكونة . وفيها بنيان عجيب (ر) يسمى محراب سليمان قد علا في الهواء ؛ ويقابله من الأندلس مرسى ألاقنت (س) .

- (١) ب : مزعنة . (ب) ك : ملفقة .
 (ج) ك : حلق واحد . أنظر البكري ، ص ٦٥ .
 (د) هنا يوجد خرم في ك مقداره عدة صفحات . (ر) ج : عظيم .
 (س) ب : لطنت .

(١) قارن البكري ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥٢ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ .

(٢) البكري (جنايية) ، ص ٨٢ .

(٣) البكري ، ص ٨١ - ٨٢ (هذه المدينة تقع بالنسبة للأندلس أمام المرية ، أما لقنت فهي واقعة أمام مدينة أكور على بعد ٢٠ ميلا شرق تنس) ؛ الإدريسي ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ . قارن Fagnan ، هامش ١ ص ٤٠ .

مدينة تنس^(١) : بينها وبين البحر ميلان ؛ وهي مدينة مسورة حصينة ،
وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها عامل تنس لمنعها . وبها مسجد
جامع وأسواق حافلة كثيرة ؛ ولها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة
ثم يستدير بها من جهة الشرق والجوف ، ويصب في البحر . وهي كثيرة الزرع ،
رخيصة الأسعار ، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد
المغرب لكثرة الزرع عندهم . ولكنها وبيّة ، من يدخلها لا يسلم من المرض ،
وكثيرا ما يموت بها الغرباء . ولذلك قال بعض الشعراء فيها :

أما السائل عن أرض تنس (١)	بلد اللوم لعمرى والدنس
بلد لا ينزل القطر بها	للندی فی أهلها حرف درّس
فصحاء النطق في لا أبدا	وهم في نعم بسكم خرس
ماؤها من قبح ما خصت به	نجس بحرى على أرض نجس
فنى تلمن بلادا مرة	فاجعل اللعنة اذا بالتنس

وأعلمني الثقة أن بها فيران ضخمة .

مدينة قصر الفلوس^(٢) : هي مدينة كبيرة ، مرسى للمراكب ، فيها آثار
كثيرة للأول تنبئ أنها كانت دار مملكة ؛ وهي اليوم خراب . وفيها ماء مجلوب
على قناطر (ب) بأغرب ما يكون من البناء القديم .

مدينة وهران^(٣) : هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين
البحريين بسبب المرسى ، بالاتفاق (ج) مع قبائل البربر المحاورين لها ؛
فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين نحو ٧ أعوام . ثم إنه

(١) ب : تونس . (ب) النص : قناطر . (ج) النص : بالاتفاق .

(١) البكري ، ص ٦١ وتابع (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٧) . قارن
الإدريسي ، ص ٨٢ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١
ص ٢١٥

(٢) البكري ، ص ٧٩ ، ٨١ ، قارن ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ١ ص ١١٨ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٢٢

(٣) البكري ، ص ٧٠ - ٧١ . قارن الإدريسي ، ص ٨٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٥ ؛
ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣
ص ٢٩٩

زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثأرا بينهم وبين بني مسكين فإني من كان فيها من الأندلسيين ، وكان عندهم جماعة منهم ، فنصبوا عليهم الحرب . فلما ضيقوا عليهم هربوا بني مسكين في الليل ، وتغلب البربر المحاصرون لها عليها وأخرجوا من كان فيها ، وأضرموا نارا فخربت وهران عند ذلك ، وبقيت سنين خربة ، ثم تراجع الناس إليها وبنوا فعادت أحسن مما كانت . وهي مدينة كثيرة البساتين والثمار ، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرجاء وعيون ، وهي من أعز البلاد . ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة ، وأهلها موصوفون بعظم الخلق وكمال القامة والإباء (١) والشدة .

قال أبو عبيد البكري : أخبرني غير واحد من دخل هذه القرية ورأى أهلها أن الرجل الكامل من غيرهم يكون إلى منكب الرجل منهم . وأنه كان رجل منهم أراد أن يقيم بيتا ، فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا كبيرا وسكنه . ولو وهران مرسى كبير ، مشى للسفن ، يُمكن من الريح لأنه في حوز (ب) جبل مطل على وهران مرتفع .

مدينة أرشجول (ج) (١) : مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة ، وهي على نهر تافني (د) وهو نهر كبير تدخل فيه السفن . والمدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف . وهي ساحل تلمسان ، بينها وبين تلمسان فحوص زبدور لحرق القمح (ر) وهو مبارك مشهور البركة .

مدينة أسلي (٢) : وهي بشرقي أرشجول بمقربة منها ، وكانت مدينة قديمة عليها سور من صخر ، وكانت حصينة ، ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها .

(١) ب : الأبد . (ب) ج : جوف . (ج) ج : أرشكول .
(د) ج : بأوف ، ب : بأذن . قراءة البكري هي الصحيحة أنظر ص ٧٧
(ر) ب ، ج : فحوص تربة لحرق القمح .

(١) البكري ، ص ٧٧ - ٧٨ . قارن الإدريسي (أرشقول) ، ص ١٧٢ ، الدمشقي ، ص ٢٣٥ ، ابن حوقل (أرشكول) ، ص ٥٣ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧١ .
(٢) البكري (أسلي) ، ص ٧٩ .

مدينة فكّان (١) (١) : هي مدينة أزيلية كبيرة فيها آثار كثيرة للأول ،
ثم إنها خربت ، فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وعمرها .
وهي قريبة من البحر .

حصن زَبَّان (٢) : له نهر كثير الثمار والأشجار ، وبالقرب منه حصن
الفرُّوس وهو على قنة جبل على ضفة البحر ، وبالقرب من هذا الحصن ،
الوردانية ، وحصن وهنين (ب) ، ومرساه مقصود وله بساتين كثيرة .

مدينة نَسْدَرُومَة (ج) (٣) : من طرف (د) جبل تاجراً ، وهي مدينة حسنة
كثيرة الزرع والقواكه رخيصة الأسعار . ولها بساتين خصيبة (د) ومزارع
كثيرة ، وبينها وبين البحر نحو ١٠ أميال . وبساحتها نهر ماء يسيل ، وهو نهر
كثير الثمار ، وله مرسى مأمون مقصود ، وعليه رباط حسن فيترك به . وقيل
إنه من أنى [فيه] منكر لم تتأخر عقوبته ، وقد عرف ذلك من برئته ، وحسن
صنع الله فيه .

مدينة تَرْفَانَا (٤) : كانت مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر ، وكانت
محطاً للسفن ومقصداً لقوافل سبجلماسة وغيرها . وكان سكانها من قبائل البربر
ومطغرة (س) ، وهم أعداء من هناك من البربر . وعلى هذا الساحل مدن كثيرة
قد خربت ، وكانت في سالف الأزمان أهلة كثيرة الخصب ، مثل مدينة
تاججريت (ض) وهي ساحل ، وبه مدينة مَيْلَيْلَة (٥) ، وهي مدينة قديمة

(١) ج : فاكان . (ب) ب : حصن حصين . (ج) ب : ندروم .
(د) ب : من لرب . (ر) ج : ملية . (س) ج : من قبائل البربر مطغرة .
(ص) قراءة البكري (ص ٢٠٤) تافرجنوت ، الإدريسي (ص ٢٠٥) تافر جنوت ،
أنظر Fagnan هامش ٣ ص ٤٤

(١) البكري ، ص ٧٩ (يعزى بناء أسكن من جديد الى بن أبي عامر بينما ينسب تأسيس
فكان الى يعلى بن محمد بن صالح . أنظر Fagnan ، هامش ٢ ص ٤٤ . قارن الإدريسي
(أفكان) ، ص ٨٢ - ٨٣

(٢) البكري (حصن ابن زينا) ، ص ٧٩

(٣) البكري ، ص ٨٠ . قارن الإدريسي ، ص ٨٠

(٤) البكري ، ص ٨٠ ، الإدريسي ، ص ٨٠

(٥) البكري ، ص ٨٨ - ٨٩ ، الإدريسي ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ياقوت ، معجم

البلدان ، ج ٤ ص ٦٤١ ، دمشق ، ص ٢٣٧ ، ابن حوقل ، ص ٥٣ ، المبدري (ملاله) ،
الخطوط ، ص ١٤٧ - ١

مشهورة ولها سور صخر وداخلها قصبة مائنة . ودخلها الناصر سنة ٣١٤
[٩٢٦] ، وبني سورها .

مدينة عَجْرود^(١) : مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة ومرسى
مقصود .

مدينة نُكْر^(٢) : وهي مدينة كبيرة ، بينها وبين البحر نحو ١٠ أميال ؛
وهي بين رواب (١) وجبال ، ولها نهران أحدهما يسمى (ب) نُكْر وبه سميت ،
ومخرجه من بلاد كزناية (ج) من جبل كوين (د) ؛ ومن هذا الجبل ينبعث
النهر المعروف بورغنة ، وهو نهر كبير مشهور من أنهار المغرب . ومدينة نكر
كثيرة البساتين طيبة الفواكه لاسيما الكثرى والرمان ، فليس يوجد مثلها
في بلدة . وهي قديمة أزلية افتتحها سعيد (ر) بن إدريس بن صالح الحميري ،
وهو المعروف بالعبد الصالح ، في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان . وكان
دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول قبل موسى بن نصير ، وعلى يديه أسلم
البربر المجاورين (س) لهذه المدينة ، وهم صنهاجة وغمارة . ثم ارتد منهم بشر
كثير لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام ، ثم تلافاهم الله بهدايته (ص) ، ومات سعيد
المذكور ودفن بقرية أقطي (ط) على شط البحر ، وولى ذلك البلد بنوه .
وكانت لهم حروب كثيرة مع قبائل البربر ، وكانوا قد تصاهروا مع الحسينيين
من بني إدريس ملوك المغرب . ويجاور مدينة نكر جبل غمارة ، وتحتة مراسي
كثيرة ، منها مرمى باديس (ع) ، عليه عمارة كثيرة من البربر ، وفيه السعير رخيص
ومنه تحمل المراكب الطعام .

-
- (١) ب : دواب . (ب) «يسى» ناقصة في ب .
(ج) ب : كراية . (د) أنظر Fagnan ، ص ٤٥
(ر) النص : سعد . أنظر Fagnan ، ص ٤٥ (س) ب : المجاورة .
(ص) القراءة في ب : ثم تلاهم الله بعد لايته . (ط) ب : أقطي ، ج : أكضر
أما أقطي فهي قراءة البكري : أنظر Fagnan ، ص ٤٥
(ع) ب : مراسي بادس ، ج : مرسى بايدس ، البكري (ص ٩٠) : باديس
وانظر Fagnan ، ص ٤٦

(١) البكري ، ص ٨٩ ، الادريسي (ص ١٦٢ - ١٦٤) لا يتكلم إلا عن موقف على
الطريق من مصر الى المدينة يسمى عجرود .

(٢) البكري ، ص ٩٠ وتابع . قارن الادريسي (يزكور أو فكور) ، ص ١٧١ ؛
الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣

مدينة تَيْطَوَان (١) : وهي مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزروع ،
طيبة الهواء والماء .

مدينة سَبْتَة (٢) : وهي على ضفة البحر ، وهو بحر الزقاق ، والبحر
قد أحاط بها شرقا وجوفا وقبلة ، وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية
الغرب ، لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه (أ) . ولها بابان أحدهما محدث (ب) ،
ولها من جهة البحر أبواب كثيرة . وفي آخر المدينة بشرقها جبل كبير في شعراء
كثيفة يسمى جبل المينا (ج) ، وقد كان محمد بن أبي عامر (د) أمر أن يبنى بهذا
الجبل مدينة وينقل إليها أهل سبتة ، فبنى سورها ومات ولم يتم ما أراد ، والسور
باق إلى وقتنا هذا كأنه مبنى بالأمس ، وهو يظهر من بر الأندلس لبياضه .
ومن غريب ما في ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأبراجها مبنية بالزيت عوضا
من الماء ، وكان غرضه إتمام عمله (ر) على هذا لولا الإنفاق الكثير ، فإن البناء بالزيت
أصلب وأبقى على مرور الدهور (س) والأزمان ، فلم يساعده الأجل رحمه الله .

ومدينة سبتة مدينة قديمة سكنها الأول ، فيها آثار كثيرة وكان لها ماء مجلوب
من نهر قرية أويات (ص) على ٣ أميال منها ، يجري الماء في قناة مع ضفة البحر
القبلي الذي يعرف ببحر بسول (ط) ، وكان يدخل كنيسها التي هي اليوم جامع سبتة .
وأمر الخليفة أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى عنه سنة ٥٨٠ [١١٨٤] بجلب الماء إليها
من قرية بَلْيُونَش المذكورة (ع) ، على ٦ أميال من سبتة ، في قناة تحت الأرض

(١) «لقطعوه» ناقصة في ج . (ب) ب : تحدث . (ج) أنظر Fagnon ،
ص ٤٦ (د) ب : عبد الملك بن مروان ، ج : عبد الملك بن أبي عامر .
أنظر الإدريسي ، ص ١٦٧ ؛ البكري ، ص ١٠٢ (ر) يفتى هنا
الحرم الموجود في ك . (س) ك : مر . (ص) ماويات .
(ط) ب ، ك : بسوال ، ج : بيوال ولكن قراءة البكري هي الأصح (ص ١٠٢) ،
أنظر Fagnon ، ص ٤٧ (ع) ب ، ج : بليوانش .

(١) قارن الإدريسي (تطاوان تسكنها قبيلة تسمى بحسكة) ، ص ١٦٧

(٢) البكري ، ص ١٠٢ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ١٦٧ - ١٦٨ (حسب الإدريسي
بنى ابن أبي عامر سورها وأمر بنقل المدينة إلى سفح الجبل) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣
ص ٣ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،
ج ٢ ص ١٦٩ ، ١٨٦ وهامش ٤ ص ١٨٥ (عن قصر الحجاز) . يتكلم البكري عن جبل القردة
عند ما يتكلم عن مدينة طنجة (ص ١٨٢) .

حسب ما جليه (١) الأوائل في قرية قرطاجنة وغيرها . وشرع العدل فعرضت أمور أوجبت التبرص إلى حين يأذن الله تعالى بذلك ، والرجاء الآن مؤمل ونحن في سنة ٨٧ [٥] [١١٩١] . وعلى قرية بلكيونس المذكورة جبل عظيم فيه القردة ، عبر من تحته موسى بن نصير إلى ساحل طريفة فسمى به وهو الصحيح . وكان عليه حصن هدمه مصمودة المهاجرون له ، ثم بناه الناصر عبد الرحمن المرواني ، فهدموه ثانية . وتحت أرض خصيبة فيها مياه عذبة ، ومنه إلى مرسى باب اليم (ب) ، وعليه قرية تعرف بقصر مصمودة ، ولها نهر يصب في البحر عذب ؛ ومنه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفة ١٨ ميلا .

مدينة طنجة (١) : هي مدينة كبيرة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول وقصور وأقباء وغيرها . وكان فيها ماء مجلوب في قناة كبيرة ، وبخارجها ماء طيب (ج) يسمونه بئر قال حمل (د) شناعة الحمق فهم يعبرون بشربه ؛ فيقال لمن تهافت منهم : « شربت ماء بئر قال لا جناح عليك » ؛ وفيه يقول الشاعر :

بطنجة عين ماء وسط رمل لذيد ماؤه كالسلسيل
خفيف وزنه عذب ولكن يطير بشاربه (د) ألف ميل

وكان فيها رخام وصخر متجور جليل ؛ منها كانت القنطرة على بحر الزقاق إلى ساحل أندلس التي لم يكن في العالم مثلها . وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس ؛ فلما كان قبل فتح المسلمين جزيرة الأندلس بنحو ٢٠٠ سنة ، طغى ماء البحر وخرج من البحر المحيط إلى بحر الزقاق ، ففرق هذه القنطرة وغيرها من المواضع المجاورة لها . ويذكر أن طولها كان ١٢ ميلا ، وسعة المجاز اليوم في موضعها ٣٠ ميلا ونحوها . وتبدو هذه

(١) ك : جافة . (ب) ب : باب البحر ، ج : باب البئر ، ك : باب اليم ،

البكري : باب اليم . أنظر Fagnan ، ص ٤٨

(ج) ج : ودجاجها عني ، ك : وصهاريج ولها عين ماء . (د) ب : حصل .

(ر) ب : يطير شاربها ، ج : شرايه .

(١) البكري ، ص ١٠٤ ، ٤٠٩ ؛ الإدريسي ، ص ١٦٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٨ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٥٩) ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٢١٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٨

القنطرة للمراكب فيتحفظون منها ؛ ويقال إنها تنكشف في آخر الزمان ويجوز عليها الناس ، والله أعلم بغيبه .

وقيل (١) إن طنجة آخر حدود إفريقية في المغرب ؛ ومسافة ما بين طنجة والقروان ١٠٠٠ ميل . وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ . وقيل إن عمل طنجة كان مسيرة شهر (ب) في مثله ، وإن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة ، وذلك من أجل القنطرة لكلا يفجأ العدو إحدى الجهتين ، والله بغيبه أعلم . وإذا حفرت خرائب طنجة وجدت فيها أصناف الجواهر ، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة للأمم سالفة . وقيل إنه يسامت طنجة في البحر المحيط الأعظم الجزائر المسماة قرطناً قش (ج) ومعناه السعيدة ، سميت بذلك لأن أرضها تحمل الزرع دون حوث ، وشعراؤها وغياضها كلها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسة (د) ، وفيها أصناف الرياحين العطرة بدل الشوك . وهي متفرقة في البحر متقاربة بغربي بلاد البربر ، يذكر ذلك أهل سواحل المغرب ؛ وقد رأيت من امتحن في طلبها . ويقال ، لطنجة نهر كبير تدخل فيه السفن يصب في البحر ، وهو يأتي من جبال طنجة وتأتي فيه سيول عظام تذهب ببعض دورها .

مدينة أصيلا (ر) (١) : كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة أهلة كثيرة الخير والخصب . وكان لها مرسى مقصود ، وكان سبب خرابها أن المحوس إذا خرجوا من البحر الكبير فأول ما يلقون مدينة أصيلا ، فيزلون ممرساها ويخربون ما قدروا منها ، فيجتمع البربر فيحاربونهم ؛ فكانوا معهم على ذلك مع ما كان بين أهل تلك البلاد من الفتن . ويقال إن المحوس قصدوا إليهم مرة فاجتمع البربر لقتالهم ، فقالوا لهم : « ما جئنا لقتال وإنما لنا ببلادكم أموال وكنوز ، فتنحوا عنا حتى نستخرجها ونشاطركم فيها » . فرضى البربر بذلك واعتزلوا عن الموضع

(١) ك : وقال . (ب) ب : كان مسير شهرا . (ج) ب : قرطنا قش

و قرطنا قش ، ك : قرطنا قش . أنظر البكري ، ص ١٠٩

(د) « دون غراسة » ناقصة في ب ، ج . (ر) البكري (ص ١١١) : أصيلة

وأصيل ؛ الإدريسي (ص ١٦٩) أزيلة ؛ ياقوت (معجم البلدان ، ج ١

ص ٢٣٥) : أزيل .

(١) أنظر البكري (أصيلة وأصيل) ، ص ٨٩ ، ١١١ ، ١١٢ . فاردن الإدريسي (أزيلة ،

و أزيلة) ، ص ١٦٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (أزيلة) ، ج ١ ص ٢٣١ ؛ الدمشقي ،

ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٥٥

الذي ذكروا لهم ، فحفر المحجوس موضعا من تلك المواضع التي زعموا فوجدوا على الحب مطامير من الدخن فاستخرجوه ، فلما نظر البربر من بعيد إلى صفرة الدخن ظنوه تبرا ، فبدروا إليهم ونقضوا عهدهم وهرب المحجوس إلى مراكبهم . فلما أصاب البربر الدخن ندموا فرغبوا إلى المحجوس أن يرجعوا إلى استخراج المال فأبوا ، وقالوا : « قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا » .

مدينة تُشمس^(١) (١) : وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول ، وهي على نظر واسع كثيرة الحصب والزرع والضرع . وهي تشبه بلاد الأندلس ، وبقرها بحيرة كبيرة تسمى أمسا ، يصب فيها البحر ٧ أعوام وتنصب هي في البحر ٧ أعوام ، وينقطع البحر عنها فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك . وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك وأهل الخيرة ، وأمرهم مشهور بتلك الجهات معروف .

مدينة سلا^(٢) : اسمها بالمعجمي شلة (ب) ، وهي مدينة أزلية فيها آثار للأول . وهي معروفة بصفة الوادي ، متصلة بالعارة التي أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين وآباؤه المكرمون . وقد كان اتخذ أرباب البلد العشريون وأولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية ، وهي المعروفة الآن بسلا ، فيها ديارهم بحومة الجامع ، ولم يبق منه سوى المنار ، وأما السقف كله فهدم واحتوى الغرباء في بنائه في سنة ٥٧٤ [١١٧٨ =] . وأمر الخليفة أبو يعقوب رضى ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين ، وفي هذه القصبة جامع وقصور ، وصهاريج الماء أمام الجامع وهو مجلوب من نحو ٢٠ ميلا . وفي هذه المدينة المحدثه قيسارية عظيمة وحمامات وفنادق (ج) وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع

(١) ك : نشوس . (ب) ب : سلا . (ج) ك : وحام وفندق .

(١) البكري ، ص ١١٣ ، قارن الإدريسي (شمس) ، ص ١٦٩ ، ابن حوقل (وادي شمس) ، ص ٥٤ .

(٢) البكري ، ص ٨٧ ، الإدريسي ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٠٩ ، الدمشقي ، ص ٢٣٥ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٨٣ . هنا تعتبر المعلومات التي يمدنا بها المؤلف أصيلة كبيرة الأهمية .

أعدت لورود المحلات عليها - إذ [أن] وضعها على الهجاز والمعبر (أ) - إلى حضرة مراکش كلاًها الله . وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معدية ، مدت عليها أوصال الخشب وصليت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر ، تجوز عليها العساكر والمسافرون ؛ وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل (ب) . ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر ، فتعوم عليه المراكب وترسو دونه الأجفان الكبار ، وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة (ج) المدخل ، وهو مشهور عند أهل صنعة البحر . ويقابله من مراسى بر الأندلس وادي شلب (د) ، وبينهما في البحر يوم وليلة . وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنارة البديعة ، وما هي وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب منتزهات الدنيا ، لاسيما في الأعوام الخصبية والفصول المعتدلة . وناهيك من ساحل طوله نحو الميلى وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر ، والزوارق في الوادي بركابها ، والمنارة المظلة ، وعلاقات الثمار ، وعقد الزيتون ، وجدر الكرمات ، وقبب (ر) الجلوس لاسادات أيدهم الله ظاهرة ، وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة . وما هي في أوقاتها إلا أملع (س) من ديار مصر ، وما يحكى عن دجلة والفرات ؛ فلنا لله على الفناء والممات ؛ والله در من قال :

الناس مثل حباب والدهر بركة ماء
فعالم في طفو وعالم في انطفاء

وقد ذكرت البلاد الساحلية والتي تقرب من الساحل أو دونهما ، مثل القيروان ، للضرورة الباعثة على ذلك . ومن الناس من يرى أن طنجة آخر بلاد الساحل ، ويعتقد أن بحر أقناش إنما مدخله من هناك حيث أشبر تيال (ص) (١) ؛

(أ) ب : إذا وضعت على الهجاز والمعبر .

(ب) ب ، ج : الشوابل . (ج) ك : بصية .

(د) ك : شلب . (ر) ج : قباب . (س) ك : أحسن .

(ص) ك : اشرف تيال . أنظر Fagnan ، ص ٥٤ .

(١) اشبر تيال عبارة عن تحريف كلمتي «الطرف الأغر» . قارن أبو الفدا ، الترجمة ،

ج ٢ هامش ٢ ص ٢٦٩ ؛ Fagnan هامش ١ ، ٢ ص ٥٥ .

وأنا أقول إن مدخل هذا البحر إنما هو من طرف ايثير (أ) الذي خلفه بلد
نول ، ويقابله طرف الريحانة (ب) حتى لو قطع مركب بريح مصطحبة لأخذ
أحدهما من مقابله (ج) .

ذكر البلاد الصحراوية

والتي تقرب من الصحراء بمرحلة أو أكثر من الإسكندرية
إلى آخر بلاد المغرب

مدينة المُسَنَّى^(١) : هي أول مدينة تلي الاسكندرية على طريق الصحراء ،
وهي ٣ مدن قائمة البناء خالية ، فيها قصور شريفة في صحراء رمل ، يقطع فيها
العرب على القوافل . ويسكن في بعض تلك القصور الرهبان ، وبعدها كنيسة
غربية البناء فيها عجائب من الصور والنقوش ، توقد قناديلها ليلا ونهارا
لاتطفأ ، وفيها صور الأنبياء عليهم السلام وصورة مريم عم في عمود من رخام .
وخارج الكنيسة صور جميع الحيوان والصناع والتجار ، ومن جملتها صورة تاجر
الرقائق ، وبين يديه خريطة مفتوحة في الأسفل ، تنبئ أن التاجر في الرقيق لاربح
له . وفي وسط الكنيسة قبة فيها ٨ صور يزعمون أنها صور الملائكة (د) ،
وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه إلى القبلة يصل فيه المسلمون . وبقرها مدينة
خربها الروم فيها قصور تعرف بقصور أبي معد (ر) ، يسكنها من قريش
نحو ٢٠ بيتا ، وحواليها (س) قبائل كثيرة من العرب من بني مُدَجَج وغيرهم ،
وقبائل كثيرة من البربر . ويذكر أن كثيرا ما تبدل صورة المولود عندهم

(أ) «ايثير» ناقصة في ب . (ب) ك : أبي بجانة .

(ج) القراءة في ك : حتى قطع مركبان بريح مصطحبة لآخرها من مقابلة الآخر .

(د) ك : الملكية . (ر) ج : ابيعد . (س) ك : ومواليها .

(١) البكري (منا وأبو مينا) ، ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، أنظر Quatremère, Notice d'un

Manuscrit..., p. 9 — 10

فبصير في خلق الغول والسعلاة ، وإن عاش (أ) يعدو على الناس حتى يغل ويقيد . ولأجل ذلك يشتم أهل تلك البلاد وأهل إفريقية بعضهم بعضا يقولون : يامبدول (ب) . وقد أخبر الثقة أنهم عاينوا ذلك وتحققوه .

مدينة بركة (١) : وهي مدينة كبيرة أزلية قديمة ، فيها آثار كثيرة للأول ، وهي في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها ، وعلى ٦ أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة . وأرض بركة كثيرة الخصب تصلح السائمة في مراعيها ، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من غنم بركة لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها (ج) . واسمها باللغة الإغريقية بنطابلس (د) ، تفسيره ه مدن (ر) . ويذكر أن في تلك الخرائب التي بركة والآثار القديمة دار منقورة في حجر صلد ، عليها باب من حجر صلد كذلك ، من أغرب ما يكون في الدنيا ، لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ، ولا بين العتبة والباب ، ولا يفتح الباب إلا للداخل ، ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر ، ويقال إنه كان مفتوحا لا قفل له . وأخبرني بعض من دخل ذلك الطريق أن رجلا دخل فيه ليرى الدار ، فرأى دارا منقورة في حجر صلد ، وفيها من عظام الناس كثير ، فهاله ذلك فأراد الخروج فوجد الباب قد انغلق ولم يقدر على فتحه ، وأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث بفتح الباب ، ففتحته فخرج الرجل . وفي تلك الآثار عجائب لمن يتأملها .

(١) ك : مباشر .

(ب) هنا يوجد اضطراب في ب (ص ٦٦ - ب) إذ تأتي صفحة خاصة بمدينة فاس (أنظر طبعة Kremer ص ٧١) . أما عن بقية الحديث عن بركة فهو يوجد في ص ٨٩ - ب (السطر قبل الأخير وتابع) . (ج) « لذة لحمها » فاتحة في ك . (د) ك : بنطابلس . (ر) ك : تفسيره حسن .

(١) البكري ، ص ٤ (ياتوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٧٣ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ٥٧ - ب) . قارن الإدريسي ، ص ١٣١ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٩٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٣ ؛ اليعقوبي ، ص ٢٢٣ .

مدينة أجنادية^(١) : هي مدينة كبيرة في صحراء صفا ، وآبارها منقورة في ذلك الصفا (ا) ؛ طيبة الهواء والماء وبها عين ثائرة عذبة (ب) ، ولها بساتين ونخل يسير (ج) ؛ وبها جامع حسن البناء بناه الشيعة ؛ وله صومعة مشمعة بديعة العمل . وبها حمامات وفنادق كثيرة ، وأسواق حافلة مقصودة ، وأهلها ذو يسار وأكثرهم أقباط (د) ؛ وبها نبد من صرحاء لواته . وليس لمبانيها سقوف من خشب ، وإنما هي أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها . ثم كذلك قبائل البربر والعرب إلى جبل نفوسة^(٢) وطوله من المشرق إلى المغرب ٦ أيام ؛ وبينه وبين القيروان ٦ أيام ، وفيه مدن كثيرة . وفي هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول ، عجيبة فيها غرائب لمن تأملها . ووصل عمرو بن العاص - رحمه الله - إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى ، وفي جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب رضى . وفي وسط هذا الجبل مدينة جادوا (ر) [وهي] مدينة كبيرة لها أسواق حافلة وأكثر أهلها يهود ، وهي أم قرى جبل نفوسة .

مدينة شروس^(٣) : وهي مدينة كبيرة جليلة قديمة ، فيها آثار للأول ، وأهلها إباضية (س) ، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى ؛ وفي نظرها أزيد من ٣٠٠ قرية . ولا يرون في مذهبهم الجمعة ، وفي هذا الجبل أم كثيرة على مذاهب شتى ، وأكثرهم إباضية (س) . وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما

(١) « وآبارها منقورة في ذلك الصفا » فاقصة في ك . (ب) هنا لا توجد الجملة السابقة في ك (أنظر هامش (١) السابق) . (ج) ج : كثير . (د) النص : انباط . انظر Fagoon ، ص ٥٥ وهامش ٤ ؛ هامش ٢ ص ١٤٩ . (ر) « جادوا » لا توجد إلا في ب فقط . (س) ك : وعليها خوارج . (ص) ك : خوارج .

(١) البكري ، ص ٥ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 14). الشيعة هو أبو القاسم انقائم الخليفة الفاطمي الثاني . قارن الإدريسي ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٢ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ - ١٨٠ . (٢) قارن البكري ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 19) ؛ الإدريسي ، ص ١٠٤ (طول هذا الجبل مسير ثلاثة أيام) ، ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ؛ دمشق ، ص ٢٣٩ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٢٢ . (٣) البكري ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 20) ؛ قارن الإدريسي ، ص ١٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (شروس) ، ج ٤ ص ٨٥ ؛ دمشق ، ص ٢٣٨ .

لهم شيوخ وفقهاء في مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم ، ولهم رخص كثير في مذاهبهم .
أخبرني الثقة قال : رأيت رجلا دخل بلادهم فرأى إنسانا قد أراد التطهر ، فنزل
على ماء ونزع ثيابه وجعل يشرب كأنه يغتسل ، وكأنه يتوضأ ، وكأنه يريق
على رأسه وعلى جسده الماء . فقال له الرجل ما هذا ، فسكت عنه حتى فرغ ، فأخذه
الرجل الغريب وحمله إلى حاكم البلد ، وقال له رأيت هذا يفعل كيت وكيت .
فقال له الحاكم : من أين أنت ، فقال من المغرب ، فقال والله لولا أنك غريب
ببلدنا لأدبتك ، وما يدريك لعل له عذرا ، قال الله تعالى : « يريد بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر »^(١) . وهذا أفضل مذاهبهم (أ) فإن فيهم من لا يرى
الاغتسال بالماء جملة ، وإذا كان على أحدهم غسل يتمرغ في التراب ويتيمم مكان
الوضوء ، وبلاد إفريقية من هذا المذهب كثير . والزنا الحرام (ب) بجبل
نفوسة في مذهبهم : ما منهم رجل غني إلا وله وصائف (ج) كثيرة يلبسهن
فاخر (د) الثياب ويحلبهن بالخلي ، ويرزهن على الطريق للفواحش (ر) : ولهم ديار
معدة لذلك ، وهذا عندهم معروف لا ينكر . ومن جبل نفوسة إلى بلد غدامس
٧ أيام في الصحراء ، والماء منها على مسيرة ٣ أيام وأكثر . وبلد غدامس بلد
كبير ونظر واسع كثير النخل والمياه ، وأهلها بربر مسلمون لا يلتزمون
على عادة بربر الصحراء من لثونة ومسوفة وغيرها .

مدينة غدامس^(٢) : مدينة لطيفة قديمة أزلية ، وإليها ينسب الجلد
الغدامسي . وبها دوامس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت
بإفريقية ، وهذه الكهوف من بناء الأولين ، فيها غرائب من البناء والآزاج
المعمودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها ، تنبئ أنها آثار ملوك سالفة

(١) ب : وهذا أفضل من مذاهبكم . (ب) ب ، ج : الخدم .
(ج) ك : بنات . (د) ك : بأفخر . (ر) ك : الفواحش .

(١) القرآن : سورة ٢ ، آية ١٨١

(٢) أنظر البكري ، ص ١٨٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٧٦ ؛ مرصد

الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٠٢

وأم دارسة ؛ وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وإنما كانت خصيبة عامرة . وأكثر طعامهم التمر ، والكأمة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أحجارا . ومن غدامس يدخل إلى تادمكة (١) (١) وغيرها من بلاد السودان .

مدينة زويلة (٢) : مدينة كبيرة قديمة أزلية في الصحراء ، تقرب من بلاد كاتم (ب) وهي من السودان ؛ وقد أسلموا بعد الـ ٥٠٠ من الهجرة [١١٠٦] وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق ، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد . ولما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها ؛ وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبلد زويلة كثير النخل والثمار ، وبقرها قصر واجان (٣) ، وهو قصر عظيم على رأس جبل في طرف المغازة ، وهو مثل المدينة ؛ فسار إليه ١٥ يوما فنزل عليه وحاصره نحو شهر ، فلم يقدر . فضى أمامه على قصور كوار ففتحها ، وأخذ ملكها فقطع أصبعه ؛ فقال : لم فعلت في هذا ؛ قال عقبة : إذا نظرت إلى أصبعك لم تقاتل العرب (ج) . وفرض عليهم ٣٦٠ رأسا ثم سأهم : هل وراءكم أحد فلم يعلموا ما وراءهم ، فكر راجعا على قصور واجان ولم يتعرض له ولا نزل عليه (د) ، وسار ٣ أيام . فلما رأوا أنه لم يتعرض لهم أمنوا وانبطوا ، فأقام عقبة بموضع يسمى اليوم ماء الفرس (٤) ، فنفذ ماوئهم وأصابهم العطش حتى كاد يهلكهم .

(١) ج : تامدة ، البكري (ص ١٦٢) : تادمكت . (ب) ك : كاغ .
(ج) ك : السرب . (د) ك : ولم يعض له وما يدل عليه ، ب : .. ولا زال .

(١) أنظر البكري ، ص ١٨١ - ١٨٢ ؛ دمشق ، ص ٢٣٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٩

(٢) البكري ، ص ١٠ وتابع (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, p. 20) .
قارن الإدريسي ، ص ١٠٩ ؛ يرد ياقوت (معجم البلدان ، ص ٩٦٠ - ٩٦١) رواية البكري ويتكلم في نفس الوقت عن زويلة صاحبة المهدية التي بناها عبيد الله المهدي ؛ مرصد الاطلاع (ج ١ ص ٥٢٣) يقول إن زويلة اسم يطلق على عدد من القرى بين بلاد السودان وإفريقية وهي واقعة إزاء جدابية ، ثم يفترض أن هذا اسم مدينة صحراوية أخرى قليلة الأهمية . وبعد القرى يذكر زويلة التابعة للمهدية ، وينهى حديثه بذكر زويلة من أحياء القاهرة . اليعقوبي ، ص ٣٤٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨

(٣) قارن البكري (قصر جوان) ، ص ١٣ . وانظر Fagnan ، هامش ١ ص ٦٢

(٤) قارن البكري ، ص ١٤ (Quatremère, Notice, d'un Manuscrit, p. 27) .

قال فصلى عقبة بأصحابه (أ) ركعتين ودعوا الله تعالى، فجعل فرس عقبة يبعده بيده (ب) في الأرض حتى انكشفت صفاة تنبعث ماء (ج)؛ فنادى عقبة في الناس أن يحضروا، فاحتفروا فوجدوا ماء معيناً زلالاً يسمى ماء الفرس .

وكان يقال له عقبة المستجاب لأنه قل ما دعا في نيل شيء إلا استجيب له ثم كر راجعاً إلى قصر واجان من غير طريقه الذي أقبل منه، فلم يشعر واحداً من طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنين، فاستباح ما في مدينتهم من ذراري وأموال ونساء، وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعاً إلى زويلة. ومن زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر، وسار متوجهاً إلى المغرب. وجانب طريق الجادة، وأخذ أرضاً مزاته (١) وهم قبيل كبير (د) من البربر، فافتتح قصورهم إلى قصصة (ر) فافتتحها وافتتح بلاد قسطنطينية، ثم انصرف إلى القيروان. ثم مضى في بلاد المغرب حتى انتهى إلى أقصى (ر) بلاد السوس، ثم انصرف راجعاً فتوفي شهيداً بنهودة من بلاد الزاب .

بلاد الواحات (س) (٢): وهي بلاد كثيرة في الصحراء ما بين بلاد إفريقية وبلاد مصر؛ ولولا قلة الماء في هذه الصحراء لكان الطريق من إفريقية إلى مصر على الواحات أقرب. والدخول إلى بلاد الواحات من أوجلة، وزلي (ص)، وغيرها، التي في صحراء مدينة طرابلس. وبلاد الواحات (ط) كثيرة التمر والنخل، وفيها مدن كثيرة مسورة وغير مسورة؛ وكل مدينة منها لها اسم يعود إلى الواح:

(أ) ك: بالصحابة. (ب) ج، ك: بئر. (ج) القراءة في ك: حتى انكشفت صفاة مشبعة ماء.

(د) ك: قبائل شتى. (ر) الجمل الواقعة بين (ر)، (ر) فاقصة في ب.

(س) ب: بلد الواحات، ك: بلد الوقات. (ص) أنظر أبو الفدا، الترجمة،

ج ٢ ص ١٨٠؛ Fagnan، هامش ١ ص ٦٣

(ط) ك: وبلاد الروم الواح.

(١) عن مزاته وهم قبائل من البربر استعربوا، أنظر الادريسي، ص ٥٧، ٨٦، ١٢٠،

١٣٣

(٢) البكري، ص ١٤ وتابع؛ الادريسي، ص ٤١؛ ياقوت (معجم البلدان، ج ٤ ص ٨٧٣) يظن أن كلمة واح كلمة قبطية؛ الدمشقي، ص ٢٣٢؛ ابن دقاق، ص ١٣؛ أبو الفدا، الترجمة، ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ والهوامش. قارن J. Maupéro et G. Wiet, Mémoires de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, t. 36 p. 219 sq.

أريس الواح (١) ، وتنيس الواح ، والواح الخارج ، والواح صبروا ؛ كلها لها اسم مثل هذا وأهلها مسلمون . وهي آخر بلاد الإسلام ، بينهم وبين بلاد النوبة مراحل . وفي بعض مدن الواحات قبائل من لواتة ، وإنما أهلها أقباط (ب) . وزعموا أن في أقصى بلاد الواحات بلد يقال له واح صبروا ، لا يقع عليه إلا من ضل في الصحراء ، وفي النادر من الزمان . وأنه بلد عظيم كثير الخيرات من النخل والزرع وجميع الفواكه ومعادن الذهب ، وأنه أنخصب بلاد الدنيا وأن الواقع عندهم يكون (ج) في أنخصب عيش ؛ فإذا أرادوا خروجه (د) من بلادهم ، أروه (ر) طرف بلاده (س) فتأقت (ص) نفسه إليها ، فلم يلبث عندهم ورحل كيفما (ط) استطاع . وقد وقع في هذا البلد رجل من عرب بني قرة ، وبقي فيه مدة ورجع إلى بلاده ، وأخبر بما رأى فيه من الخيرات وبما في أيدي أربابه من الأموال ، وليس لها مدافعة ولا بصر بالحرب ولا سلاح لأنهم لم يعهدوا الحرب . فأهاج (ع) ذلك أمير بني قرة وكان اسمه مقرب بن ماض^(١) ، وعزم على النهوض إليهم . فأعد أزودة كثيرة وماء كثيرا ، وذهب في الصحراء يطلب واح صبروا ، وضل (ف) به الرجل الذي دخل ذلك البلد فوصل مدينة الواح الخارج فسأل عن واح صبروا . فقالوا كلهم : ما نعرف له طريقا ولا يجده إلا من ضل في الصحراء في النادر من الزمان ، وهو كما ذكر لك وأكثر . فخرج من الواح الخارج يطلب واح صبروا ؛ فبقي يحول في الصحراء مدة فلم يجده ولا قدر على الوصول إليه ، فخاف نفاد الزاد فكر راجعا . فنزل في رجوعه ذات ليلة ربوة من الأرض في بهاء (ك) تلك الصحراء ، فوجد بعض أصحابه في نواحي تلك الربوة بيتا للأول ، فبحثوا عليه فإذا هو لبن من نحاس أحمر ، فزادوا في البحث فوجدوا أساس سور من نحاس أحمر للأول . فأوقروا جميع ما عندهم من الظهر من تلك اللبن ، وساروا حتى أتوا مدينة الواح الخارج فباعوا

(١) ك : أريس . (ب) النص : انباط أنظر هاش (د) ص ١٤٤
 (ج) «يكون» ناقصة في ك . (د) ك : اخراجه .
 (ر) «أروه» ناقصة في ك . (س) ب : ضرب .
 (ص) ب : فتقات ، ك : فاشتاقه . (ط) ك : كيف . (ع) ك : فأباح .
 (ف) النص : ودل . (ك) «بهاء» ناقصة في ج .

(١) رقت هذه الحادثة ، حسب البكري ، حوالي سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م ؛ انظر الترجمة ، ص ٤١ والهوامش . وابن دقاق (ص ١٣) يروي قصة مشابهة .

ذلك النحاس، بأموال كثيرة . ثم أرادوا أن يرجعوا إلى الربوة التي وجدوا فيها
النحاس ، فلم يقدروا عليها وصلوا طريقها ؛ ولو وجدوها لكان فيها غنائم
إلى آخر الدهر .

قيل أتى رجل من أهل الواح الخارج إلى مقرب بن ماض فأخبره أنه دخل
حائط (أ) نخل كان له فوجد أكثر تمره قد أكل ، ووجد فيه أثر قدم إنسان
لا يشبه هذا الخلق في العظم . قال فاحترسه هو وأهله (ب) ليال حتى طرقهم ذلك
الشخص فرأوا خلقا عظيما لم يعمد مثله : فجعل يأكل التمر ، فلما هموا به فأنهم فلم
يعلموا به أمرا . قال فنهض معهم حتى وقف على أثر ذلك الشخص فاستعظمه ،
وأمرهم أن يحضروا زبية في الموضع الذي كان يدخل فيه ، وغطوا أعلاها
بالخشيش ويرقبوه . ففعلوا ذلك ورقبوه ليال (ج) متتابعة ؛ فلما كان ذات ليلة
أقبل ذلك الشخص على عادته ، فتردى في الزبية فبادروا إليه بجميعهم وغلبوه
بكثرتهم حتى أخذوه ، فإذا بامرأة سوداء عظيمة الحلقة مفرطة الطول والعرض
لا يفقه منها كلمة . فرآها مقرب بن ماض فهاله أمرها ، فكلموها بكل لغة
علموها من لغات (د) السودان فلم تجاوب بواحدة منها ، وتكلمت بكلام
لا يفهم . وبقيت عندهم أياما يأترون في أمرها ، فقال لهم مقرب : نرى أن ترسل ،
وتركب الخيل العتاق السوابق والنجب العشار (ر) في إثرها إلى أن يوقف على
موضعها ويعلم حقيقة أمرها (س) . فلما أرسلت ، فانت الخيل والنجب
وبارت الرياح فلم يقفوا على حقيقة خبرها (س) (١) . ويذكر أن بين بلاد
الواح وبلاد الجريد من إفريقية رمال عريضة فيها بقاع تعرف بالجزائر وهي
كثيرة النخل والعيون ، لا عمران فيها ، ولا أنيس بها . ويقال إنه يسمع فيها
أبدا عزف الجن ، ولا شك أنها كانت بلادا عامرة . ويتكدر (ص) هناك
من التمر تحت النخل أكوام لا يقع عليها أحد إلا الطير والوحش ، وربما انتجعه
الناس في السنين (ط) الجذبة وعند الضرورة .

(أ) ك : غائط . (ب) ك : وأهاليه . (ج) ك : ليلا .
(د) ك : لغة . (ر) ك : والبحث العام . (س) الجمل الواقعة بين
(س) ، (س) ناقصة في ك . (ص) ك : يتكدر . (ط) ك : السير .

قال الناظر : وصح عندنا أن قبيلة سليم المنقطعين في صحراء طرابلس ينتجعون
تمر هذه المواضع ، ومنها يتعشون ، وإليها يلجأون عند المطلبية لهم وفيها
يعتصمون ؛ وسمعت هذا قبل الوقوف عليه بمنه (١).

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

وإنما سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها ؛ وهي مدن كثيرة
وأقطار (ب) (١) واسعة وعمائر متصلة ؛ كثيرة الحصب والتمر والزيتون
والفواكه وجميع الخيرات . وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء .
وفيها المياه السائجة والأنهار والعيون الكثيرة . فأولها من جهة الساحل مدينة
قابس وقد ذكرناها في البلاد الساحلية .

مدينة حامة مطماطة (٢) : وهي مدينة قديمة مسورة ، وعليها هزم الخليفة
أبو يوسف - أدام الله تأييده - شق ميورقة وأستأصل شأفته (ج) ؛ وسكانها قوم
من البربر يعرفون (د) بمطماطة . وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه ؛ وفي المدينة
عين كبيرة شديدة الحرارة فإذا استقى منها الماء برد لحينه ، ومنها يشربون
ويسقون غابتهم وغللاتهم .

مدينة قفصة (٣) : مدينة كبيرة قديمة أزلية ، كان لها سور حصين
من صخر جليل بأحكام صناعة يخال لرائيه أنه كما فرغ من عمله . ويقال إن الذي
بناه شيان (ر) غلام النمرود بن كنعان الجبار ، وكان اسمه منقوشا على باب

(١) ب : بمنا ، ج : بنى . (ب) ب : وانظار . (ج) ك : شوكته .
(د) ك : يوفون . (ر) ك : شبان ، البكرى (ص ٤٧) : شتيان .

(١) الإدريسي (ص ١٠٣) يسميها بلاد التمر .

(٢) لا يتكلم البكرى (ص ٤٨) إلا عن الحمة . قارن الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ اليمقوي
(حمة تقيوس) ، ص ٢٥٠ ؛ وعن هزيمة بني غانية في حمة مطماطة أنظر E. Lévi-Provençal.
Lett. off. alm. No. 30 p. 187, étude, p. 60 ؛ التيجاني (حمة تقيوس و حمة بهلول) ،
J. A. 1852 II, 185 trad., p. 124 . وهنا يخطئ عبد الواحد المراكشي (المعجب ، ص ١٩٦)
عند ما يقول إن هذه الواقعة حدثت في حمة تقيوس .

(٣) قارن البكرى ، ص ٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ٤ ص ١٥١ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٨ ؛ اليمقوي ، ص ٣٤٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ =

من أبوابها ، وكانت له أربعة أبواب . فلم تزل أهواء أهلها تضطرب وقلوبهم تنقلب من حين توحيدهم بزعمهم سنة ٥٥٥ [= ١١٦٠] (أ) ، فثاروا على الموحدين وسفكوا دماءهم وقدموا على أنفسهم رجلا منهم يعرف بعلي بن الرند (ب) ، فلكهم إلى سنة ٧٦ [٥] [= ١١٨٠] وأخرجه منها الخليفة أبو يعقوب بن الإمام الخليفة أمير المؤمنين وولاه عمل مدينة سلا ، فمات بها . وبقى أهل قفصة إلى سنة ٨١ [٥] [= ١١٨٥] فرعليهم الغاوي الشقي الميورقي ، فأدخلوه البلد وملكوه . وترك بها جماعة من الأغزاز المواليين له ، فحصرهم بها الخليفة أبو يوسف - رضي الله عنه - فرغبوا في عتق رقابهم (ج) على أن يكونوا عبيدا للأمر العزيز بماليكا للخليفة ، وأسلموا من سواهم ، فعفا الخليفة عن جرمهم (ج) وأعتقهم ، وترك أهل قفصة في بلدهم ، وقتل المارقين الميورقين لنفاقهم وشقاقهم كما قيل :

يا ذلة التلثيم عند السكر (د) إذ يبتغون عودة للأمر

ولما تقرر نفاق أهل قفصة وترددهم وشكهم وعتوهم وإفكهم ، رأى الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه أن كف شرهم وخسف مكرهم لا يكون إلا بهدم سورهم ، وكشف ستورهم . فأمر للحين بهدمه فلم يكن فيه للمحلة إلا من ظهر يوم العصر الثالث منه ، ولم يبق إلا أساسه وبرج بقرب برج بن زواج شاهدا

(أ) القراءة في ك : من حين توحيدهم إلى سنة خمس وخمسين .

(ب) ك : ابن الزبير . (ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة في ك .

(د) ك : الكد .

= ص ١٩٧ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٣٧ . رواية صاحب الاستبصار مفصلة هنا أكثر من غيرها .

عن ابن الرند وثورة قفصة الأولى على عهد الموحدين أنظر عبد الواحد المراكشي ، المحجب ، ص ١٨٧ ؛ ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٢٠٩ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٣٤ ، ٢٠٣ ؛ الزركشي ، ص ٩

وعن ابن لغانية وافتتاح المدينة على عهد المنصور وهدم أسوارها ، أنظر E. Lévi-Provençal (مجموعة رسائل موحدية) النص رقم ٣١ ، ٢٢ والدراسة ص ٦١ وتابع ؛ ابن الاثير ، ج ١١ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المحجب ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ ابن عذاري (Anónimo) ، ص ٥٣ ؛ التيجاني ، الرحلة (الترجمة) ، ص ١٢٢ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٢١١

على عتاقه بنيانها وعظم شأنها (أ) ، وإنه لمن آياته، هذا الأمر العزيز التي تبين بها عظمته لدى الفحص والتزليم (ب) .

وكان اسم مدينة قفصة مدينة الحنيّة لأن فيها بنيانا قديما مثل الحنية فكانت تسمى بها ؛ وهي متوسطة بين القيروان وبين مدينة قابس . وفي داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفائهما وكثرتهما ؛ إحداهما عند باب الجامع تسمى بالوادي الكبير ، وهي عين عظيمة مبنية بالصخر الجليل من بنيان الأول سمعها نحو ٤٠ ذراعا في مثلها ، وفوقها عين أصغر منها تسمى رأس العين ، وبينهما قنطرة من بنيان الأول ، ولا شك أن ماءهما واحد . وماء هذه العين الأولى أزرق شديد الصفاء يرثى قعر العين من أعلاها وفيها الماء نحو ٧ قيام ؛ والعين الأخرى تحت قصر قفصة وتسمى بالطرميد ، عليها بنيان عجيب قديم ؛ وبازائها مسجد يعرف بمسجد الخوارين . ومنبع هذه العين من حجر صلد من ثقب وسع فم الإنسان (ج) ، وينبعث منه بقوة عظيمة . وقد بنى له صهريج عليه دكاكين مبنية بالحجارة وعليه أقباء ، وقد بنى فوقه مسجد عظيم . فإذا اجتمع ماء هذه العين مع ماء العين الكبيرة ، التي عند الجامع ، جاء منها نهر كبير تطلحن عليه أرحاء كثيرة ، ويسقى نصف غابة قفصة ونصف أرضها ومزدرعاتها . والنصف الثاني من غابة قفصة يسقى من عين عظيمة خارج (د) المدينة يسمى عين المنستير ، وهي عين كبيرة معينة عذبة يخرج منها نهر كبير . وهذه العين من أحسن ما يرى من العيون ، وهي في جانب النهر الكبير المسمى بوادي بايش (ر) ، وهو يشق غابة قفصة (س) ويسقى بعض بساينها ، وهو نهر مشهور يأتي من جبال شرقي قفصة (س) لكنه في أيام الصيف يقل جريانه ولا ينشع (ص) ، وأرض هذا الوادي كله تنشع (ص) . وفيه تورد العرب إبلها ، تحفر فيها احساء فتخرج ماء عذبا معيناً . ولأهل قفصة في سقي جناتهم هندسة عظيمة وبرشام شديد (ط) وقد سبق (ع) حساب . يقول أهل قفصة : إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام

(أ) القراءة في ك : فأمر للحين بهدمه فلم يكن إلا كلمح البصر حتى لم يبق غير خبره وانها . (ب) ك : التكريم ، ب : التكريم .

(ج) القراءة في النص : تسع فم الانسان . (د) ك : خارجة .

(ر) ب ، ك : يايش ، ج : بايش ؛ أنظر Fagoua ، ص ٧٢ وهامش ٢

(س) الحمل الواقعة بين (س) ، (س) ناقصة في ك . (ص) ك : تنشع .

(ط) ب ، ج : «برشام شديد» دون الواو . (ع) ك : توفيق .

فتعلم أنهم في أمر الماء . وكان على أحد أبوابها كتابة منقوشة في حجر من عمل الأول ترجم فإذا هو : هذا بلد تحقيق وتدقيق .

وكذلك ليس بإفريقية حريم أجمل من حريم قفصة مع ملاحاة أخلاقهن ورخامة منطقتهم (أ) ؛ ويسمون الماء الذي يخرج من المدينة فيسقى نصف جناتهم « الماء الداخل » ، ويسمون الماء الذي خارج المدينة ، وهو عين المنستير وماء وادي بايش « بالماء الخارج » . ولهم مياه غير هذه تسمى بالماء الصغير (ب) ، وهي عيون كثيرة بقرب المدينة تسقى بعض جناتهم . وسقيهم بها بالساعات ؛ وترى خدام تلك الجنات والبساتين أعرف الناس بأوقات النهار . إذا سألت رجلا منهم لا يفقه شيئا عما مضى من ساعات النهار ، وقف ونظر إلى الشمس واكتال بقدميه في موضع ظله ، ويقول لك مضى كذا وكذا ساعة وكذا وكذا سُدس من الساعة . وأهل قفصة يتنافسون في هذه المياه ، ويتابعون سقيها بأعلى ثمن . وللمدينة قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل ، في تكسير دائرتها نحو ١٠ أميال (ج) ، فيها من المنازل التي تعرف بالقرى ١٨ منزلا . وعلى الغابة والمنازل والكل حائط يسمونه « سور الغابة » . وفي ذلك السور أبواب عظام عليها أبراج مسكونة ، يسمون تلك الأبواب : الدروب . وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التي ليس في بلد مثلها : فيها تفاح عجيب جليل زكي الرائحة يسمونه السدسي ، لا يوجد في بلد مثله ؛ وكذلك الرمان والأرج والموز لا يوجد مثلها (د) في بلد . وفيها نوع من التمر يسمى بالكسبا ، ليس مثله في بلد وهو أكثر ثمرهم ؛ يكون في الثمرة فتر في جرم بيض الدجاج ، تكاد تنفذها ببصرك لصفاء لونها ورقة بشرتها . وهم يجعلونه في أزيار ، فإذا أخرجوه منها بقي في قعر الزير عسل ألد من عسل النحل وأعطر ؛ وهم يصرفونه في طعامهم كما يصرف العسل عندنا وتعمل منه الحلوات (ر) . وقفصة أكثر البلاد فستقا حتى إنني أظن (س) أنه ليس بإفريقية فستق إلا فيها ؛ ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب ، وبلاد الأندلس وبلاد مصر . فلان الذي يجلب من بلاد الشام صغير الحرم ليس مثل

(أ) ج : أخلاقهم ومنطقهم ، ك : أخافها ورخامة منطقتها . هذه الجملة الخاصة

ببناء قفصة ناقصة في ب . (ب) ج : العقيد . (ج) ب : خمسة ميلا .

(د) ك : مثلهم .

(ر) ك : الحلوات . (س) «انني أظن» ناقصة في ج ، والكلمتان محرفتان في ب

إلى «انما ظنه» .

القفصى ، فإن القفصى يكاد أن يكون في جرم اللوز . وهو إذا كان في شجرة
أجل ثمرة خلقها الله تعالى ، فإنه يكون عناقيدا مثل عناقيد العنب ؛ وهو زكى
الرائحة حتى إنه لا يقدر أحد أن يسرق منه شيئا ، فإنه تشم عليه رائحته .
وفي بساتين قفصة من الرياحين كثير : مثل الآس والياسمين والнарنج والرجس
والسوسان والبنفسج وغير ذلك . ووردها أكثره أبيض ، وماؤه أزكى ماء
يكون للورد ، يشبه الجورى (١) الذى يجلب من بلاد مصر .

ويصنع بقفصة أردية وطياس (ب) وعمائم من صوف في نهاية الرقة
تضاهى ثياب الشرب (ج) ؛ وتصنع بها أوان للنساء من خزف تعرف بالريحية ،
شديدة البياض في نهاية من الرقة (د) ليس يعلم لها نظير في جميع البلاد .
ويصنع بها زجاج حسن ، وأوان عجبية (ر) وأوان مذهبة غريبة . وهى
حاضرة في جميع أمورها ، وأهلها ذوو يسار وفهم خير كثير ولهم صدقات ،
وهم يعظمون يوم عاشوراء تعظيما كثيرا وهو عندهم مثل الأعياد ؛ ولهم فيه
صدقات كثيرة وكساء للمساكين . وكانت مدينة قفصة أعظم بلاد إفريقية
نظرا : كان حولها نحو ٢٠٠ قصر آهلة عامرة ، فيها الأشجار والنخل والزيتون
والفستق وجميع الثمار ؛ وفيها العيون والأنهار والآبار (س) ، وتسمى قصور
قفصة . ومن قصورها مدينة طوارق (ص) ، وهى في منتصف الطريق
من قفصة إلى فج الحمار وأنت تريد القبروان ؛ وكانت مدينة آهلة كبيرة
فيها جامع . وكانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور تكمل إبلها ودوابها
لثلا ترعى ورق الشجر لكثرة على ذلك الطريق . وهى اليوم خربة
لا أنس (ط) بها من وقت دخلت العرب بلاد إفريقية ، وأفسدت بلاد القبروان
وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثيرا من المدن بإفريقية (١) .

(١) ك : الجارى . (ب) ك : طيالىس .

(ج) ك : الشرف . (د) الجمل الخاصة بصناعة الخزف ناقصة في ج .

(ر) ب : وأوانى حتم عجبية . (س) النص : آثار . أنظر Fagnan

ص ٧٦ وهامش ٢ (ص) ب : طوارق ، البكرى (ص ٤٧) : طراق .

(١) أنظر البكرى ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ص ١١٦ ؛ ويقول الإدريسي (ص ١٠٤)

إن قسيلية تسمى توزر . قارن ياقوت ، معجم البلدان (توزر) ، ج ١ ص ٨٩٢ ، (قسيلية) ج ٤
ص ٩٧ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٧ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٥٠ ؛ التيجانى ،
الرحلة (الترجمة) ، ص ١٤٣ وتابع . ومن موت على بن غانیه أنظر التيجانى ، الترجمة ،

ص ١٤٨ ؛ عبد الواحد المراكشى المعجب ، ص ١٩٧

ذكر كورة قسطلية من بلاد الجريد

وهو قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر كلاها الله . وهي المدينة السعيدة التي هلك عليها عدو الله شقي ميورقة . رشقه سهم في ترقوته فقضى نحيبه . ولها هذه الفضيلة التي اختصت بها . وكان قد انتقم من أهلها سنة ٨٢ [٥] [١١٨٦] ، وحصرها مدة وضيق عليها حتى دخلها ثم أخرجها عنها الأمر العزيز ، وفر إلى الصحراء على وجهه وأتصل ببني قرّة (أ) فعند قفول (ب) المحلة المنصورة عن بلاد إفريقية أقبل إليها وظن أن كل بيضاء شحمة ، فأتاه الموت من حيث لم يحتسب . وقيل إنه كان سهم قوس اللولب (ج) .

وهي مدينة كبيرة قدمة عليها سور مبني بالحجارة والطوب ، وحوها أرباض واسعة ، ولها ٤ أبواب وعليها غابة كبيرة . وهي أكثر بلاد الجريد تمرا ومنها تمتاز (د) جميع بلاد إفريقية وبلاد الصحراء التمر لكثرة بها ورخصه . ولأنها على طرف الصحراء لا يعلم ما وراءها ولا قدر أحد على الدخول في الصحراء التي في قبلتها ، ويقال إن في تلك الصحراء وادي رمل يجري كما يجري الماء ، وهذا مستفاض . وأهلها من بقايا الروم الذين كانوا قبل استفتاح المسلمين لها ، وكذلك أكثر أهل قسطلية وبلاد الجريد ، لأنهم في حين دخول المسلمين إفريقية أسلموا على أمواهم . وفيهم من العرب الذين سكنوا فيها من المسلمين عند استفتاحها . وفيهم من البربر الذين دخلوها في قدم الزمان عند خروجهم من بلادهم وانجلاهم عنها . وذلك أن بلاد البربر إنما كانت أرض فلسطين من ديار الشام ، وما جاور تلك الأصقاع ، وكان ملكهم جالوت الجبار العنيد (ر) (١) ، وجالوت سمة لسائر ملوك البربر ، إلى أن قتل داود عم جالوت كما ذكر الله تعالى في محكم كتابه ، ودخلت بلادهم تفرقوا في البلاد . فشي أكثرهم نحو المغرب ونزل بعضهم بالقرب من بلاد مصر ، وتفرقت البرابر في بلاد إفريقية وبلاد المغرب حتى وصلوا إلى أقاصي بلاد المغرب ، على أزيد من ١٠٠٠ ميل من بلاد القيروان ، واستوطنوها إلى وقتنا هذا . وكانت بلاد إفريقية للأفرنج فأجلتها البربر عنها إلى جزائر

(١) ب ، ج : بني دمر . (ب) ك : قبول . (ج) ك : لؤلؤ .

(د) ك : تمتاز . (ر) ج : العنيد .

(١) يظهر هنا أن المؤلف متأثر بالإدريسي . قارن الإدريسي ، ص ٥٧ (التيجاني : J. A., 1852, II, 200) يعطى نفس المعلومات .

من البحر مثل صقلية وغيرها ثم تراجعت الإفرنجية إلى مدنها وعمائرها على موانع (١) وصلاح مع البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال والرمال والبراري وأطراف البلاد ، فصارت الروم بالمدن والعمائر حتى افتتح المسلمون إفريقية فأنجحت الروم أمام المسلمين مرة ثانية إلى جزائر البحر وغيرها إلا من أسلم وبقي في بلاده على ماله مثل أهل قسطنطينية وغيرهم من البلاد . وأهل توزر يبيعون زبل مراحيضهم وهم يعبرون (ب) بذلك لأنهم لا يدخلون المراحيض بالماء لئلا يفسد الزبل ؛ فإذا دخل أحدهم المراحيض مشى إلى بعض السواقي التي تشق مدينتهم أو الوادي فاغتسل . ويمشي عندهم دلال المراحيض بالزبل في الإناء ، فإذا كان جافا حرص عليه ، وإذا كان رطبا زهد فيه . ويضعون في جناتهم مراحيض على الطرق العامرة لمن كان مضطرا أو غريبا ليس من أهلها . وأما البلدي فلو أمسك ذلك يوما أو يومين ما رماه إلا في مراحيضه . وإنما ذلك لتدمن أرضهم لأنها في غاية الجفاف لقربها من الصحراء ؛ وتتفاضل بلاد الحرير في رطوبة الأرض ودهنيها وتوزر أبيضها .

ومن بلاد قسطنطينية مدينة نفطة (ج) (١) : بينها وبين توزر ٢٠ ميلا . وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من بناء الأول ، ولها غابة كثيرة (د) النخل والبساتين وجميع الفواكه . وهي كثيرة الخصب ولها نهر يسقى بساتينها ؛ وهي قديمة خصيبة وأهلها ذوو يسار . وهم من بقايا الروم كما ذكرنا .

ومن بلاد قسطنطينية بلد تقبوس (٢) : وهي ٤ مدن متقاربة عليها أسوار ، يكاد يكلم بعض أهلها بعضا لتقاربها . ولهم غابات كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه ؛ وهي أكثر بلاد قسطنطينية زيتونا وأكثر جباية وأحسن هواء ؛ فيها العيون الكثيرة العذبة ، والمياه السائجة .

(١) ك : موانع (ب) ك : يعبدون

(ج) ب نبط . (د) « كثيرة » ناقصة في ك

(١) قارن البكري ، ص ١٠٥ ؛ الإدريسي ، ص ١٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ؛ دمشق ، ص ٢٣٨ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٢٢ ؛ العبدري ، الخطوط ، ص ١٢٦ - ب .

(٢) لا يتكلم البكري عن هذه المدينة . قارن الإدريسي ، ص ١٠٤ ؛ جد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٦٠ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠

ومن بلاد قسطلية مدينة الحامة (١) : وتعرف اليوم بحامة بنى بهلول ،
 وبني بهلول من سادات بلاد قسطلية بل هم أغنى من فيها ، وهم من بقايا الروم
 الذين أسلموا على أموالهم . وعندهم كرم كثير وبر بالأضياف وحرص
 على التضييف ، وهو الذي رفع ذكرهم في تلك البلاد . وهذه المدينة لها حصن
 يسمونه القصر ، وهو مختص ببني بهلول (١) وحاشيتهم . ولها أرباض واسعة
 يسكنها الناس ، وهي كثيرة التمر والزيتون وجميع الفواكه ، ومن مدن نفزاوة
 ما يضاهاها . ومياه هذه المدينة كلها حارة . وليس ببلاد الجريد أكثر عنبا
 منها ولا أطيب ، وشرابه أطيب من كل شراب وأعطر . ويزعم أهلها أنه يسرج
 به السراج كما يسرج بالزيت . وفيها نوع من التمر يسمونه الخنفس ، وهو أسود
 اللون شديد الحلاوة كبير الجرم . وفي قسطلية قصور كثيرة وعمائر متصلة
 أعرضنا عنها وعن ذكرها .

ومن بلاد الجريد بلاد نفزاوة (٢) : وهو قطر مثل قسطلية فيه مدن
 وقصور وعمائر كثيرة متصلة أهلة .

فمن مدن نفزاوة مدينة طرة (٣) : وهي مدينة مسورة حصينة ،
 لها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه .

ومن مدن نفزاوة أيضا مدينة بشرى (٤) : وهي مدينة مسورة قديمة ،
 لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه .

(١) هنا يوجد خرم كبير في ب يقدر بحوالى ٣٠ صفحة من طبعة كرم (٤٤ - ٧٧)
 أنظر (Fagnan) ، ص ٨١ هامش ١

(١) الدمشقي (حامة بنى بهلول) ، ص ٢٣٨ ؛ التيجاني (ص ١٢٩) يحذر من الخلط بين
 حامة البهليل التابعة لتوزر وحامة مطماطة .

(٢) قارن البكري ، ص ٤٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٧٩٩ ؛ الإدريسي ،
 ص ١٠٦ ، ١١٠ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٨ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠

(٣) أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٠١ (مدينة تابعة لتوزر .) أنظر التيجاني ،
 الترجمة ، ص ١٩٣

(٤) اليعقوبي ، ص ٣٥٠ (بشارة من أكبر مدن نفزاوة) . قارن (Fagnan)
 هامش ٤ ص ٢

ومن مدن نفزاوة أيضا مدينة أيتملين (١) : وهي مدينة لطيفة حصينة لها أرباض ولها غابة نخيل وزيتون وجميع الفواكه . قال بعض الأدباء : أيتملين سبعة أحرف على لطفها وخول ذكرها ، ومصر ثلاثة أحرف على عظمها وسمو ذكرها .

وبنفزاوة مدن وقصور وعمائر مثل قسطلية ، وهي كثيرة النخل والبساتين كثيرة الحصب . وفي بلد نفزاوة عين كبيرة تسمى بالبربرية تاورغي (٢) ، وهي من بناء الأول ؛ وليس ببلاد الجريد عين أعظم منها ، لا يدرك لها قعر . وبقرب نفزاوة مدينة أزلية غير مسكونة فيها آثار كثيرة للأول تعرف بالمدينة (٣) . وبين نفزاوة وقسطلية مرحلة ، والطريق بينهما في أرض سواخة وسباخ وملاحات لا يهتدى للطريق (ب) بها إلا بنخشب قد نصبت في دهن تشبه الصابون في الرطوبة . فإن أخطأ أحد طريق تلك الخشب المنصوبة على الطريق سلك في تلك السباخ . وقد هلك فيه العساكر والجماعات على قديم الزمان ؛ ممن دخلها ولا يعرف أمرها أو خائنته تلك الخشب (٤) وتلك السباخ لا يعلم لها آخر ، إنما هي قد اتسعت في تلك الصحارى ، ولا يسلك منها إلا الطريق إلى توزر ، وإلى بلاد قسطلية ما يقرب من البربتلك العلامات . ويقال إنها متصلة ببلاد غدامس . وهذه السباخ كلها ملاليج (ج) وفيها موضع بين نفطة والحامة يعرف بالسبع سباخ . وفي وسط الطريق المار من مدينة توزر إلى نفزاوة جزيرة صغيرة فيها عين عذبة يشرب منها من يسر على ذلك الطريق . وإذا دخل المسافرون هذا الطريق في أيام الصيف يكادون يهلكون من حرارة الملح (د) ويرجع ماؤهم وهو في الزقاق ملحا ، ولا تقدر على شربه إلا أن يمزج بسكر أو بعسل ، رأيت ذلك وشاهدته .

(١) ك : ايتملين ، ج : ايتملين . أنظر Fagnan ، ص ٤٢ وهاش ٤ حيث يقرأها ايتملين

(ب) لا يهتدى الطريق . (ج) ملاح . (د) هنا يوجد خرم في ج يقدر بحوالى صفتين من طبة كرم (٤٥ - ٤٧) . أنظر هاش ب ص ١٦٣

(١) أنظر Fagnan ، هاش ٤ ص ٨٢

(٢) قارن البكري ، ص ٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ١٢٢

(٣) البكري ، ص ٤٧

(٤) قارن البكري ، ص ٤٨

قال الناظر : وعندها هزم الخليفة أبو يوسف رضى الله عنه الشقى الميورق بظهر مدينة حامة مطاطة المذكورة ، فر الشقى منهزماً بخديعة الدهن آخذاً على هذه السباخ ، فتبعه الموحدون أعزهم الله ، سالكين أثره قاصدين خبره حتى أشرفوا على مدينة توزر ، فلقوه قد توغل في صحرائها . وخاطب الخليفة رضى الله عنه بلاد المغرب معلماً بذلك . فن فصل من الرسالة (١) : « ... نهض الموحدون - أعزهم الله - من قابس - كلاًها الله - آخذين على صحرائها وقاصدين إلى البلاد الحريدية من ورائها على طرق لا عهد لها بالعساكر ، ولا علم فيها لعابر ، ولا منفذ أمامها لوارد ولا صادر ، بحيث منقطع التراب ، ومتصل القفر الياب ، ولا ماء ينبع في الأرض ولا يستقر من صوب السحاب (١) ، وإن سلوكها لمن العجائب العجائب (ب) ، وآيات هذا الأمر (ج) اليسر للطلاب ... » .

وآخر بلاد الحريد مدينة درّجين (د) (٢) : وهي مدينة قديمة بقرب نفطة ، وهي مدينة كبيرة وفيها تصنع الكسى الدرجيني ، وهو يشبه السجلماص في ثوبه ولونه ، ولكنه دونه في الجودة . وبالقرب منه بلد سوف ، ولا يعرف خلفه عمران ولا حيوان إلا جبال من رمل يصاد فيها القنك الذي لا يوجد لجلده نظير في الدنيا . وأهل تلك البلاد يخبرون أن قوماً أرادوا معرفة ما وراء قسطنطينية مثل توزر وغيرها ، فاستعدوا بالأزودة والمياه ، وذهبوا في تلك الصحارى والرمال أياماً ، فلم يروا أثراً لعمران وهلك أكثرهم في تلك الرمال . قال الناظر : ركب هذه الرمال ، وشق صحرائها هذا الشقى في حين طلب الموحدين له ، أيام إقامة أمير المؤمنين على قفصة ، وإنما نبه على ركوبها ما تعود أيام كونه مع أبيه بمورقة ، فإن من أفعال عدو الله ركوب ظهر اللجج طول النهار ، فإذا أقبل العشى طلب أهل البر للقرضه . وكذلك فعل الشقى ،

(١) ك : لا يستقر من السحاب ، أنظر مجموعة رسائل الموحدية نشرة
ليث - بروقتال ، ص ١٩٥ (ب) والمجابه ناقصة في ك .
(ج) القراءة في ك : وآياتها الأمر . (د) أنظر Fagan ، ص ٨٠
وهامش ١

(١) أنظر مجموع رسائل موحدية (نشر بروقتال) ، الرسالة رقم ٣١ ، ص ١٩٥

(٢) قارن البكرى ، ص ٤٩ ، الترجمة ، ص ١١٩

ركب هذه الصحراء طول إقامة الخليفة ببلاد إفريقية ، فلما أقبل عنها ، رجع إلى أقرب البلاد لها وهي توزر فقضى نحبها عليها ، وإنها من براهين هذا الأمر العلى ، وأخذ الله تعالى بذنوبه المتقدمة من سفك الدماء وإباحة الأموال والحريم في بلاد إفريقية . قال المؤلف : وأهل الجريد يأكلون الكلاب ويستطيئونها ، وهم يسمونها ، ويعلقونها بالتمر ، فيزعمون أن لحمها يأتي ألد اللحوم (١) . ولا يجزم أحد ببلاد الجريد ، وإن دخلها مجنوم توقفت عنه علة . ويقول أهل بلاد الجريد إن التمر إذا أكل أخضرا ، وهو الذى يسمى البهر يفعل ذلك ، وإنه من بدت به علة الجذام ، فأكثر من أكل البهر وطبخه وشرب مائه برأ باذن الله .

ومن مدن إفريقية المشهورة مدينة باجة (٢) : وهي مدينة كبيرة أزية قديمة فيها آثار للأول . ولها حصن حصين أزلى مبنى بالصخر الجليل ، أتقن البناء ، يقال إنه من عهد عيسى عم . ومدينة باجة على جبل شديد البياض ، يسمى الشمس لبياضه ، وهي كثيرة الأنهار والعيون ، ومن تلك العيون عين كبيرة تسمى عين الشمس ، وهي تحت سور المدينة ، وباب المدينة بإزاء العين ويسمى الباب باب عين الشمس . ومدينة باجة رخيصة الأسعار جدا ، فإذا أخصبت البلاد لم تكن للحنطة بها قيمة . وتسمى باجة هري إفريقية ، فإن بها تمتاز (١) جميع البلاد ، عربها وبربرها ، لكثرة طعامها ورخصه . وباسمها سميت باجة الغرب بجزيرة الأندلس . وباجة إفريقية على مقربة من فحص قل (٣) المشهور بكثرة الزرع ، وأرض هذا الفحص أرض مشقة سوداء ، يجود فيها جميع البذر ، ويكون فيه حمص وفول قل ما يوجد مثله في موضع . ومدينة باجة نظر كبير ، ولها قرى كبيرة عامرة ومن بعض قرى باجة ، قرية تعرف بالمغيرية (ب) وهي كبيرة وبها آثار كثيرة للأول ، من كنائس قائمة

(١) ك : تمتاز . (ب) ك : المغيرة .

(١) قارن البكرى ، ص ٤٩ ؛ أنظر Fagnan هامش ١ ص ٨٦

(٢) البكرى ، ص ٥٦ ؛ الإدريسي ، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ج ١

ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ؛ دمشق ، ص ٢٣٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ١٩١ - ١٩٥ (لا يجب الخلط بينها وبين باجة الموجودة في البرتغال) ؛ مرصد الاطلاع ، ص ١١٥

(٣) قارن الإدريسي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ وأنظر البكرى ، ص ٥٦

البيان ، محكمة العمل ، كأنها رفعت عنها الأيدي بالأمس ، وكلها مفروشة بالرخام النفيس . وفي هذه الكنائس أعجوبة ، يجتمع على حيطانها من الغربان عدد لا يحصى ، يظن الراى لها أن غربان الأرض قد جمعت هناك . ويقال إن لها بها طلسم . وكان الولاة يتنافسون فى ولاية بجاية ، ويقولون من يترك قبح عنده وسفرجل دانة وعنب باطة (أ) وحوث ذرنة . وذرنة بحيرة كبيرة ما بين مدينة باجة ، ومدينة طبرقة . وعلى الطريق من القيروان إلى قلعة (ب) أبى طويل وهى قلعة حماد ، مما يلي بلاد الصحراء ، مدن كثيرة خربتها العرب عند دخولهم بلاد إفريقية ، منها

مدينة سبئية (١) : وهى مدينة قديمة أزلية ، ذات أنهار ، ومياه سائحة تطحن عليها أرحية . وكانت على نظر كبير ومزدرعات كثيرة وقرى عامرة . وفيها اليوم بعض سكنى لقبائل من البربر والعرب ، ويسمى اليوم ذلك النظر القرى (ج) . ولم يكن بإفريقية أخصب أرضا منها ، ولا أكثر بساينا وثمارا وعيونا جارية . ولمدينة سبئية عين عظيمة كبيرة ، وهى من بيان قديم ، من عمل الأوائل ، ويقال إن فيها أخباء كثيرة (د) . ومن أغرب ما يهتف به أهلها ، أنهم يقولون إنه يوجد فيها فى رأس كل شهر دينار كبير ، زنته عشرة مثاقيل (د) ، ولا يجده إلا من يعرف رقية العين ، ويقولون إن رجلا كان يعرف رقية العين المذكورة ، فكان يبخر ببخور ، ويرقى بكلام غير مفهوم ، فكان يجد فيها كل يوم دينارا من تلك الدنانير ، حتى كسب من ذلك مالا كثيرا .

مدينة سمجانة (٢) : وتعرف بمجانة المطاحن (س) ، لأن (س) بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء (ط) ليس على الأرض مثله ؛ وهى مدينة قديمة أزلية ذات مياه وعيون .

-
- (١) البكرى ص ٥٧ : (بلطة) . (ب) هنا ينتهى الحرم الموجود فى ج (أنظر هامش د ص ١٥٨) . (ج) م : القوى . (د) ك : خبا كثيرة . (ر) ك : مثاقيل . (س) ك : بالمطاحن . (ص) ولأنه ناقصة فى ك . (ط) ج : الأرض .

- (١) قارن البكرى ص ٤٩ ، ١٤٦ ، الإدريسي ، ص ١١٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٣٦ ، ابن حوفل ، ص ٥٨ ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ١١ .
(٢) البكرى (مجانة المطاحن) ص ٤٩ (مجانة الممدن) ، ص ١٤٥ ، الإدريسي ، ص ١٨٨ ياقوت ، (معجم ، ج ٤ ص ٤١٧) يقول إنها سميت قلعة بسر لأن بسر بن أرطاة هو الذى فتحها ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٧ ، مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٤٢

مدينة مَرَمَاجَنَّة (١) : كانت مدينة كبيرة قديمة أزلية . فيها آثار كثيرة للأول ولها عيون سائحة ، وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات .

مدينة تَبَسَا (٢) : وهي مدينة قديمة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول ومبان عجيبة ، ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها . فيها دار ملعب قد تهدم أكثره ، أغرب ما يكون من البناء . وفيها هيكل يظن الرائي أنه كما رفع اليد عنه ، ما يكاد يعرف الفرق (١) بين أحجاره (ب) ، ولو غرست الإبرة بين حجرين من أحجاره ما وجدت منفذا . وفي داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض ، وبيوت تحت الأرض وآزاج كثيرة لها منظر هائل . ويقال إن ذلك الهيكل كان لاستئزال الروحانيات ، لأن فيه أثر الدخان ، وفيه صور جميع الحيوانات وصور شاذة لا يعلم ما هي . وفي وسط المدينة هيكل عظيم ، مبني على سوارى رخام عظام ، وقد صور خارج حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير ، ويقال إنها كلها طلاسم . وتوجد في خرائبها طلاسم ، ولقد دخلتها فأعطاني إنسان من أهلها طلسم ، وهو على صورة أسدين من نحاس أحمر ، عجز الواحد منهما إلى عجز الآخر ، قد صورتا بأعجب ما يكون من التصوير . وأنخبرني أن بلدهم تَبَسَا كان لا يدخلها عقرب ، ولو أدخل فيها مات ، حتى حفر إنسان أساس داره ، فوجد قدر نحاس فيها عقارب من نحاس ، فسبكها ، وصرفها فيما يحتاج ، فدخلت حينئذ العقارب المدينة ، وأضررت بالناس فيها . والمسكون اليوم من تبسا إنما هو قصرها ، وعليه سور من حجر جليل ، متقن العمل كأنما فرغ منه بالأمس ، وهو حصن عظيم . وفي مدينة تَبَسَا أقباء تدخلها الرفاق بدوابهم في أيام الشتاء ، يسع القبر منها ألني دابة وأكثر . وبقرب مدينة تبسا ، واد يعرف بوادي

(١) «الفرق» ناقصة في ك . (ب) ك : الحجارة .

(١) قارن البكري ، ص ١٤٥ ، الإدريسي ، ص ١١٩ ، ابن حوقل ، ص ٥٨ ، ياقوت معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٠٢ (مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٨٣) .

(٢) البكري ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، الإدريسي ، ص ٩١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٢٣ (مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٧) .

ملآن. وهو يقل في أيام الصيف ؛ وهو صعب المحاز كثير الدهس (أ) ، وعليه جبل يسمى ملآن (ب) يرى على مسيرة أيام لعلوه ، وذهابه في الجو . وعلى مقربة من تبسا جبل يعرف بالكثف (ج) ، وفي أعلاه مغارة لا يقدر على الوصول إليها إلا من فوق الجبل ، ولا من أسفله . ويقال إن فيها مالا (د) عظيما ، فإن الطير إذا نزلت في تلك المغارة وطارت عنها سقطت منها دنائير كبار من ذهب نفيس ، وهذا متعارف في تلك البلاد . وللمدينة تبسا بساكنين كثيرة ، وفواكه عجيبة ، ويجود (ر) فيها الجوز حتى يضرب به المثل بإفريقية

مدينة باغاية (س) (١) : وهي مدينة عظيمة جليلة ، فيها آثار للأول ، ولها أنهار عامرة ، وعيون ، ومزارع ، ومسارح . وهي تحت جبل أوراس ، وهذا الجبل يشق بلاد المغرب وإفريقية : فطرفه من البحر الغربي يغريطوق (ص) على البحر المحيط ، حيث انتهى عقبة المستجاب ، رحمه الله ؛ وطرفه الثاني في البحر الشرقي بقرب الإسكندرية ، وهو المسمى بطرف أوثان الذي إذا عبرته (ط) المراكب استبشرت بالسلامة . ومبدؤه بالمغرب ، وهو جبل المصامدة المسمى بجبل درن ، وهو جبل جزولة المسمى بانكسيت وهو جبل أوراس هذا ، ويسكنه لواته ، وهو جبل نفوسة . ويدخل طرفه في البحر نحو ١٠٠ ميل وأزيد . وله جون (ع) عظيم فإذا أدخلت الرياح سفينة من السفن في هذا الجون ، وعدمت الرياح التي تخرجها منه فلا تجد هناك مرسى لأنه جبل صلد أملس (ف) مثل الحائط ، وهذا الجون من أحد عجائب الدنيا .

-
- (أ) القراءة في ج : كثير الدهس وعرض الخايض . (ب) ج : قلب ملآن .
 (ج) ج : بالكثف . (د) ج : بحال . (ر) « يجود » فاقصة في ج .
 (س) ج : باغنة ، ك : باغاة . (ص) ج : النيس طوف . (ط) ج : عدته
 (ع) ك : جوف . (ف) ج : أملس .

- (١) البكري ، ص ٥٠ : قارن الإدريسي ، ص ١٠٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٧٢ ، مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٢٠ ، الحقوق ، ص ٣٥٠
 عن جبل أوراس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠١ ، وعن جبل درن ، أنظر أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٨٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٦٧ ؛ الإدريسي ص ٦٣ - ٦٤ ، دمشق ؛ ص ٢٣٩ ، عن جزولة ، أنظر أبو الفدا ، ج ٢ ص ٨٣ ، عن جبل نفوسة ، أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ، دمشق ، ص ٢٣٩ ابن حوقل ، ص ٦٧

ويقرب باغاية قبر مادغوس (١) وهو قبر مثل الجبل العظيم مبنى بآجر رقيق معقود بالرصاص ، وبنيت بجانبه (ب) طبقات صفار وصورات فيه جميع الصور من الإنس والطير والوحش (ج) . وهو مدرج النواحي ؛ وقد رام كثير من الأمم هدم هذا القبر فلم يقدرُوا على ذلك لقوة بنيانه ، ولما منع يمنع عنه . ولا يعلم على الحقيقة ما هو : هل هو قبر أو هيكل . إنما هو بناء قديم لا يعلم له أول ، وهو مجمع لكل طائر ؛ ويقال إن لهم هناك طلاس .

ومن الجبال المشهورة بإفريقية جبل أوراس (د) (١) : وهو جبل خصيب فيه مدن كثيرة وفيه آثار كثيرة للأول ومدن خربة (ر) مثل مدينة طنجة (س) . وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة . لقد رأيت فيها بيتا له عضادتان من حجرين مثل جبلين (ص) وعليهما عتبة من حجر واحد مثل الجبل الضخم قد قرضت (ط) ونقشت على النوع الذي يعمل عندنا في العمود بأقن صناعة وأغربها ، وإنما العجب كيف رفعت تلك العتبة أو زحزحت من الأرض .

مدينة الموس (٢) : فيها كذلك آثار عجيبة ومباني غريبة تنبئ أنها كانت مدينة عظيمة كبيرة .

مدينة شَقْبَنَارِيَّة (٣) : وهي مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة وهي على طرف هذا الجبل أوراس . وكانت فيها يقال من أعظم مدن إفريقية ، وكان لها ماء مجلوب وبقي فيها اليوم مواجل عظام ما تغير منها شيء ، وفيها عين عظيمة عذبة

(١) ماد عرس أنظر Fagnan ، ص ٩٣ (ب) «بجانبه» ناقصة في ج .
(ج) ج : والطير والوحش . (د) ج : أسروا ، ك : أسرو ؛ أنظر Fagnan ، ص ٣٣ وهامش ه . (ر) ج : ومدن خربت .
(س) ج : صفة . (ص) القراءة في ج : لقد رأيت فيها مباني كنيسة له عظام ريقان من حجرين . (ط) ج : فربصت .

(١) عن جبل أوراس أنظر ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ٤٠٠ ، مرصد الاطلاع ج ١ ص ١٠١

(٢) يظن Fagnan (هامش ٣ ص ٩٤) أنها مدينة الأربس (Laribus) .

(٣) البكري ، ص ٣٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٠٦ ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ١١٨

ولها سرب (أ) كبير تحت الجبل يمشى فيه الفارس بأطول ما يكون من الرماح فلا يلحق سماك ذلك السرب . ويقال إن فيه كنوزا وأموالا كثيرة ، ويقال إنه كان بمدينة شقبنارية كنيسة وفيها مرآة صنعت من أخلاط عجبية ؛ إذا انهم الرجل أهله بأحد ، نظر في تلك المرآة فبرى وجه الرجل المتهم . فيقال إنه كان في تلك الناحية رجل بربرى يدعى أنه من أهل الخير والصلاح ، فاتهم ملك (ب) شقبنارية أهله بذلك البربرى فنظر في المرآة فرأى صورة البربرى مع امرأته ، فأوقف على ذلك الشهود وأخذ البربرى فقتله ، فغضب لذلك أهل البربرى ودخلوا تلك الكنيسة فكسروا تلك المرآة ونزعوها . وفي هذا الجبل مدن قدمة كثيرة خربة فيها آثار عظيمة وهو كثير العمار والقرى وهو بلد الزرع والضرع .

ومما يقرب من هذا الجبل من المدن المشهورة بإفريقية مدينة قسنطينة (أ) : وهي مدينة كبيرة عامرة قدمة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول . وكان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد على قناطر تقرب من قناطر قرطاجنة ؛ وفيها مواجل عظام مثل الذى بقرطاجنة . ومدينة قسنطينة حصينة في نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بإفريقية أمنع منها ، ليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس ، فإنها تشبهها في وضعها والخذق المحيط بها والحافة المحدقة بها شيئا كثيرا . ولكن قسنطينة أعظم وأكبر وأعلى ، على جبل عظيم من حجر صلد ، وقد شق الله تعالى ذلك الجبل فكان فيه خندق عظيم يدور بالمدينة من ٣ جوانب . ونهرها الكبير يدخل على ذلك الخندق ويدور بالمدينة فيسمع (ج) بحرياته في ذلك الخندق دوى عظيم هائل وصوت مفرع لمن يقرب منه . وقد عقد الأولون على هذا الخندق قنطرة عظيمة بل هي ٣ بعضها على بعض . و [هي] بالجو قربت من أعلى الخندق ، وعليها الدخول إلى باب المدينة وهي متصلة بالباب . وقد بنى على طرف القنطرة مما يلي باب المدينة بيت على أقباء يسميه أهل المدينة «العبور» يعنون الشَّعْرَى لأنه معلق في جوال السماء ، فإذا كنت في وسط هذه القنطرة تعبر إلى

(أ) ج : شرب . (ب) ج : فاتنهم مالك . (ج) ك : ويسح .

(١) قارن البكرى ، ص ٦٣ ؛ الإدريسي ، ص ٩٤ وقابع ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٨ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١٣ ، الدمشق ، ص ٢٣٧ ، المبدى ، المخطوط ، ص ١٨ - ب .

الصفة الثانية نظن أنك تطير في الهواء، وترى ماء النهر الكبير في قعر الخندق البعيد المهوى مثل الجدول الصغير . وهذه المدينة من عجائب العالم قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها ودخلت مواضع كثيرة فيها آثار للأول فتأملتها ، وكان لي في ذلك غرض . وهي على نظر واسع وقرى كثيرة عامرة أهلة ، وهي كبيرة الحصب والزرع ولها بساتين كثيرة الفواكه ، لكنها شديدة البرد والثلج كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها . وأقرب بمدينة القسنطينة من رأس البحر مدينة القفل بينهما نحو المرحلتين أو أقل .

مدينة ميلة ^(١) : مدينة أزية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة . وهي الآن عامرة أهلة كثيرة الحصب رخيصة السعر ، على نظر واسع وقرى عامرة . وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر ، عليها سور صخر جليل من بناء الأولين . وفي وسط المدينة عين خراطة عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر ، ولا يعلم من أين يأتي ذلك الماء . ويقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت ، وتعرف هذه العين بعين أبي السباع . وبالقرب من ميلة جبل العنصل يسمى اليوم جبل بني زلدوي (أ) وهم قبائل كثيرة (ب) من البربر سكنوا بذلك الجبل ، ولهم خلاف كثير على الولاية بسبب منعة جبلهم ، وفيه مدن وعمار وقرى كثيرة وهو أخصب جبال (ج) إفريقية ، فيه جميع الفواكه من التفاح الحليل والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد والأعناب الكثيرة . وعلى الطريق من مدينة ميلة إلى قلعة أبي طويل وهي قلعة حماد ، مدينة سطيف ^(٢) ، بينها وبين ميلة مرحلة . وهي مدينة قديمة أزية كان عليها سور صخر قديم خربه كتامة مع أبي عبد الله الشيعي . ومدينة سطيف رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار ، غزيرة المياه والأنهار والبساتين والأشجار .

(أ) ج : بني زله . (ب) ج : قبيل كبير . (ج) ك : جبل .

(١) قارن البكري ، ص ٦٢ - ٦٤ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٢٧) ، الإدريسي ص ٩٤ ، المبرد ، المخطوط ، ص ١٨ - ب .

(٢) البكري ، ص ٧٦ ، الإدريسي ، ص ٩٨ ، ابن حوقل ، ص ٩٨ ، المشقي ، ص ٢٢٧ ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٢١

مدينة الغدير (١) : وهي مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد أهدفت بها ، ولها نهر يجتمع من الميرون في موضع دهن يخرج منه هذا النهر ، ويسمى نهر صهر ويمشي من هناك إلى مدينة المسيلة (١) وهو نهرها . والمسيلة من بلاد الزاب ، وسيأتي ذكرها عند ذكرنا بلاد الزاب إن شاء الله . وبقرب مدينة الغدير فحص عجيسة ، وهو فحص مديد (ب) ، كثير الزرع والضرع إلا أنه شديد البرد والثلج . ولقد دخلت هذا الفحص في زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغلو . ومن أمثال تلك البلاد ، برد بلد عجيسة في الصيف وأما الشتاء فسكرات الموت (ج) وعندهم النيلة المشهورة (د) .

مدينة قلعة أبي طويل (٢) : وهي قلعة حماد (ر) وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات . وهي في جبل عظيم ، وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال . وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة ، وهم كانوا ملوك إفريقية [أيام بني عبيد] فلما رحلوا إلى بلاد مصر ، ولوا على إفريقية [بلجين بن (س) زيري بن مناد الصنهاجي ، فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات ثم ولي بعده ابنه حبوس فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات فولى بعده ابنه باديس ؛ ثم ولي بعده ابنه المعز وهو الذي خلع طاعة الشيعة (ص) وقتلهم بإفريقية قتلا ذريعا . وكان سبب ذلك أن هذا المعز بن باديس كان يضرر حب الصحابة رضه ، وكان يظهر التشيع والقليل من أهل إفريقية سنية لكون

(١) ج : مسيلة . (ب) ك : مدير . (ج) القراءة في ج : وأما في الشتاء المشهور كل ليلة عندهم سكرات الموت . (د) الحملة الأخيرة فائضة في ج (ر) ك : أبي خاد . (س) أنظر Fagnan ، ص ٩٩ . (ص) ك : الشيعة .

(١) البكري ، ص ٥٤ ، ٩٠ (عن جبل عجيبة ونهر صهر ، ص ٥٩) ، الإدريسي ، ص ٩٢ ، الدمشقي ، ص ٢٣٧ ، مراصد الاطلاع (الغدير) ، ج ٢ ص ٣٠٤ . وعن عجيبة (مدينة المغرب) أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩١٨ . قارن Fagnan هامش ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) قارن البكري ، ص ٤٩ ؛ الإدريسي ، ص ٨٦ ، ٩١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٤ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ مراصد الاطلاع (قلعة أبي طويل) ، ج ٢ ص ٤٤١ (قلعة بني حماد) ، ص ٤٤٢ . وعن بني زيري وبني حماد أنظر ابن خلدون (الترجمة) ج ٢ ص ٩ وتابع ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٣٠٤ وتابع ؛ G. Marcais, Les Arabes en Berbérie .. p. 114 sq. وعن باجة أنظر هامش ٢ ص ١٦٠ .

الدولة للشيعة (أ) ، فقبل إن المعز كان ماشيا يوما بالقيروان ، وكانت دار مملكة إفريقية ، إذ كبت به (ب) دابته فقال «أبو بكر وعمر» ، فلما سمع منه أهل القيروان ذلك قاموا على الشيعة فقتلوهم حيث ما وجدوهم وقتلوا في جميع إفريقية ، ويقال إنه قتل منهم بالقيروان وأحوازها نيف على ٢٠ ألفا . وملك (ج) بنو زيري ابن مناد الصنهاجي بلاد إفريقية إلى أن دخلها عليهم العرب ، فرجع صاحب القيروان يسكن مدينة المهدية . وقد كان حماد بن حبوس قام على ابن عمه باديس بهذه المدينة ، فسميت قلعة حماد ، ونزل عليه ابن عمه في جيوش لا تحصى فما قدر عليه ، ورجع عنه خاسرا (د) ، ويقال إنه مات عليها وحمل منها إلى القيروان . وولى بعده ابنه المعز وهو لم يبلغ الحلم فعند ذلك عظم ملك حماد بقلعة أبي طويل ، وأخذ كثيرا من مدن إفريقية . فلما دخل العرب إفريقية هرب منهم صاحب القيروان إلى المهدية ، وخرج المنصور من بني حماد لنصرة ابن عمه وهزم الهزيمة المشهورة على مدينة سبئية ، وقد ذكرنا ذلك في أخبار بجاية ، وعظم ملك بني حماد بجهة القلعة ، وبجاية ، وتلك البلاد .

ولبنى حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر ، وقد وضع (ر) في وسطه صهرمج عظيم تلعب فيه الزوارق ، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد . وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف ، وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة ، وفيها آثار للأول عجيبة . ويقال إن حماد بن مناد صاحب القلعة التي تنتسب إليه كان له دهاء وفطنة وتجربة (س) في الحروب ، وكانت له فراسة حسنة وذكاء وله أخبار مشهورة محفوظة . فن المحفوظ عنه من الذكاء والفطنة (أ) أن رجلا شيخا خرج مع امرأته من بعض البلاد يريد القلعة فصحبه في الطريق فتى شاب وكان له جمال ، فكلفت به المرأة وكلف بها فتواطأ (ص) على أن يدعى في زوجيتها وتفعل هي (ط) كذلك ، ويسقط الشيخ ، فلما وصلوا القلعة فعلا ذلك . قال فتعرض الشيخ إلى حماد وشكا إليه

(أ) ك : الشيمية . (ب) ج : كبآت ، ك : كفات . (ج) ك : وملكوا
(د) هنا ينتهي مخطوط الجزائر ج . (ر) ك : فوضع . (س) ك : وبمارة
(ص) ك : فتواطأ . (ط) هي : لا توجد في ك .

ما دهاه . وكان الشيخ مولعا بالمرأة فأمر حماد بإحضار الفتي والحارية ، فسألها عما ذكره الشيخ فأنكر ما قال الشيخ وتعارفا أمامه بالزوجة . فجعل حماد يسأل الشيخ من صحبه في الطريق ، أو هل له بيعة أو شبهة ، فقال له الشيخ ما مضى وامرأتى غير هذا الكلب ، خرج معنا من البلد الفلانى ، وهو تربيتنا ، فأمر حماد بربط الكلب إلى شجرة ، ثم أمر المرأة أن تحله ، فقربت منه فهش الكلب إليها ، فحلته ، ثم أمرها فربطته ثم حلته ، والكلب فى ذلك كله يهش إليها ولا ينكر شيئا مما تفعل به . ثم قال للفتى قم إلى الكلب وحله واربطه فلما دنا منه خجته الكلب وأنكره ولم يقدر على الدنومه . فقال حماد للشيخ قم إلى الكلب ، فقام إليه فهش الكلب كما هش للمرأة ، فأمر بضرب عتق الفتى ، وقال للشيخ شأنك والحارية . وكان له من هذا الباب كثير . ويذكر أنه قال (١) : ما تدهى على أحد قط ولا خدعنى غير امرأة وكعاء من البربر . قيل له وكيف كان ذلك ، قال كان لى صاحب من البربر نشأت معه بالقيروان ولم يفرق بيننا ريب الزمان ، وكنت خالطته بنية نفسى وجعلته محل أنسى ، فلما صرت إلى ما أنا فيه من الرياسة ، فقدته ، فجعلت أطلبه فلا أقدر عليه ، فلما نزلت على مدينة باغاية (١) ، ودخلتها عنوة واستبحت جميع ما فيها فإذا أنا فى صبيحة ذلك اليوم بصائح يصيح : « أنا بالله وبالأمر » ؛ فقلت : « مالك ومن أنت » . فقال أنا فلان ، فإذا بصاحبى الذى كنت أطلب مع أهل (ب) باغاية ، قد حبسه (ج) عني نسكه ، وغلب على هواه وورعه ؛ فأظهرت البشر بمكانه والحزل بشأنه ، ولو شفع إلى فى أهل باغاية لشفعته . فجعلت أوانسه وهو كالوالد فسألته عن أمره ، فقال إنه فقد بنتا كانت له فيمن فقد من النساء ؛ فقلت له والله لو خرجت إلى بالأمس لحقنت دم أهل بلدك لحرمته عندى ؛ فقال القدر غالب والمحروم خالب . قال حماد ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان فى أنجبتهم من النساء ، فعرف الرجل أن ابنته فيهن . قال حماد فأمرت بسترها وترفيها وحملها مع أبيها فى أحسن حال ، قال فرفعت صوتها قائلة ، والله يا حماد لا

(١) ك : باغانة . أنظر Fagnan ، ص ١٠٣ (ب) ك : « وأهل » بدلا من « مع أهل » . (ج) ك : حبس .

رجعت مع أبي ولا مع الذي غصبتني ، قال فقلت لها فما الذي تريدن ؟ قالت
إني لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لي بسواهم ، فلما سمع ذلك أبوها سكن ما
كان في نفسه لها من الإشفاق ، وظن أنها قد فتنت وفسدت . قال حماد ومن
أين تقولين أنك تصلحين للملوك ؟ قالت ، لأن عندي علما لا أشارك فيه
ولا يدعيه غيري ، فقلت لها ألا أريتينا شيئا من علمك ، قالت نعم تأمر بقتل
إنسان وتحضر أمضي سيف عندك ، أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره في أحد
ويعود في كف حامله أكل من قبله . قال حماد فقلت إن الذي يجرب هذا فيه
لمغرور ، فقالت لي ، أويتهم (أ) أحد في قتل نفسه ؟ قلت لها لا ، فقالت إني
أريد أن تجرب ذلك في حتى تروا عجا . قال فأني بسيف ماض فتكلمت عليه
وأشارت إلى السماء مرارا ومّدت عنقها ، ففصر بها السيف ضربة أبان رأسها
من جسدها ، فاستيقظت من غفلتي ، وعلمت أنها تداهت علي ، وكرهت العيش
بعد الذي جرى عليها واستبان لأبيها ذلك فجعل يلقي نفسه عليها ، ويتمرغ
في دمها اغتباطا بما رأى من عظيم أنفاسها ، إذ (ب) اختارت الموت على ما نزل
بها ، وقال لاشك أن إشارتها إلى السماء إنما كان ذكرا للشهادة والدعاء لله
تعالى أن يغفر لها . وتصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثل في الجودة
والرقة إلا (ج) الوجدية التي تصنع بوجدة ، يساوي كساء عيد من عمل القلعة
٣٠ ديناراً .

مدينة أشير (١) : بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري ،
وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة ، وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها
فليس في تلك الأقطار أحسن منها . وهي بنى جبال شاذلي محيطة بها . وداخل
المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأول ، وبالقرب
من المدينة بنيان عظيم يعرف بمحراب سليمان لم ير بنيان أعظم منه ولا أحكم ،
فيه من الرخام والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه (د) الوصف .

(أ) ك : أوتهم . (ب) النص : الذي . (ج) ك : لا .

(د) «عنه» ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٦٠ ؛ الإدريسي ، ص ٨٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١
ص ٢٨٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berberes) ، ج ٢ ص ٦ .
وقارن Fagnan ، ص ١٠٥ والهامش .

مدينة ملبانة (١) : قريبة من مدينة أشير ، وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جدد لها زيري بن مناد أيضا وفيها آثار قديمة . وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى نكار ، وشعراء هذا (١) الجبل كلها ريحان ، وينبعث من هذا الجبل عين خراطة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها . وللمدينة مليانة مياه سائجة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه ، وهي من أخصب بلاد إفريقية وأخصها أصعارا . ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة ، وحولها قبائل كثيرة من البربر . ويشق تلك الفحوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور . وعلى نهر شلف مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية تسمى شلف ، وإليها ينسب النهر الكبير ، وهي اليوم خراب .

مدينة الخضراء (٢) : وإنما سميت الخضراء لكثرة بساتينها ، وكانت مدينة كبيرة قديمة فيها آثار أولية وهي على نهر إذا حمل دخل (ب) بعضها ، وأظنه نهر شلف .

ذكر بلاد الزاب (٣) : وهي على طرف الصحراء ، في سمت بلاد الحرير ، وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها . وهي مدن كثيرة ، وأنظار واسعة وعمائر متصلة ، فيها المياه السائجة والأنهار والعيون الكثيرة .

مدينة المسيلة (٤) : أقرب بقلعة حماد من بلاد الزاب مدينة المسيلة ، وهي في بسيط (ج) من الأرض على نهر كبير يسمى بسهر ، ومنبعه من مدينة

(١) م : أشعار ، ك : شمار . (ب) «إذا خل دخله ناقصة في ك . أنظر البكري ، ص ٦١ . (ج) م : بباط .

(١) البكري ، ص ٦١ ، ٦٩ ؛ الإدريسي ، ص ٨٤ ، ٨٥ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٧
ابن حوقل ، ص ٦٤ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٤٧ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ١٤
- ١٤٧ ، ١ -

(٢) قارن البكري ، ص ٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٨٤ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٧

(٣) قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٠٤ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٧ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٢

(٤) البكري ، ص ٥٩ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٣٤ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٠١ . وهي تسمى حتى الآن الحمديّة) ؛ الإدريسي ، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ اللمشق ، ص ٢٣٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩١ والهامش ، ابن حوقل ، ص ٦٠

الغدير وقد ذكرناه . مدينة المسيلة أحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ سنة ٣١٣ [= ٩٢٥] وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك المعروف بابن الأندلسي ، فلم يزل بها أميرا حتى مات في فتنة أبي يزيد (١) ، وبنى ابنه جعفر أميرا فيها ، وولى على بلاد الزاب كلها . وهذا جعفر ممدوح (ب) محمد بن هاني الأندلسي الشاعر المشهور ، له فيه مدائح كثيرة حسان ، وكان من أكثر أهل زمانه إحسانا . ومدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة ، وكانت مدينة عظيمة على نظر كبير ، وحواليها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة وهوارة ، وبنى برزال .

مدينة نيقاوس (١) : مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع ، كثيرة شجر الحوز ، منها يحمل الحوز إلى قلعة حماد وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد .

مدينة طبنسة (٢) : وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخيم متقن البناء من عمل الأوائل ، ولها أرياض واسعة وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية والمغرب وبلاد الأندلس فبلغ سبيلها ٢٠ ألف رأس . ويشق مدينة طبنة جداول الماء العذب ولها بساتين كثيرة النخل والثمار ولها نهر يشق غابتها ، وقد بنى له صهريج كبير يقع فيه وتسقى منه جميع بساتينها وأرضها ، ولم يكن من القبروان إلى سيجلماسة مدينة أكبر منها

(١) النص : أبي زيد . أنظر Fagnan ، ص ١٠٧

(ب) النص : وهذا جعفر هو ممدوح .

(د) «وهي» ناقصة في ك .

(١) الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ البكري ، ص ٥٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٦ ؛ المقدسي ،

ص ٢٣٠

(٢) البكري ، ص ٥٠ ، الترجمة ، ص ١٢٣ وهامش ٢ ؛ الإدريسي ، ص ٩٣ ؛

الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٩ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،

ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢

مدينة بَسْكَرَة (١) : وهي مدينة كبيرة ، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها (١) ، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار ، ببسكرة النخل لكثرتة بها (ب) ، وفي جميع البلاد إنما يصيحبون عليه «بسكرة» . وأكثر ثمرها الجنس المعروف بالكُسْبَا وهو المعروف ببلاد المشرق ومدينة الرسول عم وغيرها بالسباني (ج) ، وببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف باللياري وهو أبيض أملس وكان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ، ويبحث ما هناك منه إليه لطيبه وحسنه . ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقى بساتينها ونخلها ، وهو نحو ٦ أميال في غابة متصلة بالمدينة يشق غابتها وقراها . وبسكرة دار فقه وعلم ، فيها العلماء . ومن قرى بسكرة قرية تسمى مَلْسُون (د) ، ومنها كان أبو عبيد الله الملسوني ، وكان عالما فقيها يحمل عنه العلم ، وهو الذي أخبرني أن في طريق بسكرة جبلا وفيه كهف فيه رجل قتل لم يعرف أحد من أي عهد هو (ر) ، ولم تغيره الدهور ولا تقادم الأزمان كأنما جراحه تقطر دما كأنه قد قتل من يومين ، وتخبر الكافة عن الكافة والخلف عن السلف ، أنهم كذا عرفوه منذ كانوا ، وقد نقله (س) أهل تلك النواحي ودفنوه بأقبيتهم تبركا به ثم لم يلبثوا أن (س) وجدوه في الكهف على حاله ، يحدث بذلك ثقات أهل النواحي ، ويقال إنه من الحواريين . ذكر محمد بن يوسف في كتابه أن هذا القتل في شق جبل بشرق عين أوتبان ، وهذه العين عظيمة بين مدينة مرماجنة وبين مدينة سببية ، وذكر أنه تخيل لرائيه أنه كما ذبح من يومه وإنه هناك من قبل فتح إفريقية ولم (ط) يذكر أمر نقله ودفنه . وقد ذكر المسعودي (٢) رحمه الله ، هذا القتل والله أعلم بحقيقة أمره .

(١) النص : قاعدتهم . (ب) النص : به . (ج) م : السباني .

(د) ك : ملسون ؛ البكري ؛ ملسون . (ر) الجبل الأخيرة مختلطة تماما

في «ك» حيث القرامة : والذي أخبر في طريق بسكرة جبلا ، وفيه كهف فيه رجل قتل لم يعرف أحد من أين عهد هو . (س) ك : وقد نقلوه .

(ص) ك : ثم يلبثوا إلى أن . (ط) «لم» ناقصة في النص ؛ أنظر - Fagnan ،

ص ١١١ و هامش ١ .

(١) البكري ، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،

ج ١ ص ٦٢٥ ؛ دمشق ، ص ٢٢٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٩٨ ؛ المقدسي ، ص ٢٣٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٢

(٢) البكري ، ص ٥٣ . هذه الأسطورة لا توجد في كتب المسعودي التي تحت أيدينا ؛

وربما نقلت من أحد كتبه المفقودة .

مدينة تهوذة (١) : بالقرب من بئسكرة مدينة تهوذة وهي مدينة كبيرة قديمة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الحليل ، ولها رياض كبيرة ولها أرباض كثيرة يدور بجميعها خندق ، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس ، فإذا كانت بينهم وبين أحد حرب ، وخافوا النزول إليهم أجروا ماء ذلك النهر في الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا منه . وهي كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار . وفي هذه المدينة خبر مشهور عن رسول الله صلعم ، يروى عن شهر بن حوشب أن النبي صلعم نهى عن سكى هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهوذة ، وقال له سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم كتواب أهل بدر وأهل أحد ، والله ما بدّلوا حتى ماتوا . وكان شهر بن حوشب يقول : واشوقاه إليهم ، وقال شهر سألت جماعة من التابعين عن (١) هذه الصحابة إلى ذكرها رسول الله صلعم ، فقالوا ذلك عقبة بن نافع وأصحابه قتلهم البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذة ، فنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدي الله تعالى . وروى أبو المهاجر قال : قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو بن العاص في خلافة معاوية بن أبي سفيان فنزل منزلا من بعض قرى مصر ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلعم فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص فوضعت بين أيديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ، ضربت حداة على ما بين أيديهم من الطعام فأخذت منه عرقا ، فقال عقبة اللهم دق عنقها ، قال وأقبلت منقضة حتى ضربت بنفسها الأرض فأندقت عنقها ، فاسترجع ابن عمرو فسمعه عقبة يترجع فقال : ما لك يا أبا عبد الله ، فقال بلغني أن قوما يغزون إلى هذه الناحية فيستشهدون بها جميعا ، فقال عقبة اللهم أنا ومنهم ، وكان مستجاب الدعوة . قال ثم إن عقبة بن نافع خرج في أيام يزيد بن معاوية على جيش كبير غازيا إلى بلاد المغرب ، فر على عبد الله بن عمرو بمصر فقال له : «يا عقبة لعلكم من الجيش الذي يدخل الجنة» (ب) ، قال أبو المهاجر فافتتح عقبة بلاد المغرب حتى وصل إلى أقصاها وعلى ضفة البحر المحيط ، وقد ذكرناها . ويقال إنه أدخل (ج) فرسه في البحر حتى بلغ تلييب سرجه ، وقال اللهم إني

(١) ك : على .

(ب) القراءة ن ك : فقال له عقبة لعلكم الجيش الذي يدخل الجنة . (ج) ك : دخل

(١) البكري ، ص ٧٢ وتابع ، المشق ، ص ٢٣٧ ، مرصد الاطلاع ، ص ٢٢٠

أطلب السبب الذى طلب عبدك ذو القرنين ، فقيل له ياولى الله وما السبب الذى طلب ، قال ألا يعبد فى الأرض إلا الله وحده ، وانصرف إلى إفريقية . فلما دنا منها تفرق (أ) أصحابه عنه فوجا فوجا ، فلما وصل إلى مدينة طُبنة من نظر الزاب ، أذن لسائر جيشه وبقي فى عدة يسيرة من أصحابه ، وقد كان فى دخوله بلاد المغرب خطر على مدينة تهودة وعلى مدينة بادس ، فرأى فيها قوة (ب) كثيرة من النصارى والبربر ، وكانت فى ذلك الوقت أعظم مدن المغرب . فلما رجع قال أمر على مدينة تهودة (ج) وبادس ، أعرف ما فهما من القوة والجيش ، فلما انتهى إلى مدينة تهودة (ج) اعتمده كسيلة بن أقدم وكان أميرها فى جيوش من الروم ، وقد كان سمع تفرق جيش (د) عقبة عنه ، وأقبلت عليه عساكر من البربر ، فلما رأهم عقبة وأصحابه كسروا أجفان سيوفهم ورجعوا إليهم فقاتلوا حتى قتلوا (ر) جميعا رحمهم الله ، وقبر عقبة اليوم بمدينة تهودة على مقربة منها بمرحلة .

مدينة بادس (س) (١) : وهى مدينة كبيرة ، لها حصنان وأرباض واسعة وبساتين كثيرة ومزارع جليلة يزرعون فيها الشعير مرتين فى السنة على مياه سائجة ونخل كثير وجميع الفواكه والثمار . وهى مدينة قديمة فيها آثار للأولين ولها مياه وعيون كثيرة ، وبالقرب منها قيطون بياضة (٢) وهو أول بلاد مماطة ، ومنه تفرق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها . وقيطون بياضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق ، ومنها تخرج إلى جميع البلاد ، وهى آخر بلاد الزاب .

(١) ك : سار . (ب) ك : نوبة . (ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة فى ك . (د) «جيش» ناقصة فى ك . (ر) ك : قوتلوا . (س) ك : قادس ؛ أنظر Fagnan ، ص ١١٤

(١) البكرى ، ص ٧٤ قارن الإدريسي ، ص ٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٥٩ (يميز بين بادس الموجودة فى الزاب وأخرى فى منطقة فاس) ؛ اللمشق ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٨
(٢) البكرى ، ص ٧٤

ذكر المغرب الأوسط (١)

وفيه مدن كثيرة ، وقاعدتها مدينة تِلِمَسَان ، وحد المغرب الأوسط من وادى مجمع (١) وهو فى نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب فى الطول ، وفى العرض من البحر الذى على ساحل البلاد التى ذكرنا فى البلاد الساحلية ، مثل مدينة وهران ومليانة وغيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل (ب) ، وهى مدينة فى أول الصحراء (ج) وهى على الطريق إلى سِجِلْمَاسَة .

مدينة تِلِمَسَان (٢) : مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة ، وهى فى سفح جبل أكثر شجره الخوز ، وكان لها ماء مجلوب من عمل الأوائل من عيون يسمى بوريطة ، بينها وبين المدينة ٦ أميال ، ولها نهر كبير يسمى سَطْفَسِيْف . وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر . وهى كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم ، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها . وفى الجنب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه والأنهار ويتصل بها جبل تاوَرْنَاية ، وهو جبل كبير معمور فيه القرى الكثيرة والعمائر المتصلة . وفى الجنوب (د) من مدينة تلمسان قرية كبيرة تسمى باب القصر ، فوقها جبل يسمى البغل ، كثير الخصب والعمارة ينبعث تحته نهر سَطْفَسِيْف ويصب فى بركة

-
- (١) م : واد يسمى مجمع ؛ أنظر Fagnan ، ص ١١٥
 (ب) البكرى : (ص ٧٧) تيزيل . (ج) «الصحراء» ناقصة فى ك .
 (د) النص : ومن الشمال . أنظر Fagnan ، ص ١١٦ وهامش ١

(١) من الصعب تحديد بلاد المغرب حسب تعريف الجغرافيين العرب : فإفريقية تختلط بالمغرب والمغرب يتداخل فى الأندلس . أنظر ياقوت ، معجم البلدان (إفريقية) ، ج ١ ص ٣٢٤ ، (المغرب) ج ٤ ص ٥٨٣ ؛ الدمشقي (إفريقية) ، ص ٢٣٤ ؛ مرصد الاطلاع (إفريقية) ، ج ١ ص ٨٠ ، (المغرب) ج ٣ ص ١٢٦ ؛ المقدسي (المغرب) ، ص ٢١٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٨

(٢) قارن البكرى ، ص ٧٦ ؛ الإدريسي ، ص ٨٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٩ - ١٩٠ ؛ العبدري ، المخطوط ، ص ٧ - ١

عظيمة منقورة في حجر صلد من عمل الأولين فيسمع لوقوعه في تلك البركة
خريز شديد هائل على مسافة أميال ، ثم يخرج من تلك البركة بحكمة مدبرة
إلى موضع يسمى الميهماز (أ) ، فيسقى هناك مزارع وأولاجا كثيرة تسمى
أولاج الجنان (ب) ؛ وتلك المواضع من أجل بقاع تلك البلاد ؛ ثم يصب في نهر
أسر (ج) ثم يصب في نهر ثافي وهو النهر الذي يتصل بمدينة أرشقول في البلاد
الساحلية . ومدينة تلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين .
وكان هذا المغرب الأوسط قد تملكه العلويون من بني إدريس وأمرهم مشهور ،
وتملكوا بلاد الأندلس وتسموا بالخلافة .

مدينة وجدة (١) : وهي مدينة كبيرة مسورة قديمة أزلية ، كثيرة البساتين
والجنات والمزروعات ، كثيرة المياه والعيون طيبة الهواء جيدة التربة ، يمتاز أهلها
من غيرهم بنضارة ألوانهم وتنعم أجسامهم . ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها
للماشية ، يذكر أنه يوجد في الشاة من شياهم مائتي أوقية شحما ، ويصنعون
من صوفها أكسية ليس لها نظير في الجودة مثل العبيدي ، يساوي الكساء الجيد
منها ٥٠ ديناراً وأزيد . وعلى مدينة وجدة طريق المار والصادر من بلاد المشرق
إلى بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها .

مدينة أجرسيف (٢) : مدينة كبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية
وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة ، وكانت أجرسيف قرية كبيرة على نهر
ملوية حتى خرج المثلثون من الصحراء فنزلوها ومدنوها ، وبنوا عليها سورا
من طوب .

(١) النص : بلسان . أنظر البكري ، ص ٧٧

(ب) البكري : ولج الحنا . أنظر Fagnan ، ص ١١٦ وهاش ؛

(ج) النص : اسين . أنظر البكري ، ص ٧٧

(١) قارن البكري ، ص ٨٧ ؛ الإدريسي ، ص ٥٦ (لا يقول شيئا عن هذه المدينة) .

(٢) قارن البكري ، ص ٨٨ ؛ الإدريسي (أقرسيف) ، ص ١٧٢ ؛ الدمشقي ،

ومن مدن المغرب الأوسط المشهورة (١) ، مدينة تاهرت (١) : وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة ، عليها سور صخر ، ولها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة . ومدينة تاهرت (ب) في سفح جبل يسمى قرقل ، وهي (ج) على نهر كبير يأتيها من تاحية المغرب ، يسمى منية (د) ، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس ، [ومنه] تشرب أرضها وبساتينها ، وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار ، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة . وبلد تاهرت شديدة البرد ، كثيرة الغيوم والثلج ، قال أبو بكر ابن حماد (ر) يصفها (س) :

ما أصعب البرد وريعته	وأظرف (ص) الشمس بتاهرت
تبدو من الغمام إذا ما بدت	كأنها تنشر من تحت
نفرح بالشمس إذا أشرقت	كفرحة الذي (ط) بالسبت

ويقال إن رجلا من أهل تاهرت حج فرأى توقد الشمس بمكة فقال لها وقد أحرقتك : احرقي ما شئت فوالله إنك بتاهرت لذيلة .

وقرب هذه المدينة (ع) قلعة هواره (٢) : وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع ، وأعناب ، وتحتها فحص طوله نحو ٤٠ ميلا يشقه نهر سيرات ويسقى أكثر أرضه ، يسمى ذلك الفحص سيرات بأسم النهر . ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية . وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر ،

-
- (١) الحملة الأخيرة ناقصة في ك . (ب) ك : «وهي» بدلا من «مدينة تاهرت» .
 (ج) ك : وهو . (د) م : منيت . (ر) أنظر البكري ، ص ٦٧
 (يسميه أبو عبد الرحمن بكر) ؛ Fagnan ، ص ١١٨ وهامش ه
 (س) ك : يصفه . ك (ص) : وأطراف . (ط) ك : الرى .
 (ع) «وقرب هذه المدينة» ناقصة في ك .

(١) البكري ، ص ٦٦ - ٦٧ ؛ قارن الإدريسي ، ص ٨٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨١٣ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ مراصد الاطلاع (تاهرت) ، ج ١ ص ٩٦ (تاهرت) ، ج ١ ص ٢٢٣ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٣ ؛ المقدسي ، ص ٢٢٨

(٢) البكري ، ص ٦٩ . قارن الإدريسي ، ص ٨٨

وَمُطَفَرَةٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قِبَائِلِ زَنَاتِهِ ، وَزَنَاتُهُ تَتَشَعَّبُ عَلَى قِبَائِلٍ كَثِيرَةٍ ، وَبِلَادُهُمْ وَاسِعَةٌ يَخَالِطُهُمْ مِنْ جِهَةِ إِفْرِيقِيَّةِ بَنُو زُغْبَةٍ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، وَمِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ بِلَادُ مَسُوفَةٍ ، وَهُمْ الْقِبَائِلُ كَثِيرَةٌ مِنْ صَنْهَاجَةٍ ، يَسْكُنُونَ بِتِلْكَ الصَّحَرَاءِ لَا يَسْتَوِطِنُونَ بِلَادًا ، وَإِنَّمَا عَيْشُهُمْ عَلَى اللَّبَنِ وَاللَّحْمِ ، وَهُمْ يَخْلُقُ كَثِيرٌ . وَفِي صَهَارَى بِلَادِهِمْ جَبَلٌ عَظِيمٌ يَعْرِفُ بِقَلْتَقَلٍ وَهُوَ كَثِيرُ الْخَصْبِ وَالْعَيُونِ وَالْأَنْهَارِ ، وَفِيهِ آثَارُ عِمَائِرٍ كَثِيرَةٍ ، وَبُيُوتُ مَحْصَنَةٍ وَقَرْىٌ وَاسِعَةٌ لَا أَنْيْسَ بِهَا وَلَا يَسْكُنُهَا خَلْقٌ ، وَيُقَالُ إِنَّ الْجَنَّ أَخْلَتِ تِلْكَ الْعِمَائِرَ وَالْبِلَادَ . وَيُرَى فِي تِلْكَ الصَّحَارَى بِاللَّيْلِ نِيرَانٌ (١) الْجَنِّ ، وَيَسْمَعُ عَزْفُهُمْ وَغَنَائُهُمْ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَخْتَنِفُونَ الْإِنْسَانَ وَيَحْمِلُونَهُمْ مَعَهُمْ وَرَبَّمَا يَفْلِتُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُحَدِّثُ بِمَا رَأَى عِنْدَهُمْ ، وَهَذَا مُتَعَارَفٌ . وَيُقَالُ لِنَهْمٍ يَبْدُلُونَ أَوْلَادَ الْإِنْسَانِ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةٍ : يَأْمِدُولُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا السَّرَّ فِي ذَلِكَ . وَبِقَرَبِ تِلْكَ الْبِلَادِ أَرْضٌ فَجِيجٌ ، وَهِيَ بِلَادُ خَصْبَةٍ ، وَفِيهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ وَتَسْكُنُهَا أُمَمٌ شَتَّى . وَلِلْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ مَدَنٌ كَثِيرَةٌ قَدْ ذَكَرْنَا أَكْثَرَهَا فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْخَصْبِ وَالزَّرْعِ كَثِيرَةُ الْغَنَمِ وَالْمَاشِيَةِ ، طَيِّبَةُ الْمَرَاعَى وَمِنْهَا تَجْلِبُ الْأَغْنَامُ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِرَخْصَتِهَا وَطَيِّبِ لَحْوِهَا .

ذِكْرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ (١)

فِيهِ مَدَنٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَقْطَارٌ وَاسِعَةٌ ، وَعِمَائِرٌ مُتَّصِلَةٌ ، يَحْدُ بِلَادَ الْمَغْرِبِ مِنْ آخِرِ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ إِلَى بِلَادِ تَازَا ، إِلَى آخِرِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الدَّاخِلِ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ عِنْدَ مَرْسَى أَزْمُورَ طُولًا . وَأَمَّا عَرْضُهَا مِنْ بِلَادِ طَنْجَةَ وَسَبْتَةَ إِلَى بِلَادِ مَلُوبِيَّةٍ وَأَحْوَاذِهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ بِلَادِ سَجْلَمَاسَةَ إِلَى الصَّحَرَاءِ ، وَآخِرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ .

(١) ك : نير .

(١) أَنْظِرْ هَامِشَ ١ ص ١٧٦ . عَنْ بِلَادِ تَازَا قَارَنَ الْمُبْدَرَى ، الْمَخْطُوطُ ، ص ١٤٧ - ١ - ٤ الدَّمَشْقِي ، ص ٢٣٧ . وَعَنْ أَزْمُورَ قَارَنَ يَاقُوتُ ، مَعْجَمُ الْبِلَادَانِ ، ج ١ ص ٢٢٣ الدَّمَشْقِي ، ص ٢٣٦ ، الْمُبْدَرَى ، الْمَخْطُوطُ ، ص ١٤٨ - ب . وَأَنْظِرْ Fagnan هَامِشَ ٢ ص ١٢٠

وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس - كلاًها الله^(١) : هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ، ومدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقتان ، يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ، يدور عليها سور عظيم . وبين المدينتين قناطر كثيرة ، وتطرّد فيها جداول ماء لا تحصى ، تخترق كلتي المدينتين تسمى بالسواني (أ) لا بد لكل دار من ديار المدينتين منها . وفيها عيون كثيرة لا تحصى عدداً ، وفيها من أرحية (ب) الماء نحو ٣٦٠ رحي ، وهي في المزيد ، وربما وصلت ٤٠٠ ؛ والنهر الذي يخترق مدينة فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب ، فيها نحو ٦٠ فوارة ، في دائرة ، يجتمع منها هذا النهر الكبير ، بينها وبين المدينة نحو ١٠ أميال في بسيط من الأرض ، يكاد لا يتبين جرى الماء فيه لاستواء أرضه .

ومدينة فاس محدثة ، أسست عدوة الأندلس في سنة ١٩٢ [= ٨٠٨] ، وعدوة القرويين في سنة ١٩٣ [= ٨٠٩] في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي ؛ ومن ذريته بفاس إلى اليوم ونحن في سنة ٥٨٧ [= ١١٩١] . ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح ، قد بنيت أكثر جنتها الملاصقة لها دوراً ، وأضيفت إليها . وفيها اليوم ٣ جوامع للخطبة : جامع عدوة الأندلس ، وهو جامع كبير متقن البناء ، يقال إن ابن عامر زاد فيه ، وجامع عدوة القرويين ، جامع كبير أكبر من جامع الأندلس ، وزيد في (ج) هذه المدة في هذا الجامع باب كبير مشرف جميل المنظر ، [و] من جهة الجوف سقاية متقنة البناء ملاصقة له ، مأوها من الوادي ، وجلب لها ماء عين هوف في أيام الحر في نهاية البرودة ، وفي أيام البرد فيها بعض الحرارة . وكذلك صنعت في جوف جامع القرويين سقاية متقنة البناء ، ومياه جارية مع عتبة الباب الجوفي (د) ، وفوارة في بيلة (ر) مرتفعة نصف قامة داخل

(أ) م : بالسواني . (ب) م : أرحى . (ج) النص : وزيد فيه في . (د) ك : في عتبة الجوف . (ر) ك : سبيله .

(١) إلى جانب المعلومات المعروفة يمدنا المؤلف بتفصيلات دقيقة عن مدينة فاس على عهده . قارن البكري ، ص ١١٥ وتابع ؛ الإدريسي ، ص ٧٥ - ٧٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ المقدسي ، ص ١٢٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٧ ، أبو القدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٨٤٢ ؛ مرصّد الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٣١ . هذا ويلاحظ أن صاحب كتاب روض القرطاس (القرن ١٤ م) عرف كتاب الاستبصار وأخذ منه بعض المعلومات عن فاس (ص ١٥ وتابع) .

الصحن (ا) ، وزيد فيه من جهة الغرب باب كبير ، مرتفع البناء على السناء
يسمى باب التجارين (ب) ، كل ذلك في حدود سنة ٥٧٨ [= ١١٩١] ، فكلت منافع
هذا الجامع المكرم وشرفت حومته بمأشرفه الله تعالى به . وكذلك بقصبة السلطان
جامع شريف معظم فيه الخطبة ، وأحدثها فيه هذا الأمر العزيز - أدام الله اعتلاءه -
لأن القصبة منحازة عن البلد (ج) بسور ، فوجب أن يكون فيها جامع
وفي كل عدوة شريعة لخطبة العيدين . ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ،
كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه ، وجميع الثمار ، ولها أقطار واسعة
متصلة العمار . وعدوة القرويين من هذه المدينة أكثرها بساتين وأشجار ومياه
وعيون من عدوة الأندلس ، وكلاهما خصبة (د) عظيمة القدر ، جليلة الخطر
ويقال إن رجال عدوة الأندلس أشجع (ر) وأنجد من رجال عدوة القرويين ،
ونسأؤهم أجمل من نساء القرويين ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال
عدوة الأندلس . ويقال إن بعدوة الأندلس تفاح حلو يعرف بالأطرابلسي ،
جليل حسن الطعم والرائحة ، يصلح بها ولا يصلح بعدوة القرويين . وكذلك
بعدوة القرويين أترج جليل ، يجود بها ولا يجود بعدوة الأندلس ، وكذلك
سميد عدوة الأندلس أطيب من سميد عدوة القرويين . وهذه المدينة قصبة
بلاد المغرب . بل وبلاد المشرق والأندلس ، لاسيما في هذا الأمر العزيز
- أيد الله دؤ بها يتجهز إلى بلاد السودان وإلى بلاد المشرق ، ومنها يحمل
النحاس الزا جميع الآفاق . قال الناظر هذه المدينة العظيمة ، لما كانت
على هذا وضع وقاضت عليها بركة الواضع لها ، وهو إدريس
بن إدريس نعوتى رتب على هذا اتساع مكاسب (س) أهلها ،
ورغد عيشهم ، وكثرة تنعمهم ، لجمال المدينة ، وعظم حماماتها (ص) وكثرتها ،
وهي أصل التنعيم . قال الشاعر :

إذا زفر الحمام ، واشتد غيظه وهاجت لواعيج به وحميم (ط)
رأيت نعيا في الحميم (ع) وراحة وذاك غريب في الجحيم نعيم

-
- (ا) القراءة في ك مختلطة : مرتفعة نصفها متداخل الصحن .
(ب) م : الفخارين . (ج) م : البلاد .
(د) ك : خطبة . (ر) ك : أشجاع . (س) ك : مكايبة .
(ص) ك : حماماتهم . (ط) ك : حيم بدلا من وحميم . (ع) م : الجنان .

فعطفت نفوس أربابها ، وشمخت أنوفهم ، وكبرت همهم . وكان فيها من الولاة
 المثلثين رجال عظماء ، عقلاء فضلاء ، بادروا إلى مخاطبة الخليفة
 أمير المؤمنين رضه (أ) ، وتساعدوا مع الوالي المتصرف بها (ب) ، فأدخلوا
 الموحدين أعزهم الله ، يوم الاثنين في العشر الأول من ذي حجة
 سنة ٥٤٠ [٢٣ مايو ١١٤٥] ، (١) وسلمت لهم أملاكهم وأموالهم ، ولم تزل
 أحوالهم تنعم ، (ج) وأموالهم تزايد مع الأمن والدعة والسكون في ظل أمن هذا
 الأمر العالي بهدى الله . ومن شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها ، وجلب
 المكاسب والمنافع والحاماة عليها ، والرغبة في تحصيلها ، وهذا كله من دواعي
 الشح (د) ، والبخل ، والمنع ، وقلة الجود ، وترك البذل ، ولو كان الجود
 موجودا مع استجلاب المنافع الحسائية ، لما تمكن تحصيلها لطالبها ، للمتابعة
 اللازمة بين الضدين . فلما أحس بهذا من له نباهة ، وخاصة الأدباء أظهروا
 أساليب القوم وأفشوها (ر) وخلدوا فيهم (س) عجائب القبائح ، مثلما (ص)
 فعل أبو بكر البكي (ط) (٢) عفا الله عنه ، فن أعجب ما حكى الشيخ العالم الصوفي
 الزاهد أبو الحسن بن حرزهم رحمة الله عليه ، عتبه على ما خلده فيهم من القبائح ،
 فأطرق البكي ساعة وأنشده .

رأيت جنان (ع) عدن في منامى	وحوار العين في أسنى لباس
فقلت بما أحصل (ف) بعض هذا	فقال (ك) إذا هجوت لأهل فاس
فدع عنك الصلاح وكل بر	فهجوهم يؤمن كل لباس

- (١) هنا تبدأ «ب» من جديد بعد نقص ملحوظ . (ب) ب : مع المتصرف
 الموالي بها . (ج) ب : نتمنى . (د) ب : دواعي الشيخ .
 (ر) ب : تظلم أساليب القوم ، ك : تظهر أساليب القوم وأفشوها .
 (س) ك : خلدوا منهم . (ص) ك : مثال ما . (ط) أنظر Fagnan ،
 ص ١٢٥ وهامش ٣ .
 (ع) ك : طنان . (ف) ب : أحل . (ك) ب : رقيق .

(١) عن سقوط فاس بين أيدي الموحدين أنظر روض القرطاس ، ص ٣٥ ، ابن خلدون ،
 المبر (الترجمة Berb.) ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ ، الزركشي ، ص ٥ وقارن مجموعة
 الرسائل الموحدية ، دراسة بروغنسال ، ص ٤٥ ، البيدق ، الترجمة ، ص ٢٢٧
 (٢) أصل هذا الشاعر الهجاء من بكّة من قلاع شرق الأندلس - توفي بعد ٥٦٠ هـ - ٤ -
 ١١٦٥ . أنظر Fagnan ، ص ١٢٥ وهامش ٣

فانظر يا أخى تحديه وتهديه إلى استئزال الشيخ الزاهد (أ) بذكره لجنان عدن ،
 وحوار العين ، إلى أن أصفى له حتى دس في سمعه هذه الإبرة ، وسرت
 إلى فهمه هذه السمعة الفاسدة ، ولو كان عمل الشر (ب) مهلكا لفاعله لمجرد هلك
 البكى لحينه بأقل منظوماته فيهم (ج) ، لأن نفوس أهل المغرب مجبولة
 على الاستنصار ، وقيل الحق مغربي (د) . وعلى الحقيقة فلا يجب أن يعاب أحد
 بشيء وضع في جبلته (ر) وإنما يعاب المرء بما يحمله عليه نظره السيء (س) الفكرة
 وتخلقه المغربي (ص) الكسبي . فهؤلاء قوم وضعوا في مدينة عظيمة النعم ،
 رغدة المعاش ، ومن شأن النفوس جلب المنافع لذاتها ، وتحصيل شهواتها
 ولذاتها ، فهم يتأبدون على التحصيل لجميع منافعهم الشهوانية الجسدية ، فن
 كان مثلهم طلبهم بأن يُسهموه منها وقدما [أن] المنع الجبل في طباع البشر ،
 كما في دفع المطالب له ، فلزم طرده وزجره ، فتتج من هذا تخليد هذه
 الشغاعات (ط) ، وقبلتها النفوس المناسبة لها فخلدت ، ولو كان الذي يطلبهم (ع)
 غير (ف) مثلهم ، لما عرج ولا ألقت إليهم ، وهو كما قيل :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا (ك) سعيه فالناس أعداء له (ل) وخصوم
 كضرائر (م) الحسنة قلن لوجهها حسدا وبغيا إنه لدميم

وذكرنا أنه كان في الدولة اللمتونية رجال فضلاء ، عقلاء علماء حلماء ،
 وشهرتهم فيها أغنت عن ذكرهم (ن) . لكني أردت أن أذكر شيئا من المدح ،
 وأوصاف المدح والخير ، وشيئا من الذم وأوصاف المذمومين ، فن محبهم
 أبو بكر البكى ، فهو بمن مدحهم ، والجوزى ، وغيرهم من الأحياء ،

-
- (أ) ك : الزاهد . (ب) ب : العمل السيء . (ج) ك : منطق ما يفهم .
 (د) الكلمات من «مجبولة» إلى «مغربي» ناقصة في ك . (ر) ك : مثله .
 (س) ك : السبيل . (ص) ك : المقرب . (ط) هنا فلاحظ أن النص مختلط
 بشكل مغل . فالقراءة في ب ، م : وقلمنا المنع الجبل في طباع البشر في طبع
 كما في دفع المطالب لم فلزم طرده وزجره فتتج من هذا تخليد هذا الشغاعات .
 أما في ك فهي : منها المنع الجبل في طبائعهم ... البشر من هذا تخليد هذه الشغاعات .
 (ع) ب : يتلهم . (ف) النص : غيرهم . (ك) ك : يدلوا .
 (ل) ب : لهم . (م) ك : كضرائر ويمكن التفكير في كلمة «قراثن» .
 (ن) نلاحظ أن الفصل التالي يختلف في م ، ك من جهة عنه في ب من جهة أخرى .

ومن هجاءهم كثيرا وأكثر الرواة لذلك . وقد قدمت السبب في ذلك أن من شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها ، وجلب المكاسب والمنافع ، والمحاماة عليها ، والرغبة في تحصيلها ، وهذا كله من دواعي البخل والمنع وقلة الجود ، وترك البذل . قال الشاعر :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا برتاج الباب في الدار
قوم إذا استنبح (أ) الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولي على النار (١)

قال المؤلف ، وموضع (ب) وادي فاس بوادي سُبو على ٣ أميال من المدينة (ج) . وهذا الوادي نهر عظيم من أعظم أنهار بلاد المغرب ، ومنبعه من جبل في بلاد بني وارتين (د) ، ورأس العين في بئر (ر) غامضة بهاب الدخول فيها ، وهي دهسة عظيمة لا يدرك لها قعر (س) . وللبئر المجاورين لذلك الموضع (ص) تجارب منها أن المريض إذا أرادوا أن يعلموا هل هو يستريح أو يموت ، حلوه لرأس العين بذلك الموضع المهول ، فيغطسونه (ص) فيه حتى يقرب أن يطفئ ، ثم يخرجونه ، فإن خرج على فمه دم فيستبشرون بحياته ، وإن لم يخرج من فمه دم ، أيقنوا بهلاكه ؛ وهذا عندهم متعارف (ط) لا ينكر .

قال الناظر ، ويتصيد في هذا الوادي الشابل الكثير (ع) ، ويطلع إلى رأس العين أو قرب منه ، ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير ، ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير (ف) ؛ وذكر الثقات أنه بيع واحد بـ ١٣ درهما (ك) ، ورطل كبير منه بدرهم ونصف . ويصل إلى المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم بالقُرب (ل) بحمله الحمار ؛ وأخبرني الثقة أنه عاين كيبسا

(١) ك : نبح . (ب) ب : وموقع . (ج) القراءة في ب : على نحو

من مرحلتين ثلاثة أميال من المدينة . (د) ب : وايتن ؛ ابن خلدون ،

المعبر (الترجمة Berb) ، ص ١١١ ، ١٨٧ (ذرايتن) .

(ر) ب : شعراء . (س) «الدخول فيها» و «لا يدرك لها قعر» ناقصة في ب .

(ص) الجمل الواقعة بين «ص» ، «ص» ناقصة في ك . (ط) ب : متاد .

(ع) ك : الكبير . (ف) ب : الكثير . (ك) ك : بثلاثمائة موز .

(ل) ب : بالغرب .

(١) هذه الأبيات للأخطل . أنظر Fagnan ، ص ١٢٨ وهامش ١

تصيد فيه ، زنته ٦٥ رطلا (١) ، ونازعني في القرب والشولى فغلبته (ب) .
 وأخبرني الثقات أنه كان (ج) بمدينة فاس ومكناسة الحوت الذي يسمى بالشولى ،
 وهو ألد ما يوجد من أنواع السمك ، تصنع منه الألوان بأصناف البقل ،
 فلا تشم له رائحة سمك . ولو كان هذا النهر يخرج في البطاح ، لكانت البلاد
 التي يسقيها أشرف البلاد وأخصبها ، وما أسهل خروجه في بعض المواضع لو تنبه
 له الأمر العالى ، وهذا لا بد منه ؛ وهو (د) عنوان فتح ديار مصر ، فنيل
 المغرب مفتاح نيل المشرق ، فيظهر العجائب ، ونيلها بعدله قيوم (ر) .

قال المؤلف ، وبوادي سبؤ فوق فاس نحو مسيرة يوم ، مضيق ما بين جبلين ،
 يسمى ذلك الموضع بتاغيت ، معناه بلسانهم الحق (س) ، وذلك المضيق نحو مسيرة
 يومين ، وكان من يسكن بقرب تلك الحوائى ، إنما يعبر (ص) الوادى في زنبيل
 معلق بين الجانين في جبل قد شد (ط) طرفاه في الحافتين ، يسع ذلك الزنبيل
 نفسين وثلاثة ، وعلى ذلك المعبر جبل من الضفتين جميعا ، فإذا دخل الزنبيل
 جذبته أهل الضفة الأخرى إليهم ، وبين الزنبيل وبين الماء مهوى بعيد . قال
 الناظر ، ورأيت مضيقا في وادى وأنسيفن (ع) بين معدن عرام وبين قلعة مهدى
 ببلد فراز (ف) ، ينحدر الوادى كله في سعة بلاط قدره ٢٠ شبرا (ك) أو نحوها ،
 وعليه قنطرة محدثة وعليها لوح كبير ، وهذا الوادى هو المعروف بأم ربيع ،
 وهو مثل وادى سبؤ ، ولو عاينه أهل الأمر ، أدام الله نصرهم ، لأحدثوا عليه
 قنطرة على قوس واحد مثل قنطرة السيف المشهورة (ل) . وبمثل هذه الآثار
 تفتخر الملوك ، فهي من أعظم منافع البشر . قال الناظر ، وبالقرب من مدينة
 فاس غربى عدوة القرويين ، موضع يعرف بالشيخ يقال إنه ساخ (م) بأهله .

-
- (١) القراءة في ك : وأخبرني الثقات حين سبوا يتصيد فيه سمك زنته ٦٥ رطلا .
 (ب) ك : بنليت . (ج) ك : أكل .
 (د) «وهو» ناقصة في ك . (ر) النص : فيظهر بعدله قيوم ؛ ك : وقبلها بدلا
 من نيلها ؛ ب ، ك : القيوم . (س) ك : اليوم ؛ م : الحلوا .
 (ص) «إنما يعبر» ناقصة في ك . (ط) «قد شد» ناقصة في ك .
 (ع) وأنسيفن هو اسم وادى أم ربيع الأعلى . أنظر Fagnan ، ص ١٣٢ وهامش ٢
 (ف) ب : فاذر . أنظر Fagnan ، ص ١٣٣ هامش ٣ (ك) ك : منظرا .
 (ل) القراءة في ك مختلطة كالآتى : وعليه قنطرة على قوس واحد مثل قنطرة السيف
 المشهورة وكذا هذا المضيق الذى بوادى سبوا . (م) «ساخ» ناقصة في ك .

وبالقرب منها أيضا قلعة يقال لها قلعة زيد ، فيها مسجد (أ) يقال إن عقبة بن نافع بناها ، وفيها شجر زيتون ، يذكر من يسكن (ب) بقرب ذلك المسجد أن كل دابة من حمار أو ثور أو حمل أو غير ذلك من الدواب ، إذا دخله وأكل من ورق الزيتون مات ، لا يشكون في ذلك ، وهو عندهم متعارف .

وبين مدينة فاس ومدينة تلمسان ، مسيرة عشرة أيام في عمائر متصلة . وقد ذكرنا أن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا ، وهي جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه ، وأكثر شجرها الجوز ، وهو يهود (ج) بها كثيرا . ويسكنها قبائل من البربر يعرفون بتغياتة (١) وقد بنى ببلاد تازا في هذه المدة مدينة الرباط (٢) ، وهي مدينة كبيرة في سفح جبل مشرفة على بساطته ، يشقها جداول المياه العذبة ، وعليها سور عظيم ، وقد بنى بالجزير والحصي ، يبنى مع الدهر . وهي في فسحة على ٦ أميال ما بين جبال ينصب إليها من تلك الجبال مياه كثيرة ، وأنهار تسقى جميع بساتينها في أهلها وأسفلها ، ولها نظر كبير ، كثير الزرع وجميع الفواكه والخيرات ، ولا أعلم ببلاد المشرق والمغرب بلدا أنحصب منها ولا أكثر فوائدا . وأسست هذه المدينة من نحو ٢٠ سنة (د) ، في حين توجه الخليفة رضىه إلى فتح بلاد بنى الناصر (ر) وشيدت (س) سنة ٥٦٨ [= ١١٧٢-١١٧٣] مدينة الرباط على الطريق المار من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق ، وتسمى مكناسة تازا . ومكناسة قبيلة كثيرة من البربر سكنوا هناك ، يسمى الموضع بهم . وتحت مدينة الرباط بنحو الميل بركة كبيرة يذكر أنها تتصل بالبحر من تحت الأرض ، وقيل إنه رأى فيها في بعض الأزمان (ص) دابة من دواب البحر ، ويقال إن ماء هذه البركة يحمر في بعض الأوقات حتى يعود كالدم ، أخبرني بذلك رجل من الثقات

(أ) «فيها مسجد» ناقصة في ك . (ب) ب : بداية من السكن .
(ج) ك : يوجد . (د) ب : والمدينة نحو العشرين سنة ؛ ك : والمدينة اليوم نحو عشرين سنة . (ر) ك : الناظر .
(س) ب : وسورت . (ص) : «فيها في بعض الأزمان» ناقصة في ك .

(١) قارن الإدريسي ، ص ٧٩

(٢) الدمشقي ، ص ٢٣٧ ؛ المبدري ، المخطوط ، ص ١٤٧ - ١ وأنظر G. Margais, Mélanges R. Basset, 1925, Note sur les Ribats en Berbérie, p. 411

الساكنين عليها . قال المؤلف ، ومن الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازار ، وهو جبل كبير تسكنه أم كثيرة من البربر ، ويطردهم الثلج عنه فيزلون إلى ريف البحر الغربي . وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيول ؛ وخیل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها ، وهي مدورة القلود (أ) حسنة الخلق والأخلاق ؛ ولحوم غنمها أطيب اللحوم وكذلك أسمانها . وفي هذا الجبل أنواع النبات من العقاقير التي تنصرف في العلاجات الرفيعة ، وفيه خشب الأرز العتيق العالي ، وهي مأوى القردة (ب) ، عاينتها تثب من الأرزة لأخرى وهي (ج) في الجو الأعلى . وفي هذا الجبل قلعة كبيرة تنسب للمهدي بن توالى الجيفشي (د) (١) ، وهي في نهاية المنعة ، أقام عليها عسكر اللمتونيين (ر) ٧ أعوام ، وبنائوها بالألواح . وإليها كان تغريب المعتمد بن عباد (س) ، فقال متمثلا حزينا بنقض العهد لبلد أهلهم يهود ، وبنائهم عود ، وجيرانهم قروود ، وكان اليهود في ذلك التاريخ أكثر سكانه (ص) ، لأنهم سوقة فيلجئون للحصن حيلة على سلمهم .

ومن نظر مدينة فاس إلى جهة (ط) الغرب مدينة مكناسة الزيتون (٢) : وهي أربعة مدن وقرى كثيرة (ع) متصلة بالمدن والحصون . المدن منها تافراوات (ف) وتفسره الحملة ، وهو محدث البناء وهو مشرف على بطاح وبقاع مملوءة بفيضات (ك) الثمار ، وأكثرها الزيتون فسميت به . وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة ، وهي مدينة جليلة فيها أسواق حافلة ، وأحدث فيها الأمر العالي — أيد الله دوامه — بخائر عظيمة في نهاية من الاتساع ، وجلب لها ماء نهرها ، وأمر بغرسها زيتونا وكروما .

(١) ب : القد . (ب) « القردة » ناقصة في ب . (ج) ك : وهو .
(د) أنظر Fagnan ص ١٣٦ هامش ١ . (ر) ب : الملتين . (س) القراءة في ك : وإليها كان نفر ابن عباد . (ص) القراءة في ك : وجيرانه قدر ما كان اليهود وتلك التاريخ بنقض اليهود . أكثر سكانه . (ط) ك : إلى بلاد .
(ع) « كثيرة » ناقصة في ك . (ف) ب : تاجردت . . (ك) ك : بفيضات .

(١) قارن روض القرطاس ، ص ٩٠ ؛ ابن خلدون ، العبر (لغة حمّة Berb.) ج ٢ ص ٧٣ ؛ وقارن Fagnan ، هامش ٢ ، ص ٣ ؛ ١٣٦
(٢) لا يقول البكري شيئا عن مكناسة . قارن الإدريسي ، ص ٧٦ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦١٥ ؛ مرصع الاطلاع ، ج ١ ص ١٣٨ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٦

فزيئها أكثر زيت في جميع المغرب . وبعده (ا) زيت النظر الكبير المسمى
ببني بَسِيل و مَغِيلَة وجهائها ، وفيها اليوم تسع خطب : في الحصن (ب) خطبة ،
وفي المدينة المسماة السوق القديم (ج) خطبة ، وفي تاورا (د) خطبة ، وفي أولاد عطوش
خطبة ، وفي أولاد بَرْنوس (ر) خطبة ، وفي بني موسى خطبة ، وفي بني زياد ،
وفي بني ورزيفة (س) وفي بني مروان ، ونحن في سنة ٥٨٧ [= ١١٩١] .
وهي من البلاد العتيقة المحيطة لو كان بها (ص) خدمة لغلاتها ، فإن أرضها كريمة ،
طيبة المزراع كثيرة المياه ، وبركات هذا الأمر العالي تعيش (ط) الموقى فكيف
من فطر على الحياة (ع) الطبيعية . وهي من عز بلاد المغرب لها أنظار واسعة ،
وقرى عامرة ، وعمائر متصلة ، تشقها الأنهار والمياه السائجة والعيون الكثيرة ،
وتطحن عليها الأرحية ، ونحم (ف) بها الحمامات ، إلا أن في صيائها
دعارة (ك) وسفاهة لأنهم أكثرهم حاككة يصنعون أشغالهم في بيوتهم ، فإذا
خرجوا إلى الفضاء الواسع حركتهم طباعهم الذميمة ، فلا يعرفون إلا تجرد
الشررة ، سيما من كان منهم يحد زعامة في نفسه أو نجدة في بدنه . وميتها طعمة
للجرذان (ل) .

قال المؤلف ، ومن المدن المعمورة والعمائر من فاس إلى طنجة
بلد جنيارة (١) : وفيه قرى كثيرة عامرة زرعا وضرعا في جبل سهل
أبيض مثل الطيلسان ، ويسمى الجبل الأشهب ، وقل ما تخلف أرض جنيارة
لا في خصب ولا في جذب (م) . سأل رجل أراد أن يقتني (ن) ضيعة ببلاد
المغرب شيخا من العارفين ، فقال له : عليك ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة
إن أصابها ديك أنت بالديك (هـ) ، وإن لم يصبها ديك أنت بالبيض ، تحتك بالغبار
وتلد . ومنه إلى نهر ردرات مرحلة ، وهو نهر كبير في أصل جبل وفي أعلاه .

(١) ك : بعدها . (ب) ك : «مصر» بدلا من «في الحصن» . (ج) ك : سوق
القديم . (د) ك : ثور . (ر) ك : بردون . أنظر الادريسي ،
ص ٧٨ ؛ Fagnan ، ص ١٢٧ هامش ؛ (س) ك : وفي موسى
خطبة وفي بني زيد وفي ورزيفة . (ص) «بها» ناقصة في ك .
(ط) ب ، ك : تنمش . (ع) ك : الحيدة . (ف) ب : تحكم .
(ك) القراءة في ك : إلا أن في سكانها ذراعة . (ل) ك : وميله طيبة للجولان .
(م) ك : جزب . (ن) ك : يبتنى . (هـ) ك : أنت بالبيض .

مدينة - كرت (د) (١١) : وكانت مدينة كبيرة حصينة كثيرة الخير على نظر كبير ، يعمرها قبائل من البربر يقال لهم بيّانة ، وهي اليوم قرية عامرة . ثم منها إلى مدينة البصرة (٢) ، مدينة كبيرة على ربوة مشرفة على بسائط ونظر واسع ، كثيرة الزرع والضرع ليس بتلك النواحي أوسع مرعى منها ، وبكثرة ألبانها كانت تعرف ببصرة الألبان (ب) . وتعرف أيضا ببصرة الكتان ، لأن أهلها كانوا يتبايعون بالكتان ؛ وكانت تعرف بالحمراء لخمرة تربتها . وكان عليها سور مبني بالحجارة والطوب يحمر من بعيد ، وكانت لها ١٠ أبواب . ونساؤها مخصوصات بالجمال الفائق ، والحسن الرائق ، لم يكن ببلاد المغرب أجمل منهن .

مدينة قصر صنهاجة (٣) : وهي على تل وتحت نهر الكُس (ج) تدخله المراكب ، وتعرف بقصر عبد الكريم ، وكان من أشياخ كتامة القاطنين هناك فرأس فيهم وأستوطن ذلك الموضع . وكانت فيه آثار قدمية ، فبني فيه دارا سميت قصرأ لعدم القصور بتلك الجهات ، وأحدث الأمر العالي في موضعه في هذه المدة فندقين عجبين ، وتمدن هذا الموضع ، وشرف وقصده التجار وأستوطنوه . ومصب (د) واديه في البحر على ١٥ ميلا أو نحوها ، على المدخل حصن كبير قديم يسمى شمس قدمنا ذكره (ر) . وكان لإدريس بن القاسم بن ابراهيم العلوي (س) قد أحيا رسمه (س) وأظهره فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر ، وهو كثير الأمراض وبى الهواء (ط) وخم الماء ، ومنه تشحن المراكب بالزرع .

-
- (١) ك : كرت ؛ الإدريسي ، ص ١٧٠ (قرت) ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٣٩ هامش ١ . (ب) ب ، م : الدبان ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٣٩ هامش ٣ . (ج) « لكس » ناقصة في ب ، م . (د) ب : يصب . (ر) أنظر ما قبل ، ص ١٤٠ (س) أنظر Fagnan ، ص ١٤٠ ص ٥ (ص) ب : استحي ؛ م : استحيا . (ط) « الهواء » ناقصة في ك .

- (١) البكري ، ص ١١١ ؛ الإدريسي (قرت) ، ص ١٧٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٧ ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٣٩ . (٢) قارن البكري (بصرة الدبان) ، ص ١١١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٥٣ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٥ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ٤٥ . (٣) قارن البكري ، ص ١١٠ ؛ الإدريسي ، ص ٧٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (قصر عبد الكريم) ، ج ٤ ص ١١٦ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥

قلعة ابن جُندوب (١) (١) : وكانت مدينة كبيرة فيها أسواق ، ولها جنان وأشجار ، وهي كثيرة الزرع والضرع ومنها إلى طنجة وقد ذكرناها . قال المؤلف ، وهذه البلاد كلها في هذا الأمر العزيز بحمد الله مشحونة بالعناصر ، متصلة المحارث والمزارع في السهول والجبال ، منها جبل زالنغ وهو مشرف على مدينة فاس ، كان فيه حصن بناه المظفر بن (ب) المنصور بن أبي عامر . ثم إلى عقبة الأفارق ، ثم إلى نهر سُبُو حيث محجة القوافل ، وهو نحو ٣٠ ميلا في عمائر متصلة ، وقرى حصينة مانعة كثيرة الزرع والضرع ، ثم من نهر سبو إلى نهر ورغة إلى قصر كتامة المذكور في عمائر متصلة . وطريق أخرى على جبل نغمارة ، وذلك أنك إذا أقمت من وادي سبو ، أخذت على يمينك في عمائر متصلة إلى مدينة تاودآ (٢) ، وكانت مدينة كبيرة أسسها الملمثون ، يملكوا منها جبل نغمارة لتتابع نفاقه عليهم ، وكان يسكنها ولاية المغرب منهم بالعسكر . وكانت في أيامهم معمورة بالمباني الحسان والقصور المنيعة . وهي على وادي ورغة وحواليها قبائل ، وهي على قطر واسع كثير الزرع والضرع ، وعليها جبل منيف فيه حصن كبير من بناء الملمثين (ج) يسمى أمرجوا ، وهو مبني بالحجارة والجير لا يقدر أحد على هدم شيء منه إلا بالمشقة ، وفي أعلى الجبل الماء الكثير . وجبل نغمارة (٣) من أنصب جبال المغرب ، وهو من الجبال المشهورة ، يسكنه قبائل كثيرة من نغمارة وهم أم لا تحصى ، وفي هذا الجبل بسائط كثيرة لا تحصى للحرث ، ومدن قديمة ، وآثار كثيرة للأوائل ، تنبئ أن عمارته قديمة أزلية . وطول هذا الجبل مسيرة ٦ أيام وعرضه نحو ٣ أيام ، وهو الآن كثير العمار تشقه الأنهار والمياه السائجة ، ففيه غياض وأودية ومنتزهات لا توجد في غيره من الأماكن ، وهو كثير الأعناب والفواكه

(١) البكري (ص ١٠٩) : ابن خروب ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٤١ هامش ١
(ب) «ابن» ناقصة في ك . (ج) ك : المسلمين .

(١) قارن البكري (قلعة ابن خروب) ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١ ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٤١

(٢) الإدريسي ، ص ٨١

(٣) البكري ص ١٠٠ وتابع ؛ قارن الإدريسي ، ص ١٧٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٨٤ ، ابن خلدون ، المبرج ٦ ، ص ١٠١ وتابع ، الترجمة (Berb.) ، ج ٢ ص ١٣٤

والعسل والضرع ؛ وفيه جبال قد لحقت بأعنان السماء علوا ، وحصون كثيرة تمتنع فيها نغمارة ، وتنفق على الولاة ، بذلك عرفوا حتى كسر الأمر العزيز شوكتهم ، وأباد شرارهم واستأصل شأفتهم . ولأهل هذا الجبل مذاهب شتى ، وسير مختلفة ، وقد تنبأ عندهم إنسان يعرف بحاميم بن آمن الله ولقب بالمفتري (١) . والجبل الذي تنبأ فيه ينسب إليه وهو جبل حاميم على مقربة من تيطاوان ، وأجابه بشر كثير من نغمارة ، وأقروا بنبوته . ووضع لهم قرآنا بل شريعة أستهوهم برخصها ، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، يسجدون على ظهور أكفهم (ب) . ووضع لهم قرآنا بلسانهم تفسيره : خلني من الذنوب يا من يخل النظر ينظر في الدنيا ، خلني من الذنوب يا من أخرج من موسى من البحر . وفيه (ج) : آمنت بحاميم وآمنت بأبي يختلف وهو والد حاميم واسمه آمن الله ، وفيه (ج) : آمنت بتاليت (د) ، وكانت عمه حاميم كاهنة ساحرة . وكان لحاميم أخت تسمى دبؤ (ر) ، وكانت ساحرة كاهنة وكانوا يستغيثون بها في كل حرب وضيق . وكان حاميم فرض عليهم صوم يوم الخميس كله ، وصوم يوم الأربعاء إلى الظهر ، فن أكل فيها غرم ه أثوار لحاميم . ووضع لجميعهم صوم ٢٧ يوما (س) من رمضان ، وجعل عيدهم في ثاني يوم فطرهم ، وفرض عليهم الزكاة العشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والظهر والوضوء ؛ وأحل لهم أكل أنثى الخنازير وقال لهم إنما حرم قرآن محمد (ص) الذكر ، وحرم عليهم الحوت حتى يذكي ، وحرم بيض كل طائر (ط) . ونظم عبد الله الكفيف (ع) الطنجي بهجوه :

(١) النص : بالمفتدي ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٤٣ هامش ١
 (ب) أنظر Fagnan ص ١٤٣ هامش ٢ . (ج) الجبل الواقعة بين
 (ج) ، (ج) ناقصة في ك . (د) البكري (ص ١٠٠) بتأنيث ؛
 أنظر Fagnan ، ص ١٤٤ هامش ١ . (ر) البكري ، ص ١٠٠
 (س) ب : سبعة عشر يوما . (ص) م : حرم في قرآن محمد .
 (ط) هنا تنتهي طبعة كرم ؛ ب ، م : وحرم عليهم البيض من كل طائر .
 (ع) أنظر Fagnan ، ص ١٤٥ هامش ١

(١) البكري ، ص ١٠٠ ؛ ابن عذاري البيان ، ج ١ ص ١٩٨ ؛ ابن خلدون ، العبر
 (الترجمة Berb.) ج ٢ ص ١٤٣

وقالوا افتراء إن حاميم مرسل
فقلت كذبتكم بدد الله شملكم
فإن كان حاميم رسولا فإني
روى عن عجوز ذات إفك (١) ذميمة
أحاديث إفك حاك إبليس نسجها
إلهم بدن واضح الحق باهر
فأهو إلا عاهر وابن عاهر
بإرسال حاميم لأول كافر
تقارن في أسفارها كل ساحر
يسرونها كتبنا وبثس السرائر

وجهز إليه الناصر المرواني من قرطبة عسكريا ، فالتقت معه بأحوار
طنجة سنة ٣١٥ [= ٩٢٧] فهزم وقتل لعنه الله ، وحمل رأسه لقرطبة .

ويقال إنه كان في بعض جبال مجسكة من بلاد غمارة (ب) رجل كان
من السحرة المهرة يعرف بأبي كُسيّة ، وكان أهل موضعه يسمعون (ج) منه
ولا يعصونه طرفة عين ؛ فإن عصاه أحد منهم أو خالفه ، حول كساه الذي
يلتحف به فيصيب ذلك الإنسان في ماله أو بدنه أو كليهما صائبة وعاهة ،
وإن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك ، وكان يخيل إليهم كأن برقة تلوح
من تحت كسائه . ولبنية اليوم وعقبه في تلك الناحية مزينة وحظوة على من سواهم .
ومن عجائب غمارة أن عندهم قوما يعرفون بالرقادة ، يغشى على الرجل منهم
يومين وثلاثة فلا يتحرك ولا يستيقظ ، ولو بلغ به أقصى مبلغ من العذاب
حتى يقطع قطعاً ، فإذا أสติقظ من غشيته كان كالسكران طول يومه لا يتجه
لشيء ولا يخبر بشيء ، فإذا كان بعد يوم ، وصح (د) ، أتى بعجائب وغرائب
عما يكون في ذلك العام من خصب أو جذب أو فتنة أو هدنة ، وغير ذلك
من الكوائن والأحداث ، وهذا عندهم مستفيض مشهور .

وكان ببلد غمارة المواربة مشهورة متعارفة يفتخر بها نساؤهم (ر) ،
وذلك أن الرجل إذا دخل بأمراته البكر واربعها شبان أهل ناحيتها ، فإن رأوها
جميلة حسنة احتملوها وأمسكوها عن زوجها شهرا أو أكثر ثم ردوها ، ورعا
فعل ذلك مرارا على قدر جمالها ومقدار الرغبة فيها . ولا يتم لإكرام الضيف
عندهم إلا بأن يؤنسه بنسائهم الأياض منهن : يبيت الرجل مع ضيفه أخته إذا كانت
ثيبا أو ابنته أو من لم تكن ذات زوج من نسائه . وهم يرغبون في الرجل
الحميل أو الشجاع أن يأخذوا منه نسلا ، ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ،

(١) «ذات إفك» نائصة في ب . (ب) القراءة في ب كالآتي : كان في بفض
الأجبال علة من بلد غمارة . (ج) ب : يسمون . (د) وأصح .
(ر) ب : «في الروم» بدلا من «نساؤهم» .

ويقولون إنه يفسد النسل . وبلد سُغَمارة جميل كبير ، وكانت لهم فيما سلف شعور طوال يسد لونها (١) كشعور النساء ، ويتخذوها صفائر ويطيبونها ويهتمون بها كثيرا حتى دخل الإسلام بلادهم وتخللها فألجأتهم الضرورة إلى التشمر والتوعر في الجبال الشاخنة فحلّقوا رؤوسهم ، وورث ذلك الأبناء عن الآباء (ب) .

قال المؤلف ، ومن المدن والعمائر من مدينة فاس إلى سجلماسة حرسها الله ، مدينة صُفْرَوِي (١) : وهي مدينة لطيفة قديمة عليها سور ، ذات أنهار ومياه جارية ولها جنات كثيرة الفواكه والأعشاب ، وأكثر شجرها اللوز ومنها يحمل إلى فاس وغيرها . ومنها إلى فاس (ج) مرحلة ، ومنها إلى تاسغمرت (د) وهو بلد خصب فيه قرى كثيرة وعمائر متصلة ، ومنه يدخل إلى بلاد سجلماسة بعد أيام . ولها طريق آخر من قابس إلى لَوّانة مدين ، وهو بلد نخصب على نهر سُبُو ، وله قصبة منيعة ، منها إلى فاس مرحلة ، ثم إلى مَغِيلَة القاط (٢) ، وهو حصن كبير له سوق حافلة وجامع ، وهو كثير الأنهار ومنه يحمل التين المزيب إلى مدينة فاس وغيرها ، ومنه إلى مَطْطَاة أمكسور (٣) ، وهو بلد كبير على نهر مَلُوبَة ، كثير الزرع والضرع . ونهر ملوية كبير مشهور في أنهار بلاد المغرب ، وعليه نظر واسع ، وفيه قرى كثيرة ، وعمائر متصلة تسقى كلها من نهر ملوية ، وبعده نظر سجلماسة . وكانت مدينة فاس دار مملكة بني إدريس العلويين ، وملكوا منها بلاد المغرب إلى أقصى بلاد السوس طاعة في معصية ، وكانت في أيامهم دولة بَرُغُوَاة الذين تدينوا بديانة الغوى صالح بن طريف البرباطي ، وسيأتي ذكره بعد هذا . وملك العلويون بعض بلاد الأندلس ، وتسموا فيها بأمر المؤمنين ، وخطب لهم فيها بالإمامة (ر) .

(١) ب ، م : يسود لونها . (ب) القراءة في ب : عن الأنبياء عن الأنبياء .
(ج) « وغيرها ومنها إلى فاس » ناقصة في ب . (د) م : ايسغمرت ؛ أنظر البكري (ص ١٤٧) : تاسغمرت . (ر) ب : بالسلامة .

(١) قارن البكري ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الإدريسي ، ص ٧٦

(٢) البكري ، ص ١٤٧ - وقارن الإدريسي (منبلة) ، ص ٧٦

(٣) البكري ، ١٤٧

دخول العلويين بلاد الغرب

ذكر أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي (١) أن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه انهزم في وقعة فخ سنة ١٦٩ [= ٧٨٦] ، فاستتر مدة ، وألح السلطان في طلبه وضافت عليه المذاهب ، ورغب في اخرواب من بلاد المشرق فخرج معه راشد ، وكان من موالى العلويين ، وأصله من البربر ليشويه (١) في قومه ، ويأمن من عدوه . وكان (ب) راشد عاقلاً شجاعاً أبداً ، ذا فهم ولطف وحزم ، فخرج به في غمار الحاج وغيره زيه وألبسه مِدْرَعة من وخش الثياب وصنّره كالغلام يخدمه ، وإن أمره أو نهاه أسرع . فسار به مستخفياً من موضع إلى موضع حتى قربا من بلاد إفريقية ، فترك الدخول به في بلاد إفريقية (ج) ، وسار به إلى بلاد البربر حتى انتهى إلى بلاد فاس وطنجة ، فنزل به في مدينة وليلي (٢) ، وكانت مدينة رومية قدعة بطرف جبل زرهون في الغرب منه ، وتسمى الآن تيسيرة . فنزل بها على اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوراني ، وكانت أوربة آن ذاك من أعظم قبائل بلاد المغرب ، وكانت لها (د) مدن كثيرة منها مدينة سَكُوما (٣) ، وكانت على مقربة من فاس ، وكانت مدينة عظيمة لم يكن بالغرب أعظم منها . يقال إن موسى بن نصير لما دخل بلاد المغرب ، نازل مدينة سَكُوما وحصرها حتى افتتحها عنوة ، وأخذ فيها سبياً كثيراً ، وكتب إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان يقول له : قد بعثت إليك بسبي مدينة سَكُوما ، وهو مائة ألف رأس (ر) ، قيل فكتب إليه الوليد بن عبد الملك : ويحك أظنها من بعض كذباتك ، فإن كنت صادقاً ، فهذا حشر الأمم ، وكذلك يقال إنه قتل فيها ما لا يحصى له عدد (س) . وكان اسحاق

- (١) ب : ليشور به . (ب) ب : والآن .
 (ج) الحملة الأخيرة ناقصة في ب . (د) القراءة في النص : وكانت فيها .
 (ر) ب : فارس . (س) القراءة في ب مضطربة كالآتي : وكذلك يقال له
 انه لما قتل فيها ما لا يحصى له عدد .

- (١) أنظر البكري ، ص ١١٨ وتابع (وعن وقعة فخ ، ص ١٢١) .
 (٢) البكري ، ص ١١٨ ؛ ابن عذاري البيان ، ج ١ ص ١٢٧ . وعن وليلي أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٤١ .
 (٣) البكري (سكودا) ، ص ١١٧ - ١١٨ ؛ وينقل ياقوت نفس القصة عن البكري (معجم البلدان ج ٣ ص ١٠١) .

ابن محمد الأوربي معتزلي المذهب فوافقه إدريس على مذهبه ، وأقام عنده ، وأمر اصحاب قبيلته بطاعته وتعظيمه . وكان ذلك في خلافة هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فوصله خبره ، فغمه ذلك ، فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد ، فقال له أنا أكفيك خبره يا أمير المؤمنين . ثم أرسل إلى سليمان بن جرير الجزيري (أ) وكان رجلا من ربيعة متكلمًا ممن يرى رأى الزيدية متعصبا لآل أبي طالب ، وكان جلدا شجاعا ، أحد شياطين الإنس وكانت له إمامة في الزيدية ، وهو الذي جمع الرشيد بينه وبين هشام بن عبد الحكم حين ناظره في أمر الإمامة ، ولذلك قصة طويلة . قال فأرغبه يحيى بن خالد في المال ووعدته عن نفسه وعن أمير المؤمنين بمواعيد عظيمة ، ودعاه إلى قتل إدريس ، والتلطف في أمره . فأجابه إلى ذلك وأعطاه مالا جزيلا ودفع إليه قارورة فيها غالية مسمومة ، ووجه معه رجلا من ثقاته . فانطلق سليمان مع صاحبه ، فلم يزا إلا بتغلغلان في البلاد حتى وصل إلى إدريس ، وكان إدريس عالما برياسة سليمان بالزيدية (ب) ، فلما وصل إليه قال : إنما جئتك بنفسي وحملتها على ما حملتها عليه لمذهبي فيكم أهل البيت ، فجئتكم لا في حاجة إليكم إلا لأنصرك بنفسي ؛ فسرَّ (ج) إدريس بقوله ، وقبله أحسن قبول ، فأحسن زله وأكرم مثواه وأنس به . فكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلى ولد رسول الله صلعم ، ويحتج لأهل البيت كاحتجاجه بالعراق . فأعجب ذلك إدريس منه ، ومكث عنده مدة ، وهو يطلب الغرة فيه ويرتصد الفرصة في أمره ، فدخل عليه سليمان ومعه القارورة ، فلما انبسط إليه إدريس وأخلى له وجهه ، قال له سليمان : جعلني الله فداك ، هذه القارورة فيها غالية رفيعة أوصلتها معي وأعلم أنه ليس ببلدك طيب فجئتكم بها ، ووضعها بين يديه ؛ ففتحها إدريس وشمها وتخلق بها . وقيل أخرج سكينًا ، وقطع به تفاحة ، وأعطاه النصف الذي يلي الجهة المسمومة من السكين ، ثم انصرف سليمان إلى صاحبه وقال له قم ، قد تم مرادنا لنا ، وقد كان أعد فرسين فركباهما ، وخرجا بطلبان (د) النجاة . فلما وصل السم إلى خياشيم إدريس ، وتغلغل في دماغه سقط مغشيا عليه لا يعقل ، ولا يدري من يحضر به من أهله وحاشيته ما شأنه . قال فبعثوا إلى راشد فجاء مسرعا

(أ) النص : الجوري . أنظر Fagnan ، ص ١٥٠ هامش ١ .

(ب) ب : بالبربرية . (ج) ب : فبشر . (د) ب : يركضان .

وتشاغل في معالجته ، وتحيروا في أمره . وقطع سليمان مع صاحبه بلادا كثيرة في تلك المدة ، قيل فبقى إدريس في غشيته عامة نهاره وليله ، تضرب عروقه حتى مات رضى الله عنه . فتبين لهم أمر سليمان بن جرير ، قال فركب راشد في طلبه مع جماعة من أصحابه فجد السير حتى لحقهما وجدة ، لأن فرسه صبر أكثر من خيل أصحابه فأدركهما ؛ فشد عليهما راشد ، ففر صاحب سليمان ولم يخن شيئا ، فضرب راشد سليمان ثلاث ضربات بالسيف على وجهه ورأسه ، كل ذلك لا يصيب مقتلا ، مع دفع سليمان عن نفسه ، وعجز فرس راشد عن إدراكه . فلما رجع عنه راشد ، نزل فعصب جراحاته ، وسار حتى لحق بالمشرق . قال أبو الحسن النوفلي : فحدثني من رآه بالعراق بعد ذلك مكتع اليد . قال النوفلي : كانت مدة إدريس الواصل من المشرق التي أجابته فيها البربر إلى أن مات بوليلي سنة ١٧٥ [= ٧٩١] ^(١) ثلاثة أعوام وستة أشهر .

قال أبو الحسن : ومات إدريس ولا ولد له وترك جارية من جواريه حُبلى ، فقام راشد بأمر البربر حتى ولدت الجارية غلاما فسماه باسم أبيه ، وقام بأمره ، وأحسن تأديبه . وتوفي راشد فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن الياس ، وأخذ له بيعة البربر سنة ١٩٢ [= ٨٠٨] ^(٢) ؛ ثم مشى إدريس بن إدريس نحو فاس فاستوطنها واتخذها دار مملكة . وتوفي إدريس بن إدريس وهو ابن ٣٣ سنة ، وكانت منيته نخبة عنب اختنق بها ، فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات . وترك من الولد ١٢ ذكرا ، فكان المتولى للأمر من بعده ابنه محمد بن إدريس ، فاستوطن مدينة فاس ؛ وفرق البلاد على إخوانه ، وفعل ذلك برأى جدته كنزة أم إدريس . ويقال إنه خالف عليه بعض إخوانه ، وكانت بينهم حروب يطول وصفها . ثم توارث الملك بنو إدريس بالمغرب ، يأخذ الخلف عن السلف ؛ وجاز منهم إلى جزيرة الأندلس على بن حمود ^(١) . وكان فيها يذكر يميل إلى الفتوة ، فاغتاله فتيان من الصقالبة في حمام قرطبة فقتلوه ^(٢) ،

(١) النص : جاز منهم إلى جزيرة الأندلس بنو حمود . أنظر البكري ، ص ١٣٣

(١) البكري ، ص ١٢٢ . قارن ابن عذاري البيان ، ج ١ ص ٢١٧

(٢) يحدد البكري لاعتلاء إدريس ابن إدريس العرش سنة ١٨٧ = ٨٠٣/٢ ؛ أنظر روض القرطاس ، ص ١٠ وتابع ؛ ابن خلدون ، المعبر ، ج ٤ ص ١٢ وتابع .

(٣) البكري ، ص ١٣٣

وَقَتَلُوا بِهِ . وَتَرَكَ مِنَ الْوَلَدِ يَحْيَى وَإِدْرِيسَ ، فَوَلَّى عَهْدَهُ يَحْيَى وَكَانَ صَاحِبَ
بِلَادِ الْمَغْرِبِ : فَاسَ وَغَيْرَهَا ، وَجَعَلَ إِدْرِيسُ بِمَدِينَةِ مَالِقَةَ . فَلَمَّا قَتَلَ
عَلَى بْنُ حُمُودٍ وَكَانَ الْإِبْنَانِ غَائِبِينَ ، اسْتَدْعَى الْبَرْبَرِ أَخَاهُ الْقَاسِمَ بْنَ حُمُودٍ ، وَأَدْخَلُوهُ
الْقَصْرَ بِقُرْطُبَةَ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَخُطِبَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَوَصَلَ الْجُنْدُ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ
يَحْيَى وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ ، فَأَنْفَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ عَهْدٌ إِلَيْهِ أَبُوهُ ، فَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ
إِدْرِيسَ بِمَالِقَةَ (١) وَجَازَ إِلَيْهِ فَتَرَكَهُ مُسْتَخْلَفًا بِمَدِينَةِ فَاسَ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ،
وَعَبَّرَ يَحْيَى إِلَى الْأَنْدَلُسِ لَطْلُبَ حَقِّهِ عِنْدَ عَمِّهِ الْقَاسِمِ . فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ قُرْطُبَةَ
هَرَبَ عَمُّهُ الْقَاسِمُ وَبَوَيْعَ يَحْيَى بِقُرْطُبَةَ وَيَسْمَى بِالْمَعْتَلَى ؛ ثُمَّ إِنَّ الْبَرْبَرِ اضْطَرَبُوا
فَهَرَبَ مِنْ قُرْطُبَةَ إِلَى مَالِقَةَ ، وَرَجَعَ عَمُّهُ الْقَاسِمُ إِلَى قُرْطُبَةَ وَتَسْمَى بِالْمَأْمُونِ .
ثُمَّ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى مِنْ قُرْطُبَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَهَشَى إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ ، وَسَكَنَ بِهَا
حَتَّى أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ؛ فَسَارَ إِلَى شَرِيشَ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ يَحْيَى ، وَحَصَرَهُ
بِهَا حَتَّى أَخَذَهُ بِهَا مَعَ بَنِيهِ وَسُجْنِهِ . وَاسْتَوْثَقَ الْأَمْرَ لِيَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ حَتَّى قَتَلَ
سَنَةَ ٤٢٧ [= ١٠٣٦] ، وَقَامَ زَنَانَةٌ عَلَى أَخِيهِ إِدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ ، وَمَلَكَوا
مَدِينَةَ فَاسَ وَغَيْرَهَا فَسَكَنَ إِدْرِيسُ بِسَبْتَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَهُ مَوْتُ أَخِيهِ يَحْيَى خُطِبَ
لَهُ بِالْخِلَافَةِ وَتَسْمَى بِالْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ عَبَّرَ الْبَحْرَ إِلَى مَالِقَةَ ، وَخُطِبَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ
فِيهَا ، ثُمَّ اتَّصَلَتِ الْفِتْنُ حَتَّى انْقَطَعَتْ دَوْلَةُ بَنِي إِدْرِيسَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ .

ذَكَرَ ارْتِدَادَ بَرْغَوَاطَةَ (١) وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ فِي (ب)
الْإِسْلَامِ ، وَالسَّبَبُ (ج) فِي ذَلِكَ

قَالَ النَّازِرُ ، دَخَلَ بِلَادَ تَامَسْتَنَا رَجُلٌ اسْمُهُ صَالِحُ بْنُ طَرِيفٍ ، وَأَصْلُهُ
مِنْ بَرْبَاطِ الْأَنْدَلُسِ يَهُودِيٍّ النَّسَبُ مِنْ سَبْطِ شَمْعُونَ ، وَكَانَ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ،
وَقَرَأَ عَلَى غِيلَانَ الْقُدْرِيِّ وَرَأَى مِنْ السَّحَرِ كَثِيرًا ، فَدَخَلَ إِلَى بِلَادِ تَامَسْتَنَا ،
فَوَجَدَ فِيهَا مِنْ زَنَانَةِ قَوْمَا جَهَالًا ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٢٣ [= ٧٤١] . فَأَظْهَرَ
الْإِسْلَامَ وَالنَّسَكَ حَتَّى اسْتَفْزَ عَقُولَهُمْ ، فَوَلَّوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمَّا وَلَّى شَرَعَ
الدِّيَانَةَ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْهُ ، وَأَنَا أَذْكَرُهَا .

(١) النَّصُّ : فَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ إِدْرِيسَ إِلَى مَالِقَةَ . (ب) كَلِمَتَا « الْبَرْبَرِ فِي » نَاقِصَتَانِ
فِي ب . (ج) ب : وَالْهَب .

(١) الْبَكْرِيُّ ، ص ١٣٤ وَتَابِعٌ ؛ لَا يَذْكَرُ الْإِدْرِيسِيَّ (ص ٧٠) شَيْئًا عَنْ ذَلِكَ ؛ قَارَنَ
ابْنَ حَوْقَلَ ، ص ٥٦ - ٥٧ ؛ رَوَى الْقُرْطَاسُ ، ص ٨٢ وَتَابِعٌ ؛ ابْنُ خَلْدُونِ ، الْقَبْرِ
(التَّرْجُمَةُ Berbèren) ، ج ٢ ص ١٢٥

قال المسعودي والبكري (١) وغيرهما من المؤرخين إنه كان يقول إنه صالح المؤمنين الذي ذكره الله في قرآن محمد . وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلم شرائعه وفقهه في دينه ، وأمره ألا يظهر الديانة حتى يظهر أمره وينتشر ذكره فيقتل حينئذ من خالفه ، وأمره بموالاة أمراء الأندلس . وخرج صالح إلى المشرق ووعد ابنه أنه يرجع في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجال ، وأن عيسى بن مريم يصلي خلفه ، وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وذكر في ذلك كلاماً نسبته إلى موسى ، وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس وزعم أن اسمه بالعربي صالح وكذلك في السرياني ، وأورباً بالعبراني ووري وراياً بالبربري . وتأول قول رسول الله صلعم : « لا نبي بعدي » فأوله بضم الباء (ب) من نبي ، وقال اسمي لا وأنا نبي بعده . فولى إلياس الأمر بعد خروج أبيه إلى المشرق بدعوة الإسلام وكنم الشريعة التي عهد إليه أبوه خوفاً وتقية ، ولم يظهر شيئاً من ديانته إلى سنة ٧٣ [١] [٧٨٩ - ٧٩٠] ، فكان ملكه ٥٠ سنة . فولى بعده ابنه يونس ، فأظهر ديانته ودعا إليها ، وقتل من خالفها إلى أن مات سنة ٧٥ [١] [٧٩١ - ٧٩٢] ، فولى بعده أبو عفير معاد بن يونس ابن إلياس بن صالح بن طريف ، وأظهروا ديانته واشتدت شوكته ، وكانت له وقائع كثيرة في البربر ، وكانت له من الزوجات ٤٤ زوجة . ومات أبو عفير سنة ٢٣٠ [٨٤٤ - ٨٤٥] وولى ابنه أبو جعفر حفص ، ولم يزالوا يتداولون هذه الديانة إلى غزو عبد الله بن ياسين التجزؤلى إياهم ، فلما كان منهم سبعة وفنيت دولتهم سنة ٤٩٩ [١٠٥٧] . ولما كان أصل هذا الشيخ الملعون من برباط قيل لكل من دخل في دينه برباطي فأحالتها العرب بالسنتها فقالت برباطي ، فمن أجل هذا سموا برباطية ، وإنما أصلهم زناتة وهم أعلم عباد الله بالسحر مما أخذوا عن أسلافهم .

وأما الضلال الذي شرع لهم فلأنهم يقرون بعد الإقرار بالنبين بنبوة صالح ابن طريف ومن يتولى الأمر من بعده ، وأن الكلام الذي وضع لهم وحى من الله لا يشكون فيه ؛ ويصومون رجب ، ويأكلون رمضان ، وأن الفروض عليهم

(١) كلمات «قال المسعودي والبكري» ناقصة في ب .

(ب) يرجد هنا خرم في المخطوط «ب» يقدر بعدة صفحات (أنظر فيما بعد هامش ب ص ٢٠١) .

خمس صلوات بالليل وه صلوات بالنهار ؛ وأن الأضحية واجبة في ١١ من المحرم ؛ وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، ثم الاستنجاء ثم المضمضة ثم غسل الوجه ثم غسل العنق والقفأ ثم غسل الذراعين من المنكبين وغسل الرأس ٣ مرات ، ومسح الأذنين ثم غسل الرجلين ، وبعض صلاتهم إنما يسجدون وبعضها على هيئة صلاتنا . ويسجدون ٥ سجودات ، ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض ويضع يده اليمنى على اليسرى ويقولون باسم ياكش (أ) تفسيره : باسم الله ؛ مقر ياكش مقر يتجت ، تفسيره : العظيم الله العظيم الأعمال . ويضعون أيديهم مبسوطة على الأرض طول ما يشتهون ، ويقرأون نصف قراءتهم في وقوفهم ، ونصفا في ركوعهم ، ويقولون في تسليمهم بالبربرية : الله فوقنا لم يغب عنه شيء في السماء ولا في الأرض ، ثم يقولون بعد التسليم : الواحد الله ، وردام ياكش معناه : لا شيء مثله . ويأخذون في الزكاة العشر من جميع الثمار ولا يأخذون من المسلمين شيئا ؛ ويتزوج الرجل من النساء (ب) ما قدر عليه ، ولا يتزوج من بنات عمه إلا ما يحلوا من النساء ويطلقون ويراجعون . ويقتلون السارق الذي عندهم ، وعلى من قتل فدية من البقر ، ورأس كل حيوان عندهم حرام ، والحيوت لا يؤكل حتى يذكي ، ويرجم الزاني عندهم ، كان بإقرار أو بشبهة . والديكة عندهم حرام ، والدجاجة مكروهة إذا اضطرب إليها . ولا إقامة للصلاة عندهم ، ويقتدون في الأوقات بصياح الديكة ؛ ويبصق في أيديهم فيتلقونه تبركا به ويحملونه إلى مرضاهم فيستشفون به .

وكان الضلال الذي وضع لهم هذا ٨٠ سورة منسوبة بأسماء النبيين وغيرهم فقها : سورة آدم وسائر النبيين المشهورين ، وفيها سورة أيوب ، وسورة يونس وسورة فرعون ، وسورة الديك وسورة الحجل ، وسورة الخراة وسورة الحمل ، وسورة هاروت وسورة ماروت ، وسورة الخشر ، وسورة غرائب الدنيا ، فيها علمهم ؛ وصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله وملائكته تتجدد إلى يوم الدين .

(أ) البكري ، ص ١٣٩ : ابمن ياكش .

(ب) النص : « المسلمات » ، ولكن قراءة البكري « النساء » أفضل . أنظر Fagnan ،

ص ١٩٠ هامش ١

ذكر كلمات هي استفتاح كتابهم ؛ فما ترجم منه : بسم الله الذى أرسل رسله إلى الناس وهو الذى بين لهم مع أخباره علم إبليس ، أبى الله أن يعلم إبليس ما علم الله رسله من شئ ، ويقلب الألسن فى الأقولة ليس يقلب الألسن فى الأقولة إلا لا إله إلا الله ، بقضائه نطق اللسان الذى أرسل الله بالحق إلى الناس ، وبه استقام الحق وأثار . محمد كان حين عاش استقام الناس للدين فلما مات فسد الدين ، كذب من يقول إن الحق استقام وليس ثم رسول . وهى سورة طويلة ، ولولا خروج الكتاب عن قصدنا لذكرنا قراءتهم ، وشرحنا ديانتهم وبيننا كفرهم .

ذكر القبائل الداخلة فى هذه الديانة : برغواطة ، وجرآوة ، وزغاوة ، وزواغة ، والبرائيس ، وبنو أبى قاض ، ونجطة ، وبنو وآعم ، ومطغرة ، وبنو يوزغ ، وبنو دمر ، ومطاطة ، وبنو واكيسيت ، وبنو تاسليت . ومن تدين لهم من المسلمين : زناتة الجبال ، وبنو تليت ، وبنو وانسيت ، وبنو تانيت . ولم يزالوا على تلك الديانة إلى عام ٤٥٢ [= ١٠٦٠] .

مدينة تادلا (١) : هى مدينة قديمة فيها آثار للأول ، وبنى فيها المثلثون حصنا عظيما منيفا ، وهو الآن معمور ، فيه الأسواق والجامع . والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق ، وأحاطت به القبائل من كل الجهات ، فهو حقيق بالملكة ، والأمر العزيز أدام الله دوامه ملتفت له محتاط عليه .

مدينة تليت (٢) : هى مبسوطة بين القبائل القبلية ، وعليها تمر القوافل ، وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند ، وعمره الوالى ، وحوله الأعناب الكثيرة والثمار ، والمياه المطردة ، والعمائر .

مدينة سيجلماسة (٣) : مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب ، وهى على طرف الصحراء لا يعرف فى قبلها ولا غربها عمران ، بينها وبين غانة صحراء

(١) قارن الإدريسي ، ص ٧٥ (تشهر المدينة بزراعة القطن) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ،

ج ١ ص ١٨٠ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٤

(٢) لم نعرف شيئا عن هذه المدينة .

(٣) البكري ، ص ١٢٨ وتابع . قارن الإدريسي ، ص ٦٠ - ٦١ ؛ ياقوت ، معجم =

مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء ، يسكنها قوم من تسوقة
 رحالون لا يستقر بهم مكان ، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة
 وبينه وبين سجلماسة ٥ أيام . ومدينة سجلماسة محدثة بنيت سنة ١٤٠ = ٧٥٧
 — ٧٥٨] ، أسسها مدرار بن عبد الله وكان رجلا من أهل الحديث ، يقال
 إنه لقي بإفريقية عكرمة مولى بن عباس وسمع منه ؛ وكان صاحب ماشية وكان
 كثيرا ما ينتجع سجلماسة وكان الموضع سوقا يجتمع فيه بربر تلك النواحي .
 فاجتمع إلى مدار قوم من الصنفيرية فلما بلغوا ٤٠ رجلا قدموا على أنفسهم
 مدرارا وشرعوا في بناء سجلماسة فبنوها ثم سورها (١) أبو المنصور بن أبي القاسم
 ابن مدرار ، ولم يشركه في الإنفاق في بنائه أحد . أنفق فيه مدى ألف مئذ طعاما .

وذكر آخرون أن رجلا حدادا اسمه مدرار وكان من ربضية قرطبة خرج
 من الأندلس عند وقعة الربض فنزل منزلا يقرب من سجلماسة ، وموضع سجلماسة
 إذا ذاك سوق البربر بتلك النواحي ، فأنشأ بها مدرار خيمة وسكنها فبنى الناس
 حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، وكان رجلا أسود وأولاده قد هجوا بذلك .

ومدينة سجلماسة ١٢ بابا ، ولها بساتين وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع
 الفواكه ، وزبيب عنها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يزيب إلا في الظل
 ويسمى الطلي ، وما أصابته منه زيب في الشمس . وهي على نهرين من عنصر
 واحد في موضع يسمى أكلف (ب) ، وتمده عيون كثيرة ، ولهم مزارع
 كثيرة يسقونها من النهر في حياض كحياض البساتين ؛ وتزرع أرض سجلماسة
 عاما ويحصد من تلك الزريعة ٣ أعوام لأنه بلد مفرط (ج) الحر شديد القيظ .
 فإذا يبس الزرع تنأثر عند الحصاد وأرضهم مشققة فيقع ما يتأثر من الحب
 في تلك الشقاق ، فإذا كان العام الثاني أخرجوا النهر على عادتهم لأن ماء المطر
 قليل فيها وحرثوا بلا بذر ؛ وكذلك العام الثالث . وقمحهم رقيق الحب يسع
 مئذ النبي صلعم من قمحهم ٧٥ ألف حبة ، وهم يأكلون الزرع إذا خرج شطته
 وهو عندهم مستظرف وذلك لغلبة الجذب عندهم . ومن العجيب بمدينة سجلماسة
 أنها ليس بها ذئاب (د) ولا كلاب لأنهم يسمنونها ويأكلونها كما يصنع أهل

(١) م : صورها . (ب) هنا ينتهي الحرم الأخير في «ب» أنظر هامش ب
 ص ١٩٨ (ج) ب : مطرق . (د) النص : ذباب .

= البلدان ، ج ٣ ص ٤٥ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١٤ ؛ دمشق ، ص ٢٣٨ ؛
 ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ اليعقوبي ، ص ٣٥٩ ؛ المقدسي ، ص ٢٣١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ،
 ج ٢ ص ١٨٩

الجريد : قسطنطينية وغيرها . ويسمون الكنافين عندهم المحرمين ، والبنائون عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة ، وكذلك كانوا ببلاد بني الناصر .

قال الناظر كان هذا في الزمان المتقدم ، وأما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس فلم يأت عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجالا كثيرين . وقد كان تنبه لهم الأمر العالي أيد الله دوائمه سنة ٨٢ [٥] [١١٨٩ =] فلبس (١) المرتشون وشوش المشوشون وخوف المفتشون ، فأرجأ القدر السابق هذا إلى نهاية أمد عزهم وابتداء نكسهم إن شاء الله وذرههم وهي سنة ٥٧١ من (ب) الهجرة . والسبب في تسخير أهل محلماسة لليهود في هاتين الحرفتين الرذيلتين كونهم محبين في سكنى بلادهم للاكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه ، فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم بالسرقة وأنواع الخدائع . ولما علم منهم أبو عبد الله الداعي ما هم عليه من ذلك عند استخراج عبيد الله من سجن اليأس بن مدزار بها ، وكان الذي نص عليه ونم به للياسع يهودى وحكى عبيد الله لأبي عبد الله ما جرى له معه ، قتل منهم الأغنياء وأخذ أموالهم بالعذاب ، وأمر من شاء أن يقيم منهم بالبلد في أن يتصرف في هاتين الحلتين ، فمن دخل في الكنافين من أصناف الناس سموهم المحرمين لاجترامهم على خرفة موقوفة على اليهود . وقصروا البناء عليهم خاصة لأنهم خائفون أبدا من أن يخون أحدهم المسلم فيهلكه ، فهم ينصحونهم في البناء ويلازمون الخدمة دون خروج لفرائض الصلوات ولا غير ذلك من ملازم العبادات ، فتأتى خدمتهم موفرة سريعة . وهم الآن قد مازجوا المسلمين وداخلوهم وهو العز الذي كانوا يرتقبونه في سالف الأزمان ، وبعده الزلة الدانية لهم القاصمة إن شاء الله لظهورهم ، المسلسلة لشأفهم عما قريب كما قدمنا .

ذكر السبب في ثورة الداعي ودخوله محلماسة (١) : كان الداعي محققا لوجود الإمام المهدي ، جاهلا لزمه طامعا أن يصادفه لحبة المرء في نفسه .

(١) ب : فلبس . (ب) م : سنة إحدى وتسعين .

(١) لا نعرف المصدر الذي نقل عنه المؤلف الفصل الخاص بالفاطميين . قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ص ١٥٠ وتابع ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ص ٢١ وتابع وملحق الترجمة (Barb.) ج ٢ ص ٥٠٦ وتابع .

قال الداعي خرجت يوما إلى شاطئ دجلة لأتفرج ، فجلست على ضفة النهر
أقرأ سورة الكهف فإذا بشيخ حسن الملبس والمركب معه غلام فقرش له على
ضفة النهر ، فجلس وأنا أقرأ حتى انتهيت إلى قوله تعالى : « حتى إذا لقيا غلاما
فقتله » إلى قوله : « فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » إلى آخر الآية . فقال لي
الشيخ : أنت تزعم ممن يقول بالعدل والتوحيد ؟ قلت له نعم . قال فكيف تقتل
نفسا خشى أن يكون وأن لا يكون ؛ فقلت له إني لعلم هذا لفقير ؛ فقال لي
سأعلمك إذا التقينا إن شاء الله . ثم ركب دابته وانصرف ، فسألت غلامه
من هو فقال لي : هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي
ابن موسى بن جعفر بن علي الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب رضه وعن جميعهم . قال الداعي فعند ما سمعت ذلك لم أتمالك
أن قبلت رأس الغلام وتعلقت بركاب الشيخ ، وضرعت إليه أن يعلمني السبيل
إلى معرفة الإمام ؛ فأشار إلى في الوصول إلى منزله ، فسرت معه فأدخلني ووجدت
ولده عبيد الله ومعه أحد عشر رجلا ، فقال لهم هذا ثاني عشرتكم . فأزلي أرفع
منزلة فلما استقرني المجلس قال لي : قد حان وقت ظهور الإمام وهذه الدعاة
خارجة إلى الأقطار ، وأنا أريد توجهها إلى المغرب لأن جعفر بن محمد الصادق
زرع بالمغرب بذرا فانت تحصده إن شاء الله ؛ إذهب إلى مكة فإنك ستجد بها
قوما من كتامة فاعرض نفسك لهم في تعليم أبنائهم ؛ فإذا وصلت معهم إلى بلادهم
فأعلمهم بظهور الإمام وأن زمانه قد حان وخاطبنا . فإذا استوثق الأمر
نهضنا إن شاء الله ، ودفع إلى مالا وشيعني فأنصرفت وأنا متعجب من دعواه ،
ومرتاب في أمره . فلما عاينت خروج الدعاة وحدهم احتسبت نفسي من خلتهم ،
فسرت إلى مكة - كرمها الله - فألفت كتامة ، فعرضت نفسي عليهم ، فتلقوني
بالقبول ، وسرت معهم إلى بلادهم فنزلت في بجاية بالجبل المعروف ببني
زلدوى . وجعلت أعلم أبنائهم ، فقالوا نحن أحوج إلى التعلم منك من أبنائنا
فجعل يقول لهم : هذا زمان الإمام المهدي الفاطمي قد حضر ، وذلك في خلافة
عبد الله سنة ٢٨٠ = ٨٩٣] . وكان الداعي يأخذ صدقاتهم ، وعشورائهم
وأمرهم بالدعوة إلى ما دعاهم إليه ، وقتل من خالفهم إلى أن مات الشيخ والد
عبيد الله ، وهرب الولد فارا إلى مصر ، فلم يعلم بدخوله فيها . وقد كانت

مخاطبات المعتضد نفذت إلى ابن طولون (١) (١) بمصر وإلى اليَسَع بن مدرار وإلى سجلماسة في طلبه . فلما خرج عبيد الله من مصر تنبه له فطلب فوجد راجعا قد طلب كلبا كان هرب خم ، فحمل إلى الوالي فذكر أنه صائد قد هرب (ب) له كلبه فطلبه ، وشهدت له البينة بذلك وقيل أعطى للوالي ما كان معه من المال (ج) فأطلقه . ووصل لسجلماسة فنص عليه اليهودي كما قدمنا ، وسجنه اليسع بن مدرار في منزل أخته في غرفة وكبله ، وتبعه ولده القاسم فسجنه في قرية بالقرب من سجلماسة ؛ فخاطب أبا عبد الله الداعي وأعلمه بحاله من الأسر والخوف ورغب إليه في استنقاذه ، فاستنفر الداعي قبائل كتامة ومن استجاب لدعوته ، وقصد سجلماسة فدخلها لحينه وفر اليسع فقتله طائفة من رعيته لحقد كانوا يجدونه له . ووصل الداعي من فوره لدار بنت مدرار واستخرج عبيد الله من سجنه وكسر كبله بيده وأركبه بغلة وكساه برنسه وقال لهم : هذا مولاي الإمام فهو مولاكم . فقال له عبيد الله : قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية ، وسر من فورك واستخرج مولاك أبا القاسم من سجن عدو الله وعدو أوليائه . فهض الداعي راحلا واستخرج أبا القاسم ابن عبيد الله وأركبه بغلة أخيه أبي العباس ، واستخرج أهل سجلماسة من مواطنهم وقال لهم : لا يحل لكم أن تستوطنوا بلدا امتحن فيه الإمام ؛ ففرعوا من سطوته لما عاينوا منه ما صنع باليهود كما قدمنا . فلما خرجوا معه أمر بسلبهم ، ففتشوا كلهم رجالا ونساء وأخذ أموالهم وصرفهم : وقيل إنه تحصل له من التبر ومن الحلبي وقر ١٢٠ جملا أدخلها رقادة وباع بها لعبيد الله وأقامه وأدخله القيروان وبني المهدي . فكان عبيد الله يتساكر ويقتل جواريه ويرمى بهن خارج القصر . وأظهر مذهبه الذي يزعم الشيعة أنه مذهب أهل البيت ، فأنكر كتامة ذلك واجتمعوا مع الداعي وأخيه أبي العباس وكان مصمما فقال لهم الداعي إن الدعاء لأهل بيت رسول الله صلعم واجب ، وإن الإمام المهدي حق وإن الزمن مجهول عندي ؛ وكنت ارتبت في والد عبيد الله فكيف لا يرتاب

(١) النص : ابن طليمين ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ، ٢ ص ١٦٩
(ب) ب : فهرب . (ج) «من المال» ناقصة في ب

(١) يلاحظ أن المكتن كان في هذا الوقت خليفة وأن والي مصر كان يدعى عيسى النوفري . قارن Fagnan ، هامش ١ ص ١٦٩

فيه ، سيروا إليه وقولوا له : إن أبا عبد الله وأبا العباس قد شكّا في الخاتم الذي ذكرت أنه بين كتفك فأره لنا ، فإن لم تعينوه فشأنكم به . قال فعند ما وصلوا إليه ، وقالوا له تلك المقالة ، قال لهم ألم يعلمّا كما قيل لهما أيقنا به ؟ قالوا نعم فقال لهم : الشك لا يزيل اليقين . والتفت إلى صاحب شرطته فقال له : يا عروبة آتني برأسيهما ؛ ففي الحين نهض عروبة إليهما متنكرا فقال له أبو عبد الله وكان له عليه حق مرتبته : ما الذي أتى بك يا عروبة ؟ فقال الذي أمرتني بطاعته أمرني بقتلك . فقتلهما وأتى برأسيهما بحضرة أشياخ كتامة ، وأمر بالكتب إلى الأمصار أن أبا عبد الله أحدث حدثا فطهرناه بالسيف ، ولم تكن تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحد عليه . ونمهد أمر عيد الله . وهو الحقيقة كما ذكر أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه في وصف القرامطة : أنه عيد الله والده عبد الله بن سالم بن عبدان الباهلي ، وأن جده سالم صلبه المهدي العباسي على الزندقة على ما قاله الذين فحصوا عن أمره . ومات عيد الله بالمهدية سنة ٣٢٢ [= ٩٣٤] وولي ولده أبو القاسم فأظهر مذهبه وسماه مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر ابن محمد الصادق وإلى علي بن أبي طالب رضيهما — وحاشاهما منه والعباد بالله من هذا المعتقد . فنه توريث البنات إذا انفردت بجميع المال كله ، والله تعالى يقول : « وإن كانت واحدة فلها النصف » . وأسقط الرجم عن المحصنين في الزنا ، وأسقط المسح على الخفين ، وأسقط من الأذان « الصلاة خير من النوم » ونادى في الصباح « حي على خير العمل وعلى خير البشر » ، والصوم بالعلامة والفطربها لا بالروية فيأتي قبل صوم المسلمين يوم وقبل فطرهم يوم في أكثر الأعوام . وأحل المطلقة ثلاثا ، وأسقط أيمان الحرج . ولولا خروجنا عما قصد إليه الواضع (١) لشرحنا ديانتهم وبيننا كفرهم . وسماه الأخوة والمؤمنين وأمر ألا يقيم الحد أحد إلا أبوه أو ابنه أو أخوه أو قريبه . ثم أمرهم بالجهاد لمن خالف مذهبهم . فقام عليه أبو زيد محمد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن محمد بن عثمان بن رويب بن سيران بن يفرن بن صره بن يور سيف بن جنا (ب) بن يحيى بن ضرليس بن جالوت . وكان على مذهب الصفرية النكار وقر على عمار الأعشى في المشرق ، وكان قيامه في أول سنة ٣٣٢ [= ٩٤٣] .

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ب . (ب) ب : جلنا .

ذكر المؤرخون أنه كان يعمل أكواما (١) من رؤوس المسلمين رعية الشيعي ويأمر المؤذنين (بالآذان) عليها . وأخذ لشيخ من المسيلة ٥٠ ألف مثقال وابنتين أبكارا فشغل الشيخ هم بنتيه عن ماله ، فجعل يطلبهما في المحلة حتى وجدهما عند باب خباء الشيخ الملعون - وكان يركب الحمار وتسمى بشيخ المؤمنين - فانكب على بنتيه وسألها فقالتا له يا أبانا إن الملعون اقتضنا في فراش واحد ، ففشى الرجل إليه وقال له : تتسمى بشيخ المؤمنين وأخذت مالي واقتضيت بنتي ، أختين شقيقتين على فراشك دون استحياء من الله تعالى ؟ فقال له : ذلك حلال لنا بملك اليمن وأمر بالرجل فضربت عنقه رحمة الله علينا وعليه . وقد كان هزم أبا القاسم الشيعي وهرب أمامه للمهدية فوصل أبو زيد في أتباعه حتى ركن (ب) رصحه في الباب ، فأعلم أبو القاسم فقال لهم : والله لا عاد إليها أبدا وهو حنقه هكذا في كتبنا . وأمر بالركوب والخروج إليه وأعطى الجند العطاء الجزيل ، فلما خرجوا أراد أبو زيد أن يقتل من كان معه من حشد الرعية ليتفرغ لإفشاء كفره ، فقال : لأصحابه انكشفوا عنهم فيقتلوا عن آخرهم . وأثنى أبو زيد بالجراح وقبض عليه حيا فأدخله المهدية في قفص حديد وصلبه على الباب الذي طعن فيه برصحه ، ودانت لأبي القاسم الشيعي بلاد المغرب كلها من إفريقية إلى درعة .

مدينة درعة (١) : وإنما تعرف درعة بواديتها فإنه نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن ، وعليه عمارة متصلة نحو ٧ أيام وفيها أسواق حافلة كثيرة . فيها يوم الجمعة أسواق (ج) في مواضع كثيرة متقاربة وربما كان سوقان في يوم واحد في المواضع النائية وكذلك في سائر البلاد ، وعليه الجنات الكبيرة فيها جميع الفواكه من النخل والزيتون وغيرها . والحناء بدرعة كثيرة ومنها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها ، وله مزية في البيع على سواها . وشجر الحناء

(١) النص : أكواما . (ب) ب : ركن .

(ج) «أسواق» ناقصة في ب .

(١) البكري ص ١٥٥ (يقول إن المدينة مازالت تسمى تيومتين) . قارن الإدريسي ، ص ٩٦١ ياقوت ، معجم البلدان (درعة) ، ج ٢ ص ٥٦٧ ، (سجلماة - تيومتين تقع على ٤ فراسخ من سجلماة) ج ٣ ص ٤٥ ، (الدمشق (تيومتين) ، ص ٢٣٦ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٧

أما عن شجرة الناكوت فانظر البكري ، ص ١٥٢ ، وعن الحجر المعروف باسم التامضوت نفس المصدر ، ص ١٧٩

بها شجر كبير يحتمل أن يرقى فيها الراقي ، وبوادي درعة شجر التاكوت وهو شجر يشبه الطرفاء وبه يدبغ الجلد الغدامسى . وتوجد بوادي درعة حجارة تسمى تامضفيت (١) تحك باليد فتلين إلى أن تأتي في قوام الكتان فيصنع منها القيود للدواب والامره ، وتغزل وينسج منها مناديل لا تؤثر فيها النار مثل الصندل ، وقد صنع منها لبعض ملوك زناته كساء عنده من أعظم الذخائر . ذكر البكرى أنه أخبره ثقة إنه رأى تاجرا قد جلب منه منديلا لبعض ملوك الروم ، وأخبره أنه منديل كان لبعض الخواريين وجعله في النار أمام الملك فلم تؤثر فيه شيئا ، فوصله ذلك الملك عليه بصلة كان فيها غناه إلى آخر الزمان . ويقال إن ذلك الملك بعثه إلى ملك الروم الأعظم وأخبره بخبره ، ووضعوه في الكنيسة العظمى ، وبعث إليه بصلة سنية وأمره أن يتوج بتاج بعثه إليه ورفعته على من سواه (١) .

مدينة أنعمات (٢) : وأنعمات هما مدينتان إحداهما تسمى أنعمات وريكة والأخرى أنعمات هبلانة ، وبينهما نحو ٨ أميال . وبأنعمات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ، وبها نهر جريه من القبلية إلى الجوف ، يشق المدينة بعضه وعليه أرحاء وحوله بساتين كبيرة . وهو بلد متسع كثير الرخاء والخصب إلا أنه وخيم الهواء ، ألوان أهله مصفرة والعقارب القتالة به كثيرة ، وبينه وبين البحر مسيرة ٤ أيام . وأقرب المراسى إليه مرسى جوز هرتنانه (٣) من بلد رجراجة ، وهو من آخر مراسى سواحل المغرب مما يقرب من البحر المحيط ، تنزل به السفن ولا يخرج منه إلا بريح عاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء واغترار الجو ، فحينئذ تصدق هناك الرياح فإن اصطحبهم (ب) الريح سلموا وإلا قذفهم البحر . وبين أنعمات ومدينة نفيس مرحلة .

(١) م : تامضفيت . (ب) م : استصحب لم

(١) البكرى ، ص ١٨٠

(٢) قارن للبكرى ، ص ١٥٣ ، الإدريسي ، ص ٦٩ ، ٦٧ ، ٦٩ ، باقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٢٠ ، مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٧٨ ، الدمشقي ، ص ٢٣٦ ، ابن حوقل ، ص ٦٥ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٨

(٣) البكرى (يتكلم من رباط قلار) ، ص ١٥٢

مدينة نفيس (١) : مدينة قديمة أزلية غزاها عقبة بن نافع رحمه الله ، وحاصرها وفيها الروم والنصارى البربر فافتتحها وأصاب المسلمون فيها أموالا كثيرة ومغانم واسعة ؛ وبني فيها عقبة مسجدا وهو معروف بها اليوم . وكان دخول عقبة مدينة نفيس سنة ٦٢ [٦٨٢] من الهجرة ، ويعرف بالبلد النفيس وليس في جميع البلاد أطيب هواء منها ولا أجمل منظرا ولا أكثر أنهارا وأشجارا وثمارا . ويشق بلد نفيس نهر منبعه من جبل درّان حيث الروضة المقدسة المكرمة المعظمة ؛ جدت الإمام المهدي وصاحبه وحواريه الخليفة الإمام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رضيهما ؛ وهو في مدينة البيضاء المعروفة بتتمل (٢) كرمها الله . وكانت على القديم معمورة فلدنها الإمام رضى ، وبني فيها الخليفة جامع الإمام رضيهما (١) ، وعليها سور حصين وهي أمتع حصن أو قلعة في بلاد المغرب لوعورة الطريق من هذه البلاد لأن زيارة الأئمة الأطهرين لها على طرق مرصوفة من الخشب متى احتيج إلى إزالتها أزيلت فتعلقت السبل وحرار الدليل ، فتعاني مهوى بعيدا لا يدرك له قعر . وهي في وسط القبائل المعروفة بالشهامة والنجدة . وبين أغمات ونفيس الحضرة العلية مراکش — صانها الله تعالى دار إسلام .

مدينة مراکش — كلاًها الله (٣)

هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكها ، وهي مدينة عظيمة في بسط من الأرض ، أسسها يوسف (ب) بن تاشفين سنة ٤٥٩ [١٠٦٧] ؛ وأول ما بني فيها

(١) الحملة الأخيرة ناقصة في ب . (ب) ب : يوسف بن علي بن تاشفين .

(١) البكري ، ص ١٦٠ . وقارن الإدريسي ، ص ٦٢ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٦

(٢) قارن الإدريسي ، ص ٦٣ ؛ مرصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٢٣ . عن زيارة خلفاء الموحدين لقبر ابن تومرت بتتمل أنظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٢١١

(٣) يمدنا المؤلف هنا بمعلومات مهمة عن مراکش على عهد خلفاء الموحدين الأوائل . قارن الإدريسي ، ص ٦٧ ، ٦٨ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٢ ؛ روض القرطاس ، ص ٨٩ ؛ ابن خلدون ، العبر (الترجمة Berb) ، ج ٢ ص ٧٣ ؛ الحلال الموشية (مراكش على عهد المرابطين) ، ص ٥ وتابع (مراكش عهد الموحدين) ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ؛ المصري ، مسالك الأبصار (الترجمة) ، ص ١٧٨ وتابع ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٧٨ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٦ ؛ أبو الفدا (الترجمة) ، ج ٢ ص ١٨٧

دار الأمة وهي الآن معلومة بها، ثم اختط سورها ولده على سنة ٥١٤ [= ١١٢٠]، وفتحها الخليفة أمير المؤمنين رضى يوم السبت بعد صلاة الظهر ١٨ من شوال سنة ٥٤١ [= ٢٤ مارس ١١٤٧]. وعلى ٣ أميال منها وادي تنسيفت، منبعه من بلد دمنات (١)، يصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وأودية كثيرة، ومصبه في ساحل رباط جوز (ب) ويدخله الشابل الكثير الطيب. وهي مدينة طيبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر، عذب ماؤها قريب من قامة أو قامتين، وبساتينها تسقى من آبار متفقد بعضها ببعض حتى تخرج على وجه الأرض. وبينها وبين درن نحو ٢٠ ميلا، وهي كثيرة الزرع والضرع تحرثها دكالة وجنتها نفيس، وحولها من البساتين والجنان التي يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصى كثرة؛ وإنما بناها وأضعها لملك منها جبل درن لكثرة من يعمره، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال براغواط الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام.

وكان إسلام قبائل الصحراء سنة ٤٣٥ [= ١٠٤٣] وخروجهم سنة ٤٥٠ [= ١٠٥٨] أو نحوها فقتل زعيمهم الذي أخرجهم بيلد برغواط بموضع يسمى تيلمت، وبني على قبره مسجد وولى بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني المحمدي وبقى إلى سنة ٤٥٧ [= ١٠٦٥] قبل أن ينخلع ويولى يوسف بن تاشفين، ويطلق زوجته زينب بنت إبراهيم النفاوى (١). ولم يكن في زمانها أهل منها ولا أعقل ولا أظرف، فتزوجها بعده يوسف وبني لها مراکش، وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فقاتل السودان فرشقهم سهام فمات. ومدينة مراکش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا عما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضىهم، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما (٢) ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته، كان قصرا، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب رضى. وجلب الخليفة الإمام المياه من أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ٦ أميال، وبني فيها

(١) ب : بيلانت ، م : ميلانة ؛ أنظر Fagnan ، ص ١٨٠ هامش ١
(ب) البكرى (ص ١٥٢) : رباط قوز .

(١) حسب ابن خلدون (العبر ، الترجمة ، ج ١ ص ٧١) وصاحب روض القرطاس (ص ٨٢) تسمى زينب بنت اسحق النفاوى .

(٢) هو جامع الكتبية في مراکش . (أنظر H. Terrasse, Sanctuaires et forteresses almohades, p. 103-4)

وخارجها صهر يمين عظيمين كنا في تلك المدة نعوم فيهما فلا يكاد القوى منا يقطع الصهر يمين إلا عن مشقة ، وكنا نتفاخر بذلك . وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضى بحائر مثلها في الغرس بل أحمل ، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريج أعظم من المتقدمة ، وزاد في قبة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام الخليفة أبو يوسف رضى ، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها ، وكانت بحائر عظيمة فيها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق ، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها ، وأمر بعمارها أول سنة ٥٨٥ [١١٨٩] . ومدينة مراکش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات ، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء ، وأكثر شجرها الزيتون ففي مراکش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتكثر بلادا كثيرة ، وكان زيتا قبل اليوم دهن المهرجان (١) لأنه بتلك البلاد كثير جدا . وزيتون مراکش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب .

ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة رضى أن أرسل في وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصره المكرم ، تشق المدينة من القبة إلى الجوف ، وعليها السقايات لسقى الخيل والدواب واستقاء الناس ، فهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء . ومن بركاته (ب) وضع دار الفرج في شرق الجامع المكرم ، وهو مارستان المرضى ، يدخله العليل فيعان ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوّهة (ج) ، ويستطعمها ويسبغها فتعشيه من حبه بقدره الله تعالى . وكان في سنة ٥٨٥ [١١٨٩=] قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي صلعم .

مدينة أفروجة (د) (١) : يسمونها أفروجي ، بينها وبين مراکش مرحلة ، وهي في بطحاء كثيرة المياه والفواكه والخيرات . وبالقرب منها مدينة

(١) ب : المهرجان ؛ أنظر Fagnan ، هامش ١ ص ١٨٢ ؛ (ب) ب : بركة .

(ج) ب : المفوضة ، م : المفهومة . (د) م : أفروجي .

(١) لا يتكلم الكتاب عن هذه البلدة . أنظر Fagnan ، هامش ٤ ص ١٨٣

تامروت^(١) بينهما نحو مرحلتين . وهي مدينة لطيفة طيبة الهواء والماء ، ومنها يرقى إلى جبل درن^(٢) ، ويقال إنه أكبر جبال الدنيا وإنه يتصل بجبل المقطم الذي ببلاذ مصر ، وفيه قبائل كثيرة من المصامدة ، ويقال إنهم من العرب قد دخلوا تلك البلاد وسكنوا تلك الشعاب في الفتنة الواقعة عند هزيمة ميسرة التي تسمى غزوة الأشراف^(٣) ، فكان البربر يطلبون العرب فتوغلوا في تلك الجبال وتناسلوا فهم أهلها على الحقيقة لأنهم أحيوها . قال رسول الله صلعم : « من أحيأ أرضاً ميتة فهي له ولعقبه » . وجبل درن أنصب البلاد وأكثرها أنهاراً وأشجاراً وأعشاباً ، وفيه أم لا تحصى من المصامدة وأكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرُّب ، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه ، وخلفه بلاد السوس .

ذكر بلاد السوس الأقصى^(٤)

وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماسة^(٥) وجريه من القبلة إلى البحر كجري نيل مصر ، وعليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة والبساتين والجنات بأنواع الفواكه والثمار والأعشاب وقصب السكر . ولم يتخذ الساكنون على هذا الوادي قط رحى فلاذا سئلوا عن ذلك قالوا : كيف يتخذ هذا الماء المبارك في إدارة الأرحاء ، وهم يتطيرون بها^(٦) . وعلى هذا النهر قرية كبيرة جداً تعرف بتارودانت^(٧) ، وهي أكثر

(١) البكري ، ص ١٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٧٤ (ماسة) . (ب) هنا يلبي ترتيب صفحات المخطوط «ب» كالاتي : ٨٣ - ١ ، ٨٣ - ب ، ٨٢ - ١ ، ٨٢ - ب .

(١) قارن الدمشقي ، ص ٢٣٦
(٢) أنظر فيما سبق ، هامش (أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٣ ؛ البكري ، ص ٦٠ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٦٧ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٩) .
(٣) حدثت هذه الوقعة بعد موت ميسرة بن خالد بن حميد الزناتي وخالد بن حبيب الفهري . أنظر Fagnan ، ص ١٨٤ وهامش ٢
(٤) البكري ، ص ١٦١ - ١٦٢ ؛ الإدريسي ، ص ٦١ وتابع ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٦٥ ؛ يعقوب ، ص ٣٥٩ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٨
(٥) الإدريسي ، ص ٧٤

بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر السكر كثيرة . وهذا البلد أخصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات ، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور بالطبرزد^(١) المذكور في كتب الطب . وعلى مصب هذا الوادي في البحر رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جليل وهو مأوى للصالحين . ومن وادي سوس إلى مدينة نول ٣ مراحل في عمارة متصلة يسكنها جزولة ولمطة ، وهم أمم كثيرة .

وقاعدة بلاد السوس مدينة ^{أبجلى} (٢) وهي مدينة عظيمة كبيرة قديمة أزلية في سهل من الأرض على النهر الكبير المذكور ، وهي كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه ، ربما بيع حمل التمر بما دون كراء الدابة من الجنان إلى السوق ، وقصب السكر بها كثير وله بها معاصر كثيرة ، وأكثر شرب أهلها إنما هو ماء قصب السكر (١) ؛ ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد السودان . ووصل عقبة بن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله إلى بلاد المغرب ، وافتتحها فأخرج منها سبيلاً لم ير مثله حسناً ؛ كانت تباع الجارية الواحدة منهن (ب) بألف دينار وأكثر لحسنها وتماثل خلقها . ويعمل بهذه المدينة زيت الهرجان (ج) وشجره يشبه الكمثرى إلا أنه لا يعلو كعلو شجرة الكمثرى ولا يفوت اليد ، وأغصانه ثابتة من أصله لا ساق لشجرتة ولها شوك وثمرته تشبه الأجاس المعروف عندنا بالعبقر ، فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع في مقلاة فخار على النار فيستخرج دهنه ، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو ، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدرب البول . وبالسوس غسل يفوق غسل جميع الأمصار ، يلتقى النيزديون على الكيل منه ١٥ كيلاً من الماء وحينئذ يأتي نيزدا ، وإن كان الماء أقل من ذلك بقي حلواً ولا ينحل إلا بالماء الشديد الحرارة ، ولونه أخضر في لون الزمرد (٣) .

(١) ب : إنما هو من قصب السكر . (ب) ب : الجارية منها .

(ج) ب : المرجان .

(١) الإدريسي ، ص ٦٢

(٢) البكري ، ص ١٦١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (ابجلى) ، ج ١ ص ٤١٥ ؛

الدمشق (ابجلى) ، ص ٢٣٦ ؛ مراصد الاطلاع (أبجلى) ، ج ١ ص ١٠٦

(٣) البكري ، ص ١٦٢ ؛ الإدريسي (ص ٦٢-٦٣) يقول إن هذا الشراب يسمى أنيز .

وبالقرب من أيجلى على نحو ٦ مراحل مدينة تآمدلت^(١) ، وهي مدينة كبيرة أسسها عبد الله (أ) بن إدريس العلوي وتوفي بإيجلى وبها قبره . وتآمدلت مدينة سهلة كثيرة العمارة حافلة الأسواق ، على نهر عنصره من جبل على نحو ١٠ أميال منها ، وما بينهما عمائر وبساتين متصلة ، وهذا النهر هو نهر درعة ، وهذه المدينة تآمدلت على رأس النهر ، وبينها وبين مدينة درعة مسيرة ٦ أيام في عمارة متصلة . ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة (ب)^(٢) ، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط ، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ٣ مراحل . وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة (ج) يسكنونها وما وراءها وهي آخر بلاد السوس ؛ ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان ، غانة وغيرها ، فليمشي من وادي درعة نحو ٥ مراحل إلى وادي ترجا (د) وهو في أول الصحراء ، ثم يسير في جبال وعرة في طريق قد فتحت في حجر صلد بالنار والخل من عمل الأول . ويزعّم قوم أن ملوك بني أمية فتحوها ، وهذه الطريق من أحد أعاجيب العالم^(٣) . ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية جبل الحديد ، ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد كلتوتة وهم من صنهاجة ؛ وأكثر ملتونة إنما هم رحالة لا يستقر بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز ، وإنما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحمها ، فهم يحففون اللحم ويطحنونه ويصبون عليه الشحم المذاب والسمن ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء ، فيبقى الرجل منهم الشهر لا يشرب ولا يأكل خبزا ولا يعرفونه وصحّهم من ذلك متمكنة^(٤) ، ربما مرت بهم القوافل فيتحفون ملوكهم

(١) ب : عبيد الله .

(ب) «لمطة» ناقصة في ب . (ج) النص : تركا ولكننا أخذنا بقراءة البكري

(ص ١٦٢) ؛ أنظر Fagnon ، ص ١٨٨ وهامش ٣

(١) البكري ، ص ١٦٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨١٢ ؛ مراصد

الاطلاع ، ج ١ ص ١٩٥ ؛ الدمشقي ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧

(٢) البكري ، ص ١٦١ ؛ الإدريسي ، ص ٦٠ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٣٩ ؛

الدمشقي ، ص ٢٣٨

(٣) قارن البكري ، ص ١٦٣

(٤) البكري ، ص ١٧٠

ورؤسائهم بالخيز والدقيق . وببلادهم يكون اللمط ^(١) الذي يعمل من جلوده الدرق ، وهذا الحيوان المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون (١) رقاق حادة تكون لذكرائها وإناثها ، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من ٤ أشبار ، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما عمل من جلود الإناث المسنات التي قد طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها . وببلادهم أيضا الفسك الكثير ، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد ، وعندهم الكباش الدمانية وهي على خلقته أيضا إلا أنها أعظم وشعرها ك شعر المعز لا صوف عليها ، وهي أحسن الغنم خلقا وألوانا . والريحان في بلاد الصحراء وفي بلاد السوس عزيز لأن بلادهم لا تنبت ، وهو عندهم من أطيب الطيب .

ومن عجائب هذه الصحراء أن بها معدن الملح ^(٢) تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن ، ويوجد هذا الملح تحت قامتين أودونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تانتال ، وعليه حصن مبنى بالحجارة التي تخرج من المعدن ، وجميع ما فيه من بيوت وغرف ومساكن إنما هو مبنى بحجارة الملح . وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان ، غانة وغيرها ، وله غلة عظيمة ، وبإزاء معدن الملح الماء العذب الطيب ، أخبرني بذلك من عاينه . ومعدن الملح أيضا في بلاد جدالة بموضع يسمى ولييلي ^(٣) على شاطئ البحر المحيط ، ومن هناك تحمله الرفاق إلى ما جاوز تلك الجهة . وبقرب ولييلي في البحر جزيرة تسمى أيونا ^(٤) ، وهي عند المد لا يوصل إليها إلا بالمراكب

(١) «قرون» ناقصة في ب .

(ب) البكري ، ص ١٧٠ ، الإدريسي ، ص ٣٢ (أوليل) .

(ج) البكري (ص ١٧١) : أيون .

(١) البكري ، ص ١٧١

(٢) نفس المصدر .

(٣) البكري ، ص ١٧٠ ، الإدريسي ، ص ٣ . من مدينة وليلي قارن ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٤١ ، مرآة الاطلاع (أوليل) ، ج ١ ص ١٠ ، دمشق ، ص ٢٤٠ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٤) البكري ، ص ١٩٥ ، أما الإدريسي فيتكلم (ص ٥٥) عن جزر المحيط وعن المنبر ولكنه لا يذكر هذه الجزيرة .

وعند الجزر يوصل إليها بالقدم ، ويوجد فيها العنبر الكثير ، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف فهي أكثر شيء في ذلك الموضع وهي مفرطة العظم ، ربما دخل الرجل في محار ظهورها بتصيده في البحر كالقارب . وفي هذه الجزيرة أغنام كثيرة ومواشي ، وهي منتهى المراكب وآخر مراسي المغرب . ومن مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر ، لا تفارق السواحل ، مسيرة شهرين في أرض تحتجرة أكثرها صفاء تنبؤ عنها المعاول ، ويكل فيها الحديد (أ) ، وإنما يشرب من بحر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر (ب) البحر فينبع ماء عذبا وهو من العجائب . وإذا مات للمارين بهذه الطريق ميت لا يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض وامتناعها من الحفر ، فيسترونه بالحطام والحشيش أو يقدفونه في البحر .

وبين صحراء لتونة وبلاد السودان (ج) ، مدينة أودغست (١) . وهي مدينة عظيمة أهلة فيها أم لا تحصى ولها بساتين كثيرة ونخل كثير ، ويزرعون فيها القمح بالحفر بالفؤوس ويسقونه بالدلاء (د) ، وكذلك يسقون بساتينهم ، وإنما يأكل عندهم القمح الملوك وأهل اليسار منهم ، وسائر أهلها يأكلون الذرة . والمقاتي نجود عندهم كثيرا ، والبقر والغنم عندهم أكثر شيء وأرخصه : تشتري في أودغست ١٠ أكباش بدينار وأكثر من ذلك ، وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة ولهم أسواق حافلة عامرة الدهركلة ، لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس ، وتجارتهم إنما هي بالتروليس عندهم فضة . وبمدينة أودغست مبان حسنة ومنازل رفيعة وأهلها أخلاط من جميع الأمصار ، وقد استوطنوها لكثرة خيرها ، ونفاق أسواقها وتجارتها . وحريم أودغست لا يوجد مثله في بلد ، يجلب منها جوارحان يبيض الألوان مائسات القدود ، لطاف ضخام الأرداف واسعات الأكتاف خبيقات الفروج ، المستمتع باحداهن كأنما يستمتع ب بكر أبدا ، من غير أن ينكسر لاحداهن ثدي طول عمرها .

(١) ب : وتكيل الحديد . (ب) ب : جواز .
(ج) «بلاد السودان» ناقصة في «ب» . (د) النص : بالترولاب . أنظر البكري ، ص ١٥٨

(١) البكري ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ؛ الإدريسي (ص ٣٢) يكتب بذكر اسم المدينة ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٩٩ مرصد الاطلاع (أودغست) ، ج ١ ص ١١٠١ دمشق ، ص ٢٣٨ ؛ ابن حوقل (أودغست) ، ص ٦٦

أخبرني ثقة من التجار (١) أنه رأى بمدينة أودغست امرأة راقدة على جنبها ، وكذلك يفعلن في أكثر أحوالهن لإشفاقا من الجلوس على أردافهن ، ورأى ابنا لها طفلا يلعب حوالها وهو يدخل تحت خصرها ويخرج من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له ، وذلك لعظم ردفها ورقة خصرها . ويجلب منها سودانيات طبائحات محسنات ، تباع الواحدة منهن بـ ١٠٠ دينار كبار وأزيد ، يحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلوات مثل الجوزينقات ، والوزينجات ، والقاهريات ، والكنافات والقطائف والمشهوات ، وأصناف الحلوات ، فلا يوجد أحذق يصنعها منهن . ومنها تجلب الدرق الحصيفة الجياد فإن اللط بأرض أودغست كثير جدا . يجلب أيضا منها العنبر الطيب لقربها من البحر المحيط ، ويجلب منها الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة . وذهب أودغست أجود ذهب الأرض وأصحها ، وكان صاحب مدينة أودغست في سنة ٣٥٠-٣٦٠ (٩٦١-٩٧١) (ب) رجلا من صنهاجة ، وكانت له جيوش كثيرة فدان له أزيد من ٢٠ ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية . وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة متصلة ، وكان يعتد في أزيد من ١٠٠٠٠٠ راجب نجيب فإن الخيل في تلك البلاد قليلة ، فيقال إنه غزا ملكا من ملوك السودان يقال له أوغام ، فدخل بلده وأحرقها وقتل جنده والملك في قصره ينظر إليه ، فلما رأى ما حل في بلده هان عليه الموت وخرج ورعى بدرفته إلى الأرض وقاتل حتى قتل . فلما عاين نساؤه ذلك تردبن في الآبار وقتلن أنفسهن بضروب من القتل أسفا على ملكهن وأنفة أن يملكهن البيضان . وبين مدينة أودغست ومجماسة نحو ٥٠ مرحلة ، ومنها إلى غانة نحو ٢٠ .

(١) ب : أخبرني الثقات . (ب) النص : في عشر وخمسين وخمسة . ولكننا أخذنا بمقالة البكري ، ص ١٥٩ ، والترجمة ، ص ٣٥١

ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة

ومجائبها ونبت من سير ملوكها^(١)

قال المؤلف رحمه الله : أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السودان بلاد جدالة^(٢) وأقرب مدينة من مدن السودان إليهم مدينة صَنَغَانَة^(٣) وهي مدينة عظيمة على النيل. وبين آخر بلاد جدالة وبين مدينة صَنَغَانَة مسيرة ٦ أيام، وهما مدينتان على ضفة نيل مصر ولها تين المدينتين نظر واسع وعمارات متصلة يقال إنه تتصل عمارتهما وقراهما بالبحر المحيط. وتلي مدينة صَنَغَانَة على النيل مدينة تَكْرُور^(٤) وكانوا على ما كان عليه سائر السودان في الجوسية وعبادة الدكاكير، وهي بلغتهم الأصنام، حتى وليهم وزجاي بن ياسين فجبرهم على الإسلام بالسيف وحارب السودان حتى أسلموا وذلك سنة ٤٣٥ [١٠٤٣-١٠٤٤].

مدينة سِلَى^(٥) : هي مدينتان على ضفة النيل وأهلها مسلمون أسلموا على يد وزجاي، رحمه الله، وملكها واسع المملكة كثير العدد يقاوم صاحب غانة. وبينها وبين غانة مسيرة ٢٠ يوما في عمارة متصلة للسودان القبيلة بعد القبيلة، وصاحب سِلَى يحارب من جاوره من كبار السودان، وتبايع أهل سِلَى إنما هو بالذرة والملح وحلق النحاس وأزر لطاف من قطن يسمونها الشيكيات^(١) وهي أنفق ما عندهم، وليس عندهم غنم ولا معز وأكثر نبات أرضهم الأبنوس ومنه يحتطبون. وبقرب مدينة سِلَى مدينة قَلَنْبُوا^(٦) وهي مدينة كبيرة

(١) ب : الشكيات، م : الشنكيات. ولكننا أخذنا بما كتبه البكري، ص ١٧٢

(١) الفصول الخاصة ببلاد السودان منقولة عن البكري، ص ١٧٢ وتابع.

(٢) البكري، ص ١٧٢. وقارن الإدريسي، ص ٥٩؛ الدمشقي، ص ٢٣٨؛ أبو الفدا الترجمة، ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦؛ O. Houdas؛ تاريخ السودان، النص، ص ٧٥، الترجمة، ص ٤٢

(٣) البكري، ص ١٧٢؛ الدمشقي، ص ٢٤٠

(٤) قارن الإدريسي، ص ٣؛ أبو الفدا، الترجمة، ج ٢ ص ٢٢٠؛ مرصده الاطلاع، ج ١ ص ٢٠٩

(٥) البكري، ص ١٧٢؛ قارن الإدريسي، ص ٣

(٦) البكري، ص ١٧٢

على ضفة النيل ، فإن النيل يشق جميع تلك البلاد ، ويسقى أكثرها . ومن عجائب تلك البلاد أن فيها حيواناً يشبه الفيل في عظيم خلقته وخرطومته وأنيابه ، يسمونه جفوي ويروى في البر ويأوى إلى النيل ، وبصطادونه فيأكلون لحمه ويصنعون من جلده الأسواط التي تسمى بالسرياقات ، ويقال لها بالاندلس ذنب الفأر . ومن هناك نحتمل الأسواط إلى جميع الآفاق ، ولهم في صيده حيلة فإنهم يميزون في النيل المواضع التي يأوى إليها هذا الحيوان [حيث] يتحرك الماء على ظهره لقلة استقراره ، وعندهم مزارق حديد قصار في أسافلها حلق قد شدت فيها حبال مديدة ، فيزرقونه بالعدد الكثير منها ، فيهرب منهم ويفرغون في أسفل النيل فيرخون له تلك الحبال فيضطرب حتى يموت . فإذا مات طفا على الماء فيجرونه إلى البر ، ويأخذونه . وتلى مدينة قلبوا مدينة ترنكة (١) (١) : وهي مدينة كبيرة على نظر واسع وبها تصنع الأزُرُ المسماة بالشكيات التي تنفق في مدينة قلبوا وغيرها ، وهي من القطن وليس بهذه المدينة قطن كثير وإنما هو مجلوب إليها ، وهم يتبركون بشجره فقل ما عندهم منزل ولا دار إلا وفيه شجرة قطن . وحكم أهل هذه البلاد في السارق أن يخبر صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله ، وحكمهم في الزاني أن يسلم من جلده .

ومن مدينة ترنكة تتصل ببلاد السودان إلى بلاد زافون (ب) (٢) وهم من البرابر لهم مدينة زافون ، سميت بهم . وهم يعبدون ثعباناً عظيماً له عرف وذنب ورأسه كراس البختي ، وهو في مغارة في أصل جبل ، وعلى فم المغارة عريش وحوله مواضع يتعبدون فيها لذلك الثعبان ، ويعلقون نفيس الثياب والمتاع على تلك المغارة ، ويضعون لذلك الثعبان جفان الطعام وعساس اللبن والشراب ، فهم إذا رأوا خروجه إلى ذلك العريش تكلموا كلاماً معلوماً عندهم ، وصفروا تصفيراً كذلك فيبرز إليهم . فإذا هلك وال من ولاتهم جمعوا أولاده ، إن كان له ولد ومن يصلح للملك بعده ، وقربوه من ذلك الثعبان وتكلموا بكلام يعلمونه ، فيدنوا ذلك الثعبان منهم فلا يزال يشمهم رجلاً رجلاً

(١) البكري (ص ١٧٣) : ترنقه . (ب) البكري (ص ١٧٣) : زافتوا .

(١) أنظر البكري ، ص ١٧٣

(٢) البكري ، ص ١٧٣ ، قارن معجم البلدان ، ج ٢ ص ٩٠٨ ، مرصد الاطلاع ،

ج ١ ص ٥٠٢

حتى ينطع أحدهم بأنفه ، ثم يولى ذلك الثعبان راجعا إلى مغارته ، فيتبعه ذلك الرجل والثعبان مسرعا إلى المغارة والرجل يجهد خلفه بالجري بأشد ما يقدر عليه ، فيجذب من ذنبه أو عرقه شعرات فتعد ويعلمون أنه يملك قومه تلك الشعرات سنين ، لا يخطئهم ذلك بزعمهم . وأقول إن هذه الفتنة فيهم إنما هي لأن الثعبان يُعَمَّرُ حتى يزيد على ١٠٠٠ سنة ، فنشأ على ذلك آباؤهم فلا يعرفون أوله ، والواضح لهذه الفتنة إنما أراد أن يملكهم بذلك ، وعقولهم في نهاية الركاسة ، فيصبح له منهم ما أراد - عصمنا الله من الفتن . وتلى هذه البلاد بلاد الفرويين (١) ، ومن غرائب بلدهم أن عندهم بركة عظيمة يجتمع فيها الماء ، ينبت فيها نبات أصله أبلغ شيء في تقوية الجماع والمعونة عليه ، وملك ذلك البلد يشح على إخراج من بلده لثلا يصل منه إلى غيره شيء ، وله من النساء عدد كثير ، فإذا أراد أن يطوف عليهن أنذرهن من قبل ذلك بيوم ، ثم استعمل ذلك الدواء ، فلا يكاد ينكسر عن الطواف عليهن كلهن . وقد أهدى له بعض الملوك المجاورين لبلده هذه هدية نفيسة ، واستهداه شيئا من ذلك العود ، فعاوضه على هديته وكتب إليه أن المسلمين لا يحل لهم من النساء إلا القليل ، وقد خفت عليك أن أبعث بهذا الدواء فلا تقدر على إمساك نفسك فتأتي ما لا يحل لك في شريعتك ، ولكني بعثت لك عودا يأكله العقيم فيولد له . وبلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم ، وفي هذه البلاد معادن الذهب ، ترابه أحمر يستخرج كما يستخرج الحديد والرصاص والنحاس والفضة ببلادنا .

ذكر بلاد غانة وما جاورها من البلاد (٢)

قبل إن غانة سمة لملوكها ، وإنما اسم البلد أوكتار (١) (٢) ، ووقع إلى كتاب ملكها إلى يوسف بن تاشفين ، نصه : إلى أمير أعمات ، قال غانة ؛

(١) ب ، م : وكان . أنظر البكري ، ص ١٧٤

(١) البكري ، ص ١٧٤

(٢) البكري ، ص ١٧٤ وتابع . قارن الإدريسي ، ص ٦ - ٧ ؛ بالقرت ، ص ١٢٤٠ البلدان ، ج ٣ ص ٧٧٠ ؛ مرآة الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٠٠ ؛ الدمشقي ، ص ٢٢٢ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢

(٣) البكري ، ص ١٧٤ ؛ الدمشقي ، ص ٢٤٠

وهذا دليل على ما قيل . ومدينة غانة مدينتان ، إحداهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، بينهما الدور والمساكن نحو ٦ أميال متصلة . وفي مدينة الرعية جامع كبير ومساجد كثيرة ، وفيها الأئمة المؤذنون والفقهاء والعلماء ، وحواليها آبار عذبة منها يشربون ، وعليها الخضر والمقاتي . ومدينة الملك تسمى الغابة ، وللملك بها قصر عظيم وقباب ، قد أحاط بذلك كله حائط مثل السور ، وعلى مقربة مجلس حكم الملك ، وحول قصره قباب وغابات وشعراء يسكنها السحرة وأهل ديانتهم ، وفيها دكا كبيرهم وقبور ملوكهم ، ولها حرس فلا يمكن أحد من الغرباء دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك فإذا سجن أحدا انقطع خبره . وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من تجار المسلمين . والملك يجلس للناس للحكم في قبة عظيمة وأمام القبة عشرة أفراس من عتاق الخيل ، وعليها الحلل المذهبة من الحرير والديباج على عديمها ببلادهم . والملك يتحلى بحلى النساء (١) في عنقه وفراجه ، ويحمل على رأسه طرطورا مذهباً ويعمم عليه عمامة قطنية ، وعن يمينه وعن يساره أبناء الملوك والوزراء وخاصته من أعيان بلده ، قد ضفروا رؤوسهم بالذهب والجوهر وعليهم الثياب الرفيعة . ولا يلبس ثوبا مخيطا من أهل دينه إلا هو وولي عهده ، ومن سواهما يلبسون ملاحف الحرير والديباج ، وسائر أهل بلده يلبسون ملاحف القطن . والملك وسائر أهل بلده الذين على ديانتهم يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن رؤوسهن . ولا يولى الملك عهده إلا لابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع بصحة اتصاله به ، وإذا جلس الملك في قبه لمظالم الناس ينثرون لجلوسه بطبل عظيم يسمونه دُبا (ب) ، وهو خشبة طويلة منقورة قد جلدوها لها صوت هائل يجتمع الناس إليه ، فإذا دنا منه أهل دينه جثوا على ركبهم وحشوا التراب على رؤوسهم . وأما المسلمون فتحببهم عليه تصفيق باليدين ، وجلوس الوزراء أمامه إنما هو على الأرض تواضعا للملك . وإذا مات الملك عملوا له قبة ووضعوا له الأطعمة والأشربة وكل من كان يخدم طعامه وشرابه ، وأغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوقها الحصى والأمتعة ، واجتمع الناس فردموا فوق القبة بالتراب حتى يأتي الموضع مثل الجبل الضخم ، ثم يحتفرون حوله حفيرا

(١) القراءة في «ب» كالآتي : والملك يتجلى على النساء .

(ب) ب : دري ، م : ديي . البكري ، ص ١٧٦

عظيما وعرا حتى لا يتوصل إلى ذلك الكوم ولا إلى شيء منه إلا من موضع واحد . ولملك غانة مملكة واسعة نحو الشهرين في مثلها ؛ وفي بلده يوجد الذهب الكثير ، وهو يعم جميع بلاد الدنيا وأفضل الذهب بمملكته ما كان يبلد غياروا .

مدينة غياروا (١) : بينها وبين غانة نحو ٢٠ يوما متصلة بقبائل من السودان لا يحصى لهم عدد ، وإذا وجد في جميع معادن بلاد هذا الملك النادرة من الذهب اصصفاها (١) الملك لنفسه ولم يتركها تخرج من بلده لغيره . والنادرة تكون من أوقية إلى رطل وإنما يتركون أن يخرج من بلادهم من الذهب ما كان رقيقا ، ولو تركوا كل ما يوجد في المعادن يخرج من بلادهم لكثير الذهب بأيدي الناس ولهان . ويذكر أن عند ملك غانة نادرة ذهب كالحجر الضخم ؛ وقد ذكر أن عند بعض ملوك السودان من هذه الندرات حجر عظيم يجعل أمامه ، فإذا ورد عليه رسل من غيره من الملوك أمر بفرسه فربطه إليه ليأهى بذلك . وبين مدينة غياروا والنيل ١٢ ميلا وفيها كثير من المسلمين ؛ وفي القرب منها على النيل مدينة بريسسى (ب) (٢) : وهي مدينة كثيرة الخيرات ولها معدن للذهب عظيم معروف في بلاد السودان . ومن أعجب شيء في هذه المدينة أن فيها معرا قصارى وعندهم شجر معلوم فتحتك هذه المعز إلى تلك الأشجار فتلقح من غير ذكر ، ويلدحون ذكرا المعز ويستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل ، وهذا معلوم عندهم غير منظور ؛ حدث بذلك من دخل بلادهم من التجار والثقات ، وهذا مثل جزيرة النساء التي ذكر المسعودي (٣) . ومن أعمال مدينة غانة ونظرها مدينة سامة (٤) ، ويعرف أهلها بالبكم ، بينها وبين غانة مدة أربعة أيام . وهم يمشون عراة إلا أن المرأة تستر فرجها بسيور مصفورة ، ونساؤهم يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الرأس . حدث رجل ثقة ممن دخل

(١) ب ، م : استصفاها . (ب) م : برسي . (ج) م : ساسة .

(١) البكري ، ص ١٦٧ ؛ قارن الإدريسي (غيار) ، ص ٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٤٠

(٢) البكري (أرزي) ، ص ١٨٧ ، قارن الإدريسي (بريسة) ص ٤ ؛ أبرالفدا ، الترجمة

ج ٢ ص ٢٢٠ ، الدمشقي (برسا) ، ص ٢٤٠

(٣) نجد قصة جزيرة النساء في كتاب ابن وصيف شاه (Carra de Vaux, Abrégé des)

(Merveilles) ، الترجمة ، ص ١٧٩

(٤) البكري ، ص ١٧٨ ، قارن الإدريسي (سامه) ، ص ٢٤

تلك المدينة إنه رأى منهن امرأة وقفت على رجل من العرب له لحية عظيمة طويلة ، فتكلمت كلاما لم يفهمه العربي ، فسأل الترجمان عن مقالها فأخبره إنها تمنّت أن يكون شعر لحيتها في عانتها ، فغضب الأعرابي وأوسعها سبا . ويورث الرجل أكبر بنية ماله كله ويحرم الغير ولو كان أحب إليه . ولهم حذق بالرماية ويرمون بالسهام المسمومة . وبغربي غانة مدينة أنبارة (١) : وهي مدينة كبيرة ولأهلها بأس شديد في الحروب ، وهم معاندون لملك غانة وإليها تسعة أيام .

مدينة كوغة (٢) : وأهلها مسلمون وحواليها المشركون ، وأكثر ما يتجهز إليها بالملح والودع والنحاس المسبوك والتاكوت وهو أنفق شيء عندهم للديع به . وحواليها معادن الثبر ، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا . وبالقرب منها مدينة التوكن (٣) : وهي مدينة عظيمة يقال إن ملكها المعاصر لنا مسلم يخفى إسلامه . وبلاد غانة قوم يسمون بالهنيئين ، من ذرية الجيوش (١) الذي كان بنوا أمية أنقلوه إلى غانة في صدر (ب) الإسلام إلى بلاد السودان ، وهم بيض الألوان حسان الوجوه لا يتناكحون في السودان كثيرا . وإذا سرت من غانة إلى جهة الشرق فلأنك تسير في بلاد السودان كثيرا (ب) وفي قبائل من البربر رحالة وهم مسلمون . وتسير مراحل كثيرة على النيل إلى مدينة تيرقي (ج) (٤) : وهي مدينة عظيمة لها أسواق حافلة يجتمع فيها أم كثيرة من بلاد متفرقة من بلاد غانة وتادمكة وغيرها . وتعظم السلاحف بأرض تيرقي حتى تخرج عن القياس ، وهي تحفر في الأرض أسرابا يمشي فيها إنسان ، وهم يأكلونها فلا يستطيعون إخراج واحد منها من تلك الأسراب إلا بعد شد الحبال فيها واجتماع

(١) النص : يسمون بالهنيئين من ذرية الحسين . أنظر البكري ، ص ١٧٩

(ب) الجمل الواقعة بين «ب» ، «ب» ناقصة في ب .

(ج) النص : يتزكى . أنظر البكري ، ص ١٨٠

(١) البكري ، ص ١٧٩ ، قارن الإدريسي (نيرنته) ، ص ٣٥

(٢) البكري ص ١٨٩ ، قارن الإدريسي ، ص ١٠ ، الدمشقي (مجالات كوغة) ، ص ٢٤١

(٣) البكري ، ص ١٧٩

(٤) البكري ، ص ١٨٠ ، قارن الإدريسي ، ص ٨

العدد الكثير . حدث رجل ثقة من المسافرين في ذلك الطريق أن قوما انزلقوا في بعض طريق تيرقي فغرسوا متاعهم ، وبذلك الطريق الأرضة كثيرة وهي تفسد ما وجدت من متاع أو غيره ، ولها بذلك الطريق أجحار^(١) وتخرج من التراب أكواما فوق أجحارها ، ومن العجب أن ذلك التراب يرى ندى والماء هناك غير موجود على أبعد حفرة ، فلا يضع التجار أمتعتهم إلا على الحجارة المجموعة أو الخشب . فلما نزل أولئك التجار بذلك الموضع ارتاد كل واحد منهم لمتاعه تحزننا من الأرض أو حجرا ، فبدر أحدهم بالليل إلى صخرة كبيرة فيما ظن فأنزل عليها متاعه وكان وقر بعيرين ، ثم نام بقرب رحله فلما انتبه من نومه سمعرا لم يجد الصخرة ولما كان عليها ، فارتاع فنادى بالويل والحرب فاجتمع إليه أهل القافلة يسألونه عن خطبه ، فأخبرهم . فقالوا لو طرقتك لص لذهب بالمتاع وبقيت الصخرة ، فنظروا أثر سلحفاة ذاهبة بالموضع فاقتفوا أثرها ومشوا أميالا حتى أدركوا السلحفاة وحمل المتاع على ظهرها وهي تنهض به في غير تكلف . فاعجب من عظم هذه السلحفاة التي تحمل وقر جملين .

ومدينة تيرقي على النيل ومن هناك يرجع نحو الجنوب . وبلى مدينة تيرقي إلى ناحية المغرب مدينة تادمكة^(١) : وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أشبه البلاد بمكة كرمها الله ، ومعنى تاد عندهم هيئة : على هيئة مكة . وأهلها بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء ، وعيشهم من اللبن واللحم وليس عندهم قح ولا شعير ، وعندهم حب تنبت الأرض من غير حرث يشبه الدرة . ولباسهم الثياب القطن المصبغة ، وملكهم يلبس الثياب الملونة فتكون عمامته حراء وقميصه أصفر وسراويله زرق وما أشبه ذلك . ودنانيرهم تسمى الصلح لأنها من ذهب محض غير مختومة ، ونساوهم فائقات الجمال لا يعدل من نساء بلد حسنا . والزنا عندهم مباح وهن يتلقين التجار إذا أقبلوا إلى بلدهم ويتقارعن على الرجل الجميل منهم أسن تحمله إلى منزلها . وبين مدينة تادمكة وغانة نحو ال ٥٠ مرحلة ، وبينهما مدين وعماير للسودان والبربر . فلذا سرت من غانة تريدها فأول ما تلتى مدينة سسجنجوا^(١) (٢) : وهي على

(١) البكري (ص) ١٨١ : سقنقوا .

(١) أنظر فيما سبق هامش ١ ص ١٤٦

(٢) البكري ، ص ١٨١

٣ مراحل من غانة، وهى على النيل وهى آخر عمل غانة إلى الجنوب. ثم يصب النيل في مدينة بُوغَرَات (١) : يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمراصة. أخبر الفقيه عبد الملك أنه رأى في بوغرات طائرا يشبه الخطاف يفهم من صوته قتل الحسين، يكون ذلك مرارا ويقول بكربلاء مرة واحدة، قال الفقيه سمعته وأنا ومن حضر من المسلمين معي. ثم من بوغرات إلى تيرقي المتقدم الذكر ثم إلى تادمكة. وإن أردت الطريق من تادمكة إلى القيروان فإنك تتوجه إلى ناحية الشمال، وتسير في صحراء نحو ٥٠ يوما إلى بلد وارجلان (٢) في طرف الصحراء مما يلي إفريقية: وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن (١) معناه بلاد الشهود، وفيه حصن اليهود. وهى بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه، ولها أعجوبة ليست في موضع من الأرض: يحفر الرجل بئرا يقوم حفره به ١٠٠ دينار وأزيد فإن أرضهم صلبة، والماء بعيد يدرك على أزيد من ٦٠ قامة، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد، فيستبشر عند وجوده، ويطعم أوليائه فرحا. ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة وينقره فيفور الماء فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه، ويبقى الماء يفور على مر الدهور، وهكذا هي جميع آبارهم، وهم يسقون جناتهم وزرعهم ونخلهم. وتضرب ببلد وارجلان دنابر على نوع المرابطة، لكنها نازلة فيها تحميل كثير، والدنابر الورجلانية مشهورة (٣). ومن ورجلان إلى بلد الجريد نحو ١٤ يوما، ومن بلاد الجريد إلى القيروان ٧ أيام، وأهل القيروان بربر، وفيهم جمال كثير، ولاسيما نساؤهم، موصوفات بالحسن. ومن بلاد وارجلان إلى غدامس نحو ٢٠ يوما في صحراء قليلة الماء، وفي هذه الصحراء معدن حجارة تشبه العقيق، وربما كان في الحجر الواحد منها ألوانا من الحمرة والصفرة والبياض، وهذا

(١) النص : أغرم أى نيكان. أنظر البكري، ص ١٨٢

(١) البكري، ١٨١. أنظر الترجمة، ص ٣٩٣ والهامش عن « أبو محمد عبد الملك ».

(٢) البكري، ص ١٨١؛ قارن الإدريسي (ورتلان)، ص ١٢٠ - ١٢١؛ المشق،

ص ٢٢٩؛ مراصد الاطلاع، ج ٣ ص ٢٨٤

(٣) قارن البكري، ص ١٢١؛ أنظر Faguan، هامش ١ ص ٢٠٩

الحجر أنفس شيء ببلاد السودان ، غانة وغيرها ، وهو عندهم مثل الياقوت وأجل . وربما وجد من هذا الحجر في النادر حجر كبير ، وإذا وصل به إلى أهل غانة تغالوا في ثمنه ، وبذلوا فيه الرغائب ، وهذا الحجر مثل الياقوت لا يعمل فيه الحديد شيئا ، وإنما يصنع ويثقب بحجر آخر يسمى تنواس كما يصنع بالياقوت ، ويثقب بحجر السبادج . ومعدن هذا الحجر لا يظهر حتى يذبح الإبل وينضح الموضع بدمها ، فحينئذ تظهر هذه الحجارة وتلقت . وفي هذه الصحراء أيضا معدن الشب الأبيض الطيب^(١) الذي لا يوجد مثله ببلد ، ومن هناك يحمل إلى جميع البلاد . ومن تادمكة أيام إلى مدينة كوكوا^(٢) : وهي مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم عدد ، وهي على النيل ، ويقال إنما سموا كوكوا ، لأن الذي يفهم من نعمة طوبهم كوكوا ، وكذلك يذكر عن بلد زويلة إن الذي يفهم من نعمة طوبهم زويلة . ومن سار من مدينة كوكوا على شاطئ البحر غربا انتهى إلى مملكة يقال لها الدمدّم^(٣) ، يأكلون من وقع إليهم من البيضان ، ولهم مملكة كبيرة وبلاد واسعة . وفي بلادهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة وهم يعبدونه ويحجبونه . ومن غرائب بلاد السودان ، أنه ينبت عندهم في الرمال شجرة طويلة الساق دقيقة ، يسمونها توريري ، لها ثمر كبير متفخ ، داخله صوف أبيض يغزل ، ويصنع منه الثياب والأكسية فلا تؤثر النار فيها . أخبر بذلك من أخبره الفقيه عبد الملك ، أن أهل اللامس^(٤) من بلاد السودان ليس لهم لباس غير هذه الثياب ، وأخبر أنه لو وقدت النار على هذه الثياب الدهر كله لم تؤثر فيها شيئا ، غير أن النار تغسل من أوساخها ، ومن هذا النوع الحجارة بوادي درعة ، وقد تقدم ذكرها .

(١) ب : الاندلس ، م : الأس . أنظر البكري ، ص ١٨٣

(٢) قارن البكري ، ص ١٨٣ ؛ الإدريسي ، ص ١٢

(٣) البكري ، ص ١٨٣ ؛ الإدريسي ، ص ١١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٢٩ ؛ الدمشقي ، ص ٢٤٠ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢

(٤) البكري ، ص ١٨٣ ؛ الإدريسي ، ص ٣٨ (المل) ، ص ٤ ؛ الدمشقي ، ص ٢٤١ ؛

أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢٢٥

قال الناظر : هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع ، ولقد أحسن واضعه ،
ورتب ما حقق ، وهذا لعمرى أقرب وأخصر من غيره ، ففيه ما في غيره ،
وليس في غيره ما فيه . وحقت وطرزت كتاب الواضع بما قيدت في هذه
المواضع ، وأنا مؤمل أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوي على ذكر بلاد
المغرب وممالكها (١) إلى هذه الأيام السعيدة الإمامية ، وأضيف إليها
ما رفعتة للحضرة العلية من مفاخر هذا الأمر العالي - أيد الله دوامه
سنة ٨٠ [٥] [= ١١٨٤] وهو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشافة
الأعداء ، إلى حيث يبلغ بي الزمان . فهو عملي وسعي ، ونصبي من الجهاد
ورأى ، إذ هو من أعمال القلوب ، الماحية لما خط من الذنوب ، والله تعالى
يجعله عملاً مقبولا لديه ، فالاعتقاد ، والتكلان عليه ، لا رب سواه .

صلى الله على نبيه محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً
إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هنا ينتهي المخطوط «ب» .

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة

٣٣	صفة مسجد المزدلفة
٣٤	صفة المشعر الحرام
٣٥	صفة عرفة وجبل الرحمة
٣٥	صفة شريعة ابراهيم
٣٦	صفة بطن محسر
٣٦	صفة المازمين
٣٧	صفة مسجد النبي
٣٨	صفة الروضة التي بين القبر والمنبر
٣٨	صفة الروضة التي فيها قبر النبي
٣٩	صفة المنبر
٤٠	صفة المهراب
٤٠	عدد أبواب مسجد النبي
٤١	عدد ما في المسجد من العمدة
٤١	عدد ما فيه من القناديل
٤٢	صفة بقيع المدينة
٤٢	صفة مسجد قبا
٤٣	صفة قبور الشهداء
	ذكر بلاد مصر وما فيها من
٤٥	العجائب
	نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن
٥٠	عمارتها
٥٣	بناء الأهرام
٥٦	حديث الثلثة (التي في الهرم)
٥٧	[بعض أخبار عن الأهرام (مغامرات)]
٦٤	ذكر الملك شوندين
٦٥	ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان
٧٤	ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف
٧٨	ذكر فتح مصر
٨٢	ذكر المشهور من مدن أرض مصر

الصفحة

أ	مقدمة
١	خطبة الكتاب
٤	ذكر حدود حرم مكة
	وصف مكة وأرباضها وأسماء الجبال
٥	المحيطة بها
٩	عدد أرباض مكة
١٠	ذرع الكعبة
	صفة البيت من داخله وفضله وفضله
١٣	الصلاة فيه
١٥	صفة سقف البيت وعمده
١٦	صفة باب الكعبة وذرعه وعتبته
	صفة الحجر الأسود وارتفاعه في
١٧	الركن وفضله
١٨	صفة الطهر وذرعه
١٩	صفة المقام
	صفة زمزم وذرعها وذرع قبتها وما
٢١	فيها من الماء
٢٣	صفة قبة الشراب
٢٣	صفة بيت اليهودية
٢٣	صفة المسجد الحرام وذرعه
٢٤	عدد أبواب المسجد الحرام
	عدد سوازي المسجد الحرام وذكر
	معجزة النبي في ابتياعه السارية
٢٧	الحمرات
٢٨	عدد قناديل المسجد الحرام
٢٩	صفة الصفا والمروة
٢٩	ذرع المصى
٣٠	صفة منى والجمرة ورميها
٣٣	صفة مسجد الحيف

الصفحة

٨٢	مصر الفسطاط
٨٣	القاهرة
٨٣	منف
٨٤	دلاص
٨٤	إخيم
٨٤	عين الشمس
٨٥	أنصينا
٨٥	قوص
٨٧	قفط
٨٧	أسوان
٨٧	تنيس ودمياط
٨٩	الفرما
٨٩	رشيد
٩٠	الفيوم
٩٢	الإسكندرية
٩٦	صفة المنارة
١٠٤	انتصار صلاح الدين على الصليبيين ..

ذكر المشهور من المدن

والمعالم من بلاد مصر إلى آخر بلاد

١٠٩	المغرب
١٠٩	سرت
١١٠	أطرابلس
١١٢	قابس
١١٣	القيروان
١١٥	صبرة
١١٦	رقادة
١١٦	سفاقس
١١٧	المهدية
١١٨	تماجر
١١٩	جلولاء
١١٩	سوسة
١٢٠	تونس
١٢١	قرطاجنة

الصفحة

١٢٥	بنزرت
١٢٦	طبرقة
١٢٧	بونة - القل
١٢٨	جيجل - بجاية
١٣١	مرسى الدجاج
١٣٢	جزائر بني مزغناي
١٣٢	لفاية شرشال
١٣٣	تنس - قصر الفلوس - وهران ..
١٣٤	أرشبول - أسلي
	فكان - حصن زيان - ندرومة -
١٣٥	ترنانا
١٣٦	عجروود - فكري
١٣٧	تيطوان - سبتة
١٣٨	طنجة
١٣٩	أصيلا
١٤٠	تنس تشومس - سلا

ذكر البلاد الصحراوية

والتي تقرب من الصحراء بمرحلة
أو أكثر من الاسكندرية إلى آخر بلاد

١٤٢	المغرب
١٤٢	المنى
١٤٣	برقة
١٤٤	أجدابية - شروس
١٤٥	غدايس
١٤٦	زويلة
١٤٧	بلاد الواحات

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

١٥٠	حامة مطاطة
١٥٠	قفصة

ذكر كورة قسطنطينية من بلاد الجريد

١٥٥	قوزار
١٥٦	نقطة - تقيوس
١٥٧	الحامة - نفزاوة - طرة - بشرى
١٥٨	أيتملين
١٥٩	درجين

دخول العلويين بلاد المغرب ١٩٤ /

ذكر ارتداد برغواطه

ومن دخل معهم من قبائل

البربر عن الاسلام ... ١٩٧

تادلا - ثليث - سجلماة ... ٢٠٠

ذكر السبب في ثورة الداعي

ودخوله سجلماة ... ٢٠٢

درعة ... ٢٠٦

أغوات ... ٢٠٧

مدينة نفيس - مرآكش ... ٢٠٨

تفروجة ... ٢١٠

ذكر بلاد السوس الأقصى ٢١١

ذكر بلاد السودان ومدنها

المشورة وعجائبها ونبل من سير

ملوكها ... ٢١٧

تزنكة - زانفون ... ٢١٨

ذكر بلاد غافة ... ٢١٩

غياروا - يرسى - سامة ... ٢٢١

أنبارة - كوغة - الوكن ... ٢٢٢

قيرقي - تادمكة - سجنجوا ... ٢٢٣

كوكوا ... ٢٢٥

خاتمة الكتاب ... ٢٢٦

فهرس الأشخاص والأماكن وغيرها ٢٢٠

المراجع المذكورة في الهوامش ... ٢٤٧

نصويات ... ١٥٣

باجة ... ١٦٠

آسية - سجانة ... ١٦١

مرماجة - تبسا ... ١٦٢

بالهاية ... ١٦٣

جبل أوراس - طنفة - الموس -

شقبارية ... ١٦٤

قسنطينة ... ١٦٥

ميلة ... ١٦٦

الفدير - قلعة أبي طويل ... ١٦٧

الخير ... ١٧٠

مليانة - الحضراء - بلاد الزاب -

المسيلة ... ١٧١

نقاوس - طينة ... ١٧٢

بسكرة ... ١٧٣

تهودة ... ١٧٤

باريس ... ١٧٥

ذكر المغرب الأوسط - تلمسان ١٧٦

وادة - أجر سيف ... ١٧٧

تاهرت - قلعة هوارة ... ١٧٨

ذكر بلاد المغرب ... ١٧٩

فاس ... ١٨٠

رباط تازا ... ١٨٦

مكناسة الزيتون ... ١٨٧

جنياره ... ١٨٨

مكرت - صنهاجة ... ١٨٩

قلعة ابن جندوب - غمارة ... ١٩٠

صفروى - تاسفمرت ... ١٩٣

فهرس أسماء الاشخاص والأماكن وغيرها •

(١)

أبو الحسن بن حرزهم ... ١٨٢
أبو خالد يزيد بن الياس ... ١٩٦
أبو زبا الفارسي ... ١١١
أبو العباس (أخ الداعي) ... ٢٠٥-٢٠٤
أبو عبد الله الداعي ... ٢٠٢-١٢٨-١١٧
٢٠٥-٢٠٤-٢٠٢
أبو عبيد [عبد الله] البكري ... ١٢٣-٨٩
٢٠٧-١٩٨-١٢٤
أبو عبيد الله الملسوني ... ١٧٣
أبو عفير عماد بن يونس ... ١٩٨
أبو عمران بن يحيى بن وقتين ... ٢
أبو القاسم (الشيخي) ... ٢٠٦-٢٠٥-٢٠٤
أبو قبيس ... ٢٩-٢٥-٢٤-٥
أبو كسية ... ١٩٢
أبو المهاجر ... ١٧٥-١٧٤
أبو المنصور بن القاسم بن مدّ رار ... ٢٠١
أبو مخلف ... ١٩١
أبو يزيد الخارجي ... ٢٠٦-١٧٢
أبو يعقوب (أنظر يوسف) ...
أبو يوسف (أنظر يعقوب) ...
الأتراك ... ١٠٤
أجدابية ... ١٤٤
أجرّ سيف ... ١٧٧
الجلندا ... ١٢٠
أجياد الكبير ... ٢٤-٨
أحد ... ١٧٤-٤٤-٤٣-٣
أحمد بن الأظلب ... ١١٦-١١٥
الأختين (قلعة) ... ١٢٢
الأخشبان ... ٥
إخيم ... ٨٤-٦٢-٦١-٦٠-٥٧

الإباضية ... ١٤٤
أبراحش ... ٧٢-٧١
أبراهيم الخليل ... ٧١-٧٠-٣١-١٢
أبريت ... ٨٨-٧١
الأبطح ... ١٠-٦
ابن الأندلسي (أنظر علي بن حمدون) .
ابن الجزار ... ١١٦
ابن الحجاب (أنظر عبيد الله) ...
ابن الرقيق ... ١١٤
ابن عباس ... ١٩٨-٦٥-٢١
ابن عبد الحكم (أنظر عبد الرحمن بن عبد الله) .
ابن عفر ... ٩١
ابن القمر ... ٦٢
ابن طولون ... ٢٠٤-١٠٢
ابن المدر ... ٨٩-٦٠
ابن مدّ رار ... ١١٧
ابن منقذ (أنظر عبد الرحمن بن محمد) ... ١٠٧
ابن وصيف - شاه (أنظر الوصيفي) ...
ابن ياسين (أنظر عبد الله) ...
أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان
التوفلي ... ١٩٧-١٩٦
أبو بكر ... ٣٨-١٠-٨
أبو بكر البكي ... ١٨٣-١٨٢
أبو بكر بن عمر المتوفى ... ٢٠٩
أبو بكر محمد بن الطيب ... ٢٠٥
أبو نعيم الجهاني ... ٨١
أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبيب ... ١٢٤
أبو جعفر حفص (البرغواطلي) ... ١٩٨
أبو جعفر المنصور (العباسي) ... ٨٢

• وضعت الشرطة (-) بدلا من الفاصلة (،)

١٢٤-١٢٨-١٣٣-١٣٩-١٤٣
١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥٣-١٥٤
١٥٥-١٥٦-١٦٠-١٦١-١٦٢
١٦٣-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٧٧
١٧٥-١٧٩-١٩٤-٢٠٦-٢١٢

٢٢٤

أقريطش ... ٩٢
أقطي ... ١٣٦
أقناني (بحر) ... ١٤٢
أكلف ... ٢٠١
اللامس ... ٢٢٦
الاقنت ... ١٣٢
آل عمر ... ٤٠
الهام بن صالح بن طريف ... ١٩٨
أم أيمن ... ٤٣
أمرجوا (حصن) ... ١٩٠
أسنا ... ١٤٠
أنبارة ... ٢٢٢
أنبيل ... ١٢١
الأندلس ... ١٢٤-١٠٣-٨٦-٧٧-٦٩
١٢٦-١٣٣-١٣٧-١٣٨-١٤٠
١٤١-١٥٤-١٧٢-١٧٧-١٧٩
١٨٠-١٨١-١٩٣-١٩٦-١٩٨
٢٠١-٢١٢-٢١٨

أنصنا ... ٨٥
انكجوردة ... ١١٧
أنوش ... ٨٥
الأهرام ... ٣-٥٢-٥٥-٥٦-٥٧-٦٣
٩٤-١٠٣

أودنخت ... ٢١٥-٢١٦
أوربة ... ١٩٤
أورغام ... ٢١٦
أوكار ... ٢١٩
أولاد برنوس ... ١٨٨
أولاد عطوش ... ١٨٨
أويات ... ١٢٧
أياس ... ١١٠

٢٣٩

إدريس الأول (العلوي) ١٩٤-١٩٥-١٩٦

إدريس بن إدريس ... ١٨٠-١٨١-١٩٦

إدريس بن علي بن حمود ... ١٩٧

آدم ... ٥٥

الأرض الكبيرة ... ١١٧

أرسوف ... ١٠٦

أرشبول (أرشبول) ... ١٣٤-١٧٧

إرم ذات المهاد ... ٩٢-١٠١

أريس الواح ... ١٤٨

الأزقاق (موسى) ... ١٢٧

أزوارا ... ١٧٨

اسحق الخطيب ... ١١٦

اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ... ١٩٤

أصر (نهر) ... ١٧٧

الإسكندر ... ٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٨

الإسكندرية ... ٣-٤٥-٦٣-٧٢-٧٩

٨١-٩١-٩٢-٩٧-٩٩-١٠٠-١٠١

١٠٢-١٠٤-١٠٦-١٠٩-١٣٠-١٤٢

١٤٣

امكندرية (الشام) ... ١٠٦

أصل ... ١٣٤

اسماعيل (الشمي) ... ١١٥-١٧٢

اسماعيل بن ابراهيم الخليل ... ٣١

أسوان ... ٤٥-٤٧-٨٥-٨٧

أشبرتال ... ١٤١

أشبيلية ... ١٩٧

أشعوم مياط ... ٦٣

الأشمون ... ٨٥

أشير ... ١٧٠

أصطخر ... ٧٧

أصيلا ... ١٣٩

أطرابلس ... ١١٠-١٤٧-١٥٠-١٧٥

أغرم إن يكائن ... ٢٢٤

أخات ... ٢٠٧-٢٠٨-٢١٩

الافرنج ... ٦٩-٨٦-١٥٥

إفروجي (أنظر فروجة)

إفريقية ... ٣-٦٩-٩٢-١١٠-١١١-١١٢

١١٣-١١٤-١١٧-١٢١-١٢٢

باب الميم (مرسى) ... ١٣٨
باب النبي ... ٢٥
باب النجارين ... ١٨١
باب الوادي ... ٢٩
باب اليمانيين ... ٢٥-٢٤-١٠
باجة ... ١٦٠-١٢٦
باجة الأندلس ... ١٦٠
بادس ... ١٧٥
باديس ... ١٣٦
باديس بن حبوس بن بلجين ... ١٦٨
بانغاية ... ١٦٩-١٦٤-١٦٣
بانكسوت ... ١٦٣
البجاة ... ٨٥
بحاية ... ١٦٨-١٣١-١٣٠-١٢٩-١٢٨
٢٠٣-١٧٢
بحردة (أو مجردة) ... ١٢١
بدر ... ١٧٤
بدرسانة ... ٦٣
البدنة (نوع من الثياب) ... ٨٨
البرانس ... ٢٠٠
برباط ... ١٩٨-١٩٧
البربر ... ١٣٤-١٣٣-١١٤-١٠٩-٦٩
١٤٤-١٤٢-١٣٩-١٣٦-١٣٥
١٦٠-١٥٦-١٥٥-١٤٧-١٤٥
١٧٤-١٧٢-١٧١-١٦٩-١٦٦
١٨٦-١٨٤-١٧٨-١٧٦-١٧٥
١٩٧-١٩٦-١٩٤-١٨٨-١٨٧
٢٢٣-٢٢٢-٢١١-١٩٨
بربرتي ... ٥٨-٥٧-٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٣
٨٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠
برج بن زواج (بقفصة) ... ١٥١
بردة ... ٩١
برغواطة ... ٢٠٩-٢٠٧-١٩٨-١٩٧-١٩٣
برسان ... ٥٢-٥٠
برقة ... ١٤٦-١٤٣

أيام التشريق ... ٣١-٧
ايتملين ... ١٥٨
أيجل ... ٢١٣-٢١٢
إيطالية ... ١١٧
أينريطوق ... ١٦٣
ايמוש ... ٧٣
أيونا ... ٢١٤

(ب)

باب ابراهيم ... ٢٩-٢٥-٢٤
باب أشثوم ... ٩٧
باب البقالين ... ٢٥
باب بني شبة ... ٢٩-٢٦
باب بني طلحة ... ٢٥
باب بني مخزوم ... ٢٥
باب تونس ... ١١٥
باب جبريل ... ٣٠-٣٨
باب جعفر ... ٢٧-٢٥
باب جمع ... ٢٩-٢٤
باب الحياطين ... ٢٥
باب دار الندوة ... ٢٩-٢٤-٢٣
باب الرحة ... ٤٠-٣٧
باب السدة ... ٢٧-٢٤
باب السهميين ... ٢٤-٢٣-٦
باب السواري ... ٢٩-٢٦
باب الصفا ... ٢٩-٢٥
باب الطبري ... ٢٧
باب علي بن أبي طالب ... ٢٥
باب العمرة ... ٢٤
باب عين الشمس (بباجة) ... ١٦٠
باب الغرب (جبل) ... ١٣٢
باب الفزالين ... ٢٥
باب القصر ... ١٧٦
باب الكعبة ... ١٦
باب مضرب السيل ... ٣٢
باب منى ... ١٠-٦

بنو عُبيد (والعبيديون الشيعة) ٧٥
 ٩٧-١٦٧
 بنو مذحج ٢
 بنو مرة ١٤٨-١٥٠
 بنو مروان ٨
 بنو مسكين ١٢٢-١٢٤
 بنو موسى ٩٨
 بنو الناصر ٠٢
 بنو هلال ٧٩
 بنو واثقين ٨٤
 بنو واعم ٢٠٠
 بنو واكمت ٢٠٠
 بنو وانسيت ٢٠٠
 بنو ورزيقة ١٨٨
 بنو فوزغ ٢٠٠
 بنو ريط ١٧٦
 بنو صير ٦٢
 بنو غرات ٢٢٤
 بنو ١٢٧
 بنو ١٨٩
 البيت الحرام ١٢-١٣-١٩
 بيت المقدس ١٠٤-١٠٦-١٠٦
 بيروت ١٠٦
 بنو ابراهيم ٢٥
 بنو أبي الكنود ١١٠
 بنو غلوة ٢٥

(ت)

تانتال ٢١٤
 تاندلا ٢٠٠
 تاد مكة ١٤٦-٢٢٢-٢٢٤
 تارودانت ٢١١
 تازا ١٧٦-١٧٩-١٨٦
 تاسمرت ١٩٣

برقال ١٢٨
 بسكرة ١٧٣-١٧٤
 بسول (بحر) ١٢٧
 بشري ١٥٧
 البصرة (بمراكش) ١٨٩
 بطن عركة ٢٥
 بطن عسر ٢٦-٢٤-٢
 بقيق المدينة ٤٢-٢
 بقيق مكة ٧
 بطن المسيل ٢٦
 بلجين بن زيري بن مناد ١٦٧
 البلهرى ٨٦
 بليونش ١٢٦-١٢٧
 بنزرت ١٢٥
 بنطابلس ١٤٢
 بنو أبي قاض ٢٠٠
 بنو إدريس ١٢٦-١٢٧-١٩٣-١٩٦

١٩٧

بنو إسرائيل ٧٧
 بنو أمية ٢١٣-٢٢٢
 بنو برزال ١٧٢
 بنو بيل ١٨٨
 بنو بهلول ١٥٧
 بنو قاسيت ٢٠٠
 بنو قانيت ٢٠٠
 بنو قليت ٢٠٠
 بنو حاد ١٦٦-١٦٧-١٦٨
 بنو دمر ٢٠٠
 بنو زغبة ١٧٩
 بنو زكديوى ١٢٨
 بنو زياد ١٨٨
 بنو زيري بن مناد ١٦٧-١٦٨
 بنو شعبة ١٧
 بنو شعبة ٢٥

٢٠٨	تنمل (تنمل)
١٧٥-١٧٤-١٤٧-١١٤	تهودا
١٥٨-١٥٦-١٥٥-١٣١	توزر
١٦٠-١٥٩		
١٢٥-١٢٣-١٢١-١٢٠-١١٥	تونس
١٩١-١٢٧	تيطوان
٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢	تيرفي
٢٠٩	تيلمت
١٩٤	تيسرة

(ث)

١٧٧	ثافي
٢٠٠	ثليث

(ج)

٧٨	الجابية
٩	جبل ابن هيران
٦	الجبل الأبيض
٩-٨	جبل أجياد
٦	الجبل الأحمر
١٨٨	الجبل الأشهب
١٧٤-١٧٣-١٦٤-١٦٣	جبل أوراس
١٣٢	جبل باب الغرب
١٧٦	جبل البطل
٩	جبل البكا
٢٠٣-١٦٦	جبل بني زكديوي
٢٤	جبل بني قزح
١٣٥	جبل تاجرا
١٧٦	جبل تاوورناية
١٦٣	جبل جزولة
١٩١	جبل حاميم
٢١٣	جبل الحديد
١٣٢	جبل حلق واجر
٦	جبل الخدمة
٢١١-٢٠٩-٢٠٨-٢٠٦-١٦٣	جبل درن

١٨٥	ناغيت
١٣٤	تافني (نهر)
١٨٧	تقارارات
٢٠٧	التاكون (نوع من الخشب)
١٩١	تاليت
١٣٥	تاجهريت
٢١٣	تامدكت
١٦٦	تامروت
١٩٧	تامسنا
٢٠٧	تامضفيت
١٣٣	تامن (نهر)
١٧٨	تانس (نهر)
١٧٨	تاهرت
١٩٠	تاودا
١٨٨	تاوورا
١٥٨	تاورغي
١٦٢	تبسا
١٠٦	تبين
١٠٤	التركان
١٢١	تترشيش
١٣٥	تترفانا
٢١٨	تترنكة
١٨٩-١٤٠	تشمس (شمس)
١٠٥-١٠٤	تن الدين (الأيوبي)
١٥٦	تقيوس
٢١٧	تكرور
١٨٦-١٧٧-١٧٦-١٣٤	تلمسان
٨٥-٥٠-٤٦	التصاح
١١٨	تلماجر
٢٤-٩	التنيم
١٣٣	تلس
١٠٢-٨٧	تنيس
١٤٨	تنيس ألواح
١٧٦	تنزل

جفن ... ٨٥
 جفو ... ٢١٨
 الجلندا (الملك) ... ١٢٠
 جلولا ... ١١٩
 الجمرة ... ٣١-٣٠
 جنيارة ... ١٨٨
 الجوري (عطر) ... ١٥٤
 جوز هرتانة (مرسي) ... ٢٠٧
 الجوزي ... ١٨٣
 جيبل ... ١٢٨
 جيرون ... ٩٤-٧٢-٧١

(ح)

الحاكم (من بني عبيد) ... ٨٣
 الحامة ... ١٥٨-١٥٧
 حامة بني هلول ... ١٥٧
 حامة مطاطة ... ١٥٩-١٥٥
 حاميم بن من الله ... ١٩٢-١٩١
 حباة ... ٦٣
 الحبشة ... ١٠٣-٨٥
 حبوس بن بلجين بن زيري ... ١٦٧
 الحجاج بن يوسف ... ١١
 الحجاز ... ٨٧
 الحجون ... ٧
 الحجر ... ١٨-١٢
 الحجر الأسود ... ١٩-١٧
 الحرم ... ٣٥-٨-٤
 حسان بن النعمان ... ١١٤
 الحسن (بن علي) ... ٤٠
 الحسن (الزيري صاحب المهدية) ... ١١٨
 الحسين (بن علي) ... ٢٢٤-٤٠
 الحثيون (بنو اريس) ... ١٣٦
 حصن اليهود ... ٢٢٤
 حصن القروس ... ١٣٥
 حصن وهين ... ١٣٥
 الخطيم ... ٢٨

جبل الرحة ... ٣٥-٣
 جبل زالغ ... ١٢٧
 جبل زرهون ... ١٩٤
 جبل زغوغ ... ١٢٧
 جبل الشمس ... ١٦٠
 جبل الطور ... ١١٦
 جبل العنصل ... ١٦٦
 جبل غماره ... ١٩٠
 جبل فازار (أنظر فازار) ... ١٨٧-١٨٥
 جبل قرقل ... ١٧٨
 جبل قميقمان ... ٨
 جبل قلقل ... ١٧٩
 جبل القمر ... ٧٣-٤٥
 جبل كتامة ... ١٢٨
 جبل الكتف ... ١٦٣
 جبل كوين ... ١٣٦
 جبل بحكة ... ١٩٢
 جبل مسيون ... ١٣٠
 جبل المصامدة ... ١٦٣
 جبل المقطم ... ٢١١
 جبل ملان ... ١٦٣
 جبل المينا ... ١٣٧
 جبل نفوسة ١١٠-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٦٣
 جبلة ... ١٠٦
 جدالة ... ٢١٧-٢١٤
 جدة ... ٨٧-٤
 جراوة ... ٢٠٠
 الجريد (بلاد) ... ١٥٠-١٤٩-١٣١-١١٢
 ... ١٦٠-١٥٧-١٥٦-١٥٥
 ... ٢٢٤-٢٠٢-١٧٥-١٧١
 جزائر بني مزغناي (الجزائر) ... ١٣٢
 جزائر قرطناش ... ١٣٩
 جزولة ... ٢١٢
 الجزيرة (موضع دار الصناعة بمصر) ... ٧٩
 جعفر بن علي بن حدون ... ١٧٢
 جعفر بن محمد الصادق ... ٢٠٥-٢٠٣

دار الندوة ... ٢٧-٢٦-٢٤-٢٣-٨
دارم ... ٧٦
داوود ... ١٥٥-٧٧
الداروم ... ١٠٦
دانة ... ١٦١
دانية ... ١٣٢
دبو ... ١٩١
درجين ... ١٥٩
درعة ... ٢١٣-٢٠٧-٢٠٦

درن (أنظر جبل درن)

درنة (بافريقية) ... ١٦١
دريموس بن الريان ... ٧٦
دكالة ... ٢٠٩
دلاص ... ٨٤
دلوكة ... ٩٤
دليفة ... ٧٣
الدمدّم ... ٢٢٥
دمنات ... ٢٠٩
دمياط ... ١٠٢-٨٨-٨٧

(ذ)

ذر مشيل بن عدييل ... ٦٥
ذر طوى ... ٩-٤
ذو القرنين ... ١٧٥
ذر التون الإخيمى ... ٥٨

(ر)

راديس ... ١٢٠
رأس العين ... ١٥٢
راشد (مولى ادريس) ... ١٩٦-١٩٥-١٩٤
ربض أجياد الكبير ... ٩
ربض قميقعان ... ٩
ربيمة (قبيلة) ... ٨٥
ربيمة بن حبيب ... ٩١

حلق رشيد ... ٤٧
حامد بن حبوس ... ١٧٠-١٦٩-١٦٨-١٦٧
الحمرأ (أنظر البصرة) ... ٥٠٠
حمزة بن عبد المطلب ... ٤٤
حمزة بن محمد المصرى ... ١٠٠-٩٩
حير ... ٩٢
الحنية ... ١٥٢
حرورية ... ٧٣-٧٢-٧١
حيفا ... ١٠٦

(خ)

الخرز (مرسى) ... ١٢٦
الخربة ... ٨٦
الخضراء ... ١٧١
خط الاستواء ... ٧٣-٤٥
الخلقطير ... ٥٠
خيس القدس ... ٩٨
الخندمة (أنظر جبل الخندمة)
الخوامص (طير) ... ١٢٧
الخيف (مسجد) ... ٧

(د)

دار ابراهيم ... ٢٥-٢٤
دار أبي جهل ... ٢٥
دار الأمة (بمراكش) ... ٢٠٩
دار البحر (قصر) ... ١٦٨
دار جعفر ... ٣٠-٢٧
دار الحمى ... ٨٢
دار الحنطة ... ٢٧-٢٥
دار السيدة ... ٣٧
دار الصناعة (بتونس) ... ١٢٠
دار الصناعة (بمصر) ... ٧٩
دار العجلة ... ٢٧-٢٦
دار الفرج (بمراكش) ... ٢١٠

رومة ... ٩٢-٩٤-١٢١-١٢٢
الريان بن الوليد . . . ٧٣-٧٤-٧٦-٧٧
الريحانة (طرف) ... ١٤٢

(ز)

الزباب ... ١١١-١٤٧-١٦٧
١٧١-١٧٢-١٧٥

زافون ... ٢١٨
زالغ (أنظر جبل زالغ)

زبيدة (زوجة الرشيد) ... ٢٢

الزبير بن العوام . . . ٧٩-٨٢

زحل . . . ٥١-٦٩

زُغوغ (جبل) ... ١٢٧

زغاوة (قبيلة) ... ٢٠٠

الزقاق (بحر) ... ١٣٧-١٤٨

زلى (واحد) ... ١٤٧

زليخة بنت صاحب عين الشمس

٧٤-٧٥-٨٤

الزمرد ... ٨٦

زمزم . . . ٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٨

زكاة ... ١٧٦-١٧٩-١٩٧

١٩٨-٢٠٠-٢٠٧

الزنج ... ٤٦

زواغة ... ٢٠٠

زويلة ... ١١٧-١٤٦-١٤٧-٢٢٥

زيان (حصن) ... ١٣٥

زينبور (فحص) ... ١٣٤

زيري بن مناد الصنهاجي ... ١٧٠-١٧١

زينب بنت ابراهيم النفزاوي ... ٢٠٩

(س)

ساوس ... ٦٨

سامة ... ٢٢١

الرباط (رباط تازا) ... ١٨٦

رباط جوز ... ٢٠٩

رجراجة ... ٢٠٧

ردات (نهر) ... ١٨٨

رشيد ... ٤٧-٨٩

الرعاد (سلك) ... ٤٦

رفع ... ٧٨

رقادة ... ١١٥-٢٠٤

الرقادة (مرض النوم) ... ١٩٢

(أركان الكعبة) :

ركن أبي قبيس ... ٢٤

ركن أجياد . . . ٢٤

الركن الأسود ٥-١٠-١١-١٢-١٧-٢٢

ركن بني جمح . . . ٢٣-٢٤

ركن بني شيبه . . . ٢٣-٢٤

ركن دار جعفر . . . ٢٥-٣٠

الركن الشامي ١٠-١١-١٦-١٧-١٨-١٩

الركن المباسي ... ٣٠

الركن الغربي . . . ١٠-١١-١٨-٢٣-٢٨

ركن القبة ... ٢٢

ركن الكعبة ... ٢٢

ركن المنار . . . ٢٤-٢٩

ركن مني ... ٢٤

الركن اليمني ... ٩-١٠-١١-١٢-١٤

١٦-١٨-٢٣

الرملة ... ١٠٥-١٠٦

رنلة ... ١٦٥

الروضة (قبر النبي) ... ٣٨

روضة العباس بن عبد المطلب ... ٤٢

روضة ابراهيم (ولد النبي) ... ٤٢

روضة عثمان . . . ٣-٤٢

الروم ... ٧٩-٨٠-٨١-٩٢-١٠١-١٠٤

١٠٥-١٠٦-١١٨-١٢٦-١٢٧

١٣٠-١٤٢-١٥٥-١٥٦-١٧١

١٧٥-٢٠٧-٢٠٨

سورة ... ٥٢
السوس ... ٢١٢-٢١١-١٩٣-١٤٧
٢١٤-٢١٣
سومة ... ١٢٠-١١٩-١١١
السوق القديم (مدينة) ... ١٨٨
سيرات (فحص) ... ١٧٨
صيف الدين (الأيوبي) ... ١٠٥

(ش)

الشام ٧٧-٩٥-١٠٤-١٣٠-١٥٣-١٥٥
شبيون ... ١٢٢
شداد بن عاد ... ٩٥-٩٢
شرشال ... ١٣٢
الشروب (ثياب) ... ٨٧
شروس ... ١٤٤
شريعة ابراهيم (مصل) ... ٣٥
شعب أبي بكر ... ١٠
شعب أجياد ... ٥
شعب حنان ... ١٠
شعب حل ... ٥-١٠
شعب عمر ... ٥
شعبثارية ... ١٦٥
شلب (وادي) ... ١٤١
شلف ... ١٧١
شمون ... ١٩٧
شنة ... ٩١
شهر بن حوشب ... ٥٥٥
الشروبك ... ١٠٥
شيبان غلام النمرود ... ١٥٥
شيخ المومنين (أبو يزيد الخارجي) ... ٢٠٦

(ص)

صالح (الذي) ... ١٢٥
صالح بن طريف البرباطي ... ١٩٨-١٩٧-١٩٣

سبعة ... ١٩٧-١٧٩-١٣٧-١٢٦
صبية ... ١٦٨-١٦١-١٢٩
التبج سباح ... ١٥٨
سبو (نهر) ... ٩٠-١٨٤
سجلماة ... ١٧٦-١٧٢-١٣٥-١١٧
٢٠١-٢٠٠-١٩٣-١٧٩
٢١٦-٢٠٤-٢٠٢

سجنجوا ... ٢٣
سرت ... ١٠٩
السرطان ... ١٥٣
سطفيف ... ١٧٦
سطيع الكاهن ... ١٩٨
سطين ... ١٦٦
سعد بن أبي وقاص ... ٤٣
سعد بن حوشة الأنصاري ... ١٤٣
سعيد بن ادريس بن صالح ... ١٣٦
سفاقيس ... ١١٦
سفاية عباس ... ١٣٦
سقف الكعبة ... ١٥
سكوما ... ١٩٤
سليمان (الذي) ... ٩٩-٩٥-٧٧
سلا ... ١٥١-١٤٠
سليم (قبيلة) ... ١٥٠
سليمان بن جرير الخزيري ... ٢٩٦-١٩٥
رسل ... ١٧
نمطة ... ١٧٥
سمرقند ... ١٢٤
سمنود ... ٦٣-٦١-٥٨
السميدع بن جرم ... ٨
السند ... ٨٦
سهر (نهر) ... ١٧١-١٦٧
سهل بن قيس بن سعد ... ٤٤
السودان ... ١٤٩-١٤٦-١١٢-٤٦
٢١٢-٢٠٩-١٨١-١٧٥
٢١٧-٢١٦-٢١٥-٢١٣
٢٢٣-٢٢٢-٢٢١-٢١٨
٢٢٥

الطواف ٢٠
طواف الإفاضة ٢٢
الطور ٨١
الطوفان ٦٥-٥٢

(ع)

عاد (والماديون) ... ١٢٤-٩٢-٦٦
عاشوراء ١٥٤
عبادة بن الصامت ٨٥
عبد الله بن الزبير ١٥-١٢
عبد الله بن عمرو بن العاص ٩٤-٩٥-١٧٤
عبد الله الكفيف الطنجي ... ١٩١
عبد الله بن ياسين ٢١٧-١٩٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ٧٨
عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدي ١٠٧
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ... ١٢٤
عبد الملك بن حبيب ٩١
عبد الملك بن مروان ٨٢
عبد المؤمن بن علي ٢٠٨
عبد الله الشامي ١١٥-١١٧-٢٠٢-٢٠٣
٢٠٤-٢٠٥

عبد الله بن الحبحاب ١٢٠
المبيدون الشيعة (أنظر بن عبيد) ..
عجروه ١٢٦
عجينة (نخس) ١٧٢-١٦٧
عدن ٨٦
عدوة الأندلس (فاس) ١٨١-١٨٠
عدوة القرويين (فاس) ١٨٠-١٨١-١٨٥
عديم ٦٧
العراق ١٩٥-٤
حرفة ٢٠-٢
حرفات ٢٥-٢٠
حروبة (بن يوسف) ٢٠٥
العرش ١٠٢-٧٨
العزيز (صاحب يوسف) ٧٣-٧٤-٧٥-٨٤
صفلان ١٠٦

صبرة ١١٥
الصعيد ١٠٢-٨١
الصفا ... ٣-٥-٢٥-٢٦-٢٩-٣٠
صفروى ١٩٢
صفورية ١٠٦
صفلية ٩٢-١٠٤-١١٧-١١٨-١١٩
١٣٠-١٥٦

صلاح الدين أنظر يوسف بن أيوب

صنفانة ٢١٧
صناجة ١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٦-١٧٩
٢٢٤-٢١٣
صناجة (مدينة) ١٨٩
صور ١٠٦
صيداء ٦٠٦
الصين ١٣٠-١٢٦-٨٦

(ض)

النسبى ١١١

(ط)

الطائف ٤
طبرقة ١٢٦
طبرية ... ١٠٥-١٠٦
طبة ١٧٢-١٧٥
طرابلس (أنظر أطرابلس)
طرف أوثان ١١٠-١٦٢
طرف أمير ١٤٢
طرف الريحانة ١٤٢
الطريق ١٥٢
طرفة ١٥٧
طريف ١٢٨
الطلق (حجر) ١٥
طنجة ١٠٢-١١١-١٢٨-١٢٩-١٤١
١٧٩-١٨٨-١٩٠-١٩٢

هانة ١١١-٢٠٠-٢١٢-٢١٦-٢١٧
 ٢٢٢-٢٢١-٢٢٠-٢١٩-٢١٧
 ٢٢٥-٢٢٣
 غداً أمس ١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٥٨-٢٢٤
 الغدير ... ١٦٧-١٧٢
 غزوة ... ١٠٦
 غزوة الأشراف ... ٢١١
 الغطاس (ليلة) ... ٤٩
 غيابة ... ١٨٦
 غياروا ... ٢٢١
 غيلان القدرى ... ١٩٧

(ف)

فازار (جبل) ... ١٨٧
 فاس ١٠٧-١٨٠-١٨١-١٨٦-١٨٧
 ١٨٨-١٩٠-١٩٣-١٩٤-١٩٦
 ١٩٧-٢٠٢
 فاطمة الزهراء ... ٤١
 الفاروس ... ٩٧
 فج الحمار ... ١٥٤
 فحص زيدور ... ١٢٤
 فحص مقل ... ١٦٠
 الفخري ... ١٢٧
 الفرس ... ٧٧
 فرعان ... ٦٥
 الفراعنة ... ٦٤-٧١
 فرعون ... ٧٧-٨٢-٨٤-٨٥
 الفرما ... ٨٨-٨٩-١٠١
 قروجة (أفروجي) ... ٢١٠
 الفرويون (بلاد) ... ٢١٩
 فزار ... ٨٥
 الفسطاط ٧٨-٧٩-٨١-٨٢-٨٣-٨٥
 الفقيه عبد الملك ... ٢٢٤-٢٢٥
 فكّان ... ١٢٥
 فلسطين ... ١٠٦-١٥٥
 الفنطاس ... ١١٩

المشربون ... ١٤٠
 قطارد ... ٤٥
 عقبة الأفارق ... ١٩٠
 عقبة بن نافع ١١٣-١١٤-١٤٦-١٤٧
 ١٧٤-١٧٥-١٨٦-٢٠٨
 ٢١٢
 عكة ... ١٠٦
 حكمة مولى بن عباس ... ٢٠١
 حل (بن يوسف بن قاسم) ... ٢٠٩
 على بن أبي طالب ... ٨٣-٢٠٥
 على بن اسحاق بن غانية (شق
 ميورقة) ... ١١٢-١٣١-١٥٥
 على بن حمدون بن سحاك المعروف
 بابن الأندلسي ... ١٧٢
 على بن حمود (الإدريسي) ... ١٩٦
 على بن الرند ... ١٥١
 على بن يوسف بن أيوب ... ١٠٥
 عمار الأعمى ... ٢٠٥
 عمر بن الخطاب ... ٣-٣٨-٧٨-٧٩
 ٨١-١٤٤
 عمر بن عبد العزيز ... ١٠١
 عمرو بن العاص ٤٩-٧٨-٧٩-٨١-٩١
 ١٠٠-١٤٤-١٤٦-١٧٤
 عندة ... ١٦١
 عوف بن مالك ... ١٠١
 عيذاب ... ٨٧
 عيسى (النبي) ... ٧٧-١٦٠-١٩٨
 عيصوم ... ٧٦
 عين أبي السباع ... ١٦٦
 عين أوبان ... ١٧٣
 عين جفان ... ١٢٣
 عين الشمس ... ٧٤-٨٤
 عين الشى (عين ماء) ... ١٦٠
 عين المنتير ... ١٤٢-١٥٣

(غ)

غار المرسلات ... ٣٣

قصر الكاهنة ... ١١٨
 قصر كتامة ... ١٩٠
 قصر لخم ... ١١٨
 قصر مصمودة ... ١٢٨
 قصور أبي مطر ... ١٤٢
 قصور قفصة ... ١٥٤
 قصور كوار ... ١٤٦
 قصور واجان ... ١٤٧-١٤٦
 قطيف ... ٧٤
 قطيم ... ٦٩-٦٦
 قتيقمان ... ٩-٨
 قفصة ... ١٥٢-١٥١-١٥٠-١٤٧
 قفط ... ٨٧-٦٧-٥٨
 القل (وأنظر فحصر قل) ... ١٦٦-١٦٥
 قلب الأسد ... ٥٥-٥٣
 القلزم (بحر) ... ٨٧-٨٥
 قلعة أبي طويل ... ١٦٨-١٦٧-١٦١-١٢٨
 قلعة بن جندوب ... ١٩٠
 قلعة حاد ... ١٦٧-١٦٦-١٦١-١٢٩-١٢٨
 قلعة زيد ... ١٨٦
 قلعة مهدى ... ١٨٥
 قلقل (أنظر جبل) ... ١٧٩
 قلنبوا ... ٢١٨-٢١٧
 قلورية ... ١١٧
 قمتاوش ... ٦٤
 قنوص ... ٨٥
 قومس ... ١٢٢
 القيروان ... ١١٧-١١٦-١١٥-١١٤-١١٣
 ... ١٤٧-١٤٤-١٤١-١٣٩-١٢٩
 ... ١٦٩-١٦٨-١٦١-١٥٤-١٥٢
 ... ٢٢٤-٢٠٤-١٧٥-١٧٣-١٧٢
 قيس بن الحارث ... ٩١
 القيسيون (القيس) ... ٩١
 قيصارية ... ١٠٦
 القيطاني ... ١٢٧
 قيطون بيضة ... ١٧٥

الفلك ... ٢١٤-١٥٩-١١٢
 القفولة ... ١٠٦
 القفوم ... ١٠٢-٩١-٩٠-٧٥-٧٤-٥٧

(ق)

قاييس ... ١٥٩-١٥٢-١٥٠-١١٣-١١٢
 ١٩٢-١٥٩
 القاسم بن حود ... ١٩٧
 القاهرة ... ٨٢
 قبر ص ... ١٠٢
 قبر حزه بن عبد المطلب ... ٤٤
 قبر سهل بن قيس بن سعد ... ٤٤
 قبر مالك ... ٥٢
 قبر مالدغوس ... ١٦٤
 قبر النبي ... ٣٨-٣٧
 القبط ... ٧٤-٧٣-٧١-٧٠-٦٩-٦٥
 ٧٩-٧٧
 قبة زمزم ... ٢٢
 قبور الشهداء ... ٤٣-٣
 قراقوش ... ١١١-١١٠
 قرطاجنة ... ١٢٣-١٢٢-١٢١-١٢٠-٣
 ١٦٥-١٦٢-١٣٨-١٢٤
 قرطبة ... ٢٠١-١٩٧-١٩٦-١٩٢
 قرطناقش (جزائر) ... ١٣٩
 قرقل (جبل) ... ١٧٨
 القرمطى (القرامطة) ... ٢٠٥-١٧-٦
 قرمونة ... ٧٧
 قرش ... ١٤٢-٢٦
 القسطنطينية ... ١٣١-١١٣
 قسطلية ... ١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٤٧
 ٢٠٢-١٥٩-١٥٨
 قسطنطينية ... ١٦٦-١٦٥-١٢٧
 قصر البحر ... ١١٥
 قصر زيان ... ١٣٥
 قصر عبد الكريم ... ١٨٩
 قصر القلوس ... ١٣٣

(ك)

١٩٣	كؤانة مدين
١٣٠	كؤولة
٨٩	كؤيث بن سعد

(م)

١٤٦	ماء القرس
٨٥-٧٩	مارية القبطية
٣٦	المأزمان
٦٥	مافة
٥٥	مالك (بن انس) انظر قبر
٧٩	ماليا
٦٩	ماليق
٥٧-٥٦	المأمون بن هارون الرشيد
١٩٧	المأمون (القاسم بن حمود)
١٩٧	مالقة
٩	انتكا
٥٩	المتوكل
٣٢	مشيجة
١٦١	مجانة
١٩٢	مجمكة (جبال)
١٣٩	المجوس
٣٢	المحجة
١٧٥-١٣٢	محراب سليمان
٣٢-٧	المحصب
١٩٨-١٩١	محمد
١٣٧	محمد بن أبي عامر
١٩٦	محمد بن إدريس (بن إدريس)
	محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي
٢٠٣	بن جعفر (والد عبيد الله المهدي)
١٩٧	محمد بن عباد
١٧٢	محمد بن هاني الأنديلي
١٧٣	محمد بن يوسف (ابن الوراق)
٢٠١	مد رار بن عبد الله
٨٣	المدينة (مدينة الرسول)
١٥٨	المدينة (من أرض نغراوة)

٩٢	كارم
١٤٦	كارم
١٤٥-١١٨	الكاهنة
١٨٩-١٦٦-١١٧	كتامة
٢٠٥-٢٠٤-٢٠٣	
١٦٣	الكنتف (أنظر جبل)
٢٢٤	كربلاء
١٨٩	كروت
١٠٥	الكرك
٩٨	الكركهن
١٣٦	كزناية
٤٩	كسر الخليج
١٢-١١	الكسوة (كسوة الكعبة)
١٧٥	كسيلة (ابن أقدم)
٢٢-٢٠-١٣-١١-١٠-٩-٨	الكعبة
٧١-٧٠	كلكن
١٩٦	كنزة أم إدريس
٧١	الكنمانيون
٢٢٢	كسوة
٢٢٥-١١١	كسوة كوا
١٣٦	كوبن (أنظر جبل)
١٢٧	الككيل (انظر الخواص)

(ل)

٩٠	اللاهون
٧٧	لحم (وانظر قصر لحم)
١٣٢	لغائية
١٨٩	لكنس (نهر)
١٥-٢١	لمتونة
٢١٣-٢١٢	لمطة
٢١٦-٢١٤	اللمط
١٦٣-١٤٨-١٤٤	لواتة

المنصورة (حبرة) ... ١١٥
المنصورة (بجاية) ... ١٢٨-١٢٩
منف ... ٦٥-٧٠-٧٢-٧٧-٨٢
منية (نهر) ... ١٧٨
المنى ... ١٤٢
منى ٣-٧-١٠-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤
المهدي (ابن تومرت) ... ٢٠٨-١
المهدي (المباسي) ... ٢٥-٢٥٠
المهدي الأكبر ... ١٩٨-٢٠٣-٢٠٤
المهدي بن توال الجيفشي ... ١٨٧
المهدية ... ١١٧-١١٨-١٦٨-٢٠٤
٢٠٥-٢٠٩

المهماز ... ١٧٧
الموحلون ... ١٣١-١٥١-١٥٩-١٨٢
الموآربة ... ١٩٢
الموس (مدينة) ... ١٦٤
الموس (الكاهن) ... ٥٢
موسى (النبي) ... ٧٧-١٩١-١٩٨
الموقف (مكة) ... ٣٥
الموقف (مصر) ... ٧٤
المؤلف ٣٦-٤٤-٥٢-١٦٠-١٨٤
١٨٨-١٩٠-١٩٣-٢١٧
المومياء ... ٨٥
الميزاب ... ١١-١٩-٢١-٢٣
ميمرة ... ٢١١
ميلة ... ١٦٦
ميورقة (والميورقي) ١١١-١٢١-١٣١
١٥١-١٥٩

(ن)

نابلس ... ١٠٦
الناصر (المرواني) ... ١٣٦-١٣٨-١٩٢
ناصر ... ١٠٦
الناظر ... ١٠٤-١٢١-١٥٠-١٥٩
١٨١-١٨٤-١٨٥-١٩٧
٢٠٢-٢٢٦

١٨١-١٨٢-١٨٤-١٨٥-١٨٦
١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩٣
١٩٤-١٩٦-١٩٧-٢٠٠-٢٠٢
٢٠٣-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠
٢١٢-٢١٥-٢٢٦

المغرب الأوسط ... ١٧٦-١٧٧-١٧٨
١٧٩-١٨٦

المنطيس ... ٤٧
المغيرة ... ١٦٠
منقلة ... ١٨٨
منقلة ألقاط ... ١٩٣
الحمام ... ١٩-٢٠
المقتدر بالله (أمير المؤمنين) ... ١٤-٩٧
مقرب بن ماض ... ١٤٨-١٤٩
المقطم ... ٦٦-٢١١
المقوقس ... ٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٥
مكة ... ٣-٤-٥-٦-٧-٩-١٠-٢١
٢٢-٢٥-٢٦-٣١-٣٢-٣٦
٢٠٣-٢٢٣

مكناسة (قبيلة) ... ١٨٦
مكناسة تازا (أنظر رباط تازا) ... ١٨٦
مكناسة الزيتون ... ١٨٧-٢١٠
مملان (واحد وجبل) ... ١٦٣
الملتزم ... ٢٢
الملمون ... ١٧٧-١٨٢-١٩٠
ملسون ... ١٧٣
ملقطة ... ١١٨
ملووية ... ١٧٧-١٧٩-١٩٣
مليانة ... ١٧١-١٧٦
مليلة ... ١٣٥-١٧٦
منار الاسكندرية ... ٧٢-٩٤-٩٥-٩٦
٩٧-٩٨

منبت الأراك ... ٣٥
المنستير ... ١٢٠
المنستير (عين) ... ١٥٢
المنصور العباسي (أنظر أبو جعفر)
المنصور بن أبي عامر ... ١٢٥
المنصور بن حماد ... ١٢٨-١٢٩-١٦٨

هشام بن عبد الملك بن مروان ... ١١٥
 الهند ... ١٢٠-١٢٦-٩٨-٨٧-٨٦
 الهنيئ ... ٢٢٢
 هورشمش ... ١٨

(و)

واجان (قصور) ... ١٤٦
 الواحات ... ١٤٩-١٤٨-١٤٧
 الواح الخارج ... ١٤٩-١٤٨
 الواح كزلي ... ١٤٧
 الواح صبروا ... ١٤٨
 وارجلان ... ٢٢٤
 وادي بایش ... ١٥٢
 وادي ترجا ... ٢١٢
 وادي تنسيفت ... ٢٠٩
 وادي درعة ... ٢٢٥-٢١٢-٢٠٧-٢٠٦
 وادي سبو ... ١٩٢-١٩٠-١٨٥-١٨٤
 وادي شلب ... ١٤١
 وادي فاس ... ١٨٠
 وادي قرغانة ... ١٠١
 الوادي الكبير (عين) ... ١٥٢
 وادي مائة ... ٢١١
 وادي تجميع ... ١٧٦
 وادي ملان ... ١٦٢-١٦٢
 وادي تقيس ... ٢٠٩
 وادي وانسيفن ... ١٨٥
 وادي وريكة ... ٢٠٩
 الواضع ... ٢٢٦-٢٠٥
 الوردانية ... ١٢٥
 وردغة (نهر) ... ١٩٠-١٢٦
 الورل ... ٤٦
 وزجاي بن ياسين ... ٢١٧
 الوصيني (ابن وصيف شاه) ... ١٠٢-٩٢-٦٠
 وقعة الربيض ... ٢٠١
 وقعة قح ... ١٩٤

الذي ... ٤٢-٢٧
 سنجلة (قبيلة) ... ٢٠٠
 كدرومة ... ١٢٥
 كغزارة ... ١٥٨-١٥٧
 كقطة ... ١٥٨-١٥٦
 النفر ... ٢١
 كقوسة (انظر جبل) ...
 كقيس ... ٢٠٩-٢٠٨-٢٠٧
 كقاوس ... ١٧٢
 كقراوش ... ٧٢-٥٢-٥٠
 كقطة ... ٩١
 ككار (جبل) ... ١٧١
 ككور (نكور) ... ١٢٦
 عمرود ابراهيم الخليل ... ٧٥-٧٠
 النوبة ... ١٤٨-٨٧-٥٠
 نفج ... ٦٤
 نول ... ٢١٥-٢١٢-١٤٢
 نول كطة ... ٢١٢
 النيل (ونيل مصر) ... ٤٩-٤٨-٤٧-٤٦-٤٥
 ٧٢-٥٧-٥٤-٥٢-٥٠
 ٨٠-٧٨-٧٦-٧٥-٧٤
 ٨٩-٨٧-٨٦-٨٥-٨٤
 ١٠٢-٩٠ (فيل المشرق)
 ٢١٧ (٢١١ - ١٨٥)
 ٢٢٢ - ٢٢١ ٢١٨)
 ٢٢٤ في السودان .

(هـ)

هارون الرشيد ... ١٩٥-٤٨
 هبل ... ٢٦
 هجر ... ٤
 الهرجان ... ٢١٢-٢١٠
 الهرولة ... ٢٤
 هشام بن عبد الحكم ... ١٩٥
 هشام بن عروة بن الزبير ... ٨٢

يزيد بن معاوية ... ١٧٤
 اليسع بن مدرار ... ٢٠٤
 يعقوب (النبي) ... ٧٦-٧٥
 يعقوب (أبو يوسف المنصور الموحدى) ١
 ١٥٠-١٣١-١١١-١٠٧-١٠٤
 ٢١٠-٢٠٩-١٥٩-١٥١
 اليمن ... ١٣٠-٨٧-٤
 يوسف (النبي) ٩٠-٧٦-٧٥-٧٤-٧٣
 يوسف بن أيوب (صلاح الدين) ١٠٤
 ١٠٦-١٠٥
 يوسف بن تاشفين ٢١٩-٢٠٩-٢٠٨
 يوسف بن عبد المؤمن (أبو يعقوب) ١٤٠
 ٢١٠-٢٠٩-١٥٩
 يرم عاشوراء ... ١٥٤
 يونس بن الياس ... ١٩٨

الوكن ... ٢٢٢
 الوليد بن دهمج ... ٧٣
 الوليد بن عبد الملك ١٩٤-١٣٦-٩٥-١٣
 الوليد بن مصعب ... ٧٧
 وليل ... ٢١٤-١٩٦-١٩٤
 وهران ... ١٧٩-١٣٤-١٣٣
 وهنين (حصن) ... ٣٥

(ي)

يافا ... ١٠٦
 يابنا ... ١٠٦
 يحيى بن اسحق (بن غانية) ... ١١٢
 يحيى بن خالد (البرمكي) ... ١٩٥
 يحيى بن علي بن حمود ... ١٩٧
 يرسنى ... ٢٢١

المراجع المذكورة في الهوامش

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرُّمَيْني القيرواني) ، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ، ١٢٨٠ هـ .
- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، النص العربي وترجمته اللاتينية بمعرفة Tornberg طبع Upsala ، ١٨٤٣ هـ .
- ترجمة فرنسية بمعرفة Beaumier ، باريس ، ١٨٦٠ هـ .
- ابن الأثير ، الكامل ، نشر Tornberg ، ليدن ١٨٦٢ - ١٨٧٦ (١٤ ج) ؛ وطبعة القاهرة (١٢ ج) .
- ابن بطوطة ، الرحلة (تحفة النظار) ، نشر وترجمة C. Defrémery et B. Sanguinetti ، باريس ، ١٩٢٦ هـ .
- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، نشر T.C.J. Juynbol ، ليدن ، ١٨٥١ هـ ؛ وطبعة القاهرة .
- ابن جبير ، الرحلة ، نشر De Goeje (مجموعة Gibb) ، ليدن ، ١٩٠٧ هـ .
- ابن حوقل ، المسالك والممالك ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٧٣ هـ .
- ابن خرداداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٨٩ هـ .
- ابن خلدون ، العبر ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ (٧ ج) .
- ترجمة الجزئين الأخيرين الخاصين بالمغرب إلى الفرنسية بمعرفة De Slane تحت عنوان : Histoire des Berbères ، باريس ، ١٩٢٥ هـ .
- ابن دقاق ، كتاب الانتصار ، القاهرة ، ١٨٩٢ هـ (ج ١ ، ج ٥) .
- ابن رُسْتَه ، كتاب الملق النفيس ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٩١ هـ .
- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر H. Massé ، القاهرة ، ١٩١٤ هـ .
- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، بولاق ، ١٣٢١ / ١٩٠٣ (٣ ج) .
- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، نشر Dozy ، ليدن ، ١٨٤٨ - ١٨٥١ هـ (٢ ج) .
والترجمة الفرنسية للجزئين بمعرفة E. Fagnan ، الجزائر ، ١٩٠١ - ١٩٠٤ (٢ ج) .
- الجزء الخاص بتاريخ الموحدين نشر وترجم إلى الأسبانية بمعرفة H. Huici تحت عنوان El-Anonimo de Madrid y Copenhague ، بلنسية ، ١٩١٧ هـ .
وهو يحمل العنوان العربي الخاطيء " تاريخ ابن بسام " .
- ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٨٥ هـ .

ابن النجار ، كتاب الدرة الثمينة ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي ،
رقم ١٨٣٠ (وصف مدينة الرسول)

ابن وصيف - شاه ، كتاب المعجائب ، ترجمة فرنسية مختصرة بمعرفة Carra de Vaux ،
تحت عنوان : L'Abrégé des Merveilles ، باريز ، ١٨٩٨

- وانظر مقال Seybold عن ابن وصيف - شاه في مجلة Orientalische Literatur
Zeitung عدد مايو سنة ١٩٠٨

أبو شامة ، كتاب الروضتين ، القاهرة ، ١٢٨٧ هـ .

أبو عبيد البكري ، أنظر البكري .

أبو القدا ، تقويم البلدان ، نشر Reinaud et De Slane ، باريز ، ١٨٤٠

- و ترجمة فرنسية بمعرفة Reinaud ، باريز ، ١٨٤٨

الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق (الجزء الخاص بوصف المغرب والأندلس) ، النص العربي

و ترجمة فرنسية بمعرفة Dozy et De Goeje ، ليدن ، ١٨٦٤

الأزرقي ، أخبار مكة ، نشر Wüstenfeld ، ليبزج ، ١٨٥٨

الإصطخري ، كتاب المسالك والممالك ، نشر De Goeje ، ليدن ، ١٨٧٠

البخاري ، الصحيح ، نشر Krehl ، ليبزج ، ١٨٨٢ (٢ ج) .

البكري ، المسالك والممالك ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز (قطعة غير كاملة عن مصر والمغرب)

القسم العربي ، رقم ٢٢١٨

- وفيما يتعلق بالجزء الخاص بالمغرب من هذا المخطوط أنظر دراسة Quatremère

تحت عنوان : Notice d'un manuscrit arabe de la Bibliothèque du Roi ,

Paris, 1831

- ولقد نشر هذا الجزء الخاص بإفريقيا الشمالية وترجم مع العنوان الفرنسي :

" Description de l'Afrique Septentrionale " بمعرفة De Slane ، النص

طبعة الجزائر ، ١٨٥٧ ؛ والترجمة طبعة باريز ، ١٩٢٢

- والبكري أيضا : معجم ما استعجم ، نشر Wüstenfeld طبع جوتنجن ، ١٩٢٢

(٢ ج) .

بروفنسال (E. Lévi - Provençal) ، مجموع رسائل موحدية ، النص العربي ، طبعة الرباط ،

١٩٤١ وعنوانها بالفرنسية : Trente sept lettres officielles almohades ؛

مع دراستها بالفرنسية تحت عنوان Un recueil de lettres officielles almohades ،

باريز ، ١٩٤٢

بلاشير (R. Blachère) ، نخب من أهم الجغرافيين العرب في المصور الوسطى ، نصوص

عربية مصحوبة بدراسة بالفرنسية تحت عنوان : Extraits des principaux

géographes arabes du moyen âge ، باريز ١٩٣٢

البلاوي (خالد بن عيسى) ، الرحلة (تاج الفرق في تجلية علماء المشرق) ، مخطوط المكتبة

الوطنية بباريز ، القسم العربي ، رقم ٢٢٨٦

البيدق ، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، نشر وترجمة بروقنسال

تحت عنوان : Documents inédits d'histoire almohade ، باريز ، ١٩٢٨

تاريخ السودان ، (أصول عربية خاصة بتاريخ السودان مع العنوان الفرنسي : Documents

(Voyage du Cheikh at-Tijani ... ، باريز ، ١٨٥٣ (مستخرج

التجاني ، رحلة الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم التجاني ، تونس ،

١٢٤٥ / ١٩٢٧ ، والترجمة الفرنسية لهذه الرحلة بمعرفة (A.) Tousseau

تحت عنوان : Voyage du Cheikh at-Tijani ... ، باريز ، ١٨٥٣ (مستخرج

من المجلة الآسيوية "J. A." سنة ١٨٥٢) .

دائرة المعارف الإسلامية .

روض القرطاس ، أنظر ابن أبي زرع .

السيوطي ، تنوير الخواص ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

السيوطي ، حسن المحاضرة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

الشقندي ، ترجمة أسبانية لرسالة الشقندي في فضائل الأندلس ، بمعرفة Gomez (Emilio

Garcia) تحت عنوان : Elogio del Islam espagnol ، مدريد - غرناطة ، ١٩٣٤

الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، نشر De Goeje ، الجزء الأول ، ليدن ، ١٨٨١ ، ١٨٧٩

العبدري ، الرحلة ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي ، رقم ٢٢٨٢

عبد اللطيف البغدادي ، كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة

بأرض مصر ، نص عربي مصحوب بترجمة لاتينية بمعرفة J. White بعنوان :

Historiae Aegypti ، لندن ، ١٨٠٠

- ترجمة فرنسية بمعرفة De Sacy ، بعنوان : Relation de l'Egypte ، باريز ، ١٨١٠

عماد الدين الأصفهاني ، الفتح القس في الفتح القدسي ، نشر C. De Lamberg ، ليدن ،

١٨٦٤ (مع العنوان الفرنسي : Conquête de la Syrie et de la Palestine par

Salah ad-Din) .

الحميري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ترجمة فرنسية جزئية خاصة بالمغرب

بمعرفة G. Demombynes ، باريز ، ١٩٢٧

القاسمي ، أخبار مكة ، نشر Wüstenfeld تحت عنوان : Die Chroniken der Stadt

Mekka ، ليبزج ، ١٨٥٩

القرآن (مع ترجمة Savary ، باريز ، ١٩٤٦ ، وترجمة Montet) .

القزويني ، كتاب عجائب المخلوقات ، نشر Wüstenfeld ، جوتنجن ، ١٨٤٩

كتاب الاستبصار ، نشره جزئية فائصة خاصة بالمغرب بمعرفة كرمر (von Kremer)

مع العنوان الفرنسي : Description de l'Afrique par un géographe arabe

anonyme du VI^e s. de l'Hégire ، فينا ، ١٨٥٢

- ترجمة فرنسية كاملة لهذا الجزء بمعرفة E. Fagnan تحت عنوان : L'Afrique

(Extrait ١٩٠٠ ، قسنطينة ، Septentrionale au XII^e siècle de notre ère

du recueil des notices et mémoires de la société archéologique

de Constantine. Vol. XXXIII ; année 1899)

- مخطوط المكتبة الوطنية بباريز ، القسم العربي رقم ، ٢٢٢٥

- مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر ، القسم العربي رقم ، ١٥٦٠ ؛ ورقم ٣٢١٦

كتاب الجغرافيا ، لكاتب مجهول الاسم من كتب القرن السادس الهجري (١٢ م) ،

مخطوط المتحف البريطاني ، رقم add. 25,743 (يذكر بروكلمان هذا المخطوط

على أنه نسخة من كتاب الاستبصار) .

الكندى ، كتاب الولاية والقضاة ، نشر R. Guest ، لندن ، ١٩١٢

مراصد الاطلاع ، أنظر ياقوت .

مجموع رسائل موحدية ، أنظر بروكلمان .

المسعودي ، مروج الذهب ، نشر وترجمة C. Barbier de Meynard et Pavet de

Courteille ، باريس ١٨٦١

- كتاب التنبيه والاشراف ، نشر De Goeje ، لندن ، ١٨٩١

المقدسي ، أحسن التقاسيم ، نشر De Goeje ، لندن ١٨٧٧

المقرئى ، الخطط ، طبعة القاهرة (٢ ج) .

النجوم الزاهرة ، أنظر ابن تيمري بردي .

ياقوت ، معجم البلدان ، نشر Wüstenfeld ، نيزج ، ١٨٦٦ (٦ ج)

- واختصاره المعروف بـ : مراصد الاطلاع ، نشر T. G. J. Juynbol ، لندن ، ١٨٥٢

اليعقوبي ، كتاب البلدان (مع كتاب ابن رسته) : نشر De Goeje ، لندن ، ١٨٩١

- والترجمة الفرنسية تحت عنوان : Les Pays بمعرفة Wiet (G.) ، القاهرة ، ١٩٣٧

المراجع الافرنجية والعربية المترجمة

الأندلس (مجلة معاهد الدراسات العربية بمديرية و غرناطة) Al-Andalus

Basset (H.) et Terrasse (H.), Sanctuaires et forteresses almohades, 1923

أنظر ابن أبي زرع Beaumier

Bel, Les Banu Ganiya, Paris, 1903

أنظر بلاشير Blachère (R.)

Brackelmann (C.) Geschichte der arabischen Literatur (G. A. L.)

- Carra de Vaux انظر ابن وصيف - شاه
- De Courteille انظر المسعودي (مروج الذهب)
- G. - Demonbynes, Le Pèlerinage à la Mekke, Paris 1923
- Notes sur la Mekke et Médine, Paris, 1918
- Une lettre de Saladin au calife almohade, Mélanges René Basset, Paris, 1925
- وانظر العمري .
- Defremery انظر ابن بطوطة
- Despois (J.), La Tunisie orientale, Sahel et Basse-Steppe, étude géographique, Paris, 1940
- Dozy انظر ابن عذاري ، والإدريسي
- Encyclopédie de l'Islam انظر دائرة المعارف الإسلامية
- Fagnan (E.) انظر ابن عذاري ، وكتب الاستبصار
- Gomez (E. Garcia) انظر الشنقي
- Houdas (O.) انظر تاريخ السودان
- Huici (H.) (El - Anónimo) انظر ابن عذاري
- Journal Asiatique
- Marçais (G.), Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle, Paris, 1913
- La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge, Paris, 1946
- Note sur les ribâts en Berbérie, Mélanges R. Basset, t.II, Paris, 1925
- Nespérol (J.) et Wiet (G.), Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte, Mémoires de l'Institut français du Caire, t.36, 1919
- Passignou (L.), La Passion d'al - Hallaj, Paris, 1916
- Meynard انظر المسعودي
- Méniet انظر القرآن (ترجمة)
- Orientalische Literatur Zeitung انظر وصيف - شاه
- Salacios (M. Asin), Una descripción nueva del Faro d'Aleandria (Al-Andalus, 1933 — fig. 9)
- Provençal (E. Lévi-) انظر بروقتسال ، والبيدق
- Quatremère, Mémoire géographique et historique sur l'Egypte, Paris, 1811
- وانظر البكري .
- Reinaud انظر أبو الفدا
- De Sacy انظر عبد اللطيف البغدادي
- Savary انظر القرآن (ترجمة)
- De Slane انظر البكري ، وابن خلدون
- Sanguinetti انظر ابن بطوطة
- Savaget (J.), Le Royaume omeyyade de Médine, Paris, 1947

Terrasse (H.) ... Bassot (H.) انظر
 Tornberg ... انظر ابن أبي زرع
 White ... انظر عبد العزيز البغدادي
 Wiet (G.) ... (Maspéro) انظر الهمقوي ، وماييرو
 Zaky Hassan, Les Tulunides, Paris, 1933

28 du mois de rajab de l'année 583 H. [2 oct. 1187], annonçant la conquête de la ville sacrée de Jérusalem, grâce à la volonté de Dieu et le déploiement des étendards nāsirites aux endroits les plus sacrés de la ville. On fit la grâce à ceux qui s'y trouvaient de pouvoir se racheter : l'homme moyennant 10 dinars, la femme 5 et l'enfant 2. C'est un bienfait dont on ne peut estimer ni les limites ni l'importance (quelle très heureuse chose). Le nombre des prisonniers musulmans, libérés s'élevait à 4.000. Cet événement réjouit vraiment toutes les âmes.

Tout ceci fut la conséquence de la soumission volontaire de cet homme [Saladin] à l'Imām (puisse Dieu prolonger ses jours) car il avait envoyé ses messagers, annonçant ce qu'il y avait trouvé comme richesse. Les messagers [de Saladin] sont actuellement à Fez (Dieu la garde) pour recevoir les ordres respectables — nous sommes maintenant au mois de rajab de l'an 587 [juillet-août 1191]. La rencontre de ce messenger qui est 'Abd ar-Rahmān Ibn Mohammed Ibn Munqid al-Azdī avec le calife l'imām Abū Yūsuf (puisse Dieu être content de lui) avait eu lieu le 6 muharram de l'année 588 [23 janvier 1192]; il quitta la résidence califienne 5 jours après et depuis on n'a pas eu de ses nouvelles.

seigneur d'al-Karak et d'as-Šawbak; cet homme maudit avait déjà fait la paix avec Saladin mais il le trahit et lorsqu'il se présenta devant lui dans la masse des prisonniers, Saladin ne put s'abstenir de le tuer d'un coup de poignard qu'il tenait. Puis Yūsuf mena la lutte contre la citadelle de Tabariya dont les habitants acceptèrent de faire la paix; il s'empara alors de la ville et de sa citadelle et il envoya les prisonniers à Damas.

p. 106

Il se mit ensuite en route pour St.-Jean d'Acre qui se rendit sans combat, et signa un traité aux termes duquel il laissait sortir la garnison, sans armes ni bagages. Entre temps, Saïf ad-Din, frère de Yūsuf sus mentionné, avait investi Jaffa qu'il occupa aux termes d'un traité mais découvrit que ses habitants avaient tué les prisonniers musulmans; il les passa tous par les armes. Puis il se dirigea vers 'Asqalan où son frère Yūsuf le rejoignit après avoir laissé Sur (Tyr) assiégée par ses troupes; il s'empara de 'Asqalan à la fin du mois de jumādā II [5 sept.].

Voici le nombre et les noms des villes que Dieu Très-Haut avait conquis :

Ad-Dārūm, Gaza, 'Asqalan, Arsūf, Jaffa, Haïfa, Qaïsariya, St.-Jean d'Acre, Alexandrette, Saïda, Bayrūt, Jabala dont le gouverneur et quelques personnes parmi les siens embrassèrent l'Islam après la conquête, Tebnin, Jabal at-Tūr, al-Fula, Nāsira (Nazareth), la ville du Christ (salut à lui), Tabariya, Filastīn, Nābulus, Yubna Šaffuriya et ar-Ramla.

Puis Yūsuf Ibn Ayyūb se dirigea de 'Asqalan vers Jérusalem dont il s'empara au milieu du mois de rajab, en l'an 583 [sept.-oct. 1187] après être resté 95 ans environ sous la domination des Chrétiens. Ils s'en étaient emparé au mois de sa'ban en l'an 488 de l'Hégire [août-sept. 1095] (sic). Voici les textes des messages que porta l'oiseau du Caire à Alexandrie, pour annoncer la victoire :

Au nom de Dieu clément et miséricordieux. Puisse Dieu prier pour notre Seigneur Mohammed et sa famille.

On laissa l'oiseau s'envoler avec son compagnon, dès la première heure de la journée du mercredi, lorsqu'on reçut l'heureuse nouvelle, par une respectable lettre sultanienne datée du vendredi

et toi tu fais la paix avec les Chrétiens; que diraient de toi les habitants d'Irak et des autres pays". C'est alors que Saladin dit à son neveu : "te rappelles-tu ce qu'avaient fait nos compagnons le jour de la bataille d'ar-Ramla". Saladin était sorti avec ses
5 compagnons à la rencontre des Chrétiens mais ils s'enfuirent en le laissant seul et il faillit être tué ou fait prisonnier. On lui enleva tous ses bagages et ses munitions. Ceci se passait en l'an 572 de l'Hégire [1176—7]. Lorsqu'ils entendirent ces faits, ils se dirent : "il a raison nous nous repentissons et lui prêtons le serment de fidélité".

Alors Taqy ad-Dīn accompagné des émirs, des Šaihs, des soldats, se présenta devant Saladin; tous lui jurèrent sur les livres saints qu'aucun d'eux ne boirait jamais une coupe de vin, ni ne commettrait aucun péché. Les prestations de serment une fois faite, Yūsuf se réjouit et convoqua les messagers (chrétiens) pour négocier avec Taqy ad-Dīn, 'Alī Ibn Yūsuf Ibn Ayyūb et quelques généraux; ceux-ci posèrent de nombreuses conditions de paix: entre autres, ils demandèrent l'exemption (des Musulmans) de toutes les taxes, et exigèrent la restitution de quelques villes (aux Musulmans). Les messagers se mirent alors en colère. Après de longues négociations les Musulmans dirent : "le glaive jugera entre vous et nous"; les ambassadeurs ne prirent pas ces paroles au sérieux et s'en allèrent. Alors les Musulmans plaçant leur destin entre les mains de Dieu se raidirent; ils sortirent avec des volontés sincères et des résolutions très fermes; ils s'emparèrent tout de suite de Tabariya, mais la citadelle qui était bien défendue résista. Les Chrétiens (puisse Dieu les détruire) vinrent en masse, avec l'espoir d'en finir avec les Musulmans, mais ceux-ci leur coupèrent l'eau. Malgré ceci, les Chrétiens décidèrent de mener la lutte jusqu'au bout. La bataille eut lieu le premier du mois de jumādā I [juillet-août], selon les uns, le vendredi 25 du mois de rabī' II [5 juillet], selon d'autres, ce fut une bataille grandiose. Les Chrétiens (que Dieu les détruise) lancèrent contre les Musulmans 11 attaques, mais les Musulmans avec la grâce de Dieu, ne furent pas ébranlés dans leurs positions. Ensuite il leur a suffi d'une seule attaque pour qu'aucun Chrétien ne résistât et tous ainsi furent prisonniers ou tués. On compta 22 mille entre les morts et les captifs. Les rois des Chrétiens et leurs chefs furent fait prisonniers ainsi que le

Al-Wasīfī dit : "lorsque nous abordâmes quelques questions relatives à ce sujet, un Copte dit qu'on avait trouvé dans une église, une corbeille placée dans une ouverture; on l'ouvrit et on y trouva un des instruments dont ils se servaient pour tailler la pierre; on l'admira mais on n'en comprit pas le secret. C'est pourquoi on le mit au feu. Il sautait du feu jusqu'au plafond; par la suite ils regrettèrent de l'avoir détruit.

2. 104

Le reviseur ajoute : Voici la ville d'Alexandrie que l'ennemi de Sicile regarde toujours avec tant de convoitise; il fit courir à ses navires tant de périls près d'elle, tel la tentative manquée la nuit de 10 muharram de l'an 570 de l'Hégire [11 août 1171] lorsqu'il débarqua avec de nombreux navires sur la côte dans le but d'investir la ville; mais lorsqu'il décida de mener la lutte, il fut obligé de battre en retraite, en laissant quelques uns des siens sur le champ de bataille, grâce à Allah, Dieu universel.

Dieu Très-Haut facilita la victoire aux Musulmans d'Égypte grâce à la bénédiction de notre auguste souverain, lorsque le prince du pays, Yūsuf Ibn Ayyūb le kurde surnommé Saladin, exprima sa soumission à l'auguste calife, l'imam Abū Yūsuf Ya'qūb fils des deux imams califes (puisse Dieu être content d'eux). Il battit les chrétiens de Syrie, les extermina, et conquit Jérusalem — Dieu l'honore — de même que tous les pays qui étaient entre les mains des ennemis de Dieu. La teneur de la lettre (destinée au Maghreb) annonçant la victoire était un résumé d'une missive arrivée d'Alexandrie en date du 10 sa'bān, mois sacré, de l'an 583 de l'Hégire [15 octobre 1187]. Elle décrivait ce que Dieu Très-Haut avait sanctifié et facilité, par un effet de sa puissance au cours des expéditions victorieuses contre les Chrétiens (que Dieu les anéantissent).

Les événements s'étaient ainsi déroulés : des messagers du roi des Chrétiens étaient arrivés à Damas pour négocier la paix avec Yūsuf Ibn Ayyūb; celui-ci voulut leur proposer comme condition de paix de leur payer 100 milles ardabs de blé ainsi que d'autres choses; mais son neveu, surnommé Taqy ad-Dīn s'était rallié au prince des Turcmāns par un lien matrimonial; il avait amené avec lui beaucoup de soldats turcs. Lorsqu'il vit que son oncle voulait faire la paix il se fâcha; alors son oncle lui demanda son avis et il lui répondit : "les gens viennent faire la guerre sainte,

les bêtes de somme le traversaient en se rendant de la côte du Maghreb en direction de la côte de l'Andalousie. Il était d'une longueur de 12 milles, très large et très haut. Il est probable qu'il apparaisse de nos jours aux marins qui le reconnaissent.

On lui demanda des renseignements sur les royaumes d'Abysinie, les Éthiopiens, installés sur les rives du Nil; il répondit: "j'en ai compté 60 rois; chaque roi a été détrôné par son successeur. A cause de la grosse chaleur qui y règne, on y trouve les mines d'or en abondance, car la chaleur du soleil et la sécheresse transforment l'argent en or; lorsqu'on chauffe au rouge un mélange de cet or avec du sel de sulfate de fer et de la brique, on peut extraire ce qu'il reste d'argent".

On lui demanda des renseignements sur les sources du Nil, il dit: "il sort d'un lac dont on ne connaît ni la longueur ni la largeur; il est situé au delà de l'équateur, sous le pont de la sphère nommé sphère fixe, c'est la contrée où le jour et la nuit sont égaux toute l'année".

On lui posa des questions sur les pyramides. Il dit: "ce sont les tombeaux des rois; lorsqu'un roi mourait, on le mettait dans un bassin de marbre qu'on recouvrait; on lui construisait une pyramide dont l'importance était fonction de la considération de son héritier; puis on plaçait le bassin au milieu de la pyramide; on ménageait la porte de la pyramide sous le bassin en creusant un passage souterrain sur des voûtes allongées". On lui demanda comment il pouvait expliquer la construction de ces pyramides lisses? Comment montait-on au sommet pour les construire? Il dit qu'on bâtissait la pyramide avec des gradins, et ainsi montait-on au sommet pour la construire, et lorsqu'on avait achevé le travail on les taillait. On lui demanda comment les constructeurs avaient pu préparer ces pierres dont 100 hommes parmi nous ne pourraient déplacer une seule? Il répondit que les Anciens disposaient d'instruments qu'ils fabriquaient avec des combinaisons spéciales de métaux et divers produits chimiques. Ils frappaient à l'aide de ces instruments les grosses pierres. Elles se divisent selon la grosseur voulue. Elles deviennent taillables; de plus ils étaient d'une patience et d'une fermeté au travail non connues chez leurs successeurs.

âgé de 130 ans, qui s'adonnait depuis sa jeunesse à la science, à la libre pensée et suivait l'enseignement des philosophes et autres savants, qu'il était versé dans l'histoire des royaumes et des rois, la science qui traite des astres et des étoiles et qu'il était chrétien suivant le rite des jacobites.

Alors Ibn Tulūn envoya l'un de ses généraux qui le lui amena avec toutes les marques de respect, dans un navire sur le Nil. Le vieillard s'était retiré dans une habitation dont il occupait la partie supérieure; il vivait seul: il avait vu le même de ses fils. Lorsqu'il arriva en présence d'Ahmed Ibn Tulūn, celui-ci le combla d'honneur et de bienveillance, l'installa dans l'une de ses loges, lui donna tout confort, lui apporta les plus délicieux des mets et des boissons mais le vieillard les refusa et ne mangea, ne s'habilla, que ce qu'il avait apporté de gateaux secs, de pain, etc. et il dit: "je me suis habitué à manger et m'habiller ainsi, si vous voulez me forcer à changer de coutumes vous risqueriez de manquer ce que vous attendez de moi par suite du dénouement de mes forces". Ibn Tulūn lui laissa faire ce qu'il voulait. Puis il le convoqua avec des gens lettrés de sa suite et avec ses amis personnels en lui accordant toute son attention. Lorsqu'il lui demanda l'histoire de Tennis et de Damiette, il répondit que la contrée du lac était un terrain qui n'avait pas de pareil en Egypte par la prodigalité de sa terre et la pureté du printemps. Composée de jardins juxtaposés, on dit qu'il n'y avait pas en Egypte d'autre cite qu'elle, qui ressemble à al-Fayyūm. Elle était plus riche en fruits; l'eau coulait à travers des villages qui étaient situés sur l'emplacement actuel du lac aussi bien en été qu'en hiver. Les habitants en irriguaient les champs à volonté: le surplus se déversait dans le lac.

Entre la ville d'al-'Aris^v et l'île de Chypre il y avait une route, qu'on parcourait, de terre ferme. Ces contrées sont séparées aujourd'hui par une longue distance dans la mer, car 100 ans avant la conquête de l'Egypte (par les Musulmans) la mer submergea les villages qui se trouvaient sur l'emplacement du lac: mais ceux qui étaient situés sur les hauteurs existent encore entourés d'eau. Lorsque cette extension de la mer eut lieu l'eau enveloppa le pont qui reliait les pays andalous à la côte de Tanger, située au Maghreb. C'était un pont magnifiquement construit avec des pierres, qui n'avait pas d'équivalent ailleurs sur toute la terre: les chameaux et

nulle part aussi longue qu'à Maryūt et Wādī Fargāna. Maryūt est un important village du ressort d'Alexandrie, proche de la ville qui approvisionne celle-ci en fruits.

On dit que lorsque 'Awf Ibn Mālīk entra dans la ville d'Alexandrie il dit à ses habitants : "comme votre ville est belle!". Ils lui rapportèrent les paroles d'Alexandre lorsqu'il la construisit : "je construis une ville qui a besoin de l'aide de Dieu, et non de celle des hommes", c'est pourquoi sa beauté a persisté au cours des siècles. Au contraire, lorsque al-Farmā, frère d'Alexandre bâtit la ville d'al-Faramā, il dit : "je construis une ville qui peut se passer de l'aide de Dieu mais non de celle des hommes", et c'est pourquoi elle perdit sa grâce, et chaque jour une de ses parties tombe en ruine sans être jamais relevée".

On dit que lorsque 'Umar Ibn 'Abd al-Azīz entra à Alexandrie, alors qu'il était gouverneur général d'Égypte, frappé par la grandeur de la ville et les énormes proportions des ses monuments, comprenant que c'était une grande ville, demanda au gouverneur, qui l'habitait : "dis-moi, à combien s'élevait le nombre des habitants d'Alexandrie sous le royaume des Rūm"; il lui répondit : "par Dieu personne ne connaît la vérité si ce n'est Dieu, mais je peux vous dire le nombre de leurs chefs et de leurs rois, car le roi des Rūm donna ordre de les compter et le fit inscrire dans leurs histoires et leurs livres; il en trouva 600.000. La preuve de sa grandeur et du nombre élevé de ses rois, c'est que lorsque la pluie y tombe en grande quantité, la poussière coule avec l'eau, hommes, femmes, garçons, pauvres parcourent les rues de la ville à la recherche des pièces d'or, d'argent, de bijoux et bien d'autre objets précieux tels que hyacinthe, émeraude et différentes sortes de bijoux; personne ne rentre chez soi bredouille. Alexandrie est la plus grande ville d'Égypte.

Tous les pays d'Égypte renferme des merveilles et des choses curieuses qu'il serait impossible de décrire.

On dit qu'Ahmed Ibn Tūlūn, gouverneur général d'Égypte après l'an 200 de l'Hégire, s'intéressait à ces histoires anciennes et aux merveilles. On lui dit qu'il y avait un vieillard parmi les Coptes dans le pays de Ša'id, pays appartenant à la Haute Égypte,

vieillard qui était parmi eux lui dit : "je vous en bâtirais un comme celui-ci et meilleur, si vous pouviez m'assurer ce que je voudrais". Le roi répondit : "oui". Le vieillard demanda alors deux taureaux forts, attelés à un char; le roi ordonna de les lui préparer: le vieillard entra alors dans le cimetière des Anciens, creusa un des tombeaux, en extraya un énorme crâne et le mit dans le char. Mais les deux taureaux ne purent le tirer qu'avec peine. Le vieillard se présenta alors au roi et lui dit : "O prince, Dieu vous bénisse, si vous m'aviez donné des hommes dont le crânes ressemblent à celui-ci, j'aurais construit un palais pareil". Le roi comprit qu'il ne pourrait accomplir cette tâche. Hamza Ibn Mohammed dit encore : "je vis à Alexandrie un boucher qui avait une dent molaire, avec laquelle il pesait la viande et dont le poids était de 8 ratls.

A Alexandrie il y avait un forum (maḥab), aujourd'hui en grande partie détruit, d'une construction parfaite où toute la population se rendait pour traiter ses affaires; chaque participant s'installait en face d'un autre participant, rien n'était caché à personne, proches ou éloignés étaient égaux en cette matière. Il y avait un jour de fête où ils se rassemblaient dans ce forum; leurs chefs, les fils de leurs rois et le commun peuple assistaient à cette cérémonie. Les jeunes hommes jouaient avec des bâtons et une balle; si la balle entra dans la chemise de l'un des assistants, celui-ci devait monter sur le trône d'Egypte. C'était leur fête qui est bien connue, et personne ne le nie. 'Amr Ibn al-'Ās avait visité Alexandrie avant l'Islam en qualité de marchand de coton et de matières grasses; il assista un jour à la cérémonie dans ce forum, et lorsqu'ils jouèrent avec la balle, celle-ci entra dans la fente de sa chemise; c'est alors que l'Islam apparut et qu'il se passa ce que Dieu Très-Haut avait prédit à propos de l'entrée de 'Amr en Egypte et de son installation comme gouverneur à trois reprises.

On admire à Alexandrie l'élégance de la ville, son site, la hauteur et la perfection de ses édifices, la largeur de ses rues et ses routes. Elle a un climat maritime et continental à la fois. Elle est privilégiée en vivres et en fruits plus qu'aucune autre ville, sans parler de son air, et de ses terres. Quelques interprètes du Coran disaient qu'Iram Dāt al-'Imād n'était pas autre qu'Alexandrie.

Ceux qui sont versés dans la science de l'histoire de toutes les régions et de tous les pays disent que la durée de la vie n'est

des Indes perdent leurs odeurs aromatiques par suite de l'absence de cette bonne terre et de cet air bon. On dit qu'il y avait beaucoup de ces bijoux autour du phare: Alexandre les avait noyés autour du phare où on en extrayait, pour les garder. C'est une preuve, au cours des siècles, de la grandeur de son règne, qu'il ait pu posséder tout ce qui est rare et difficile à obtenir.

Suivant une autre anecdote, ces bijoux furent des coupes dans lesquelles buvait Alexandre, et lorsqu'il décéda sa mère les brisa et les jeta dans cet endroit pour que personne n'en profitât après lui.

Le grand palais qui était à Alexandrie et qui n'avait pas son pendant sur terre, est en ruines aujourd'hui; il est situé sur une butte énorme, en face de la porte de la ville. D'une longueur de 500 coudées, d'une largeur de 250 coudées, il ne reste que quelques ruines de ses enceintes. Sa porte est d'une construction parfaite: taillée dans une seule pierre, ainsi que son linteau: il contient environ 100 colonnes élevées, de 10 empans d'épaisseur. Au nord du palais se trouve une colonne dont on n'a jamais entendu dire qu'il en fût de pareille, de 36 empans d'épaisseur, elle est si haute qu'aucune pierre lancée ne peut atteindre son sommet; elle se termine par un chapiteau parfaitement construit qui prouve qu'elle était surmontée d'une autre construction; elle se dresse sur une base de pierre rouge, d'une forme carrée solidement construite, dont la longueur de chaque côté est de 20 empans et la hauteur 8. Elle est axée sur une barre de fer fichée en terre. Lorsque le vent souffle on la voit se mouvoir; il arrive que l'on mette des pierres dessous pour qu'elle les moule, car son mouvement est très fort. Cette colonne est l'une des merveilles du monde. On dit que c'était les génies qui l'avaient faite pour Salomon fils de David (salut à lui); elle se dressait au milieu d'un dôme, entourée de colonnes qui épaulaient une coupole ressemblant à une dalle taillée dans une seule pierre blanche, d'un travail parfait et d'une perfection surprenante. Hamza' Ibn Mohammed al-Misri dit que, lorsque Salomon mourut, un certain roi d'Egypte entra à Alexandrie et vit son palais. Il admira ce palais, œuvre des Anciens, qui était curieux et d'une construction merveilleuse. Il convoqua les artisans et leur demanda de lui construire un palais semblable, mais ils lui dirent: "nous ne pouvons pas le faire"; comme il insistait, un

et dont la mer bat les flancs. Lorsque tu auras traversé cette construction, tu franchiras un espace dans la mer qui ressemble à une île; le phare s'élève sur la plus haute butte et la mer l'entoure de 3 côtés: nord, ouest et sud. Tu regarderas alors le phare et il t'apparaîtra comme un nuage s'élevant vers le ciel. Tu croiras le voir trembler à travers les reflets des rayons du soleil qui le frappent.

On consacre au phare un jour de fête annuel, à Alexandrie; ce jour est connu sous le nom de "jeudi de la lentille". C'est le premier jeudi du mois de mai. A Alexandrie personne ne manque ce jour là d'aller visiter le phare. Les Alexandrins préparent toutes sortes de mets et de boissons, pour fêter ce jour; nécessairement des lentilles. On ouvre le phare pour les gens qu'y entrent; les uns louent Dieu Très-Haut et font la prière; les autres se promènent et se distraient, y restent jusqu'à midi puis s'en vont.

A partir de ce jour, on commence la surveillance de la mer. Dans le phare, on paye des gardes pour allumer du feu sur la plate-forme du premier étage. Les marins de tous les pays se dirigent avec leurs navires vers le feu: le capitaine du navire allume du feu sur son bateau et lorsque les gardes du phare voient le feu sur la mer, ils intensifient le feu en direction de la ville puis quand les gardiens de la ville l'aperçoivent, il donne le signal d'alarme: ils sifflent dans des cornes, sonnent les cloches en signe d'alerte.

Autour du phare il y avait des mares d'où l'on extrayait différentes sortes de pierres précieuses dont on fait les chatons des bagues, telles que les pierres nommées asbadasih, carcahan, baqilmūn et bien d'autres pierres merveilleuses qui n'existent plus de nos jours et qui avaient des caractéristiques spéciales. Le baqilmūn par exemple est une pierre qui change de couleur lorsqu'on la regarde, comme les plumes des paons indiens. Ses couleurs sont plus belles que celles des paons de ces pays bien que les paons indiens soient très beaux et d'une création merveilleuse. Ses couleurs se mêlent les unes aux autres, se multiplient et on a alors une vision extraordinaire. Les paons sont originaires des Indes; ceux qui partent à l'étranger perdent leur taille, l'éclat de leurs couleurs, de même que les oranges et les cédrats transportés

pas juger s'il monte où s'il marche. A chaque tournant de cette pente il y a une porte donnant sur des chambres carrées dont la dimension est de 20 à 10 coudées. Chaque chambre est percée d'ouvertures et de fenêtres pour laisser passer le vent de peur que celui-ci ne renverse la tour. Le phare contient 364 chambres et corridors auxquels on accède de bas en haut, le nombre des pentes est de 72, et dans chacune il y a 12 degrés. Les chambres comme d'ailleurs le phare tout entier, sont élevés sur des voûtes soutenues par arcs en bois de teck; le nombre des portes visibles de l'extérieur est de 22; elles sont ménagées pour faire passer le vent, sans quoi il aurait détruit le phare. Celui qui entre dans ce phare, sans connaître son chemin, se perd et s'égare car le phare contient des chemins qui donnent accès à sa partie basse, à l'écrevisse de verre sus mentionnée et jusqu' à la mer. On dit que lorsque l'armée du souverain du Maghreb (fatimite) arriva à Alexandrie, sous le califat d'al-Muqtadir, quelques cavaliers entrèrent dans le phare sur leurs chevaux afin de voir les merveilles qu'il renfermait, mais ils errèrent et finirent par s'égarer eux et leurs bêtes et une bonne partie d'entre eux périrent.

La mer avait attaqué la partie basse du phare du côté ouest et creusé une sorte d'énorme cave; un certain prince 'Ubaïdite, à ce qu'il semble, combla ce trou, avec des colonnes de marbre placées les unes sur les autres et aujourd'hui l'eau de la mer s'abbat sur ces colonnes sans les éroder.

Du côté nord du phare se trouve un grand bâtiment qui s'élève depuis le fond de la mer jusqu'au dessus de la surface de l'eau; témoin des bassins disparus qu'il portait; ce bâtiment s'appelle al-Fārūs; les navires mouillent à ses flancs car il les ménage du vent et des vagues. Certains prétendent que cet édifice visible n'est pas une chambre, mais les ruines de la partie du phare détruite, dont nous avons parlé plus haut.

Quelques connaisseurs disent: si tu veux contempler la hauteur du phare et son élévation vers le ciel, sors d'Alexandrie par la porte d'Ustūm et suis le rivage de la mer sur une distance d'un demi mille environ, puis tourne à gauche et continue ta marche sur une distance égale; puis tu feras 400 pas sur un bâtiment situé dans la mer ressemblant à un pont avec des ouvertures

truit des voûtes allongées, des souterrains secrets où il avait accumulé ses richesses, argent et bijoux sur lesquels il avait bâti le phare d'Alexandrie. Si l'on détruisait ce phare on pourrait donc retirer ce qui se trouvait au-dessous : argent, richesses, trésors, dont aucun d'eux n'avait jamais vu de pareils . . . Al-Walid le crut et comme il en désirait avidement la possession, il envoya avec lui quelques hommes en qui il avait confiance pour assister à la destruction du phare. Il ordonna au gouverneur d'Alexandrie de lui porter aide pour tout ce dont il aurait besoin. Ce Grec détruisit ainsi à peu près la moitié du phare; il enleva ce miroir qui était sa raison d'être, et voulut détruire le tout; mais les habitants d'Alexandrie s'agitèrent lorsqu'ils apprirent que c'était un stratagème et une ruse. Lorsque cela se répandit, ce Grec qui prit peur pour sa personne, s'enfuit pendant la nuit sur un bateau qu'il avait déjà préparé dans cette intention. Le phare conserva ces dimensions jusqu'à nos jours.

Description du Phare :

Il se compose aujourd'hui de 3 étages. Le corps inférieur a une forme carrée, parfaite, avec des pierres carrées dont le joint est invisible à tel point qu'il paraît fait d'un seul bloc demeuré intact au cours des temps. Sa hauteur est de 320 coudées; on laissa un espace vide d'une mesure égale à l'épaisseur du mur, qui est de 10 coudées et 8 pouces. Et l'on dressa sur cet étage un autre bâtiment d'une forme octogonale, d'une hauteur de 80 coudées. L'épaisseur de ses murs est inférieure à celle de la partie basse du premier étage. Elle est de 8 coudées environs.

Puis après avoir encore laissé un espace vide égal à l'épaisseur du mur on dressa sur ce bâtiment un troisième édifice d'une forme carrée, haute de 50 coudées environ; au sommet de ce dernier se trouve une mosquée solidement construite. On dit que ce fut la mosquée de Salomon. Dans la partie occidentale du bâtiment il y a une inscription sur cuivre que personne ne peut déchiffrer et dont personne ne peut savoir la signification. La porte du phare est en fer; on n'en connaît pas la date. On monte par la porte située au bas du phare par une pente dont on ne sentit pas la déclivité; de même on monte jusqu'au sommet du premier étage par un chemin, où deux cavaliers peuvent marcher côte à côte. C'est un chemin plat à ce point que celui qui monte ne peut

truisit les pyramides de Misr. On raconte aussi que le bâtisseur de la ville la plus grande, Rome, fut aussi celui d'Alexandrie et de son phare et qu'on attribua Alexandrie à Alexandre parce qu'il s'y installa et conquît tous les pays du monde pendant qu'elle était sa capitale.

On dit qu'Alexandre ne craignait pas l'attaque d'un ennemi venant de la mer, ni l'invasion d'un roi quelconque pour prendre des mesures de précautions ou établir des postes de gardiens. 'Abd Allah Ibn 'Amr Ibn al-'As dit que le premier roi d'Alexandrie fut Pharaon; il y construisit des installations hydrauliques, des loges; il fut le premier à la rendre prospère puis les rois lui succédèrent au trône. Salomon fils de David (salut à lui) la choisit comme résidence royale; il y construisit des palais, des réservoirs d'eau fort curieux, faits par les génies à son usage; il bâtit dans le phare une mosquée bien construite qui existe encore de nos jours.

La vérité, c'est qu'Alexandre la construisit entièrement, traça ses fondations, y fit élever le phare, au sommet duquel il plaça le miroir. On dit qu'aucun ennemi n'a jamais paru à Alexandrie, qu'il ne l'a atteint avec ses épées qu'après la disparition de ce miroir, sous le califat d'al-Walid Ibn 'Abd al-Malik Ibn Marwān, dans les circonstances suivantes : le roi des Grecs (rūm) employa la ruse pour faire disparaître le miroir du phare; il envoya un de ses propres serviteurs, homme rusé, malin et avisé. Il vint dans une des villes frontières demander l'aman (protection); on le présenta au Commandeur des croyants al-Walid Ibn 'Abd al-Malik. Il lui fit savoir qu'il faisait partie de la suite du roi des Grecs, que celui-ci voulait le tuer à la suite d'une plainte sans fondements qui avait été portée contre lui, qu'il s'était donc enfui et voulait embrasser l'Islam. Il se convertit à l'Islam devant al-Walid qu'il conseilla en quelques affaires qui lui furent confiées. Puis il fit extraire pour lui des trésors du pays de Damas et d'autres pays de la Syrie (leur existence était mentionné dans des livres qu'il avait). Lorsqu'al-Walid vit tout cela, son avidité et sa convoitise s'accrochèrent et il le questionna sur sa connaissance dans cet art. Il lui dit qu'Alexandre mit la main sur tous les royaumes, qu'il s'empara des richesses et des trésors qui appartenaient à Šaddād Ibn 'Ād et autres parmi les rois arabes, non-arabes, persans et autres. Il avait cons-

blanc et coloré, ainsi que tous ses palais et ses maisons; la ville était éclairée pendant la nuit sans lampes grâce à la blancheur des marbres. Il est fort probable qu'on installa des tissus en soie verte sur les murs car la blancheur frappait la vue des gens. Il l'entoura de 7 enceintes, chacune entourée par un fossé, mur et fossé furent séparés par un espace vide. On dit qu'elle était la plus grande ville qui ait jamais été construite dans une terre habitée et que sa construction était la plus curieuse.

p. 94 On raconte que la faune marine faisait du mal aux gens et les enlevaient pendant la nuit; Alexandre dressa des talismans sur des colonnes de marbre ayant la forme de cyprès, d'une hauteur de 80 coudées; elles existent encore. Selon d'autres sources, ils furent dressés sur des colonnes de cuivre plantées dans le sol et sur lesquelles on grava différents dessins et images qui mettaient à l'abri du mal.

Il construisit le phare dans la presqu'île qui s'avance dans la mer et le bâtit sur des fondations de verre de la forme d'une écrevisse, au fond de la mer. Il l'éleva dans l'air à une hauteur de 1000 coudées et installa à son sommet un miroir. Le miroir était fait d'une combinaison de matières extraordinairement curieuses; on y voyait les bateaux ennemis à la distance de quelques jours et à leur approche, on prenait des précautions: on faisait des mélanges de pommades qu'ils connaissaient avec lesquels on frottait le miroir et on dirigeait sur les bateaux ses rayons réfléchis qui les mettaient en feu. Il plaça dans le phare des statues de cuivre, beaucoup de talismans qui défendaient contre le mal et qui avaient d'autres qualités. Parmi ceux-ci il y avait une statue qui dirigeait son index vers le soleil où qu'il fût, à l'est, à l'ouest ou sur l'horizon, il tournait toujours avec lui; une autre statue indiquait l'ennemi lorsqu'il était à la distance d'une nuit de lui; s'il s'approchait au point qu'on pût l'apercevoir, cette statue émettait un bruit formidable qui pouvait être entendu à la distance de 2 ou 3 milles; une troisième statue produisait un bruit à chaque heure qui passait; ce bruit était toujours différent de celui entendu à l'heure précédente. Ni les gens, ni les anecdotes ne sont d'accords sur l'histoire de ce phare; les uns y voient l'œuvre d'Alexandre; d'autres celles de la reine Dalūka; d'autres celle du roi Jaīrūn sus mentionné et qui fut son véritable bâtisseur. On dit que c'est le même roi qui cons-

pouvoir de Dieu Tout-Puissant. Qui aura constaté ce que j'ai fait et appris mon histoire, et mon âge avancé ne sera, après moi, guère déçu par la vie".

On dit que lorsqu'Alexandre vit la prodigalité du sol de cette contrée, la pureté de son air et de tout ce qu'elle contient, il décida d'y bâtir une ville.

Il envoya des messagers dans tous les pays pour rassembler les artisans, il traça le plan des fondations, fit venir par la mer les colonnes, les marbres, ordinaires et colorés, les pierres, de Sicile, du pays d'Ifriqiya, de Chypre. Quand il eut tracé le plan de la ville tout entière, il fit creuser ses fondations. Il voulut que le commencement des travaux correspondit à un moment heureux, favorable à une existence éternelle. Il fit élever, au-dessus du fossé des fondations, une colonne en marbre et planter sur chaque terrain, des morceaux de bois, liés entre eux par des cordes attachées à la colonne de marbre sur laquelle fut fixée une énorme cloche; une petite cloche fut accrochée à chaque corde; quand on tire la corde de la grande cloche attachée à la colonne et qu'elle sonne, les autres cordes bougent et les cloches tintent. Alexandre observa le moment favorable et ordonna aux travailleurs de poser les premières pierres à la fois lorsqu'ils entendraient les cloches; ils avaient fait les préparatifs nécessaires pour cela. Alors qu'Alexandre était en train d'observer le temps, il s'endormit; à ce moment un corbeau se posa sur la corde de la grande cloche, la secoua, si bien que toutes les cloches sonnèrent. Alors les maçons posèrent les premières fondations aussitôt. La rumeur des louanges et des invocations à Dieu s'éleva si haut qu'elle éveilla Alexandre. Il en demanda le motif et on lui en fit part; il en fut étonné et dit: "je voulais une chose mais Dieu en a voulu une autre; qu'il soit fait selon la volonté de Dieu. Je voulais que la ville existât éternellement et Dieu a voulu qu'elle fût bâtie rapidement"; puis il fit continuer les travaux. Il construisit la ville sur des voûtes allongées et en gradation. Il lui fit des ouvertures et des fenêtres. Les voûtes allongées étaient si hautes qu'un cavalier pouvait y marcher, la lance haute à la main sans être gêné sur toutes les routes situées sous les voûtes. Il pouvait ainsi faire le tour d'Alexandrie tout entière. De même ses marchés étaient voûtés pour que la pluie n'atteigne pas ses habitants. Il bâtit ses murs en différentes sortes de marbre

al-Harīt vers le Sa'id; celui-ci chercha al-Fayyum en marchant jusqu'à "al-Qāsiyīn" qui prit son nom, mais 'Amr n'ayant pas de ses nouvelles, demanda : "qui peut nous renseigner sur Qais", alors Rabi'a Ibn Habīb dit : "moi, je pourrais vous renseigner", et il monta sur une de ses juments avec laquelle il traversa le Nil, venant de la rive orientale; il était accompagné de 'Amr Ibn Rabi'a Ibn Habīb as-Sadafi. Avec leurs compagnons, ils se mirent en route et quand ils traversèrent le désert, ils ne virent rien et étaient sur le point de faire demi tour lorsque, s'avancant un peu, ils aperçurent la couleur noire d'al-Fayyum; ils trouvèrent Qais dans le pays des Qaisites et rapportèrent à 'Amr la découverte d'al-Fayyum.

p. 92

Alexandrie - On raconte qu'elle s'appella Barda. Elle renferme 15 circonscriptions administratives (kawra). On dit qu'Alexandrie était composée de 3 grandes villes voisines parmi lesquelles la ville de Šana où s'élève le phare et qui s'étend au delà de celui-ci. Alexandrie proprement dite était la capitale du royaume et la résidence du souverain, c'est celle qui existe aujourd'hui. La troisième ville était Naqita. Chacune d'elles était entourée d'une enceinte. Suivant une autre anecdote, il y aurait eu sur l'emplacement d'Alexandrie 3 grandes villes entourées de 7 enceintes et de 7 fossés. En ce qui concerne l'origine de sa construction, on dit que lorsque Alexandre s'installa sur le trône de son pays, à Rome et au delà des pays des Romains — car il était romain à ce qu'on raconte — il chercha un site dont les conditions d'air, de sol et d'eau seraient favorables à la construction d'une ville qu'il pourrait prendre pour résidence. C'est alors qu'il arriva à l'emplacement d'Alexandrie où il trouva les ruines d'un bâtiment, des colonnes de marbre, dont l'une portait l'inscription suivante, exécutée au moyen du caractère dit "musnad", le premier caractère de Himyar et des rois des 'Ad : "je suis Šaddad Ibn 'Ad, j'ai bouché du bras la vallée, j'ai taillé d'énormes colonnes dans les hautes montagnes, j'ai construit Iram Dāt al-'Imād dont on n'a créé le pendant dans aucun pays. J'ai voulu construire ici la ville de Karen et y transporter tout ce qui comptait d'ancien parmi les tribus et les peuples, mais j'ai été frappé par la mort qui m'empêcha de réaliser mon but; c'est alors que j'ai quitté ce monde d'ici-bas, non pas sous la pression d'un roi puissant, ni par crainte d'une armée nombreuse mais par suite des exigences du destin, de la fin de mon existence et par le

Tout est mesuré parfaitement afin que chacun n'ait que la part qui lui revient. C'est l'une des constructions les mieux achevées et des plus parfaites. On dit que c'est de l'époque de sa construction que date la géométrie. On dit que Joseph (salut à lui) la réalisa grâce à une inspiration divine. Les rois ne cessèrent d'y venir pour contempler la beauté de l'art et admirer sa curieuse perfection. On dit que lorsque le roi qui vivait du temps de Joseph, l'observa il dit: cette ville fait partie du royaume céleste. Elle est de ces constructions qui durent éternellement. On dit qu'elle est faite de 3 matériaux: argent, cuivre, verre. Sur la rive occidentale se trouve une mosquée. On dit que c'est celle de Joseph.

Al-Fayyūm reçoit l'eau pour l'irrigation lorsque la crue du Nil atteint 12 coudées; il n'y a pas dans le territoire d'Égypte un autre endroit qui puisse procéder à l'irrigation avec une crue de 12 coudées, sauf al-Fayyūm, grâce à la perfection de la construction du barrage d'al-Lahun. On ne procède d'ordinaire pas à l'irrigation de la terre d'Égypte à moins de 16 coudées. Lorsque la crue du Nil dépasse 12 coudées, on coupe l'eau à al-Fayyūm. Le jour de la fermeture du barrage d'al-Lahun, ceux qui habitent à l'entour assistent à la cérémonie avec des tambours et des étendards en présence des ingénieurs. Il n'y a donc pas de prétexte pour celui qui invoque le manque d'eau (pour ne pas payer l'impôt). Les messagers partent alors pour Mīsr annoncer l'heureuse nouvelle.

Pour eux c'est un jour de fête et de plaisir. Les habitants d'al-Fayyūm procèdent aux plantations pendant que l'eau couvre toute la terre d'Égypte sans s'y infiltrer. Lorsque le temps de la moisson est arrivé en Égypte, c'est le moment de la seconde irrigation pour les habitants d'al-Fayyūm puisqu'ils sèment leurs terres deux fois par an. La seconde fois, ils plantent outre les grains farineux, du blé, de l'orge et du riz. Al-Fayyūm est des plus fertiles parmi les pays de Dieu Très-Haut, le plus riche en fruits, où les dattes mûres ne manquent ni en été ni en hiver. C'est pour cela que le revenu fiscal y est le plus considérable de tous les pays d'Égypte. 'Abd al-Malik Ibn Ḥabīb dit: il est appelé al-Fayyūm parce que son revenu est de 1000 dinars par jour. Al-Fayyūm est entouré de tous côtés par le désert ou par des chemins difficiles. Ibn 'Afr et d'autres racontent que lorsque 'Amr Ibn al-'Ās conquiert les pays d'Égypte, il resta une année sans savoir, où se trouve al-Fayyūm jusqu'à ce que 'amr ait envoyé Qaṣ Ibn

aucun autre pays, que celui d'al-Farama. Ce sont de grandes dattes dont une espèce d'un poids de 20 dirhams et d'une longueur d'un empan.

La Ville de Rosette (Raṣīd) — C'est une grande ville située sur une énorme colline de sable. Lorsque le vent occidental souffle — et il est violent chez eux — il remplit les rues et les maisons de sable au point qu'ils ne peuvent pas continuer leur activité commerciale sur leurs marchés. Elle se trouve sur la rive du Nil à proximité de la mer. De Mistr à Rosette, la rive du Nil est un des plus merveilleux parcs du monde. L'abondance des récoltes y est telle qu'elle n'a pas d'égale ailleurs. Abu'l-baïd al-Bakrī raconte qu'un habitant de ces lieux l'avait informé qu'il connaissait un jardin, appartenant à un Egyptien, dont les revenus, provenant de ses grenades et de ses bananes seulement, s'élevaient à 15.000 mitqāl̄s par an. Il ajoute qu'il y avait là bas le jardin d'al-Laīt Ibn Sa'd (puisse Dieu le pardonner). Qutaiba dit à ce sujet: "j'entendis al-Laīt Ibn Sa'd dire: j'avais 50.000 dinars de revenu par an, qui n'ont point été touchés par la zakat (la dime), c'est-à-dire qu'ils appartiennent aux fruits qui échappent à cette dite imposition.

p. 90

De la Ville d'al-Fayyum — C'est un vaste pays renfermant beaucoup de villages d'un nombre égal, dit-on, à celui des villages du pays d'Egypte tout entier, car, lorsque Joseph (salut à lui) le fit construire, il installa dans chaque village la famille d'un village d'Egypte; il alimenta chaque village par une quantité d'eau suffisante pour l'irrigation de ses terres, sans surplus ni manque. On dit encore qu'il y a dans le pays d'al-Fayyum 360 villages correspondant au nombre des jours de l'année où l'eau ne manque jamais par suite de la perfection de son irrigation. Si le niveau du Nil diminue une année et si les prix (des produits alimentaires) augmentent, chaque village d'al-Fayyum alimente l'Egypte pendant un jour. La construction (barrage) d'al-Lahun à al-Fayyum est une des merveilles du monde. Al-Lahun est un grand village d'al-Fayyum; c'est là que se trouve cette construction; elle est solidement bâtie et possède 60 gradins, sur lesquels il y a des jets d'eau, au sommet, au milieu et au bas. Les plus hauts alimentent en eau les terrains élevés; ceux situés au centre les terrains d'une élévation moyenne et ceux qui sont les plus bas les moins élevés.

plus riche en fruits. Elle était partagée entre deux rois, frères, de la postérité d'Abrî Ibn Misr. L'un d'eux était croyant, l'autre non. Le croyant dépensa sa richesse dans le but de faire le bien jusqu'à ce qu'il vendit sa part de Tennis à son frère. Celui-ci se mit alors à multiplier les plantations et les ruisseaux; il construisit des réservoirs d'eau. Quand son frère eut besoin de son aide, il lui refusa; il s'enorgueillit de ses richesses et de ses serviteurs, et le déconsidéra à cause de sa pauvreté. C'est alors que son frère lui dit: "pourquoi montres-tu de l'ingratitude vis-à-vis de Dieu, pour tout ce qu'il t'a donné et il est, je crois, sur le point de t'en priver, car tu abuses de ses faveurs". C'est ainsi que Dieu Très-Haut envoya sur ses jardins et ses réservoirs d'eau une inondation qui détruisit tout. Les deux frères sont ceux que Dieu Très-Haut mentionne dans la sūra de la caverne avec ces paroles sacrées et suprêmes: "Propose cette parabole: un homme possédait deux jardins plantés de vignes entourés de palmiers et enrichis de diverses semences. Ils devinrent féconds et son attente ne fut point trompée ..." jusqu'à la fin de ces versets prophétiques. On s'embarque de Tennis pour al-Faramā, située au bord de la mer.

p. 89

La Ville d'al-Faramā — C'est une grande ville, ancienne, éternelle où il y a beaucoup de monuments merveilleux qui attestent de sa situation de capitale. On dit que c'est le roi al-Faramā qui la fit construire. Les Egyptiens racontent que lorsqu'Ibn al-Mudabbir fut nommé gouverneur d'Égypte, il envoya quelques uns des siens pour enlever quelques portes en marbre dans la partie orientale de la citadelle et dont il avait besoin pour paver sa maison, mais les habitants d'al-Faramā le lui interdirent; ils sortirent à la rencontre de ses messagers, armes en mains, et leur dirent: "ce sont ces portent que Dieu Très-Haut mentionne en disant par la bouche de Jacob: O mes fils n'entrez pas par une seule porte, mais entrez par différentes portes".

Parmi les merveilles du monde citons les palmiers d'al-Faramā, car ils donnent leurs fruits lorsque la saison des dattes fraîches et mûres finit dans tout le pays. Les palmiers d'al-Faramā donnent leurs dattes au mois de kānūn 1^{er} (décembre), lorsque les palmiers commencent à fleurir partout ailleurs; ainsi les dattes s'y trouvent-elles pendant 4 mois sans interruption. Ceci ne se rencontre dans

La ville de 'Uswan (Assouan) — Elle est la dernière ville égyptienne car c'est une ville frontière qui voisine le pays des Nubiens; ceux-ci ne sont pas Musulmans et n'étaient les monts et chemins difficiles qui séparent l'Égypte de leur pays et qui leur en défend l'accès, ils auraient détruit le pays d'Égypte. Le Nil descend du pays des Nubiens, à travers des rochers et des chemins abrupts, qu'aucun bateau ne peut parcourir. C'est de 'Uswan que part la route qui conduit à 'Aydab.

'*Aydab* est une ville située au bord de la mer occidentale, connue sous le nom de Qulzum; à partir de 'Aydab, on la traverse en direction de la côte du Hijaz et de la Mecque. De 'Aydab on se dirige vers le Yémen, les Indes et d'autres pays.

Parmi les villes d'Égypte on compte *Dinayat (Damiette)* et *Tennis*. Ce sont deux villes dont la plupart des terres sont envahies par la mer. Tennis est une grande ville, éternelle, renfermant beaucoup de monuments anciens. Ses habitants mènent une vie facile: ils sont riches. La plupart d'entre eux sont des tailleurs. On y confectionne des vêtements, appelés al-Sarub qui n'ont pas leurs pareils dans le monde. On y fait pour le souverain d'Égypte une robe pour laquelle on n'emploie dans la chaîne et la trame du tissu que 2 onces (uqiya) de fil ordinaire; mais 100 dinars en or transformé en fils: son artisan la fait d'une façon si parfaite qu'on ne taille et ne coud que l'ouverture supérieure. Elle coûte le prix de 1000 dinars. L'artisan la fait parfaitement à tel point qu'il ne façonne et ne coud que ce que nous avons dit, c'est encore vrai de nos jours. On y fabrique encore chaque année cette robe pour chaque roi accédant au trône d'Égypte. Cette robe s'appelle al-badana. Dans le monde entier, il n'y a aucun tissu de lin, sans fil d'or coûtant 100 dinars sauf le tissu de Tennis et de Damiette. Dans l'île de Tennis et de Damiette habitent des Chrétiens payant la capitulation, grâce à Dieu, nous sommes maintenant en l'an 586 de l'Hégire (1190 J. C.).

Les habitants de Tennis chassent les grives et autres espèces d'oiseaux aux portes de leurs maisons, car ils tendent des filets dans les rues et près des portes de leurs maisons: lorsque les grives venant de la mer, survolent la terre, elles sont effrayées et tombent dans ces filets. Tennis était le plus fertile des pays de Dieu, le

précieuse, qui n'a pas d'égale sur terre, notamment dans la contrée dite al-Hariba, dans un défilé et des montagnes défendues par les Bujāh auxquels celui qui veut extraire l'émeraude, paye un impôt de sauvegarde. La distance entre cette contrée et le Nil est de plus de 20 étapes; de même la mine est à 7 jours de marche de tout endroit habité, on n'en trouve dans aucun autre pays, hormi le pays d'al-Balhara aux Indes; mais l'émeraude indienne ne vaut pas celle-ci. L'émeraude indienne est appelée "la mecquoise" car on l'apporte à Aden pour la transporter à la Mecque d'où elle tire son appellation. L'émeraude extraite de la contrée dite al-Hariba se présente sous 4 variétés: la supérieure, celle connue par "al-marw", est la plus belle de toutes; elle est d'une belle eau, d'une teinte verte semblable à celle de la poirée, mais paraît plus noire; la seconde est al-bahri (maritime); elle est de la couleur des feuilles du myrte, mais elle est connue sous le qualificatif de "maritime" parce que les rois des Indes, de Sind et de la Chine l'estiment et la préfèrent aux autres émeraudes; la troisième est celle dite "al-magribi", car les rois du Maghreb, des Francs, de l'Andalousie et de la Galice se disputent sa possession; la quatrième appelée al-asam (solide) est d'une qualité inférieure et moins chère étant donné sa pauvreté en eau, en couleur verte et sa sobriété. Une 'adasa (lentille) d'émeraude supérieure coûte 10 dinars. Les mines de ce métal sont abandonnées à cause de leur éloignement de tout pays habité et la rareté des gens qui y travaillent. Tous ceux qui ont connu ces lieux sont d'accord pour reconnaître que les reptiles, les serpents et toute sorte d'animaux venimeux ne s'approchent pas de ce métal ni de ses mines. On dit que si ces animaux regardent l'émeraude précieuse, leurs yeux se crèvent et que celui qui est piqué par l'un d'eux et avale le poids d'un daniq, se guérit, grâce à Dieu. Les rois de Grèce versés dans la philosophie, préfèrent l'émeraude à toutes les autres pierres précieuses. Les philosophes disent que son irradiation et sa couleur verte deviennent plus fortes à mesure que la lune monte et se forme. Que de mystères dans les secrets divins.

La Ville de Qift — C'est une ville, d'une étendue moyenne entourée d'une enceinte. La distance qui la sépare de la ville de Qūs est de 4 milles. Elle renferme un temple antique et dans son voisinage il y a une vaste forêt.

de marbre, des statues et des gravures. Il y a un grand bassin creusé dans la pierre solide entouré de sièges en marbre sur lesquels s'asseyait Pharaon et qu'on lui remplissait de vin. Il était entouré de ruisseaux de miel et de différentes boissons: tout près de là se trouve une statue en marbre qui semble parler: on dit qu'elle était la coiffeuse de Pharaon. Près de celle-ci, deux idoles de pierre: chacune a 6 coudées de haut: l'une pleure, l'autre rit. Cette ville fut soumise au pouvoir du père de Zulaïha femme d'al-'Aziz connue comme fille du gouverneur de la ville.^v

La Ville d'Ansena — C'était, à l'époque des Pharaons où il y en avait beaucoup, la ville des magiciens. Un ancien temple s'y trouvait mais dont il ne reste aujourd'hui qu'une seule chambre construite en un seul rocher. On dit que Maria, la copte dont al-Muqawqas avait fait cadeau au Prophète (le salut et la prière de Dieu à lui) était originaire de la province d'Ansena d'un village dit Jafa.

Les gens d'Ansena sont à l'abri du crocodile, car celui-ci ne s'approche pas de la ville. Il est plus redoutable sur l'autre rive en face d'Ansena, surtout dans le village dit al-'Umun. Personne ne peut s'approcher des bords du fleuve. Lorsque les crocodiles arrivent aux environs d'Ansena, ils nagent renversés sur le dos jusqu'à ce qu'ils aient dépassé les limites de la ville. A 10 milles d'al-Fustat, les crocodiles agissent de même jusqu'à ce qu'ils aient dépassé cette ville, d'une distance égale.

La Ville de Qus — C'est une grande ville éternelle, qui remonte à une haute antiquité et renferme beaucoup de monuments appartenant aux Anciens. Dans l'espace qui la sépare de la ville d'Uswān, se trouvent des caveaux creusés dans les montagnes où l'on voit des tombeaux dont on ne connaît pas les origines. On y extrait la bonne momie que les anciens avait mise dans leurs dépouilles mortelles et sous leurs linceuls. On dit qu'entre la contrée de Qus et celle d'Uswān on trouve les filons d'or, mais les Bujah, de race abyssinienne en interdisent l'accès. Leur pays est situé entre la mer du Qulzum (Rouge) et le Nil d'Egypte. Des groupes d'arabes des Rabi'a vivent chez eux pour chercher ce métal. On trouve aussi l'émeraude

grand souterrain jusqu'au tombeau sacré; mais les habitants de Médine le découvrirent et tuèrent les auteurs impies en leur infligeant un châtiment exemplaire. Ils comblèrent la fosse avec des pierres et y versèrent du plomb. Plus personne dès lors ne pourra prétendre user d'une telle manœuvre.

La ville de Memphis (Manf) — C'est une grande ville éternelle, résidence des anciens rois, où vivait Pharaon de Moïse (salut à lui). Ce Pharaon fit construire 70 portes dans son enceinte et en fortifia les murs avec du fer et du cuivre. Un homme de la postérité de 'Ali Ibn Abi Talib (puisse Dieu être content de lui) dit : "je vis à Memphis la maison de Pharaon dont je parcourus les galeries, les loges, les chambres et tous les portiques, de même que les habitations; je trouvai tout cela construit comme en une seule pierre creusée. Si la construction était parfaite à tel point qu'elle paraissait faite d'un seul bloc et qu'on ne pouvait déceler la séparation entre deux pierres, ni entre deux rochers, cela était curieux. Mais s'il s'agissait d'une montagne dans laquelle on avait taillé ces vides avec des pioches, cela était plus merveilleux encore.

. 84 *La ville de Dufay* — C'est une ville éternelle qui remonte à une très haute antiquité. Elle est d'une construction merveilleuse, renfermant beaucoup de curiosités. C'était le lieu de rendez-vous de tous les magiciens d'Égypte.

La Ville d'Ihmim — C'est une ville éternelle qui remonte à une haute antiquité, située au bord est du Nil, où se tiennent beaucoup de marchés, de bains et de mosquées. Dans son enceinte on voit l'ancien temple sus-mentionné, qui est resté intact. Elle possède des édifices et des monuments curieux qui surpassent la description.

La Ville d'Asyut — C'est une ville ancienne, éternelle, entourée d'une enceinte, située sur la rive occidentale du Nil. Elle possède une jolie citadelle. Elle est très riche surtout par l'abondance et la qualité de la canne à sucre, comme ne l'est aucune des villes de Dieu. Au milieu de son marché se dresse un temple antique dont quelques parties sont détruites.

La Ville de 'Ain Šams — C'est une ville éternelle et antique. C'était la résidence de Pharaon et on y trouve beaucoup de monuments, de bâtiments très curieux construits avec des colonnes

la mosquée fut achevée. 'Amr dressa un minbar (chaire) sur lequel il faisait la *ḥuṭba* (prône du vendredi). Lorsque 'Umar Ibn al-Ḥaṭṭāb entendit parler de cela, il adressa à 'Amr Ibn al-'As une missive dans laquelle il écrivit : après quoi, il m'est arrivé l'histoire selon laquelle tu as fait un minbar sur lequel tu montes pour dominer les Musulmans, est-ce qu'il ne te suffit pas de te tenir debout alors que les hommes sont assis au-dessous de toi, je t'ordonne de la détruire. Puis, 'Amr traça le plan de sa maison près de la mosquée, entre lesquelles passe la route; depuis lors, ceux qui désirèrent s'installer en Égypte construisirent de même, chacun leur maison. Az-Zubāir Ibn al-'Awām construisit sa maison et y mit l'échelle par laquelle il monta au sommet de la forteresse sus-mentionnée. Quand 'Abd al-Malik Ibn Marwān prit le pouvoir il l'enleva à az-Zubāir et la choisit comme demeure; mais lorsqu'Abū Ja'far al-Mansur l'abbasside monta sur le trône califien, il la restitua à Ḥisām Ibn 'Urwa Ibn az-Zubāir.

LES VILLES D'EGYPTE LES PLUS ILLUSTRÉS

Parmi celles-ci on compte la ville de *Misr, al-Fustat*, que nous venons de citer. Elle est la capitale du pays d'Égypte; on y trouve des bâtiments, des jardins, des maisons donnant sur le Nil et des palais qui excitent la vue et qui réjouissent les affligés.

3 *La ville du Caire* — Ville récente, elle fut construite par les Banū 'Ubaïd, les Šītes, qui s'y installèrent. Une distance de trois milles environ sépare le Caire de la ville de Misr. C'est une grande ville renfermant des palais et des édifices dont la description est impossible. C'était la capitale du royaume 'Ubaïdite. Al-Ḥākim le 'Ubaïdite avait construit sur l'emplacement de trois tombeau-mosquées, entre al-Fustat et le Caire, une grande mosquée. Il y installa des gardiens, des serviteurs pour allumer des lampes toutes la nuit. On raconte qu'il voulait y transporter la dépouille mortelle du Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui); il avait failli réussir par la fraude, mais Dieu en empêcha l'accomplissement, et fit connaître ce projet aux habitants de Médine, pour protéger son prophète et faire échouer les desseins de son ennemi : Al-Ḥākim distribua de l'argent à un certain nombre de ses partisans; ceux-ci partirent pour Médine où ils achetèrent une maison mitoyenne à la mosquée de l'Envoyé de Dieu, ils la payèrent très cher. Après avoir mesuré la distance entre la maison et le tombeau ils creusèrent un

conclu entre eux et les Musulmans. Le recensement d'alors de tous les Coptes en haute et basse Egypte accusait 6.000.000 sans compter, vieillards, enfants et femmes. Chaque homme fut soumis au paiement de 2 dinars par an ce qui fait 12 millions de dinars. Ce sont leurs chefs qui durent rendre des comptes garantis par des serments inviolables. Cet impôt augmenta de 3.000 dinars avec ceux qui vinrent s'installer dans le pays parmi les autres chrétiens et les nubiens. 'Amr se livra ensuite à la recherche de l'argent qu'il ajouta à la trésorerie publique des Musulmans. On lui dit que l'un des Grands possédait, en Haute Egypte beaucoup de richesses. Il lui envoya pour demander l'argent qu'il déclara ne pas posséder, mais 'Amr l'emprisonna par la suite. 'Amr demanda à ceux qui fréquentaient le prisonnier s'ils l'avaient entendu parler de quelqu'un. Ils répondirent : nous l'avons entendu mentionner souvent un moine à at-Tūr. 'Amr envoya quelques uns des siens qui apportèrent le cachet du prisonnier. 'Amr écrit alors au nom de celui-ci une lettre en grec destinée au moine, qu'il scella avec le cachet. Par la suite, le moine apporta un vase en cuivre scellé avec du plomb contenant une lettre dans laquelle on lit "mes fils si vous voulez votre fortune, creusez sous la fontaine". 'Amr envoya les intendants à la fontaine (saqiya) pour creuser et extraire 50 ardab de dinars. L'ardab équivaut environ à un qintār et demi.

'Amr donna ordre aux Musulmans de construire des maisons pour y demeurer, à al-Fustat, celle-ci est la ville de Misr aujourd'hui. On donne le nom al-Fustat à la ville de Misr parce que lors de l'entrée de 'Amr Ibn al-'Ās en Egypte, il dressa sa tente (fustat) dans ces lieux. Quand il voulut marcher sur Alexandrie afin d'y faire la guerre aux Grecs, il donna ordre d'enlever la tente, mais on y trouva des pigeons sauvages avec des pigeonceaux. 'Amr dit alors ceux-ci se sont réfugiés dans un endroit qui les préserve; on laissa la tente et recommanda de l'entretenir. Au retour des Musulmans après la conquête d'Alexandrie, les hommes demandèrent : "où pouvons nous nous installer", on leur dit à al-Fustat, celui de 'Amr, qu'il laissa dressé dans le camps, à l'endroit connu aujourd'hui sous le nom de Dār al-Ḥaṣā. Après quoi 'Amr commença la construction de la mosquée. L'emplacement était occupé par des jardins et des vignes qu'on coupa. La construction commença avec le concours de 'Amr et ceux qui étaient présents parmi les compagnons du Prophète jusqu'à ce qu'on finit d'élever la coupole. Quand

ils se lavent les mains et les pieds avec l'eau; lorsque c'est le moment de la prière, personne ne s'abstient; ils se montrent très humbles en pratiquant la prière". Alors al-Muqawqas dit en jurant : "S'ils attaquent les montagnes, ils les feraient trembler; personne n'est capable de leur faire la guerre. Si nous ne faisons pas la paix avec eux alors qu'ils sont assiégés par le Nil, ils ne l'accepteront jamais s'ils peuvent s'accrocher à la terre". La crue du Nil était à ce moment très haute, les Musulmans sont entourés par les eaux de tous côtés; ils ne peuvent s'infiltrer dans le 'S'aid ni ailleurs. Puis 'Amr Ibn al-'As leur envoya une délégation de 10 hommes. Il chargea l'un d'eux, un certain 'Ubada Ibn as-Samit, arabe de couleur noire, connu pour sa grande éloquence, de parler en leur nom. 'Amr ordonna de ne leur accorder que l'une des trois clauses précédentes. Ils s'embarquèrent sur des barques, pour être introduits devant al-Muqawqas. 'Ubada s'avança pour prendre la parole mais al-Muqawqas pris de peur à cause de son teint noir dit : "éloignez ce Noir de moi et désignez en un autre (pour prendre la parole)", alors, ils répondirent unanimement : "ce Noir est notre seigneur; il est le plus digne parmi nous vu sa sagesse et sa science". 'Ubada lui adressa la parole de la sorte, une seconde fois. Après quoi al-Muqawqas dit à ses compagnons : "son apparence m'avait fait peur, mais pour moi, sa parole est plus redoutable, cet homme et ses compagnons sont sortis pour la destruction du monde, je crois que leur pouvoir s'étendra sur toute la terre. Il proposa de donner à chaque combattant 2 dinars, à leur chef 100 dinars et d'envoyer à leur calife 1000 dinars. 'Ubada n'accepta que l'une des trois conditions; al-Muqawqas demanda l'avis de ses compagnons. Ceux-ci répondirent : "en ce qui concerne notre conversion à leur religion, c'est inadmissible; nous n'abandonnerons pas la religion de Jésus, pour une autre que nous ne connaissons pas; quant à leur projet de nous asservir, nous préférons la mort; s'ils acceptent le double de ce que nous venons de leur proposer pour qu'ils partent, cela sera plus commode pour nous". Ainsi 'Ubada et ses compagnons les quittèrent sans convention aucune sur quoi que ce soit.

Ensuite, les Musulmans s'acharnèrent dans le combat, jusqu'à ce qu'al-Muqawqas fût astreint à payer la capitulation au nom des Coptes seulement. Quant aux Grecs ils avaient le choix entre le paiement de la capitulation et le départ pour leur pays; ce qui fut

ville se ralentit, az-Zubair Ibn al-'Awām dit : "je me voue à Dieu, et j'espère que Dieu assurera la victoire aux Musulmans". On plaça une échelle contre le mur de la forteresse. Il monta puis dit : "si vous entendez mon "appel à Dieu" (takbīr) répondez moi". Voilà que les défenseurs de la forteresse se trouvaient surpris de voir az-Zubair au sommet de la forteresse en train de faire l'appel à Dieu et, tenant son sabre hors du fourreau; les Musulmans se précipitèrent vers l'échelle à tel point que 'Amr dut leur interdire de monter ainsi de peur que l'échelle ne se brisât. Tous les défenseurs s'enfuirent et az-Zubair se dirigea vers la porte de la forteresse; il l'ouvrit et les Musulmans s'y engouffrèrent. Les Rūm (Grecs) et les Coptes se retirèrent en haut dans un château inaccessible qui faisait partie de la forteresse et les Musulmans leur firent la guerre pendant un mois. Al-Mquawqas s'y trouvait avec les Grands des Rūm et des Coptes; il eut peur pour sa personne et pour ceux qui étaient avec lui, il sortit par une porte secrète en laissant dans le château un groupe des siens pour continuer la lutte. Il se réfugia dans l'île où se trouve actuellement l'arsenal et ordonna de couper la digue; puis il envoya un messagēr à 'Amr Ibn al-'Ās pour lui dire : "vous êtes entrés dans notre pays; vous y êtes restés longtemps; vous n'êtes qu'une bande peu nombreuse; les Rūm vous trompèrent : ils mobilisèrent des armées contre vous; le Nil vous entoure de tous côtés et vous êtes prisonniers entre nos mains; déléguez un des vôtres pour négocier; peut-être parviendrons-nous à nous trouver une solution avantageuse, et cesserait entre nous cette lutte avant que ne vous assaillent les armées des Rūm. Or vous le regretterez. 'Amr répondit aussi par l'intermédiaire des messagers : "il ne saurait y avoir entre nous et vous qu'une des trois clauses suivantes : 1° vous embrasserez l'Islam pour devenir nos frères et par la suite nous aurons les mêmes droits et les mêmes devoirs que vous, 2° si vous refusez, vous devrez payer l'impôt de capitulation en vous soumettant à nous. 3° sinon, nous vous ferons la guerre sainte patiemment : jusqu'à ce que Dieu juge entre nous et vous car il est Juge parfait". Lorsque les messagers d'al-Mquawqas revinrent, il leur demanda : "comment les avez-vous trouvés". Ils répondirent : "de ceux que nous avons vus, l'un préfère la mort à la vie, la modestie à une haute situation, aucun n'est attaché à la vie; ils s'asseyaient par terre, mangent sur leurs montures; leur chef est semblable à l'un d'eux,

l'ordre de retour. Il la laissa au messager qu'il fit attendre jusqu'à ce qu'il campât dans un village situé entre Rafah et al-'Aris. Quand il prit des renseignements sur ce village qui faisait partie de la terre d'Egypte, à ce qu'on lui dit, il demanda la lettre et la lut en présence des Musulmans; puis il leur dit : "ne savez-vous pas que ce village fait partie de la terre d'Egypte ?", ils répondirent : "si". Il ajouta : "le Commandeur des croyants m'a dit que si je recevais sa lettre avant mon entrée dans la terre d'Egypte, je devais revenir sur mes pas avec ceux qui m'accompagnent; je reçois sa lettre alors que je suis en territoire d'Egypte; en avant donc et que la bénédiction de Dieu soit avec vous".

Ils se mirent en route et arrivèrent au milieu du pays d'Egypte. Ils campèrent au bord du Nil sur l'emplacement d'al-Fustât; la ville n'existait pas alors car c'est 'Amr qui la construira. Le roi d'Egypte, à cette époque, était al-Muqawqas. C'est lui qui offrit à l'Envoyé de Dieu, Mariya, la copte. Lorsqu'al-Muqawqas entendit parler de l'entrée des Musulmans dans son pays, de leur campement sur l'emplacement d'al-Fustât, il fut effrayé car il ne les connaissait pas et pensa à envoyer des armées contre eux. 'Amr Ibn al-'As écrivit à 'Umar Ibn al-Hattab (puisse Dieu être content de lui), lui demandant du renfort; celui-ci envoya 4.000 hommes. On dit qu'un prêtre de 'Alexandrie, versé dans la science des prévisions, apprenant l'arrivée de 'Amr avec les Musulmans en pays d'Egypte, écrivit aux Coptes en leur disant que leur pouvoir avait pris fin et en leur ordonnant de recevoir 'Amr et de se soumettre à lui. Beaucoup de Coptes lui obéirent et il les prit comme soutien contre la partie adverse. Puis 'Amr marcha sur la ville où se trouvait al-Muqawqas. C'était une grande forteresse bien défendue autour de laquelle on creusa un fossé, qu'on munit de portes auxquelles étaient accrochés des filets en fer. 'Amr dispersa ses compagnons autour de la forteresse pour que l'ennemi les crût plus nombreux qu'ils n'étaient en réalité; le lendemain à l'aube il les répartit dans différentes armes, revêtus d'armures, devant les portes du fossé.

Puis le Prince des croyants, 'Umar Ibn al-Hattab lui envoya az-Zubair Ibn al-Awam à la tête de 12 mille hommes; par la suite les Musulmans devinrent forts. 'Amr s'engagea à fond dans la bataille : il mit les mangonneaux en action mais quand la conquête de la

de Memphis était à cette époque la plus grande parmi les villes d'Egypte; c'était la capitale du royaume. Quand Pharaon eut consolidé sa position sur le trône d'Egypte, il distribua de l'argent au peuple, rassembla les armées, acheva ses adversaires, construisit des villes, creusa des fossés et raffermi de la sorte son régime. Il était un tyran, orgueilleux. Il invitait le peuple à l'adorer, en disant : "Je suis votre dieu très-haut". Il asservit les Banū Isrā'il. C'est ainsi que se déroule son histoire avec Moïse (salut à lui) telle que Dieu Très-Haut la raconte. Après le règne de Moïse les Banū Isrā'il se succédèrent sur le trône, de roi en roi; parmi eux figurent David et Salomon (salut à lui); leur règne dura jusqu'au moment où avec l'apparition du christianisme, les Chrétiens régnèrent sur l'Egypte et se succédèrent sur le trône, de roi en roi, jusqu'à ce que Dieu Très-Haut ait fait apparaître l'Islam : dès lors, les Musulmans entrèrent dans le pays et le dominèrent sous le règne de 'Umar Ibn al-Hattāb (puisse Dieu être content de lui).

LA CONQUETE D'EGYPTE (PAR LES ARABES)

'Abd ar-Rahmān Ibn 'Abd Allah Ibn 'Abd al-Hakam dit : En l'an 18 de l'Hégire (640 J. C.), sous le califat de 'Umar Ibn al-Hattāb, lorsque celui-ci venait à al-Jabiya, 'Amr Ibn al-'Ās eut un interview avec lui. 'Amr, qui visita l'Egypte avant l'Islam où il lui arriva l'histoire de la balle, connaissait ainsi la situation de l'Egypte; il célébra ses louanges, fit connaître à 'Umar l'importance des impôts et lui présenta la conquête comme une chose facile, jusqu'au moment où 'Umar (puisse Dieu être content de lui) finit par accepter. Il le plaça à la tête de 4000 combattants bien équipés et lui dit : "mets toi en route; pour ma part, je vais invoquer l'inspiration divine, je t'enverrai bientôt un message contenant ce que je verrai, si Dieu le veut; si tu reçois une lettre t'ordonnant de t'éloigner, avant ton entrée dans le pays d'Egypte, fais demi tour; si tu y es entré avant l'arrivée de ma lettre, continue ta marche en demandant aide et assistance à Dieu".

'Amr Ibn al-'Ās se mit en route au cœur de la nuit; personne ne sut rien de lui; puis 'Umar invoqua Dieu. Il semble qu'il s'inquiéta du sort des Musulmans. Il écrit à 'Amr, lui ordonnant de retourner avec ses compagnons; celui-ci reçut l'ordre califien à Rafah. 'Amr craignit de lire la lettre, de peur qu'elle ne contint

comme patrimoine. Alors, Joseph la lui acheta et y enterra Jacob pour partir ensuite pour l'Égypte où il avait eu depuis beaucoup d'enfants. Le roi ar-Rayyan mourut après avoir désigné son fils Darīmūs Ibn ar-Rayyān comme successeur ; c'est le quatrième Pharaon, appelé par les historiens Darem. Le roi ar-Rayyan avait recommandé à son fils Darīmūs de faire garder à Joseph ce dont il jouissait en fait de régence et de chancellerie, et de demander conseil auprès de lui. Darīmūs lui demandait conseil mais ne le suivit pas en matière religieuse ni dans la foi de son père : il adorait la lune car elle était son horoscope, lui faisait des idoles en argent pour les dresser dans le palais du marbre que son père avait construit à l'est du Nil. On dit que Joseph (salut à lui) mourut quelques années après, sous le règne de ce roi. Le roi en fut terriblement affligé ainsi que les habitants d'Égypte ; il ordonna de l'envelopper dans un linceul royal. On le mit dans un cercueil de marbre et on l'inhuma pendant un an sur la rive occidentale du Nil et c'est alors qu'elle devint fertile, puis on le déplaça l'année suivante sur la rive orientale et c'est alors qu'elle devint fertile aussi. Quand on constata son bienfait, on décida de mettre le cercueil au milieu du Nil. On l'attacha par des cordes, et on le fit descendre au fond du fleuve. C'est ainsi que les deux rives devinrent fertiles, toutes deux, à la foi.

On dit que le roi ar-Rayyan, fils d'al-Walīd, ami de Joseph, ne mourut pas, il vécut jusqu'au temps de Moïse, fut le Pharaon de Moïse, mentionné dans le Coran. Lorsque Dieu prolongea ses jours, il s'enorgueillit, se fit proclamer Dieu et invita les gens à l'adorer. On raconte d'autres récits à ce sujet. Les avis sont partagés : les uns préjugent qu'il est l'un des 'Amāliq, les autres le considèrent comme un lahmide de Syrie, d'autres croient qu'il est persan de la ville d'Istāhr, d'autres encore estiment qu'il est copte de la postérité de Miṣr, sus mentionné ; les Coptes partagent ce point de vue. Quelques Non-Arabes prétendent qu'il est originaire d'Andalousie, de la ville de Qarmūna. On a dit qu'il s'appelait al-Walīd Ibn Muṣ'ab et qu'il monta sur le trône à la suite de son entrée dans la ville de Memphis venant du désert sur un âne chargé de vin pour le vendre. Les habitants se disputaient alors près de la porte de la ville et n'étaient pas d'accord sur le choix d'un roi. Comme Pharaon était le premier à entrer dans la ville, ils le proclamèrent roi. La ville

préférable à ce que tu recherchais; elle répondit : considère mon attitude car mon mari était impuissant, d'ailleurs aucune femme ne pouvait voir un homme aussi beau que toi sans tomber amoureuse.

Pendant les belles années, Joseph s'occupa d'accumuler des grains, et entasser des vivres, il construisit des magasins pour les moissons dont quelques uns, selon ce qu'on raconte, existent encore. On accumulait les épis de blé, tel que Dieu Très-Haut le mentionna. Lorsque les mauvaises années vinrent et que la crue du Nil diminua graduellement, Joseph se montra politique habile pendant la famine. Il rationna le blé, ne vendit jamais à quelqu'un plus que la ration déterminée. S'il n'avait pas fait ainsi, les gens auraient péri. On dit que toute la richesse des habitants d'Egypte passa aux mains de Joseph comme prix de ce qu'il leur vendit en vivres; il leur vendit à prix d'or, d'argent, de bijoux, de vêtements, de bétail, d'immeubles, de meubles, de tout ce qu'ils possédaient de richesses; ils allèrent même jusqu'à s'acquitter de leurs dettes en cédant leurs enfants, leurs femmes, leurs personnes même jusqu'à devenir tous esclaves. C'est un hommage par lequel Dieu, Très-Haut honora Joseph, parce qu'il fut vendu dans leur pays. A partir de ce moment la terre d'Egypte devint comme l'apanage des souverains où les sujets ne possèdent ni champ, ni feddān. Quelques uns parmi les souverains des Banū 'Ubaïd qui s'y trouvaient auparavant, voulurent s'emparer de leurs maisons sous ce prétexte. On dit que la famine sévissait en Syrie en même temps et c'est ainsi que se passa l'histoire de Joseph et ses frères, telle que Dieu Très-Haut, la cite dans son livre. Joseph fit venir son père de la Syrie; l'amena avec toutes ses femmes et ses enfants en Egypte.

Quand Jacob s'approcha d'Egypte, Joseph sortit accompagné des notables, le reçut et le présenta au roi. Jacob (salut à lui) était un prophète vénérable et éloquent. Le roi le considéra et l'aima. Jacob l'invita à croire à l'unicité divine et à rejeter les idoles. Comme Joseph lui avait dit la même chose, sa foi en fut fortifiée et il crut en un Dieu unique. On dit qu'il garda pour lui même sa croyance de crainte de perdre son royaume. Jacob resta honoré et considéré jusqu'à sa mort, du vivant du roi ar-Rayyān Ibn al-Walīd. Il demanda à être enterré dans sa demeure qui était celle de ses pères en Syrie. On le mit dans un cercueil, et Joseph et les notables d'Egypte l'escortèrent en un cortège funèbre jusqu'en Syrie. On dit que 'Ayyūb, frère de Jacob leur interdit de l'inhumer dans sa demeure sous prétexte qu'Isaac leur père la lui avait donné

Histoire de Joseph Copiée par les Coptes.

p. 75

On dit dans les livres de l'histoire des Coptes qu'on amena un jeune homme de Syrie que ses frères avaient vendu. Les caravanes syriennes faisaient halte dans l'endroit dit aujourd'hui al-Mawqif (station). Le jeune homme qui était Joseph (salut à lui) fut présenté pour la vente, son prix atteignit l'équivalent de son poids en or ; c'est Qatfir, dit al-'Aziz qui l'acheta pour le présenter comme cadeau au roi. Mais quand il l'amena à la maison, Zulaïha le vit et demanda à son mari de le garder pour l'élever chez eux. Qatfir accepta et puis se déroula son amour de lui suivant le récit de Dieu Très-Haut jusqu'à ce que le roi eût une vision, fit par la suite sortir Joseph de la prison, ordonna de le laver et de le vêtir somptueusement. Puis le roi l'invita chez lui ; lorsque Joseph y entra, le roi eut beaucoup de plaisir à le voir car c'était miraculeusement qu'il l'aimait et le considérait. Il lui raconta la vision qu'il expliqua, telle que Dieu Très-Haut la mentionne, puis le roi lui demanda ; "qui peut me remplacer pour exécuter ceci ?", Joseph lui dit : "c'est moi, car je suis intendant expérimenté". On dit que le roi voulut examiner Joseph (salut à lui), et ses connaissances ; il lui ordonna de construire le pays d'al-Fayyūm ; c'était une contrée où l'eau du Nil s'engloutissait ; il construisit alors ce pays en déployant une sagesse miraculeuse et un talent divin, selon certains en 4 mois, selon d'autres en 90 jours. Il creusa les trois canaux, dans le pays où le Nil coulait. Quand Joseph acheva ce travail, il informa le roi qui sortit accompagné de ses vizirs et des Grands de son royaume pour voir ce qu'il avait fait (salut à lui). Lorsque le roi vit la perfection de la construction dans cette contrée dans si peu de temp, il dit à ses vizirs : "C'est un travail d'Alf Yawm" (1000 jours) ; c'est de la sorte qu'on donna dès lors à l'endroit le nom d'al-Fayyūm. On dit que le roi fut extrêmement satisfait de Joseph ; il lui donna des robes d'investiture, le couronna d'une couronne ornée de bijoux précieux, il donna ordre à l'armée de l'installer avec lui à sa tête, et de déambuler en cérémonie, de l'amener au palais et de lui donner pour siège le trône d'al-'Aziz, déjà mort. Le roi le désigna régent à la place d'al-'Aziz, lui donna le nom de ce dernier et le maria à la femme de celui-ci, Zulaïha. Joseph, l'épousa et la trouva vierge. Il lui dit alors : ceci est

Nil; on l'appelait la montagne de la lune parce que la lune reste toujours levée au dessus de lui, car elle se trouve au delà de l'équateur. Il est allé jusqu'au temple du soleil et à la terre de l'or où surgissent des barres d'or.

Ce roi asservit les Coptes et régna sur leur royaume pendant 120 ans puis mourut. Un jour qu'il était parti pour la chasse sur une jument, celle-ci prit le galop et le tua. Il fut inhumé dans l'une des pyramides. Après lui, son fils ar-Rayyān Ibn al-Walīd monta sur le trône, c'est le Pharaon de Joseph (salut à lui). Les Coptes l'appellent Naqrāwas; il était d'une grande taille, d'une belle figure, sage et charitable. Quand il prit le pouvoir, après son père, il ne perçut pas l'impôt pendant trois ans, ouvrit les trésoreries et distribua l'argent aux pauvres; le peuple l'aima et le remercia. Il était enclin à la paresse, s'adonnant aux plaisirs et confia l'administration du peuple à l'un de ses parents dit Qatfir que les historiens appellent al-'Azīz, mentionné dans le Coran dans l'histoire de Joseph. C'était un homme sage, d'une haute intelligence, désintéressé, épris de justice. Il ordonna qu'on lui installât dans son palais un lit d'argent pour qu'il pût s'y asseoir entouré de ses vizirs et des k̄atibs. Qatfir remplit parfaitement les fonctions du roi ar-Rayyān; celui-ci ne s'occupa que des plaisirs auxquels il s'adonna complètement: on lui fit des loges en verre coloré, en cristal transparent et coloré, entourées par des eaux où on mit des poissons. Lorsque les rayons du soleil tombaient sur cet assemblage une lueur extraordinaire scintillait et éblouissait les yeux. On lui bâtit des jardins sur la rive du Nil en nombre égal à celui des jours de l'année; chaque jour il se promenait dans l'un d'eux. Dans chaque jardin on mit des meubles rares, des vases curieux qui ne se trouvent pas ailleurs.

L'histoire de Joseph, telle quelle est racontée dans le Coran datait de cette époque. La femme d'al-'Aziz est Zulaïha, fille du seigneur de 'Aīn Sams, l'une des grandes villes d'Égypte, où se trouvent des merveilles. Zulaïha était la cousine germaine d'al-'Aziz. Le nom d'al-'Aziz équivaut à celui de Qatfir en langue copte; dans cette même langue le roi s'appelle Naqrawas. Dieu Très-Haut, mentionna le nom d'al-'Aziz dans son livre sacré.

présenta; elle fit de même. Elle envoyait des messages disant : "j'ai donné ordre à l'armée de se rendre à Misr pour y maintenir l'ordre après mon départ". Enfin, elle entra chez Jaīrūn, avec un faucon (sur la main), entourée de ses servantes. Elle lança l'oiseau contre Jaīrūn dont les articulations tremblèrent de peur et qui perdant ses forces, ne put rien faire contre elle et fut certain de sa mort. Jaīrūn dit alors : "celui qui pense pouvoir triompher des femmes se trompe toujours". On dit qu'elle le fit saigner : son sang coula jusqu'à ce qu'il mourût. Puis elle dit : "les sangs (versés) des rois apaisent les esprits". Elle emporta sa tête, la dressa au sommet de son palais, transporta ses trésors à Memphis capitale de son royaume, construisit le phare d'Alexandrie sur lequel elle inscrivit son nom, le nom du roi, les désirs de celui-ci et ce qu'elle avait fait ainsi que la date de cet événement. On raconte aussi, à propos de la construction du phare d'Alexandrie que nous décrirons si Dieu Très-Haut le veut, que lorsque l'histoire de Hūriya, du roi et de ce qu'elle fit à l'armée qui entra dans son pays fut connue, ses sujets eurent peur; elle grandit à leurs yeux. Celui qui lui disputait le trône et voulait s'emparer de ses Etats y renonça. Ainsi son pouvoir se trouvait-il consolidé, et sa cause triompha-t-elle. Elle construisit des fortifications le long des frontières égypto-nubiennes, fit beaucoup de talismans, de monuments et de choses dont la description serait longue.

p. 73

On dit que lorsque Hūriya s'affaiblit jusqu'à ne plus pouvoir tenir le pouvoir d'une main ferme, elle confia le pouvoir à une de ses cousines appelée Dalīfa. Mais quand Hūriya mourut, Dalīfa se montra incapable de garder le pouvoir; le neveu d'Abrāhas appelé Aymūs marcha sur l'Egypte à la tête des armées criant vengeance pour son oncle; il demanda secours au roi des 'Amāliq souverain de la Syrie qui le seconda en représailles de ce que Hūriya fit à son armée et que nous avons déjà raconté. Lorsque l'armée d'Aymūs arriva, Dalīfa sortit pour sa rencontre mais, elle la battit et quand elle fut certaine de la défaite elle s'empoisonna et mourut. Puis le roi de Syrie al-'Imliq, conquiert le royaume d'Egypte; il s'appelait al-Walīd Ibn Dawma' (les 'Amāliq sont d'une souche arabe arabisée). Il était d'une violence redoutable : il extermina les nations, conquiert les pays jusqu'à arriver d'après ce qu'on raconte, à la montagne de la lune où se trouvent les sources du

d'Égypte, Hūriya envoya un des oiseaux avec un message à Jaīrun; dans ce message elle lui dit : telle femme entendit parler de toi ; elle t'aime, elle veut t'épouser et te donner le pays d'Égypte. Satisfait de ce qu'il entendit, Jaīrun accepta ce qu'elle lui proposait et Hūriya se mit d'accord avec lui pour qu'il tuât Abrahās. Quand il lui demanda : "comment faire?", elle lui montra du poison. Il empoisonna Abrahās qui mourut. Lorsque Jaīrun voulut la rejoindre, elle lui envoya le message suivant : "je ne peux pas me marier avec toi à moins que tu ne manifeste ta force et ta sagesse pour qu'elles soient un prétexte à notre alliance aux yeux de mon peuple ; je veux que tu me construises une ville extraordinaire pour y célébrer la noce, car je n'aime pas la célébrer dans ma ville, parmi les habitants de mon pays ; il y avait dans le pays d'Égypte une ville, maintenant détruite, mais qui était la résidence de nos ancêtres ; examine son site et manifeste-s'y ta sagesse". Elle envoya avec lui un homme qui lui montra la ville d'Alexandrie. On dit que Jaīrun s'attacha à construire la ville et que Hūriya lui envoya d'Égypte 100.000 artisans. Il continua la construction jusqu'à ce qu'il ait dépensé tout ce qu'il avait comme argent. Quand il eut achevé la construction de la ville, il lui envoya des messagers pour lui en faire part et pour lui demander de le rejoindre. Elle lui envoya beaucoup de meubles précieux, d'instruments curieux et lui dit en même temps : "divise ton armée en trois ; envoie m'en un tiers, puis un second tiers quand j'arriverai à mi-chemin et le troisième lorsque j'arriverai aux deux tiers de la route, afin que l'armée soit derrière et devant moi et que personne ne me voie quand je te joindrai. Il faut que je ne trouve chez toi qu'une jeune fille, ta servante".

Puis elle commença à préparer son trousseau et de l'argent jusqu'à ce qu'il fût certain de son arrivée chez lui. Alors il lui envoya le tiers de ses soldats; elle leur prépara des mets, des boissons tous empoisonnés. Elle sortit à leur rencontre entourée de ses cavaliers et de sa suite; lorsqu'ils prirent contact, elle les accueillit et ordonna à son monde de leur donner à boire et à manger, et de les parfumer. Tout cela contenait du poison. Le lendemain, tous les hommes étaient morts. Puis, continuant son chemin, voilà qu'elle rencontra le tiers suivant; il subit le même sort. Après qu'elle se fut remise en route, le dernier tiers se

du haut de la pyramide. Il y restait d'habitude de nombreux jours sans manger ni boire. Enfin il disparut sans qu'on sache s'il était mort ni qu'on eût de ses nouvelles, après avoir désigné comme héritier présomptif son frère Malia qui par la suite monta sur le trône à sa place. Celui-ci s'occupa surtout de manger, de boire et d'assurer son autorité sans s'intéresser à la philosophie. Malgré cela, son règne se déroula heureusement grâce au souvenir du règne majestueux de son frère Kalkan reconnu par le peuple qui croyait qu'il n'était pas mort et qu'il reviendrait un jour. Le fils aîné de Malia était un tyran hardi d'une force surprenante. Il reconnaissait l'ignorance de son père qui s'était habitué à ne rien faire, et soutenu par sa mère et quelques vizirs de son père, complota contre la vie de celui-ci. Un jour, il entra brusquement dans la galerie de son père qui était ivre et le tua; il tua avec lui l'une de ses femmes, fille de roi, qui le tenait sous son influence, la crucifia et s'empara du trône. Il était majestueux, d'une violence redoutable, connu comme meurtrier. Les Coptes prétendent qu'il est le premier des Pharaons d'Égypte et plus précisément le Pharaon d'Abraham (salut à lui).

Les Pharaons sont sept: il était le premier. On dit qu'on l'appelait Pharaon parce qu'il abusait de la tuerie: il tua ses parents, les membres de sa famille, ses serviteurs, ses femmes et beaucoup de prêtres et de philosophes. Il désirait beaucoup avoir des fils mais il n'en avait qu'une fille qu'il nommait Hūriya. Elle était sage et savante. Hūriya donnait des conseils à son père et l'empêchait d'accomplir beaucoup de maux et de meurtres. Mais quand elle remarqua que sa dégradation s'accroissait, elle s'inquiéta du sort du royaume et l'empoisonna, après un règne de 70 ans. Tous les Égyptiens ne se mirent pas d'accord pour l'élever au trône, puis ils la proclamèrent reine à l'unanimité, les habitants de la ville d'Abrīt exceptés: ceux-ci proclamèrent comme roi un des leurs dit Abrāhas fils d'Abrīt Ibn Misr, le roi sus mentionné dont on donna le nom à la ville d'Abrīt. Entre les deux antagonistes la guerre fit rage et finit par la défaite d'Abrāhas qui par crainte s'enfuit en Syrie où régnaient les Canaans de la postérité des Amāliq. Il demanda secours à leur roi en lui faisant part de son histoire et l'encouragea à s'emparer de l'Égypte. Le roi de Syrie lui prépara une grande armée à la tête de laquelle il désigna un de ses généraux, mais lorsqu'il était à proximité

prière et lorsqu'il sentit venir la mort, il donna ordre de l'y inhumer sans ensevelir avec lui ni or, ni argent, ni joyaux, mais seulement des parfums et une page écrite de sa propre main : "ici repose telle personne, fils de tel roi; il mourut croyant en Dieu, n'adorant aucune autre chose, détaché des idoles et de leur adoration, croyant à la résurrection, au Jugement dernier et à la Récompense; que celui qui désire éviter le châtement de l'au delà, qu'il se range à ma croyance".

Parmi sa postérité, le roi Kalkan, le tyran, fut couronné et choisit Memphis, résidence royale de ses ancêtres, comme capitale de son royaume. Il aimait la philosophie, la recherche philosophique et tous les arts. Il réunissait autour de lui les savants, les astronomes, les maîtres de la science chimique, au point qu'on ne fit jamais autant de chimie qu'à son époque, ce qui fait qu'on n'avait pas besoin d'or qu'on n'achetait pas, car à cette époque, l'or était aussi abondant que la chimie florissante: on versait un *mitqāl* d'eau chimique sur plusieurs *qintārs* d'argent pour les colorer. Les Coptes racontent qu'il inventa des choses surpassant la raison à tel point qu'ils l'appellent le philosophe des rois; il dépassa tous les prêtres en science, leur fit savoir ce qui échappait à leur connaissance; ce qui explique la crainte qu'il leur inspira.

Le *Namrūd* d'Abraham (l'ami de Dieu, salut à lui), tyran d'une force surprenante, régnait alors en Irak. Très violent, il conquiert la plus grande partie de la terre, entendit prendre le roi Kalkan comme vizir et lui fit part de cette décision. Kalkan pris de peur lui répondit favorablement en faisant savoir qu'il voulait le rencontrer tout seul, sans femme ni entourage pour lui montrer son talent en philosophie et en magie. Le *Namrūd* alla à l'endroit préalablement fixé pour la rencontre et Kalkan arriva monté sur 4 juments ayant des ailes, entouré d'une lumière semblable au feu d'une magnifique apparence; il y entra couvrant ses épaules d'un énorme dragon à bouche ouverte: Kalkan tenait une baguette de myrte à la main, lorsque le dragon élevait la tête, il le battait avec la baguette. Effrayé, le *Namrūd* reconnut sa haute valeur en philosophie, et le sollicita d'être son assistant. Kalkan accepta. Les Coptes prétendent que le roi Kalkan s'assoit sur la pyramide occidentale, la plus grande dans une coupole située à son sommet. Il rassemblait là bas son entourage et ses sujets afin de leur communiquer les ordres et les contre-ordres,

Par ordre royal on fit la tête du taureau en or, on l'orna de différentes sortes de bijoux, bref, on fit exécuter dans le temps prévu tout ce que le roi et le taureau avaient exigé. Cette statue leur apprenait des choses curieuses : ce qui se passait d'une façon chronologique, elle répondait à toutes leurs questions et c'est ainsi que la renommée de cette statue grandit; on lui fit des offrandes et des sacrifices, elle devint un but de pèlerinage pour les hommes de tous les horizons; elle répondait à toutes les questions,

L'adoration des vaches existait dès lors comme une tradition qu'on héritait de père en fils depuis le règne de ce roi jusqu'à ce que l'un de ces rois, un certain Māliq, monta sur le trône.

Celui-ci suivant la religion de ses ancêtres, Qatim et Miṣr, était unitaire et pour cette raison, les Coptes, adorateurs des astres et des vaches, le blâmait. Ce roi était habitué à conquérir et à occuper les pays; quelques égyptiens prétendirent que Dieu Très-Haut, le dota d'un ange parmi les anges pour le conduire dans la bonne voie, que l'ange lui rendait probablement visite pendant son sommeil afin de lui ordonner certaines choses et lui en interdire d'autres. Il rassembla des armées énormes, posséda beaucoup de navires sur mer, conquît des troupes de Berbères sur terre et sur mer, les battit, extermina la plupart d'entre eux, arriva en Ifriqiya, tua la plupart des habitants, non croyants, posséda 400 navires dans la mer des Rûms (Méditerranée), ne passa pas par une nation sans l'exterminer jusqu'à ce qu'il conquît l'Andalousie et se mit en route vers le pays des Francs où il y avait un grand roi qui mobilisa les hommes des pays environnants et lui fit la guerre pendant un mois, puis il lui demanda la paix et lui fit beaucoup de cadeaux. C'est alors qu'il s'éloigna de son pays, subjuga les nations proches de la mer verte dont la plupart se soumirent. Il dressa sur la mer verte des monuments sur lesquels il inscrivit son nom et la date où il les construisit. Il détruisit partout les villes berbères jusqu'à les obliger à se retrancher sur les hauteurs, puis il regagna l'Égypte où il fut reçu par les Égyptiens avec toute sorte de musique et de parfum. Son chemin a été couvert de toutes sortes de plantes aromatiques et de fleurs. Il regagna son palais, victorieux, couvert de lauriers. C'est ainsi que Dieu favorise ceux qui croient à son unicité sans rien lui associer. Enfin il ordonna qu'on lui construisît une sépulture où il s'adonna à la

s'adressa à lui en ces termes : tu ne guériras de cette maladie que par l'adoration des vaches car tu es né sous le signe du taureau. Par la suite le roi ordonna de chercher un taureau bariolé d'une belle figure pour lequel il construisit, au milieu de son palais, une habitation couverte d'une coupole dorée et auquel il consacra un gardien. Il l'encensait, l'embaumait et l'adorait à l'insu des habitants de son royaume; alors il guérit, recouvra ses forces et connut une santé parfaite. D'autres racontèrent une autre anecdote : le roi avait pris l'habitude de faire un tour d'inspection dans son pays — il fut le premier pour lequel on fit des chars surmontés de coupoles en bois doré, admirablement ornés, tirés par des vaches pour faire le tour de tous ses États. Quand il passait dans une contrée inhabitée il ordonna de la peupler. On dit qu'un jour il contempla un taureau parmi ces vaches qui tirait le char royal — c'était un taureau bigarré d'apparence agréable — le roi l'admira et ordonna ainsi de l'enlever du char pour le faire marcher devant lui, il le couvrit de costumes de soie précieuse. Un jour il s'approcha de lui afin de le regarder, lorsque le taureau lui adressa la parole en disant : Ô roi, si tu me traites avec bienveillance, je m'occuperai de toutes tes affaires, je t'aiderai à réaliser tes désirs, je t'appuierai dans l'administration de ton royaume et te guérirai de toutes tes maladies. Le roi fut si frappé par ces paroles qu'il ordonna de le laver sur le champ et l'embaumer. Il lui construisit un temple et donna ordre de l'adorer. Ce taureau était, dans une certaine mesure miraculeux : il ne rendait pas les excréments, n'urinait pas, ne mangeait pas — réserve faite de feuilles d'arbres une seule fois par mois; on dit qu'il charma beaucoup de gens et que ce fut l'origine de l'adoration des vaches dans le pays d'Égypte.

Le taureau qu'on adora pendant un certain temps leur ordonna de reproduire sa figure sous la forme d'une statue en or, de lui prendre quelques poils à la tête, à la queue, sous les cornes et aux sabots, pour les placer dans cette statue. Car il leur fit part de son prochain décès en leur donnant ordre de conserver son cadavre dans un coffre de pierre qu'ils durent dresser dans le temple, surmonté de sa statue. Ces préparatifs devaient être achevés lorsque Saturne apparaîtrait à l'Est et lorsque le soleil à un moment heureux s'élèverait vers la trinité de la lune. On grava sur la statue les 7 signes des astres.

inscrivit sur les deux phares leurs noms, ce qu'ils firent et la date de leur châtement. Par la suite, les gens s'abstinrent d'établir des relations sexuelles illégales pendant son règne. Le tombeau de 'Adīm est l'une des merveilles du monde; situé dans le désert de Qift, il s'élève au-dessus du sol : c'est un dôme gigantesque en verre brillant vert, constitué par 8 voûtes allongées d'une longueur de 100 coudées et d'une hauteur de 40, par rapport au terrain environnant. Sur le sommet du dôme qui donne sa couleur aux alentours se dresse un oiseau en or, orné de bijoux précieux aux ailes déployées. C'est le talisman du dôme qui en interdit l'accès, et celui des richesses qu'il contient.

p. 68 On raconte que quelques hommes allèrent à cette sépulture et au dôme dans le désert de Qift, ils y contemplèrent pendant quelques jours le contenu sans pouvoir l'enlever. Ils étaient à 8 coudées du dôme lorsque celui-ci tourna successivement à droite et à gauche. Ils regardèrent les merveilles qu'il contenait, virent la dépouille mortelle du roi étendue sur un lit en or avec des vêtements tissés en or et ornés de bijoux. Son visage découvert était d'une coudée et demie, son corps avait plus de 10 coudées; de plus il avait une longue barbe. Dans un coin du dôme se trouvaient 170 livres de philosophie; il y avait 7 tables avec leurs vaisselles; l'une d'elle était, ainsi que la vaisselle, en perle rouge de grenat; une deuxième était, ainsi que la vaisselle, en or rouge qui fascinait les regards — de l'or dont on fait les couronnes des rois —; une troisième était en pierre lumineuse dite pierre du soleil; une quatrième était en chrysolithe — qui ferait crever les yeux des serpents s'ils le regardaient. Il y en avait une en souffre jaune ainsi que la vaisselle selon les récits qui figurent dans les livres de philosophie, une sixième était en sel blanc d'où jaillissait une lueur éblouissante. Une septième était en mercure solide avec des côtés et des pieds en mercure solide de couleur jaune, sa vaisselle était en mercure solide de couleur rouge. On avait mit avec lui dans le dôme des bijoux magnifiques, des vases en argent ouvré d'une façon spéciale, on avait déposé autour de lui sept sabres dits *sa'iqiya* et de sept dits *kahīniya*. Il y avait en outre des statues de juments en or, avec des selles de même métal, quelques coffres remplis de dinars frappés à son effigie; bref toutes sortes de curiosités et merveilles qui échappent à la description.

On dit que l'un de ces rois, un certain Sāwus fut le premier adorateur des vaches car d'après les récits, il souffrit d'une maladie incurable et vit dans son rêve la figure d'un gigantesque esprit qui

qu'il désigna comme héritier présomptif. Sur son lit de mort Misr ordonna de lui creuser, entre deux montagnes, un souterrain de 150 coudées de longueur dont la terre devait être couverte de pierres précieuses, au milieu duquel on devait faire une loge à 4 portes recouverte de plaques d'or; chaque porte devait être surmontée d'une statue en or coiffée d'une couronne, garnie de bijoux précieux, assise sur un siège en or avec des pieds en chrysolithe. En vue de protéger les statues, ils inscrivirent sur chacune d'elles de magnifiques versets ainsi que certains des divers noms de Dieu Très-Haut. Ils mirent son cadavre dans un cercueil en chrysolithe couvert de plaques en or, et avec lui, dans cette loge, mille pièces de la chrysolithe taillées, mille statues en bijoux précieux, mille vases remplis de perles choisies, Ils y ensevelirent aussi les secrets de l'art divin, des médicaments secrets, de curieux talismans, des lingots en or superposés les uns aux autres; et ils inscrivirent sur la loge : "Le roi Misr Ibn Naïsar Ibn Ham Ibn Noé (salut à lui), mourut en l'an 700 après le Déluge, il n'a jamais adoré les idoles car il n'a ni vieilli ni souffert de maladie ni ne s'est appauvri ni ne s'est intéressé à rien". Il préserva sa loge en inscrivant les magnifiques noms du Dieu Très-Haut pour que personne ne puisse l'atteindre; il se soumettait à Dieu, le juge par excellence, et à l'Envoyé (de Dieu) prêcheur de la bonne foi, qui apparaîtrait à la fin des temps avec le Coran. Ils ensevelirent le tout sous de grands rochers, couvrirent ceux-ci de sable; c'était dans un endroit entre deux montagnes, l'une en face de l'autre, qu'ils marquèrent de plusieurs repères. Puis son fils Qatim qui est le père des Coptes monta sur le trône, c'était un tyran d'une grande taille. Sous son règne qui dura 400 ans la tribu de 'Ad fut anéantie dans un cyclone. Il avait fait construire de son vivant un souterrain sur des voûtes allongées, dans le mont occidental. Il y fit déposer des trésors, des merveilles, des statues, des talismans qu'on ne saurait décrire tels qu'ils figuraient dans les livres de ses aïeux. On dit que les rois de la postérité de Misr Ibn Naïsar ne cessèrent de se succéder au trône, de père en fils jusqu'au règne de l'un d'eux nommé 'Adīm, qui était sage et savant.

C'est lui, le premier, qui condamna à la crucifixion. En effet une femme et un homme s'étant prostitués, il ordonna de les crucifier sur deux phares qu'il fit construire spécialement pour eux; il les mit dos à dos, les oignit d'un mélange spécial contre la pourriture,

*Histoire de Celui qui s'Installa, le Premier, en Egypte
après le Déluge.*

On dit que Miṣr Ibn Naīṣar Ibn Ḥam Ibn Noé fut le premier à s'installer en Egypte après le Déluge, grâce à une invocation faite par son grand-père Noé en sa faveur. Ibn 'Abbās raconte que Noé invoqua la divinité en faveur de Miṣr Ibn Naīṣar Ibn Ḥam qui est le père des Coptes, en ces termes: "Que Dieu le bénisse, lui et sa postérité, qu'il l'installe dans la terre bénite, mère de tous les pays et secours de tous les serviteurs (de Dieu) où coule un fleuve qui surpasse en mérite toutes les rivières du monde; puisses-Tu asservir la terre pour lui et ses enfants, la leur soumettre et les rendre forts vis-à-vis d'elle".

On dit que cette invocation fut à l'origine de l'installation de Miṣr dans la terre d'Egypte à laquelle il donna son nom. On dit aussi que Phlaymūn crut à la mission de Noé (salut à lui) et en Dieu Très-Haut, qu'il demanda à Noé de l'amener avec sa femme et ses enfants dans son arche et que Noé l'accepta. Après le Déluge, Phlaymūn dit à Noé: Ô Prophète de Dieu, honore moi d'une situation et d'une estime qui m'immortaliseront après ma mort. Alors Noé maria [Miṣr Ibn] Naīṣar Ibn Ḥam à sa fille qui lui donna un enfant qu'on baptisa Phlaymūn, nom de son grand-père maternel. Et, lorsque Noé voulut partager la terre entre ses fils, Phlaymūn lui dit: Ô prophète de Dieu, mon pays est le plus beau de tous, je voudrais qu'il soit la part de mon fils Miṣr; envoie-le là-bas avec moi pour que je lui montre ses trésors et lui fasse part de ses sciences et ses énigmes. On dit qu'il l'envoya avec lui, accompagné de quelques parents. L'expédition comprenant 30 hommes. Quand ils y arrivèrent, ils taillèrent des rochers, construisit des réservoirs d'eau et des monuments, une ville qu'il nomma Maqa ce qui signifie 30 dans leur langue. C'est la ville de Memphis. Phlaymūn montra à son gendre Miṣr Ibn Naīṣar les trésors d'Egypte, les sciences des Egyptiens. Il lui enseigna les caractères des inscriptions des temples, mit à sa portée, or, argent chrysolithes, turquoise et autres bijoux.

p. 66

De plus il lui dévoila les secrets de la chimie sur le mont oriental qu'on appellerait par la suite al-Muqattam. Il épousa une femme parmi les filles des prêtres qui lui donna 4 enfants, dont Qatīm

contre lorsqu'on le replace, l'huile redevient telle qu'elle était. Quelques personnes allèrent à cette église, observèrent le phénomène, vidèrent la bouteille, la chargèrent d'un peu d'huile pour qu'elle déborde en effectuant ce que nous avons déjà mentionné. Mais revenons à l'histoire du roi Šundīn.

On dit : lorsque le roi Šundīn mourut après un règne de 135 ans et fut inhumé dans la pyramide occidentale, son fils Qamnāwās^v lui succéda. Il fut un tyran, opprima le peuple, versa le sang, enleva les femmes, extraya beaucoup de trésors, construisit des palais en or et en argent décorés de bijoux précieux, y installa des bassins où il mit des bijoux sur lesquels coulait l'eau, il fit des choses telles que n'en fit jamais aucun autre roi. Il reprocha à ses aïeux leur ignorance, asservit les gens, ne faisait pas cas des temples et autres choses sacrées. Quand il mourut son fils lui succéda, mais il supprima l'injustice, essaya de gagner la sympathie de son peuple, s'adonna à la science, remit les temples sacrés à la place qu'ils avaient du temps de ses aïeux, encouragea les astronomes et les prêtres. A son époque on fit des merveilles comme au temps de ses pères. Il régna un certain temps, mais comme il n'avait pas d'enfants, il épousa 300 femmes dans le but d'avoir un fils mais en vain, car les femmes sont devenues stériles à son époque.

C'est pendant son règne que se propagea l'histoire de Noé (salut à lui). On dit : comme il n'avait ni fils ni frère et qu'il avait peur de perdre son trône, il associa au trône Phar'an, l'un de ses cousins qui fut un tyran car il conquiert les pays et asservit les nations. Une des femmes du roi se mit d'accord avec lui pour assassiner le roi et accéder au trône. Il suivit ce conseil et s'empara du royaume. Après quoi il se montra un tyran orgueilleux et conquérant. Il est intéressant de souligner que la souche des Pharaons part de lui et qu'il lui donna son nom. Du Masīl^v Ibn 'Arbil Ibn Darsil le Grand lui écrivit pour lui faire part de l'histoire de Noé et par la suite Phar'an lui répondit en lui conseillant de tuer Noé, mais tous deux périrent dans le Déluge.

Dans ces temples il y avait des choses curieuses, des talismans dans d'innombrables tombeaux dont la plupart disparurent, de même que la plupart des temples furent détruits. Quant aux pyramides, elles existent telles qu'elles étaient sans qu'aucune de leurs parties ne se soit lézardées.

On dit que la destruction de certains monuments, tels que le temple de Buṣir et le temple de Samannūd et bien d'autres est due à la faute des astronomes qui se trompèrent en tirant l'horoscope et ne le corrigèrent pas au moment du commencement des travaux des fondations. Pour les monuments qui subsistent, les horoscopes ont été exacts. Il n'y a pas de doute que ceux qui ont bâti ces temples ont été éloignés des rois et de leur surveillance. Ce n'était pas le cas des pyramides qui étaient proches de la résidence du roi d'Égypte qui les surveillait, alors que les temples étaient surtout nombreux dans les provinces. On dit que chaque temple a ses caractéristiques et son intérêt pour la contrée où il se trouve et ses environs. Les habitants de ces pays ne doutent pas que, lorsqu'on détruisit le temple de Samannūd et que ses pierres furent transportées à Uṣtūm Demiāt, le jour même où l'on finit la destruction du mur occidental, Ḥabāsa entra à Alexandrie de vive force et la détruisit, les sables s'accumulèrent dans la mer et le Nil cessa d'y arriver pendant les mois d'été alors qu'avant il y coulait en été comme en hiver; les champs ne donnèrent plus de belles récoltes, les rats et les sauterelles s'y multiplièrent et les dégâts sans précédents.

Parmi les curiosités mentionnées en Égypte, il y a dans un village nommé Badrasāna, une ancienne église chrétienne avec une chambre à laquelle on accède par un escalier de plus de 20 degrés. Il y a un lit sur lequel gisait le cadavre d'un jeune homme; sous le lit se trouve la figure d'un énorme taureau en verre, dans le ventre duquel se trouve une bouteille en verre enveloppant un tuyau en cuivre dans lequel passe une mèche de lampe en lin; lorsqu'on verse sur celle-ci un peu d'huile, la bouteille se remplit d'huile qui s'écoule encore dans le ventre du taureau. Le gardien de l'église en prend toujours pour allumer toutes les lampes de l'église, son accroissement et son augmentation ne cessent jamais au cours des jours et des siècles, mais si l'on enlève le cadavre du jeune homme, le feu s'éteint et l'huile n'augmente plus; par

une défense magnifique contre tous les lions aussi bien que contre tout ce qui fait du mal; si l'on met sur ce talisman de la viande, et que l'on affame un chien ou un lion et le fasse approcher, ils ne seront en aucune façon à même d'en prendre. Il dit: je fus étonné de ce qu'il dit et mis le talisman à l'épreuve et le trouvai tel qu'il avait dit. Les habitants d'Ihmīm savent qu'il y avait dans le temple qui se trouve chez eux la figure d'un diable se tenant sur un seul pied, une seule main levée, ayant au front et sur les côtés des inscriptions. Son sexe était gravé sur le mur très visible. On dit que celui qui pourrait d'une façon creuser autour du membre sexuel afin de l'enlever sans le briser puis l'accrocherait à sa taille serait excité jusqu'à ce qu'il l'enlève; mais tant qu'il l'aurait sur lui il aurait toujours envie d'une femme. On dit que lorsqu'Ibn al-Ġamr fut installé comme gouverneur d'Ihmīm, on lui raconta cette histoire; il chercha cette figurine dans le temple et il n'en trouva qu'une seule, qui se trouvait près du plafond; il en prit soin jusqu'à ce qu'il l'enlevât et il l'employa et raconta à son sujet des choses curieuses. On dit qu'il y avait beaucoup d'images semblables dans le temple et qu'on les avait toutes prises

Al-Waṣifī dit: un homme digne de foi m'a raconté qu'on trouva dans un certain temple une bouteille d'une forme carrée en verre rouge, placée dans une sorte de niche et contenant une eau jaune, on ne savait pas à quoi pouvait servir cette eau; alors on la jeta et un homme prit la bouteille. Elle resta chez lui jusqu'au jour où un hôte étranger vint chez lui; la bouteille lui plut et il demanda de lui raconter son histoire; il la lui raconta ainsi que celle de l'eau qui y était, cet homme regretta beaucoup la perte de l'eau et dit: vous avez perdu une science haute et beaucoup de bien, il ajouta: si vous aviez réchauffé l'argent pour le tremper ensuite dans cette eau, il aurait été transformé en or. Je regrettais la perte de l'eau. Puis il m'a dit: veux-tu que je te montre des choses curieuses concernant cette bouteille? Je répondit: oui. Il me demanda de la peser; je la pesai et la trouvai d'un poids de 4 ratls juste. Il me demanda de la remplir d'eau ou de ce que je voulais; je dit: voici, puis il me demanda de la repeser; je la repesai et trouvai que son poids était le même, justement 4 ratls comme lorsqu'elle était vide sans augmentation ni diminution; j'en fut surpris. Cette histoire se répandit au point d'être connue par l'un des gouverneurs qui me prit la bouteille.

a vu là bas une image qui lui plaisait : celle d'un homme dont la tête était surmontée d'un oiseau ; à son côté se blottissait un chien ; sous ses pieds il y avait une inscription. Il dit : je l'ai fidèlement dessiné sur un papier et je suis resté trois jours sans dormir, sans manger et je n'avais pas d'appétit pour aucun mets sans pouvoir en connaître le motif jusqu'au moment où pensant au dessin que je portais sur moi ; je m'en suis débarrassé ; aussitôt je recouvris mon appétit, je mangeai et me rendormis. Un des habitants d'Ihmim raconte qu'un homme d'Orient, versé dans toutes ces sciences vint à Ihmim et on parla avec lui du temple. L'Oriental avait dit à quelqu'un si tu y trouvais l'image d'un homme nu, vêtu d'une culotte, tenant dans la main droite une hache à deux pointes, tu la copierais ainsi que les écritures qui l'entourent. L'homme dit : je le fis, le lui apportai et lui demandai les caractéristiques de cette image, il me donna de quoi manger et me dit de ne pas m'en occuper de peur que le temple n'en fût affecté. Il ajouta : je suis allé là-bas, j'ai piqué l'image avec un fer à creuser la pierre, je l'ai détruite et obstruée, puis je lui ai demandé quelle était son histoire ; il m'a dit des choses incompréhensibles sans me donner de renseignements utiles. Je discutais ensuite avec des Orientaux ; l'un d'eux s'étant montré particulièrement curieux de cette question, je lui demandai ce qu'il savait ; il me dit alors que si l'on place cette image à un endroit où est enterré un trésor, de la poussière s'élève en l'air. On peut donc grâce à ce signe, qui révèle visiblement l'existence des trésors, chercher à découvrir des richesses. J'ai été désolé de l'avoir détruite.

De même les habitants de Samannūd racontent des histoires extraordinaires à propos de leur temple : un homme qui y était entré, ayant dessiné sur la paume d'une main une figure qui lui avait plu, l'un de ses yeux se ferma aussitôt. Il ne s'ouvrit que lorsqu'on lui eut inscrit la figure située en face d'elle sur la paume de la main.

Al-Wasifi dit : un homme digne de foi m'a raconté qu'il a vu dans le temple de Samannūd la figure de deux diables entourés d'une chaîne dont ils tiennent les deux bouts, dans l'intervalle qui sépare les deux diables se trouve une inscription ; il ajouta : j'ai dessiné tout cela tel que c'était, et je le gardai chez moi jusqu'au moment où vint chez moi un connaisseur qui me dit que c'était

instruire. Ils continuèrent leur marche et trouvèrent une fontaine sous une coupole, sur laquelle l'eau tombait en faisant un chuchotement intense comme si elle éteignait du feu ; l'eau s'engloutissait et on ne la voyait plus. Ils déambulèrent et trouvèrent une chambre bouchée où ne se voyaient pas de portes, à moins qu'elles ne fussent de pierre. On y entendait un grand bruit dont on ne savait pas les causes. Ils trouvèrent tout près, une sorte de grand bassin où il y avait de l'eau et des dinars dont une face était décorée de l'image d'un lion et l'autre de l'image d'un oiseau ; ils en prirent un peu, mais, au même instant furent paralysés et rendus muets, jusqu'à ce qu'ils les eussent laissés à leur place.

Quant aux temples antiques, ils contiennent des talismans, des écritures, des œuvres d'art, la figuration de tous les instruments et l'art d'enseigner toutes les sciences. Tous sont gravés sur la pierre solide, les gens y vont pour les chercher et ils en profitent beaucoup.

p. 81 Al-Wasifi dit : j'ai vu dans le temple d'Ihmīm l'image d'un scorpion sur laquelle j'ai passé un morceau de ^vêtre. Depuis je n'ai pu déposer cette image dans tel ou tel endroit sans que les scorpions ne l'entourent de tous côtés. Si elle se trouve dans un coffre, les scorpions se rassemblent autour du coffre et au-dessous. L'un de mes amis l'a demandée et l'a prise. A mon retour à Ihmīm j'ai trouvé l'image détériorée et presque détruite. Dans ce temple, près de la porte d'où part l'escalier, à gauche de l'entrée, il y a l'image d'une tête humaine avec une longue barbe, des cheveux touffus, semblable à la tête d'un esprit, sans corps. On dit que les Anciens étaient habitués à parfumer cette tête avec de l'encens connu par eux ; ceux qui l'encensaient, trouvaient là bas un dinar : c'était là un secours pour les mendiants. Al-Wasifi dit : j'ai exploré le lieu à proximité de cette tête et j'ai rencontré des traces très nettes de l'encens et du parfum. Il mentionna qu'à la porte d'Ihmīm il y avait un talisman ; c'était un morceau de pierre de la forme d'un chapeau conique à l'image du bec d'un oiseau sous lequel on disait qu'il y avait beaucoup d'argent. Plusieurs gouverneurs d'Ihmīm essayèrent de l'enlever ou de le casser mais aucun ne le ^vput. Les marteaux se fracassent sur lui sans qu'il en soit télé même en partie. Un homme m'a dit qu'il

de l'ouverture, pensant à leur camarade, à leur situation et à ce qu'ils devaient faire. C'est alors qu'une ouverture semblable à une fenêtre ronde s'ouvrit et jeta vers eux cet homme tout nu, difforme, couvert de sang coagulé, les yeux immobiles, parlant un langage étrange, incompréhensible. Quand il eut fini de parler, il tomba mort. Alors leur crainte s'accrût, leur tristesse et leur peur aussi, lorsqu'ils comprirent qu'ils venaient de s'immiscer dans une affaire grave. On dit qu'ils emportèrent leur camarade mais leurs aventures furent connues du gouverneur d'Égypte, Ibn al-Mudabbir sous le règne d'al-Mutawakkil, qui leur demanda de lui raconter leur histoire. Ils lui racontèrent ce qui s'était passé à son grand étonnement. Il ordonna d'inscrire la parole que l'homme mort avait prononcée, tel qu'il l'avait dite. Ibn al-Mudabbir en chercha alors le sens et finit par trouver un homme qui connaissait quelque peu cette langue et qui l'expliqua ainsi : "c'est la récompense réservée à celui qui revendiquait ce qui ne lui appartenait pas, et qui voulait dévoiler le secret de ce qui n'est pas connu. Que cela serve de leçon". On dit qu'Ibn al-Mudabbir interdit dès lors à toute personne de s'intéresser aux pyramides.

p. 60

Suivant une autre anecdote, quelques personnes pénétrèrent dans les pyramides et trouvèrent dans une certaine chambre un glacis, donnant accès à un puits. Ils y descendirent et trouvèrent un souterrain dans lequel ils marchèrent pendant une demie journée jusqu'à une fosse profonde couverte d'une jolie porte derrière laquelle ils pouvaient voir la lueur de l'or, de l'argent et de bijoux inestimables. Du fond de la fosse à la porte située juste en face d'eux, derrière laquelle se trouvait l'or et les bijoux, il y avait une barre de fer enveloppée d'un pivot également en fer qui tournait sans être attachée à la porte ; ils essayèrent de l'arrêter et de neutraliser son mouvement mais ne le purent. Alors ils attachèrent l'un deux à une corde, afin qu'il parvînt à l'autre côté en s'accrochant à la barre ; mais celle-ci tourna, il fut embarrassé, tomba et la corde à laquelle il était attaché se coupa. Ils sortirent en fuite alors dehors sans regarder en arrière.

Selon une troisième anecdote quelques hommes entrèrent dans les souterrains de la pyramide pour arriver à une idole de couleur verte représentant un vieillard, devant lequel il y avait d'autres petites idoles. On avait l'impression qu'il était en train de les

On dit que Dū'n-Nūn al-Ihmīmī était versé dans la science du temple à tel point qu'il connaissait parfaitement le grand art, qui est la science de la chimie et de la substance. Il voyagea de Bagdad à Misr en une seule nuit, c'est l'une des choses extraordinaires qu'il fit, l'histoire en est notoirement connue. On dit qu'il était au service d'un ermite d'Ihmīm nommé Sās, pendant sa jeunesse, qui lui apprit le sens de l'écriture du temple, la façon de faire les sacrifices, d'employer l'encens et le nom de l'esprit et lui demanda de le garder en secret. Lorsque Dū'n-Nūn eut bien étudié la chimie, il effaça les traces de celle-ci avec de la pâte de l'art pour que personne ne le sache, car il est impossible d'enlever cette pâte. Ce caractère est inscrit dans le livre moyen de politique qui était un livre bien connu :

M	L	K	z	t	z	r	d	d	h	h	g	t	t	b	a
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	ط	ظ	ن	ي	م
ر	ك	ل	م	ن	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	م
N	s	d	'a	g	f	q	s	s	's	h	w	l	x	y	
ن	ص	ض	ع	غ	ف	ق	س	ش	هـ	و	ي	لا	ى		
ص	ق	ك	م	ن	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	م

p. 59

...et elles contiennent de la chimie (sic). Selon certaines légendes relatives à l'Egypte : des gens allèrent aux pyramides, descendirent dans ces puits et essayèrent d'y pénétrer par les trous d'où sortent les vents. Ils portaient des lampes à huile dans des vases de marbre. Lorsqu'ils pénétrèrent dans ces trous un vent fort souffla, les obligea à sortir et éteignit la plupart de leurs lampes. Ils choisirent alors le plus audacieux d'entre eux et le plus résolu, le plus courageux, attachèrent une corde autour de sa taille et lui demandèrent d'entrer dans la pyramide en lui disant : si tu vois quelque chose que tu : :doutes, nous te tirerons. Lorsque le prétentieux y entra et força ce vent, le trou se ferma sur lui, ils le tirèrent aussitôt mais leurs cordes se rompirent et l'homme resta dans ce trou sans qu'ils ne sussent plus rien de lui ; puis ils fuirent hors de ce puits, désolés de ce qui était arrivé à leur camarade. Ils s'assirent près

ils inscrivirent des signes destinés à chasser les maux et les fléaux. Chaque idole avait un instrument semblable à une corne qu'il mettait sur sa bouche. Au milieu de chaque pyramide se trouvent des créneaux ménagés dans des voûtes allongées, dont les sorties sont étroites et les entrées larges, qui attirent des vents soufflant en permanence contre ceux qui y entrent et peuvent les tuer s'ils ne les évitent pas. On dit qu'al-Ma'mun en fut surpris et renonça à s'occuper de quoi que ce fut en ce qui concerne ces monuments.

On dit qu'on fit des passages souterrains donnant accès aux différents endroits; parmi ces passages certains donnent accès au pays d'al-Fayyum qui se trouve à une journée et demie de l'ancien Caire (Misr) dans la direction de l'occident et à plus de deux jours du Maghreb, où se trouvent dans sa partie basse, des canaux donnant sur le Nil. On dit qu'il confia chacune de ces pyramides aux esprits (pour la protéger).

Dans la pyramide occidentale, il symbolise un esprit sous les traits d'une femme nue dont le sexe est déconvert: elle a deux mèches de cheveux et elle est bien faite. Quand elle veut attirer un homme, elle lui fait un sourire et l'invite pour se donner à lui; s'il la suit elle le tue. C'est ce que raconte un homme qui la vit plusieurs fois. De même il confia la pyramide méridionale à un esprit représenté par un garçon imberbe, tout nu, bien fait, qui agit de la même façon; on le voit de temps en temps hors du temple. Entre temps il disparaît dans la pyramide. Dans la pyramide colorée, il y a l'image d'un vieillard qui s'habille comme un ermite, tenant dans la main un encensoir comme s'il se parfumait d'encens.

58 Ainsi il confia tous les temples aux esprits. Les habitants de la ville d'Ihmīm voient l'esprit du temple qui s'y trouve sous les traits d'un garçon (mignon) noir tenant à la main une canne. Personne n'ose entrer dans le temple dès l'après-midi jusqu'au matin. Il en est de même pour la ville de Samannud où il y a un esprit représenté par un homme grand, avec une petite barbe et des cheveux gris. Par contre dans le temple de Qift, on voit l'image d'une femme noire avec un enfant noir qu'elle porte sur le bras. Grâce aux offrandes et aux formules spéciales à chaque temple, l'esprit peut révéler les sciences du temple et ses trésors.

était égal au montant de la somme trouvée; le Prince des croyants en fut surpris ainsi que de leur connaissance (préalable) de l'endroit où on devait ouvrir cette pyramide au cours des siècles et par la suite il accorda plus de confiance à l'astronomie.

On dit qu'al-Ma'mūn entra dans la pyramide et s'y promena. Il trouva une idole verte, debout, tendant la main, mais il n'a pas su son histoire; il regarda le glacis, le souterrain et le puits qui se trouvent dans la pyramide et donna ordre d'y descendre. On dit que quelques personnes parmi les siennes y descendirent de degré en degré jusqu'à ce qu'elles arrivassent à une idole de couleur rouge dont les yeux étaient noirs et blancs comme les yeux d'un homme qui les regardait, ils furent terrifiés en imaginant qu'il bougeait et s'en allèrent en informer le Prince des croyants. Cela l'incita à chercher à savoir beaucoup de secrets. Suivant une autre anecdote on dit qu'il trouva beaucoup d'argent.

p. 57

On raconte qu'al-Ma'mūn demanda aux savants d'Égypte versés dans l'histoire du monde, si ces pyramides avaient des portes par lesquelles on pouvait entrer; ils lui dirent qu'elles avaient des portes dans le sol, ménagées dans des voûtes allongées construites en pierres; la longueur de chaque voûte était de 20 coudées et elle avait une porte faite d'un seul bloc de pierre tournant grâce à des charnières; quand elle est fermée on ne peut savoir s'il s'agit d'une porte car elle se confond avec le mur et son montant ne permet pas à la petite fourmi de pénétrer; on ne peut connaître son emplacement qu'avec des formules, des sacrifices et des encens connus.

Dans ces pyramides il y a des tombeaux en or, en argent, en matières chimiques, en chrysolithes précieuses, en perles inappréciables dont la description est impossible. On y trouve des livres intacts, contenant tout ce qui est précieux et complet en philosophie et en chimie, et des statues magnifiques en or coloré dont les têtes sont surmontées de couronnes superbes, incrustées de perles inestimables, ce qui permet de se rendre compte de la magnificence royale à cette époque. En outre ils ont créé pour tout cela, des talismans qui les protègent jusqu'à une certaine époque. Ils voulurent conserver ceci, dans l'intérêt de leurs successeurs et de ceux qui vinrent après eux, comme témoignage de la splendeur de leur royaume. On dit qu'ils ont creusé les fondations de ces monuments au moment heureux, qu'ils mirent dans les fondations de chacun une idole sur laquelle

aurait pas ensuite d'autres événements qu'ils pussent lui faire connaître. Ils demandèrent à réfléchir et ils observèrent le cours des astres pour des milliers d'années et lui dirent que lorsque l'astre "Cœur du lion" aurait parcouru les deux tiers d'un de ses tours c'est la dernière minute de l'astre Scorpion-il ne resterait aucun animal vivant sur terre qui ne soit anéanti et quand il aurait achevé le tour, les nœuds qui tiennent les sphères se déferaient. Il leur demanda quand ? Ils lui dirent que cela se passerait le "Lendemain" de l'existence des sphères. On dit que le roi en fut étonné et ordonna d'inscrire tout ce que les savants avaient dit de ces philosophies dans des livres qui furent déposés dans ces pyramides. On dit que ces pyramides renfermèrent depuis les premières générations les connaissances des hommes de tous les temps.

1. 56

Revenons à l'ouverture pratiquée dans la pyramide. On dit qu'al-Ma'mūn fils de Hārūn ar-Rasīd, après la guerre d'at-Taīmā' et lorsqu'il s'installa en Egypte, voulut détruire les pyramides. Mais un saīh égyptien lui fit savoir que c'était impossible et il lui dit : il n'est pas bon que le Commandeur des croyants poursuive quelque chose sans l'atteindre. Al-Mamun répondit : il faut que je sache ce qu'elle enferme. Il ordonna ensuite d'ouvrir l'une des plus grandes pyramides ; on fit alors une ouverture dans la façade nord pour que le soleil ne restât pas trop longtemps au-dessus de ceux qui travaillent. Quand ils commencèrent le travail, ils trouvèrent une pierre solide que le fer ne pouvait mordre, alors ils allumèrent du feu près de la pierre et lorsque celle-ci devenait rouge, ils l'arrosaient avec du vinaigre pour la battre ensuite avec des mangonneaux et des barres de fer. Ils travaillèrent ainsi pendant plusieurs jours jusqu'à ce qu'ils eussent percé l'ouverture qui existe maintenant et par laquelle on entre dans la pyramide. Ils découvrirent qu'elle avait été construite en fer et en plomb, que la largeur du mur était de 20 coudées ; ils trouvèrent près de l'endroit qu'ils percèrent un vase d'une pierre verte contenant de l'argent, une espèce de grand dinars, dont chacun pesait 27 mitqāls et deux tiers. Al-Ma'mūn donna ordre de peser l'argent ; ils le pesèrent et trouvèrent une somme déterminée. Al-Ma'mūn (Dieu le pardonne) était intelligent ; il ordonna de faire le compte des dépenses pour l'exécution de cette ouverture ; ils le firent et constatèrent qu'il

longueur de 150 coudées (de l'époque); la largeur est la même; sa hauteur est de 400 coudées et on dit que ses fondations souterraines sont égales à la hauteur; l'épaisseur du mur est de 20 coudées.

p. 55

Lorsque la construction de ces pyramides et de ces temples fut achevée, le roi fit inscrire sur les murs et les plafonds des temples toutes les choses connues et tous les secrets : indices des astres, motifs, facultés, caractéristiques, secrets; les grands codes des lois, la composition des remèdes et leur combinaison, les connaissances sur les médicaments, leurs noms et images, la science chimique et bien d'autres choses de ce qui fait du bien ou du mal; tout cela est résumé et expliqué à ceux qui connaissent leur écriture et la comprennent. Il grava sur ces murs et ces plafonds les talismans, inscrivit sur chacun d'eux ses caractéristiques, ses pouvoirs en bien et en mal. Dans ces pyramides, il entassa des œuvres d'art en or, en argent, en chimie, en chrysolithes précieuses, en perles inappréciables dont la description est impossible à faire. Ses fils agirent après lui pareillement.

Lorsque ces pyramides et ces temples furent achevés selon les désirs du roi, il dit : est-ce que ces monuments se décomposeront un jour ? Ils réfléchirent et les jugèrent éternels. Il leur demanda si l'un de leurs côté serait percé et si quelqu'un y entrerait ? Ils réfléchirent et lui dirent qu'il pourrait en être ainsi dans une telle pyramide dans la façade nord. Il leur demanda d'indiquer exactement l'endroit; ils réfléchirent et le lui indiquèrent. Il leur demanda la date, et après avoir réfléchi ils l'informèrent que cela se passerait dans 4.000 tours du soleil - le tour (du soleil) est un an. Il leur demanda, combien dépenserait-on pour percer cette ouverture, et après avoir réfléchi ils lui désignèrent la somme; alors il leur demanda de déposer dans l'endroit prévu une somme égale à celle que l'on dépenserait en or. Il les exhorta pour qu'ils achèvent la construction des pyramides et des temples, ce qu'ils firent en 60 ans. Il donna ordre d'inscrire sur ceux-là : "nous avons construit ces pyramides en 60 ans; je défierai quiconque de les détruire en 600, alors que détruire est plus aisé que construire".

Il leur demanda de voir si, après, ce fléau, il y aurait une autre calamité. Ils regardèrent les astres qui démontrèrent à ce moment là, qu'un autre fléau viendrait du ciel à la fin des temps, qui serait d'une nature différente du premier, étant donné qu'il serait de feu et qu'il incendierait tous les pays du monde. Ils lui en firent part. Il leur demanda alors, s'il n'y

lion" aurait atteint la première minute du Cancer et que le soleil et la lune seraient à une minute de l'astre al-hamal (bélier). Quand le roi Sündin fut certain de ces faits, quand il sut que cette calamité prendrait la forme d'une inondation de la terre et de ce qui est sur sa surface il ordonna la construction des pyramides. Celles-ci sont les "Birbās" (temples antiques) construits pour perpétuer leurs sciences, leurs arts, leurs histoires, les coutumes de leurs rois, leur comportement envers leurs sujets et citoyens. Elles sont aussi de grands monuments destinés à être des coffres pour leurs richesses et leurs trésors, des magasins pour leurs vivres. Elles sont encore des tombeaux pour eux et leurs parents et destinés à protéger leurs dépouilles mortelles de la pourriture et à les garder en bon état. Il ordonna que la construction en fût de pierre solide, pour être à l'abri des siècles et hors des atteintes du déluge. Selon d'autres sources il aurait donné ordre que ces pyramides et ces tombeaux fussent construits les uns en brique, les autres en pierre. Or, si la calamité devait consister en une invasion par l'eau, la brique aurait été désagrégée et seule la pierre serait restée; si au contraire c'était une destruction par le feu, c'est la pierre qui aurait été détruite, la brique aurait résisté. Mais, s'agissant de l'eau, les pyramides de brique avaient disparu, seules sont restées celles de pierre.

Le roi ordonna à ses vizirs d'accompagner les astronomes et les prêtres (pour accomplir cette tâche); ceux-ci choisirent un emplacement pour bâtir ces monuments c'est-à-dire les pyramides et les temples antiques. Ils choisirent un endroit proche du Nil, sur la rive gauche où une ville fut construite qui porta le nom de Marqa c'est-à-dire suivant leur langue "endroit où on apprend la philosophie". Le roi ordonna de chercher des hommes et de la main d'œuvre. Il rassembla 7000 travailleurs pour les appareillages, un nombre plus élevé pour la construction. De même il fit faire des barres de fer et extraire du plomb. On préparait le bloc de pierre, on le perçait et y introduisait une barre de fer qu'on y fixait au moyen de plomb liquide; de la même manière on fixait sur ce bloc de pierre un autre bloc appareillé et percé de la même façon par la même barre autour de laquelle on versait du plomb liquide de même que sur les deux blocs ensemble. C'est ainsi que l'édifice est devenu un monument qui n'a jamais eu son pareil dans le monde. Le mur de la pyramide est d'une

arbre dont on mangeait toutes sortes de fruits. Il fit des merveilles et des choses curieuses dont la description est infinie. Après la mort de Misrām quelques uns de ses fils lui succédèrent sur le trône; chacun d'eux faisant durant son règne des assemblages merveilleux et extrêmement rares, entre autres : des talismans, des figures, des idoles construits en perles précieuses. Cela dura jusqu'au règne de Šundīn fils de Salomon auteur des pyramides. Celui-ci était un roi sage et savant qui aimait les savants. Il était versé dans la science, dans la philosophie comme ne l'avait été aucun roi ni aucun homme avant lui. Il employait à satisfaire les intérêts de ses sujets comme ne le faisait aucun autre roi, donnait des pensions aux malades et aux faibles à l'aide de son argent propre. Il fit un miroir d'un mélange spécial et le dressa sur un phare au milieu de son palais; dans ce miroir il voyait tous les peuples, tous les pays et bien d'autres choses et y apportait une amélioration en conséquence. Il avait ordonné au prêtre en chef et à ses subalternes d'observer chaque jour ce qui se passait dans le monde et de l'inscrire dans un livre. C'est ainsi que les savants, les prêtres et les astronomes convoqués de tous les points de l'horizon compilèrent tout ce qu'il lui fallait et l'assurèrent de ce qu'il désirait. On lui fit de merveilleuses et admirables constructions, des talismans et bien d'autres choses. C'est à son époque que furent élevées les pyramides.

On dit qu'il n'y a pas sur terre de pierres déposées les unes sur les autres de façon plus étrange que celle des pyramides égyptiennes. Le motif de leur construction peut se résumer ainsi : le roi Šundīn fit un rêve magnifique; il vit l'astre dit al-Bāniya dans l'image d'un oiseau blanc qui enlevait les hommes et les lâchait entre deux montagnes; il semblait que les montagnes les enveloppaient et que les astres illuminés paraissaient sombres et éclipsés. Il communiqua son rêve aux chefs des prêtres, aux savants et leur donna ordre de chercher ce que pouvait être la signification terrestre de cette disparition des astres. Ils consultèrent, alors, les astres qui annoncèrent une calamité qui viendrait du ciel et de la terre à la fois. Une fois édifiés, ils en informèrent le roi qui leur demanda de quelle nature est cette calamité; ils cherchèrent les secrets et les détails de son histoire et trouvèrent qu'elle frapperait la terre, ses habitants, ses animaux et tout ce qu'elle contient. Ils dirent au roi que ce fléau engloberait tous les pays du monde sauf une partie infime, que ce phénomène se déroulerait lorsque l'astre "Cœur du

crime en usant du ^{vv}hâsis, il agit ainsi: il amène la personne qui accepte de le suivre dans une ville souterraine semblable. Lui montrant ce qu'on lui avait préparé il lui dit: "tout cela est à toi si tu tues telle personne dans tel endroit". Il l'amène dans cette ville alors qu'il est sous l'influence de la drogue, jusqu'à ce qu'il ait pris conscience, puis, au moment de le laisser partir il lui fit boire la boisson dormitive, et quand celui-ci recouvre ses sens dans sa maison en se rappelant ce qui s'est passé, il le raconte alors à la première personne qu'il trouve devant lui; on lui disait qu'il avait vu cela dans son rêve et que c'était un signe de bonheur pour lui et on l'encourageait à ne pas hésiter à accomplir l'ordre donné; on lui disait qu'il était pardonné de ce crime en lui montrant un poignard empoisonné, déjà préparé; le misérable sortait alors pour accomplir sur le champ ce qu'on lui ordonnait.

L'auteur dit: lorsque le roi Naqrāwās, sus mentionné, mourut, son fils Sawrat lui succéda au trône; il était croyant en l'unicité de Dieu. Il ferma les temples des Astres et il arriva que l'eau du Nil diminuât sous son règne. Par la suite, ses frères le détrônèrent en faisant monter sur le trône leur jeune frère Misrām, dont nous avons parlé. Celui-ci était un tyran; il multiplia les temples des Astres et manifesta solennellement sa gratitude envers eux, récompensa leurs gardiens, augmenta leurs frais et leurs sacrifices. Il avait un maître qui lui conseilla de s'écarter du public en lui enveloppant le visage d'une lumière éblouissante, il lui dompta des lions qu'il enfourcha, puis il prétendit être Dieu, et invita son peuple à l'adorer. Il s'absentait pendant une période de 30 ans; durant son absence il montait des espèces de grandes bêtes à figure terrifiantes, entre autres des animaux sauvages et des lions. Ce prêtre l'amena jusqu'à la mer noire au milieu de laquelle il lui érigea une idole en pierre noire et blanche, sur laquelle il inscrivit son nom et le consacra comme sacrifice au Soleil; c'est lui qui construisit la citadelle d'argent qui se trouve dans la mer noire, et dont l'histoire est bien connue. Cela est raconté par le prêtre al-Maws dans les chroniques des anciens rois. Il inscrivit sur l'idole: je suis Misrām le tyran, compilateur de l'histoire, révélateur des secrets, j'ai propagé la philosophie idéale, révélé les choses étranges, élevé des monuments gigantesques sur les mers pour qu'on sache après mon règne qu'il n'y a jamais eu de royaume égal au mien. On dit qu'il avait planté dans la ville de Barsān un

sur une haute colonne: l'oiseau sifflait deux fois par jour, au lever du soleil et au coucher, des sifflements différents grâce auxquels on pouvait prédire le cours des événements. Il construisit dans la ville de Barsān, qu'il avait bâtie pour son fils Misrām, un dôme en or sur un phare d'une hauteur qu'il atteignit les nuages qui le protégeaient ainsi du soleil. Il fit élever au sommet de la porte de la ville des idoles orientées dans des sens différents; si quelqu'un venait avec une mauvaise intention, ces figures lançaient, paraît-il, sur lui des flammes dévorantes. Son règne dura 230 ans et quand il mourut, son peuple fut terriblement affligé. On aurait porté sa dépouille mortelle sur les épaules en déambulant pendant 30 ans.

p. 51

Son fils Misrām lui succéda sur le trône. Celui-ci adorait Saturne, il fit la guerre à une nation de génies jusqu'à ce qu'elle fut soumise grâce aux enchantements magiques. Il construisit dans le Sahara du Maghreb des villes dressées sur des colonnes en marbre, entourées de filets en or, et y installa des bibliothèques de philosophie. Il leur fit des portes souterraines munies de cadenas et de clefs solides. Il y avait trois villes; dans chacune trois coffres qui renfermaient les curiosités scientifiques, les nouveautés philosophiques, les signes secrets de la chimie, des sphères en eau toujours congelée, de l'air transformé en solide qui ne se décomposait pas; il y avait un bassin d'eau de vie de création divine; les signes des astres, nimbés des couronnes de la victoire, juxtaposés en face des figures des philosophes, qui s'occupaient d'eux, tenant dans leurs mains les livres de la science; tous les talismans des diverses pierres précieuses, des bijoux, des sphères extraordinaires serties de perles de valeur inappréciable, des lingots d'or, de l'argent et de pierres précieuses, des médicaments secrets et des remèdes admirablement composés. Les images de ces coffres sont gravées sur les murs de tous les temples antiques, sur lesquels les Anciens les inscrivaient avec leurs caractères; l'histoire de ceux-ci d'ailleurs est bien retracée dans leurs livres anciens et sur leurs temples. Ce roi fit construire une ville proche des trois autres, à l'image du paradis, à ce qu'il prétendait, à laquelle des souterrains secrets donnaient accès et qui les reliaient les unes aux autres. Un homme qui a beaucoup voyagé m'a dit, que lorsque le misérable regicide qui habite à la montagne d'Almout veut commettre un

Les uns montent sur des barques, d'autres entrent dans les maisons qui se trouvent sur la rive ; ils allument des torches, une multitude de chandelles. Le souverain d'Egypte fait de même. Durant cette soirée on consomme des quantités incalculables de chandelles. On voit les gens sur les deux rives, sur les barques, dans les maisons donnant sur le fleuve, avec des tambours, des cornes et tout équipement de distraction. C'est la plus belle soirée d'Egypte et la plus agréable. La plupart plongent dans le Nil, aspergent ceux qui ne plongent pas, lui attribuant un pouvoir de protection contre les maladies.

Amr Ibn al-'Ās dit : "le gouvernement d'Egypte équivaut au califat, car l'Egypte occupe une position médiane entre le troisième et le quatrième "climat"; elle échappe à la chaleur des premier et deuxième "climats", de même qu'aux froids des cinquième et sixième". Al-Jāhiz dit : "les Egyptiens sont les plus sages parmi les hommes jeunes et les plus sots parmi les adultes". On dit : Dieu accorde au peuple d'Egypte une vie facile et aisée, signe de sa clémence envers ses serviteurs, qui se traduit par l'abondance de l'eau devenue la première richesse du pays.

Extraits d'histoire des rois d'Egypte depuis les origines :

On dit, toute réserve accordée à Dieu, que le premier roi qui gouverna l'Egypte, lorsque la terre fut divisée entre les fils d'Adam (salut à lui), au temps d'Amūs, d'après le testament d'Adam, s'appelait Naqrāwās, fils d'Adram. Il fut le premier à construire des réservoirs d'eau, à faire des talismans, à dresser des colonnes sur lesquelles il inscrivit l'histoire. Il bâtit des villes, creusa, approfondit et élargit le Nil qui se divisait jusqu'alors en constituant des marais. Il édifia deux bâtiments sur les rives du Nil à l'extrémité de la Nubie sur lesquels il inscrivit quelques signes, et depuis les crocodiles ont cessé de descendre le cours du Nil. L'écriture des anciens égyptiens était faite en caractère appelé Halqatīr; c'est le caractère employé par Adam. Naqrāwās était savant et prêtre. Il agit sous l'influence d'une inspiration des génies. On dit qu'il saisissait une partie des sciences que l'archange Raz'ābīl avait enseignées à Adam grâce auxquelles il créa de nombreuses curiosités parmi lesquelles l'image d'un oiseau perché

odorants. Lorsque la végétation, plus avancée, est devenue verte la terre apparaît alors, pendant 3 mois, comme une chrysolithe verte jusqu'à ce que les cultures jaunissent, se sèchent et mûrissent. La terre devient ainsi jusqu'à la fin de la moisson, pendant 3 mois, comme un lingot en or rouge.

p. 49 On raconte que l'Egypte est figurée dans les livres des Anciens entourée de tous les autres pays tendant les mains vers elle et demandant de quoi manger : ce qui signifie qu'elle est la plus riche en cultures. Selon un récit on aurait dessiné à Harūn ar-Rasīd l'image des villes égyptiennes ainsi que toutes les villes du monde ; il n'aurait admiré que la ville d'Asyūt et ses environs, une province d'Egypte, dont la surface, de 30 milles feddans, constitue un seul terrain absolument plat, au point que si l'on y versait une seule goutte d'eau, elle en couvrirait toute la superficie. Il n'y a pas sur terre plus merveilleux tapis de verdure que lorsque, après les semailles, les champs sont devenus verts. A l'ouest de la ville, se trouve un mont blanc, en forme de manteau ; à l'est, le Nil l'entoure, tel un ruisseau d'argent. Dans l'exubérance des arbres et des vignes, le ramage des oiseaux est tel qu'on ne peut s'y entendre parler.

L'augmentation et la diminution du niveau du Nil font l'admiration de tous, mais nous n'avons pas l'intention d'en parler plus longuement car elles sont notoirement connues. "La nuit de la plongée" (laīlat al-ġitās), en Egypte, est une chose des plus extraordinaires. Elle s'appelle de nos jours, "la brisure de la digue" (kaar al-halīj), elle a lieu le 10 cānūn II c'est-à-dire le mois de janvier en langue des Chrétiens (rūm). A ce moment là, la crue du Nil atteint son apogée et commence à se retirer. L'eau du Nil est alors d'une teinte des plus claires. Cette soirée a une grande renommée en Egypte, car tout le monde sort (des maisons). Tous ceux qui peuvent sortir pour la célébrer préparent des mets et des boissons, mettent leurs beaux atours, exposent ce qu'ils possèdent de bijoux, de vaisselle en or et en argent et apportent toutes sortes d'instruments de fête.

ne perd plus son fil, même lorsqu'elle rencontre du fer. Elle attire les aiguilles, petites et grandes, avec une force plus grande que celle d'un aimant. L'ail ne neutralise pas cette caractéristique comme il neutralise l'effet de l'aimant. La pierre du mont n'attire pas elle-même le fer, mais si l'on affûte du fer sur elle, celui-ci devient aimanté. Les propriétés de cette pierre en font une merveille.

On dit que le Nil d'Egypte parcourt une surface de 700 farsah, qu'il coule dans un pays inhabité sur une distance de 4 mois, de 2 mois dans le pays des soudanais, d'un mois dans le pays d'Egypte, à partir de la ville de 'Uswān jusqu'à son embouchure à Rosette, à l'est d'Alexandrie.

Hursīs le rūmī, dans son histoire, dit que le Nil mesure depuis son origine jusqu'à son embouchure 390,930 milles. Contrairement aux autres fleuves du monde qui coulent dans la direction du sud, le Nil coule dans le sens nord, car il a son origine dans les pays du sud. A ce sujet, un poète dit :

— *Le pays d'Egypte admirable pays, où le Nil coule sous le souffle du vent du sud.*

p. 48 Il n'est pas de fleuve au monde, hormi le Nil, qu'on ait appelé "mer". Dieu n'a-t-il pas dit: "Si tu trembles pour ses jours, dépose-le sur la (mer)". Les Arabes l'appellent mer. C'est le seul fleuve au monde qui nourrisse la terre en eau au point que ses cultures puissent se passer des pluies.

On dit que l'Egypte ressemble, pendant 3 mois, à une perle blanche, pendant 3 mois à un musc noir, pendant 3 mois à une émeraude verte et pendant 3 mois à un lingot rouge. On explique ceci ainsi : lorsque le Nil se répand sur le sol d'Egypte, les villages sur les buttes et les collines émergent au-dessus de l'eau comme des astres ; les gens emploient les barques comme moyen de communication et c'est alors que le sol ressemble à une perle blanche. L'eau reste sur le sol pendant 3 mois ; quand elle se retire, les cultivateurs commencent les semailles et la terre conserve une teinte noire pendant 3 mois jusqu'à ce que la végétation pousse et devienne verte ; ceci dure trois mois encore et la terre apparaît comme une sorte de musc noir, laissant aussi échapper des parfums

L'EGYPTE ET SES MERVEILLES

L'Egypte est située au début du quatrième "climat". Elle a les Gémeaux comme signe de Zodiaque, et comme astre Mercure. Elle s'étend de 'Uswān à Alexandrie. Sa fertilité, ses cultures et ses fruits sont abondants, tous sont irrigués par le Nil. Le Nil est une des Merveilles du monde. On ne lui connaît pas de source au delà du mont de la lune, situé à 9 degrés et demi au sud de la ligne équinoxiale. Il naît de 12 sources dont l'eau s'accumule dans 2 lacs semblables à de vastes marais, de chacun d'eux sortent 3 rivières parmi lesquelles le Nil d'Egypte ainsi que d'autres grands fleuves dont nous retracerons l'histoire, si Dieu Très-Haut le veut. Ces sources se situent dans les pays chauds du Sud où, par suite de la proximité du soleil, aucune plante ni aucun animal ne peuvent vivre.

On dit que le Nil d'Egypte surgit à son origine des sables, et des montagnes puis parcourt la terre des soudanais à la limite des pays nègres que traverse un bras du Nil se jetant dans la mer des nègres, ce sont les hautes eaux de ce bras qui alimentent les crues du Nil d'Egypte. On y trouve le crocodile dit "waral" (lézard) qui existe dans le Nil d'Egypte et vit dans le désert et les pairies. Il est de la race des crocodiles car lorsque le crocodile sort du Nil pour parcourir les rives, il arrive parfois que l'eau se retire et qu'il reste sur le sol ; c'est alors qu'il se multiplie et devient le "waral" bien connu. Le crocodile ne se trouve que dans le Nil d'Egypte ou dans un fleuve de même source.

Dans le Nil d'Egypte se trouve le poisson nommé ra'ād (silure électrique ou silure trembleur) qui fait trembler la main du pêcheur tant qu'il est dans son filet ou accroché à son hameçon. Sur une rive du Nil, il y a une montagne stérile connue de tous les habitants de cette contrée : celui qui sort son épée du fourreau pour l'enfoncer dans le sol de cette montagne, puis tient la poignée (de l'épée) de ses deux mains est pris d'un tremblement tel qu'il ne peut la tenir (en main) fût-il le plus fort des hommes. Une lame de couteau ou de glaive affûtée sur une pierre de ce mont

tombeau qui n'est pas bien entretenu, se trouve dans le hazīr, en face de la mosquée; à la place de la tête il y a une plaque en pierre dite "misann" de Médine sur laquelle on lit : "C'est le tombeau de Hamza Ibn 'Abd al-Muttalib, oncle du Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui), lion de son Envoyé, seigneur des martyrs et leur guide sur la route du paradis, tué le jour de 'Uhud (puisse Dieu être content de lui). Sur le tombeau on voit une tablette sur laquelle on lit : "Dieu a acheté la vie et les biens des fidèles. Le paradis en est le prix. Ils combattent, mettent à mort leurs ennemis, tombent sous leurs coups; etc..." jusqu'à la fin du verset. A l'autre extrémité vers les pieds du tombeau, il y a une autre tablette où on lit : "Dieu et les anges sont favorables au Prophète; Croyants, adressez pour lui vos vœux au Seigneur; invoquez pour lui la paix".

"C'est le tombeau de Hamza Ibn 'Abd al-Muttalib, lion de Dieu, loin de son Envoyé, il se battit à Badr et tomba en martyr le jour de 'Uhud".

Plus loin encore, vers la montagne, à gauche on rencontre un autre hazīr. A la droite vers 'Uhud, avant d'arriver au tombeau de Hamza, se trouve une construction s'élevant à la hauteur de la ceinture sur laquelle il y a une tablette en bois où on lit : "Ici repose Sahl Ibn Qaïs Ibn Sa'd, commandant en chef de la colonne expéditionnaire du Prophète; il se battit à Badr et tomba en martyr à 'Uhud".

L'auteur, Dieu ait pitié de lui, dit : Ici prend fin la partie consacrée à la Mekke, Dieu l'honore, aux rites du Pèlerinage, à la mosquée du Prophète à Médine et maintenant, ayant Dieu pour meilleur guide, je commence à décrire les divers pays dans la mesure du possible.

Prophète rendit visite à 'Umm Ayman alors qu'elle était triste. Elle lui dit : je ne possède rien pour accomplir le Pèlerinage. Il lui répondit : fais un jeûne de 10 jours du mois de du'l hijja puis va à la mosquée de Qubā, le jour de 'Arafa, fais une prière de 2 rak'as et tu auras la récompense d'un Pèlerinage.

On lit encore que Sa'd Ibn Abī Waqqas (puisse Dieu être content de lui) dit : aller à la mosquée de Qubā pour faire une prière de 2 raka's est préférable pour moi que d'aller visiter Jérusalem 2 fois; si les gens savaient les mérites de la mosquée de Qubā, ils y conduiraient leurs montures.

Le puits de Qubā, avec l'eau duquel le Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui) se gargarisa et qu'il rejetta ensuite à l'intérieur, pour que de salée qu'elle était, elle devienne douce grâce à sa bénédiction se trouve à l'ouest de la mosquée. La maison de Sa'd Ibn Haitama al-Ansari, où le Prophète vivait parmi les Musulmans est proche du coin ouest. L'espace entre la partie antérieure de la mosquée et l'emplacement de l'arbre sous lequel se déroulait la ba'a (serment de fidélité) est couvert d'un plafond en planches élevées sur des troncs d'arbres.

*Les tombeaux des Martyrs de la bataille de'Uhud,
(que Dieu ait leur âme) :*

p. 44 Les tombeaux des martyrs se trouvent au pied de la montagne de'Uhud. Le plus proche de la montagne c'est un hazir (enceinte close), construit en pierre, à hauteur de la ceinture et qui contient 37 tombeaux couverts d'une pierre dite "jandal". Le tombeau des deux nouveaux mariés à savoir Ma'ad Ibn 'Amr Ibn al-Jamuh et son ami Ma'ad Ibn 'Amr que le Prophète ordonna d'inhumer ensembles dans un seul tombeau, se trouve à l'ouest de ce hazir séparés par une distance de deux fois le jet d'une pierre. Sur le tombeau on voit deux planches avec des inscriptions; l'une est en pierre dite "misann" de Médine, l'autre en bois; le tombeau est couvert d'une voûte d'une hauteur de la taille de l'homme. Tout près se trouvent 12 autres tombeaux. Plus bas que le hazir se trouve le tombeau de Hamza Ibn 'Abd al-Muttalib, entouré d'un hazir comprenant un oratoire et un tombeau. Ce

être content d'elle). A l'extrémité est de la nef, de côté de la cour, se trouve une construction semblable à une chambre : on dit que c'était l'entrepôt de la mosquée.

Nombre des lampes :

On compte 294 lampes qui consumaient 10 râtls d'huile par nuit.

p. 42

Le Baqī' de Médine :

La première chose qu'on voit dans le Baqī' de Médine du côté est, c'est le tombeau de Mālik : c'est un tombeau abandonné, construit de pierre et d'argile, de 4 emfans de haut au-dessus du sol; près de l'emplacement de la tête, il y a une pierre sombre, sur laquelle on lit, inscrite et gravée, la date de la mort. Puis on continue la marche et l'on constate que les tombeaux avaient rejeté leurs morts, la terre refusait tout ce qu'on y avait enterré, petit ou grand. Il ne reste rien en elle qu'elle n'ait rejeté à sa surface, rien de leurs membres ni de leurs os, pas la moindre partie qui soit restée dans son sein, surtout parmi les habitants de Médine.

La plaine ressemble à un ossaire pillé : morts inhumés jadis, morts d'aujourd'hui, crânes des morts anciens et pourris, crânes tout frais. Avertissements pour les gens de bon sens. Puis on poursuit sa marche pour rencontrer la rawḍa (sépulture) d'al-'Abbas Ibn 'Abd al-Muttalib, la sépulture d'Ibrāhīm fils du Prophète (salut à lui), puis la sépulture de 'Utman Ibn 'Affān, etc.

La mosquée de Qubā :

p. 43

C'est une mosquée située à trois milles de Médine, lieu de prière pour celui qui passe. C'est un carré de 70 coudées de côté. La partie antérieure se compose de 3 nefs tandis que la partie inférieure et la partie latérale constituent un seul portique élevé sur 43 colonnes en coquillages recouvertes d'une couche de chaux. Elle possède 3 portes sans battants. Sur le coin inférieur à gauche dans la direction du mihrāb on lit que le

Al-Mihrāb :

Le mihrāb ne se trouve pas juste au milieu du mur de la qibla mais déplacé de 20 coudées vers l'est; le mur de la qibla est recouvert de marbre, sur lequel sont inscrits entre la porte d'ar-Rahma et la porte de Gabriel les versets coraniques de la sūra "du soleil au plus haut de son cours" à la sūra "des hommes". A côté du mihrāb on voit le dessin d'une grande étoile orné en son milieu d'une pierre d'hyacinthe bleue; on dit qu'elle constituait la pierre médiane de la parure de Fātima az-Zahra'. Dans le mur de la qibla au milieu de la nef et à la droite du mihrāb, se trouve une petite porte; cette porte située au-dessous de la maqsūra donne à un escalier qui mène à une porte de l'ancienne demeure de la famille de 'Umar.

Nombre des portes de la mosquée du Prophète :

p. 41 La mosquée possède 20 portes : 7 sur le côté est d'une forme carrée avec des montants en grille; un nombre égal sur le côté ouest dont une petite porte en arc avec un battant, d'une forme unique car la mosquée n'a pas d'autres portes en arcs. Dans la partie antérieure de la mosquée on compte 4 grandes portes, une ménagée dans le mur de la qibla et une autre sous la maqsūra, mentionnée plus haut.

Nombre des colonnes de la mosquée :

On compte 276 colonnes dans la mosquée et 3 minarets dans les trois coins : un sur le coin est, un sur le coin ouest, un troisième sur le coin de la partie inférieure de la mosquée. Le sol de la mosquée est couvert de cailloux sombres de 3 côtés : en avant, en arrière et de côté. Dans la nef médiane de la qibla il y avait en l'an 528 (1133—4) un tapis de Tabaristān doublé ; tous les murs sont recouverts de marbre jusqu' à une hauteur qui est le double de la taille d'un homme et même légèrement plus haute ; la cour où poussent des palmiers est recouverte de cailloux. Dans la nef orientale on aperçoit une construction semblable au mihrāb : on dit que c'était l'endroit où priaît Fātima (puisse Dieu

Ar-Rawḍa, où se trouve le tombeau du Prophète :

Le tombeau du Prophète est situé au tiers de la nef médiane d'ar-Rawḍa du côté est. Celle-ci qui est ronde a 5 coins. Dans le coin du mur opposé à la qibla, du côté du minbar se trouve le visage du Prophète. Au niveau de sa taille, un clou d'argent indique la place du visage d'Abū Bakr. Au niveau de la taille d'Abū Bakr se trouve le visage de 'Umar.

p. 39 De ce mur au mur de la qibla on mesure 20 coudées ; le mur situé au delà de la porte de Jabrā'il a 15 coudées de long. La distance entre ce mur et le mur est de la mosquée est de 9 coudées, les 3 autres murs ont respectivement 15 coudées de long et 12 de haut. Tous sont recouverts de marbre et surmontés de grillage de fer. La Rawda est découverte ; elle n'a pas de plafond en deçà du plafond de la mosquée. Elle est revêtue de toiles de soie colorée qui montent jusqu'aux deux tiers des murs. Du côté est et du côté ouest la partie non couverte est imprégnée d'ambre gris, de musc et de safran, Dans le coin où est située la tête du Prophète se trouve une plaque de marbre vert, le plus beau qu'on ait jamais vu, indiquant la place de sa tête.

Al-Minbar (la chaire) :

p. 40 Il se compose de 8 marches, le ḥaṭīb s'élève jusqu'à la septième marche seulement car la huitième est recouverte d'un couvercle (mikabba) en bois qui en interdit l'accès car c'est la marche où se levait le Prophète. Entre le minbar et le mur de la qibla on mesure 20 coudées ; la distance entre le minbar et la maqsūra est de 12 coudées ; la distance comprise entre la partie antérieure de la maqsūra et le mur de la qibla est de 8 coudées. A côté du minbar, vers la Rawḍa, il y a un anneau d'argent placé sur une étoile en argent qui tourne bruyamment ; c'est avec cet anneau que le Prophète distrayait al-Ḥasan et al-Ḥusain. Près du minbar, vers la qibla et orienté un peu vers l'est se trouve une des colonnes de la mosquée dont on coupa une partie longue d'un empan dans laquelle on fit pénétrer le tronc qui avait manifesté son attachement pour l'Envoyé de Dieu (la prière et le salut de Dieu à lui).

LA MOSQUÉE DU PROPHÈTE

La mosquée du Prophète a une forme rectangulaire, sa longueur a 100 coudées de plus que sa largeur. Le plafond de la mosquée est décoré, peint, sculpté et doré entièrement. Il est élevé sur des linteaux sculptés reposant sur des colonnes en coquillage noir, superposé, recouvertes d'une couche de chaux, sans arcades sauf la partie donnant sur la cour qui s'élève sur des colonnes analogues surmontées d'arcades dont la façade est incrustée de mosaïque. Les colonnes qui donnent sur la cour sont plus courtes que celles qui supportent le plafond de la mosquée. Celles qui donnent sur la cour portent des grillages en bois de teck.

Dans la partie antérieure de la mosquée, on compte 5 nefs axiales ; un nombre égal dans la partie inférieure, 3 du côté est et 4 du côté ouest. De la partie antérieure jusqu'à la cour on compte 11 arcs, comme pour l'autre côté. La longueur de la mosquée, du coin du minaret de Bilāl qui se trouve à côté du tombeau du Prophète au coin est de sa partie inférieure, est de 270 coudées. La largeur, de la porte de Jabrā'il qui est aussi à côté du tombeau du Prophète à la porte de la "miséricorde", située à côté de la maison d'as-Sayyda, est de 170 coudées.

Ar-Rawḍa, située entre le tombeau et le minbar :

La longueur d'ar-Rawḍa, située entre le tombeau du Prophète et le minbar est de 56 coudées. La partie couverte de marbre, située au milieu d'ar-Rawḍa, où s'asseyait le Prophète en s'appuyant contre un coffre de bois où il mettait ses affaires, ressemble aujourd'hui à une sorte de bassin recouvert de marbre dont la profondeur est d'un empan et la longueur de 3 coudées et qui existe encore de nos jours. Il est fermé par un cadenas de fer que personne n'a jamais ouvert et on ne connaît pas son contenu. Le coffre se trouve dans la partie orientée vers la qibla du bassin, déposé au fond dans une position telle qu'on peut le déplacer.

Batn Muḥasser. Sa situation, par rapport à al-Muzdalifa :

La vallée de Muḥasser coupée par la route, commence à al-Muzdalifa et s'étend dans le sens Ouest-Est. C'est un lit du torrent dont la largeur est de 100 coudées. Lorsqu'on la quitte pour al-Muzdalifa on traverse un endroit très élevé, c'est là que se trouve la source (siqāya) de 'Abbās sur la droite. C'est une grande mare qui, aujourd'hui ne contient pas beaucoup d'eau.

Al-Ma'zamān :

Ce sont deux montagnes situées à l'entrée du défilé lorsqu'on sort d'al-Mas'ar al-Haram pour gagner 'Arafāt. Le soir de la fête du sacrifice, on y allume beaucoup de torches, sur les deux côtés de la route.

L'auteur, Dieu ait pitié de lui, dit : tout ce que nous avons l'intention de décrire, relatif à la Mekke, Dieu l'honore, est complet. Essayons maintenant de décrire la mosquée du Prophète (la prière et salut de Dieu à lui) à Médine, ainsi que la Rawda, le Baqī' et l'emplacement des Martyrs (que Dieu ait leur âme).

On y monte par un escalier intérieur qui se compose de 15 marches. Une petite porte est ménagée vers la Ka'ba. On peut se lever n'importe où dans le Mas'ar al-Haram, mais on doit s'élever plus haut que la vallée de Muhasser. . . Quand les pèlerins se mettent à circuler, avance tranquille et respectueux en faisant appel à Dieu jusqu'à ce que tu arrives à la vallée de Muhasser où tu commences les tours, à pied ou sur ta monture presse les pas jusqu'à la sortie — c'est la règle.

p. 35

'Arafat et la montagne de la Miséricorde (ar-Rahma) :

'Arafat est un petit village situé à côté et à l'ouest des Banū Dabba à un niveau plus bas qu'al-Mawqif, à droite lorsqu'on se dirige vers le Mawqif. La montagne dite ar-Rahma sur laquelle les gens montent pour l'invocation est la plus proche d'al-Mawqif. C'est une petite montagne, pas très haute, et escarpée de toutes parts. Elle donne sur le Mawqif où on a construit une sorte de bassin (saqiya) autour de lui et d'où on peut monter par trois côtés: du côté du Mawqif par 17 marches et des deux autres côtés par 10 marches respectivement. Au pied de la montagne, on trouve trois citernes. La partie haute du bâtiment constitue une mosquée: c'est celle de'Umm Salama, femme du Prophète (la prière et le salut à lui).

La Šarī'a (oratoire) d'Abraham :

C'est un mur construit de tous les côtés mais à ciel ouvert, dont la plus grande partie est démolie et dont il ne reste que le mur de la qibla où se trouve le mihrab. Sur la droite quand on regarde le mihrab on passe sous trois arcades. La place du minbar se trouve à droite. La šarī'a est de 170 coudées en longueur et de 150 en largeur: vers la qibla par rapport au sanctuaire se trouve une mare derrière laquelle on voit le champ d'arbres dits al-arak nommé le val de'Urama, près des deux repères constituant les limites du territoire sacré et au-dessus desquels on doit s'élever à pied ou sur sa monture. Celui qui s'y installe la veille d'al-Mawqif doit considérer son pèlerinage comme irrégulier, le Prophète n'a-t-il pas dit: " 'Arafat tout entière est un Mawqif, restez plus haut que la vallée de'Urama": on dit qu'elle fait partie du territoire sacré. La largeur de cette vallée entre les deux repères (al-ma'ails) est de 800 coudées.

pied de la montagne, se trouve une grotte où le Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui) pénétra et où il ne peut s'assoir que quand la pierre finit par se ramollir et son coude ainsi que sa tête s'y enfoncèrent (la prière et le salut de Dieu à lui). Dès lors tous ceux qui y entrent ne s'asseyent pas sans placer leurs coudes et leurs têtes dans le creux où le Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui), avait mis les siens. C'est dans cette grotte que Dieu, lui révéla la sūra, dite "al-Mursalāt", nom, qu'on donne à la grotte.

La mosquée d'al-Muzdalifa :

La mosquée d'al-Muzdalifa est située à un niveau plus bas que la Mosquée Sacrée, sur la gauche dans la direction de 'Arafāt.

p. 34

C'est dans cette mosquée qu'on fait la prière de coucher du soleil et celle du soir quand on dévale depuis 'Arafāt. Le Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui) n'a-t-il pas dit (en désignant la mosquée): "La prière est là devant toi". La mosquée est construite avec des pierres bien taillées, sans plafond, c'est un mur seulement sur trois côtés; le quatrième côté est vide. Elle n'a pas de mihrāb, mais une pierre sculptée indique l'orientation de la qibla. La mosquée a 63 coudées de long et 50 de large. La hauteur du mur est de 10 coudées. La Muzdalifa, tout entière est un mas'ar (lieu sacré des rites) sauf la vallée de Muhasser. Lorsqu'on y descend, tu ne cesses pas de faire entendre la formule du takbīr et tahlīl. Quand on la quitte pour Minā, on dit: Dieu je te demande de m'accorder tous les biens. Ensuite on lui demande tout ce qu'on veut car le lieu est une station de pèlerinage (mawqif) grandiose. Prend les cailloux des Jamras d'al-Muzdalifa, c'est mieux.

Al-Mas'ar al-Harām (lieu sacré des rites) :

C'est un emplacement élevé à droite de la route montante allant à 'Arafāt, situé au pied de la montagne des Banū Quzah. C'est un minaret de pierres bien taillées enduites de chaux d'une hauteur de 12 coudées. Son périmètre est de 12 coudées et demie.

gauche, à la porte du campement d'as-Saïl et celui d'al-Mu'taz séparés de la Jamra d'al-'Aqaba par une distance de 400 coudées. Puis tu lances les cailloux à la troisième Jamra, située au milieu de la mahajja, (route), à une distance de 350 coudées de la Jamra médiane.

On lance 7 cailloux dans chacune des trois Jamras en prononçant les paroles mentionnées plus haut. Le pèlerin doit répéter à haute voix la formule : "Dieu est Grand" (takbīr) et faire appel à Dieu à chaque heure du jour autant qu'il veut ; on ne doit pas cesser le "takbīr" avant la prière de midi et celle de l'après-midi à "al-Muhassab". Lorsque tu entres dans la Mekke pour faire le Tawaf al-Ifāda, course désacralisateur dis : "Dieu, louange à Toi, grâce à Toi j'ai accomplis parfaitement le Pèlerinage ; Tu m'as pardonné mes péchés ; Tu as satisfait mes désirs ; Tu es Tout-Puissant". Lorsque tu fais tes adieux à la Mosquée Sacrée, tu ne dois pas lui tourner le dos jusqu'à ce qu'elle disparaisse à tes yeux. Alors tu dis : "Dieu, puisses-Tu m'accorder un pèlerinage béni, pardonner mes péchés, accepter mon devoir, vénérer mon effort ; Tu es le plus clément. Que ce ne soit pas le dernier adieu à ton sanctuaire et la dernière visite du sépulcre vénéré de ton Prophète ; puisses-tu me faire revenir sain et sauf aux miens ; Tu es Tout-Puissant".

p. 33 *La mosquée d'al-Haïf, sa dimension et description de
la Grotte :*

La mosquée se trouve au pied de la montagne ; à droite de la route si l'on prend la direction de Minā vers al-Muzdalifa. Elle est construite avec des pierres bien taillées dont la plus grande partie est en brique enduite d'une couche de chaux. La salle de prière est composée de 3 nefs ; d'un côté de la cour se trouve un portique sur des arcs élevés sur des pieds droits en brique enduite d'une couche de chaux. Les pieds droits sont au nombre de 185, la longueur de la mosquée est de 175 coudées ; elle possède 7 portes et une huitième petite porte ménagée dans le mur de la qibla près du minbar donnant sur la maison de l'imām. Au milieu de la cour s'élève un minaret dont la partie supérieure est lézardée. Près de la mosquée, au

Mina est un village bâti au flanc de la vallée qui descend de 'Arafat. Au milieu de cette vallée se trouvent les deux Jamras dont la première est celle d'al-'Aqaba. Lorsque tu rencontreras Mina à l'entrée d'al-'Aqaba, sur la gauche du chemin suivi par ceux qui y entrent, venant de la Mekke, lance 7 cailloux à sa base du milieu de la vallée, en disant pour chacun d'eux : il n'y a d'autre divinité que Dieu, Dieu est grand malgré satans ou satan et son mépris. On ne doit pas jeter de cailloux avant l'aube. Dans ce cas, on doit accomplir à nouveau cet acte après l'aube sans peine d'être blâmé ; le caillou est considéré comme une offrande : ceux qui sont acceptés sont enlevés (au ciel), les autres restent toujours (sur terre). Ceux qui partent pour Mina ne sont pas tenus à la prière de la fête, car la prière ce jour-là se fait en restant debout dans al-Mas'ar al-Haram. Les jours de Mina sont les jours où l'on doit faire appel à Dieu ; Dieu n'a-t-il pas dit : "Faites appel à Dieu durant certains jours comptés". Ceux-ci sont les trois jours de Mina où on jette les jamras ; ce sont les jours d'at-Tasriq, le jour de sacrifice non compris, parce que Dieu a dit : "Celui qui aura accompli les rites en deux jours ne commet pas un péché", sinon, il aurait dit : "celui qui aura accompli les rites en trois jours". Les cérémonies (an-nafr) doivent avoir lieu durant le deuxième des trois jours qui suivent le jour de sacrifice, les jours connus sont le jour de sacrifice et les deux jours après, le quatrième fait particulièrement partie des jours comptés. Si, tu jettes les cailloux à la Jamra d'al-'Aqaba, tu égorges ton offrande en l'orientant vers la qibla et tu dis : au nom de Dieu, cette offrande provient de Toi et est à Toi, je te demande de l'accepter de moi comme tu l'acceptas d'Abraham ton ami (salut à lui). Sur le flanc de la montagne donnant sur la jamra d'al-'Aqaba se trouve une mosquée où l'on aperçoit, scellée au mur situé du côté de la salle de prière, une pierre plate foncée portant la trace du pied d'Ismaël (salut à lui), fils d'Abraham (ami de Dieu). Lorsque celui-ci l'étendit sur le dos pour l'égorger, Ismaël frappa la pierre de son pied, la pierre se ramollit et son pied s'y marqua (salut à lui). A cet endroit se trouve la trace du bélier ; plus bas, au fond du chemin, lorsque tu arrives à al-'Aqaba, se trouve la mosquée de la bay'at al-Ansar construite à gauche de la route à l'aube de l'Islam et dont on aperçoit encore les ruines. Puis tu arrives à Mina pour rencontrer la seconde Jamra, à la

p. 29 s'accrochent 18 lampes, donc 72 pour l'ensemble. Aux voûtes de la Mosquée Sacrée on compte 150 lampes et cinq lustres : un sur la porte d'Abraham (salut à lui), un second sur la porte d'as-Safā, un troisième sur la porte des Banū Šaība, un quatrième sur la porte des piliers et un cinquième sur la porte des Banū Jumah.

Le sol de la mosquée est recouvert de sable de la grosseur de la semoule. Deux agents sont munis de fouets qu'ils font retentir en l'air au début de chaque prière.

As-Safā et al-Marwa :

As-Safā est une énorme pierre bleue sur laquelle on bâtit un escalier par lequel on monte au sommet d'Abū Qubaīs. Cet escalier contient 30 marches, mais jusqu'à l'endroit où on stationne on en compte 18. Al-Marwa est aussi une énorme pierre, mais qui était brisée en deux parties qui sont séparées par un espace d'environ 12 coudées. Dans cette anfractuosité on construisit un escalier de 10 marches environ jusqu'à l'endroit où on s'arrête. En bas, vers l'Orient on éleva un mihrāb. Du haut de la Marwa, on ne voit de la Mosquée Sacrée que l'étendue de 2 coudées.

Dimension d'al-Mas'a :

p. 30 D'as-Safā jusqu'au premier repère vert qui se trouve dans le coin du minaret placé à la porte de la vallée, il y a 180 coudées ; de ce premier repère au second situé dans le coin de la maison de Ja'far et celle d'al-'Abbas il y a 125 coudées — en face de chacun de ces deux repères verts s'en trouve un autre semblable, de la même forme. De ce repère jusqu'à al-Marwa on mesure 475 coudées ; ainsi l'espace entre as-Safā et al-Marwa est de 780 coudées.

Mina, la Jamra et son jet :

Lorsque tu arrives à Mina dis : "Dieu, voici Mina que Tu nous recommandes comme lieu où l'on s'acquitte des actes de dévotion ; je te demande de nous accorder ce que Tu accorderas à tes protégés, à ceux qui t'obéissent et à tes pieux serviteurs"

delà de Dar al-'Ajala; la porte d'at-Tabarī, qui est un petit arc sans piliers, dite porte d'as-Sudda, à travers de laquelle on sort pour se rendre à la maison de Ja'far as-Sādiq. Sur cette façade on compte encore 6 portes se rapportant aux maisons avoisinantes de la Mosquée Sacrée, et qui lui sont tout à fait étrangères.

*Nombre des colonnes de la Mosquée Sacrée ;
le miracle du Prophète (la prière et le salut de Dieu à lui)
à propos de l'achat de la colonne rouge :*

On compte dans la mosquée 470 colonnes situées principalement dans les voûtes. Les portes contiennent 26 colonnes à part. Dans les deux maisons annexées à la mosquée, celle d'an-Nadwa et celle d'al-Hinta, on compte 129 colonnes ce qui porte le nombre des piliers et des colonnes à 621.

p. 23

Dans la Mosquée Sacrée, on compte 3 nefs sur chaque côté du plan carré. Sur chacun de ces côtés donnant sur la cour, on compte 46 arcs en longueur et 31 en largeur. Sur la façade donnant sur le Dar an-Nadwa, au milieu de l'espace libre, on voit une colonne rouge qui était la propriété d'une juive. Le Prophète voulait la lui acheter, mais la femme ne voulut la vendre que pour son poids en or. Il la lui acheta en acceptant la condition : on mit alors le pilier dans le plateau d'une balance, le Prophète mit dans l'autre plateau un mitqāl qui l'emporta en poids grâce à un effet de sa grandeur, c'est l'un de ses miracles. Chacune des façades de chaque nef donnant sur la cour est ornée d'une mosaïque.

*Nombre des lampes de la Mosquée Sacrée,
les ḥatīms et les lustres :*

A l'intérieur de la mosquée se trouvent 5 colonnes en bois garnies de cuivre appelées ḥatīms; on y accroche des lampes, mises dans des coupes en verre, à l'occasion de ramadān, au ḥatīm du gouverneur de Bagdad, à celui du Šāh roi des Iraniens, à celui du Sanjār roi des Persans et à celui de la Sayyda. Ceux-ci se trouvent du côté du Maqam. Enfin on compte le ḥatīm des ḥanīfites du côté syrien donnant sur le coin ouest.

Au ḥatīm du prince de Bagdad s'accrochent 20 lampes, à celui du Šāh 10, à celui de Sanjār 10 encore, à celui des ḥanīfites 6 et à celui de Zamzam 10. A chacun des quatre autres ḥatīms

Banū Mahzūm d'où on sort pour as-Sāfa, et qui est constituée par 5 arcades soutenues par 4 piliers; la porte des tailleurs (hayyātīn) dite porte des Banū Talha, composée de deux arcs reposant sur un pilier — c'est près de cette porte que les Bédouins vendent les vivres dont ils disposent, quand ils viennent à la Mekke.

p. 26

Sur la façade située près du côté d'al-Mas'a on compte 4 portes : la porte de 'Alī Ibn Abī Talīb (puisse Dieu être content de lui), qui se compose de 3 arcs élevés sur deux piliers — en face du pilier situé près de la porte du Prophète (salut à lui), se trouve al-Mail al-Ahdar dans le coin de la maison de Ja'far qui est contiguë à celle d'al-'Abbās; c'est un repère couvert d'une couche de chaux, peint en vert, construit par al-Mahdi qui le dressa comme signe de fin de la bousculade (harwala)—; la porte du Prophète (salut à lui), petit arc sans piliers, d'où on sort vers les jardins et les pharmaciens et où se trouve un grand tambour d'une largeur de 5 empan, en bois dégageant l'odeur du gingembre, recouvert d'un côté de cuir, qu'on frappe à partir du 10 du'l hijja à chaque prière; la porte des Banū Sa'iba qui se compose de 3 arcs élevés sur deux piliers — c'est par là que le Prophète (salut à lui), entra. C'est par là qu'entrent toute personne en vue du Hajj ou la 'Umra; le seuil de cette porte depuis le premier arc jusqu'au troisième, c'est Hubal la grande idôle qui se trouvait dans la Kaba - les Qurāisites l'adoraient pour Dieu, mais l'Islam l'a déplacée et en fait le seuil de cette porte sur lequel on passe et que les pèlerins venus de tous les horizons piétinent. Gloire à Dieu pour la grâce de l'Islām. De ce côté se trouve al-Mas'a situé entre les deux collines d'as-Sāfa et d'al-Marwa : c'est le lit du torrent, où se trouve le marché de la Mekke et le rendez-vous des marchands en vivres et des artisans. Sur la façade située au delà de la Dār an-Nadwa, on compte 4 portes : la porte des piliers (bāb assawari) qui est un petit arc sans colonnes, la porte d'an-Nadwa composée de deux arcs élevés sur un pilier par laquelle on entre à la Dār an-Nadwa, annexée à la mosquée; c'est une maison décorée du côté de la Dār al-'Ajala; elle est formée de tous les côtés de voûtes élevées sur des colonnes en briques enduites d'une couche de chaux, elle a 32 coudées de longueur et de largeur; elle contient 77 colonnes, elle possède une autre porte par où on entre encore dans la mosquée, connue — comme la précédente — sous le nom de porte d'an-Nadwa; cette

p. 27

porte se compose de deux arcs sur un pilier, elle est située au

de Minā et le coin d'Ajyād al-Kabīr qui se trouve près de la porte yéménite est de 280 coudées. Telles sont les mesures de la Mosquée Sacrée tant en longueur qu'en largeur.

Les Minarets :

La mosquée possède 5 minarets : un s'élève au coin d'Ajyād, un deuxième au coin dit Abū Qubaīs, c'est dans le coin de ce minaret juste après la maison d'Abraham (l'ami de Dieu, salut à lui), que se trouve al-Maīl al-Aḥḍar (le repère vert) où commence l'empressement (harwala), un troisième dans le coin des Banū Šaība, un quatrième sur la porte de Dār an-Nadwa et un dernier sur la porte des Banū Jumah dite la porte d'as-Suddah.

Nombre des portes de la Mosquée Sacrée :

p. 25 La mosquée possède 17 portes : 3 dans la façade ouest juste après la porte des Banū Jumah et Banū Sahm, la grande porte des Sahmides dite porte de la 'Umra d'où les gens sortent pour le tanīm afin d'accomplir la 'Umra — c'est un grand arc cintré sans piliers, la porte d'Abraham (salut à lui) constituée par 7 arcs élevés sur 8 piliers de briques cuites, couvertes d'une couche de chaux; On y passe avant d'arriver à la mosquée pour atteindre une chambre qui était un entrepôt de blé (dār al-ḥiṭa) et qui fut annexée à la mosquée, par Zubaīda — c'est une chambre carrée de 65 coudées de longueur et de largeur; ce sont des voûtes élevées sur des colonnes en brique cuite enduite d'une couche de chaux, comprenant 52 colonnes; en traversant cette chambre on entre dans la cour de la mosquée. A l'extérieur de cette porte, sur le flanc de la vallée, se trouvent le puits de Ġadura et le puits d'Abraham ; ils sont très profonds. Leur eau est saumâtre et imbuvable, puis la porte de Ja'far connue sous le nom de la porte des Yéménites; elle est composée de deux arcs élevés sur un pilier. Sur la façade située à proximité de la vallée, et qui donne sur Abū Qubaīs, on compte 6 portes : la porte des épiciers (baqqālīn) — qui est la porte d'Ajyād al-Kabīr - située en face de la maison d'Abū Jahl; elle est formée de deux arcs reposant sur un pilier; la porte des filateurs (ḡazzālīn) composée de deux arcades reposant sur un pilier; la porte d'as-Safa dite la porte des

son plafond couvert de bois de teck sculpté. A l'extérieur la coupole est recouverte d'une mosaïque en verre dorée. Cette coupole est surmontée d'une petite ayant une chaîne de cuivre. La dernière soirée du mois de ramadan, on allume des chandelles partout sur la coupole; le da'i y monte pour faire l'invocation en faveur du prince des croyants, ce da'i bénéficie d'un traitement spécial pour cette fonction. La coupole de Zamzam domine la partie dite "al-Multazam" de la Ka'ba; c'est un endroit situé entre le coin noir et la porte de la Ka'ba. Le coin de la coupole dépasse les limites du coin de la Ka'ba; le pourtour de la coupole est muni à l'intérieur de bassins contenant de l'eau où les gens font l'ablution en vue de la prière.

23

La Coupole d'Abreuvement (Qubbat as-Sarāb) :

Devant le puits de Zamzam se trouve "la coupole du boire". C'est une sorte de voûte soutenue par des pieds en bois, couverts de grillages et percée d'une petite porte du côté de la Dar an-Nadwa. La circonférence de la coupole est de 80 coudées; le fond en est peint avec de la chaux. Dans la coupole, il y a des jarres pleines d'eau depuis le coucher du soleil jusqu'à la nuit à l'usage des gens. Le plafond de la coupole est recouvert par une mosaïque, elle est surmontée d'une figure d'oiseau en cuivre qui tourne au vent. La distance de cette coupole à celle de Zamzam est de 25 coudées.

La Chambre de la Juive (Baït al-Yahūdiyya) :

Elle se trouve à l'intérieur de la Mosquée Sacrée; c'est une chambre carrée, haute, dont les murs sont couverts d'une couche de chaux. Outre ceux que nous avons décrits il n'y a pas d'autre bâtiments dans le sanctuaire.

La Mosquée Sacrée, ses dimensions et ses chefs d'œuvres :

Quatre imāms font la prière dans le sanctuaire: l'imām ṣāfi'ite près du Maqām, l'imām malikite dans le coin ouest, l'imām hanifite près de la gouttière et l'imām hanbalite dans le coin yéménite. La longueur de la Mosquée Sacrée depuis le coin des Banū Ṣaiba — c'est la porte de l'entrée de la Mosquée Sacrée jusqu'au coin des Banū Jumah — qui se trouve près de la porte des Sahmides — est de 407 coudées. Sa largeur depuis la porte des Sahmides, qui est le coin des Banū Jumah, jusqu'au coin

24

tawāf (déambulatoire) il y a 12 coudées. La largeur de l'espace destiné au tawāf est de 42 coudées; celui-ci ne se trouve pas en face de la Ka'ba mais en face du milieu de son mur.

p. 21

Le puits de Zamzam, ses dimensions, celles de sa coupole, son eau et ses vertus :

Il est recommandé au pèlerin de prendre de l'eau de Zamzam autant qu'il peut : pour boire, faire l'ablution durant son séjour à la Mekke. Quand on en boit il est préférable de répéter l'invocation divine en disant : Dieu, je te demande de la bonne science, de la protection contre toutes les maladies. Elle exauce les vœux pour lesquelles elle a été bue. Il est recommandé aussi au pèlerin d'en emporter avec lui dans son pays car c'est un remède pour ceux qui demandent à en boire croyant fermement en ses vertus. Ibn 'Abbas n'a-t-il pas dit : "Buvez de la boisson des pieux et priez dans le sanctuaire des élus". Il réitère : "La boisson des pieux est l'eau de Zamzam, le sanctuaire des pieux sous la gouttière". La profondeur de Zamzam, de haut en bas, est de 72 coudées, l'espace entre la surface de l'eau et l'ouverture du puits est de 34 coudées, de la surface d'eau jusqu'au fond du puits il y a 38 coudées. On dit que l'eau monte au cours de la soirée du 14 sa'ban à minuit. Ce soir là, tout le monde à la Mekke fait ablution de son eau; on en puise des quantités que Dieu seul peut évaluer; l'eau n'augmente pas, ne diminue point et elle ne change pas d'aspect. Il en est de même pendant les cérémonies du Pèlerinage, le niveau de l'eau ne diminue pas : toutefois il se stabilise un peu. On raconte qu'en l'an 324 (935-6) l'eau disparut et que le puits resta inutilisable quelques jours, on le cura pour que l'eau s'y accumulât. On raconte encore que ce puits fut tari durant certaines années au point qu'un homme y descendit et y fit une prière de deux rak'as.

p. 22

La circonférence du puits est de 18 coudées. Son mur mesure 6 coudées. Il est surmonté d'une coupole carrée, élevée sur 16 colonnes, toutes sculptées. La coupole a 4 angles attachés avec des grillages de fer, donnant sur une jolie porte du côté de la coupole dite "Qubbat as-Šarāb" (dôme d'abreuvement) connu des habitants de la Mekke sous le nom de "fontaine de Zubaïda" (siqayat Zubaïda). Son sol est pavé de marbre,

Description du Maqām :

Le Maqām est une pierre de couleur rouge sombre, pointée de noir, il présente deux sommets séparés au milieu. La profondeur de l'empreinte des pieds (d'Abraham) dans la pierre dépasse deux tiers d'empan et un demi pouce.

Les traces des pieds dans la pierre :

p. 20 Description : La trace du gros orteil de l'un des deux pieds est placée à côté du talon de l'autre. Les doigts du pied droit sont orientés vers l'entrée, le talon de ce pied et les doigts du pied gauche vers le sanctuaire, le talon vers l'entrée. L'espace entre les deux pieds est de 3 pouces vers le sanctuaire, mais qui diminue graduellement à 2 pouces dans la direction de l'entrée pour atteindre moins d'un pouce à l'extrémité du front, dans la direction de l'entrée.

Le Maqām :

Le Maqām est couvert d'une couche d'argent. Sur l'extrémité supérieure dirigée vers l'entrée, on lit la légende : "gloire à Dieu", du côté de Zamzam : "louange à Dieu," du côté du sanctuaire vénéré : "il n'y a d'autre divinité que Dieu," du côté de la Dar an-Nadwa : "Dieu est grand." A l'extrémité inférieure, on trouve 4 poignées en argent fixées à la couche d'argent, grâce auxquelles on peut enlever le Maqām pour le laver. Le Maqām est situé dans un petit bassin carré de marbre blanc recouvert d'une couche d'argent. La profondeur du bassin est de 4 pouces. Deux anneaux sont attachés au Maqām sur lequel on dépose un couvercle de bois d'une hauteur de 4 empan, les deux anneaux entrent alors dans deux ouvertures ménagées dans le coffret possédant deux cadenas, l'un du côté de Zamzam et l'autre du côté de Dar an-Nadwa. Le Maqām reçoit un autre couvercle de fer, lorsque la saison du Pèlerinage approche, et que la foule défile nombreuse devant lui; on enlève alors le couvercle de bois pour le remplacer par celui en fer. On met alors à droite et à gauche de celui-ci deux sièges de bois, sur lesquels on installe deux chandeliers de cuivre munis de chandelles de poix. L'espace entre le Maqām et la Ka'ba est de 50 coudées, entre le Maqām et la limite du

La Pierre Noire, sa hauteur dans le coin, ses attributs :

p. 18

La Pierre Noire est à trois coudées de hauteur par rapport au sol. La partie visible est d'un empan, sans compter la partie qui est encastrée dans le mur qui est d'un empan aussi. Elle est lézardée et brisée en 3 parties dont 2 sont grandes et une petite. On raconte que 'Abd Allāh Ibn az-Zubair l'avait collée et fixée avec de l'argent et l'avait introduite dans le coin. La petite partie avait été conservée par les Banū Šaiba, mais lorsque le Qarmatī restitua la Pierre après s'en être emparée, on la colla avec de la gomme laque; les Banū Šaiba rendirent alors la troisième partie et on versa sur l'ensemble de l'argent qui l'entoura jusqu'à ce qu'elle prît l'aspect d'un œil. Outre la brisure, elle est piquée en de nombreux points. Tâche de baiser le plus possible la pierre noire (istilām) et le coin yéménite. Cela lave les péchés — tout en prononçant : "au nom de Dieu, Dieu Très-Haut, puisses-tu me donner la croyance en Toi, et dans les révélations du Prophète".

Description du Hijr et ses dimensions :

p. 19

Le Hijr est de forme cubique, semblable à un bassin qui ne serait pas carré. Ses murs de même que le fond sont recouverts de marbre blanc; les deux extrémités ne sont pas contiguës au coin du sanctuaire mais donnent respectivement sur les deux coins syrien et ouest. L'espace qui sépare les deux bouts du mur du Hijr des deux coins syrien et ouest est respectivement de 8 et de 6 coudées : il constitue les deux portes donnant accès au Hijr. Le tour de celui-ci est de 45 coudées et demie, sa longueur depuis le mur du sanctuaire jusqu'à son extrémité est de 20 coudées, sa largeur totale est de 25 coudées car l'une de ses extrémités dépasse les limites du coin syrien du sanctuaire d'une coudée. La gouttière (mizāb) est au milieu de ce mur qui entoure le Hijr. Elle est fixée au mur de la Ka'ba. L'eau de la gouttière coule sur deux plaques de marbres de couleur verte jaunâtre, scellés avec du plomb. La hauteur de ce mur est de 5 empan tandis que l'épaisseur est de 4 empan. La partie haute du mur qui est plate est recouverte de marbre blanc; sur l'autre face du mur, en son milieu, juste derrière la gouttière, on voit une plaque de marbre vert sur lequel on applique la poitrine pour dire l'invocation hebdomadaire à la fin de la semaine. Telle est la description du Hijr.

Le plafond de la Mosquée Sacrée et les colonnes :

Le plafond du sanctuaire est élevé sur 3 "linteaux" rangés s'étendant du mur est au mur ouest. Le "linteau" à son tour est élevé sur 3 colonnes en bois modelé qui reposent sur des socles en bois ornés de clous en argent. Les colonnes sont alignées depuis le mur syrien jusqu'au mur yéménite. La distance entre la première colonne et le mur syrien est de 4 coudées; entre la première colonne et la colonne médiane la distance est de 7 coudées; celle entre la colonne médiane et la troisième colonne située après le mur yéménite est de 7 coudées; celle qui va de la troisième au mur yéménite est de 6 coudées. Le ciel du sanctuaire est d'une couleur or verdâtre, non sculpté mais cerné de vert doré. Au plafond du sanctuaire 4 lucarnes sont ménagées pour l'éclairage, les lucarnes sont couvertes d'une pierre blanche dite at-Talq, envoyées par 'Abd Allāh Ibn az-Zubair du Yémen, à ce qu'on raconte, et destinées spécialement à couvrir les lucarnes afin de laisser passer la lumière et non la pluie. L'une de ces lucarnes est située au haut de la pierre noire, une seconde se trouve au milieu du sanctuaire vers le chapiteau de la colonne médiane; une troisième est ménagée au haut du coin syrien et la quatrième donne sur le coin yéménite. Dans le coin noir se dresse une colonne où se trouve une barre d'argent, c'est là qu'étaient les boucles d'oreilles de Mariya, l'amulette et la corne de bélier. Aujourd'hui on n'y voit que deux grandes lampes d'argent, sculptées, et un suspensoir auquel deux autres lampes sont attachées.

p. 16

La porte de la Ka'ba, ses dimensions et son linteau :

Le linteau de la porte est en teck noir orné d'inscriptions d'un côté de l'intérieur du sanctuaire, doré du côté extérieur. La porte est d'une longueur de 7 coudées et demie et d'une largeur de 6 coudées moins 4 pouces. Elle est revêtue de plaques d'argent doré. Elle a deux anneaux en argent blanc non doré; le cadenas était de cuivre rouge doré en partie déteint. Ce n'est aujourd'hui que du fer couvert d'argent. La longueur du cadenas est d'un empan. La porte se trouve dans le mur oriental, l'espace entre la porte et le coin noir est de 5 coudées, ce lieu est appelé "al-Multazem". L'espace entre celui-ci et le coin syrien est de 18 coudées, la hauteur de la porte au-dessus du sol est de 18 coudées.

p. 17

“Sois assidu dans tes prières et n'en sois pas distrait”. A côté de chaque mihrāb on lit l'inscription suivante : “Il n'y a pas d'autre divinité que Dieu; Mohammed est l'envoyé de Dieu”. Dans le même mur, du côté du coin yéménite, au sommet de la plaque de marbre rouge, on voit un mihrāb d'or d'une longueur de 2 empan et d'une largeur d'un empan et demi. Au sommet de ces plaques colorées et des mihrābs se trouve un espace recouvert de marbre sur lequel la légende suivante est inscrite avec du musc liquide: “Il n'y a d'autre divinité que Dieu, Mohammed est l'envoyé de Dieu”. Cette légende est répétée sur deux lignes et suivie d'une autre : “L'imām al-Muti'-lillāh, prince des croyants”, et la ligne au-dessous : “L'imām al-Muqtadir-billāh, prince des croyants”.

Dans le mur yéménite on compte 4 de ces plaques colorées: 2 vertes et 2 rouges surmontées d'un espace orné sur lequel on lit : “Le premier temple consacré à Dieu est celui de la Mekke, temple béni, lieu où brille la vraie lumière, ce lieu saint est fécond en merveilles. Il est devenu l'asile des peuples”. Dans le mur où se trouvait la porte on voit trois de ces plaques; une verte située entre deux rouges. Les trois sont surmontées d'un espace revêtu de marbre où on lit, sur un coin du linteau de la porte, l'inscription suivante: “Tous les hommes qui peuvent faire le Pèlerinage doivent venir rendre hommage à l'Eternel. Que l'incrédule apprenne que le Tout-Puissant n'a pas besoin de l'encens des humains”.

“Au nom de Dieu clément et miséricordieux”.

“Dieu et les Anges sont favorables au Prophète. Croyants adressez pour lui vos vœux au Seigneur; invoquez pour lui la paix”.

Dans le mur syrien on trouve 3 autres plaques de marbre coloré; une plaque verte située entre 2 rouges. Les 3 sont surmontées d'un espace recouvert de marbre sur lequel on lit : “Nous avons établi la maison sainte pour être l'asile où se réunirent les peuples. La demeure d'Abraham sera un lieu de prière. Nous avons confié à Abraham et à Ismaël le soin de purifier mon temple pour les pèlerins, les fidèles et les pratiquants”. C'est la description de la Mosquée Sacrée de dehors et à l'intérieur.

permet d'augmenter l'élévation de 9 coudées et c'est de la sorte que le sanctuaire a mesuré 18 coudées de hauteur. Enfin, lorsqu'il fut incendié à l'époque de 'Abd Allah Ibn az-Zubair celui-ci ordonna de la reconstruire; il augmenta ce que les Quraisites avaient diminué; mais le sanctuaire lui semblait alors peu élevé; il augmenta alors la hauteur de 9 coudées, en disant : "les Quraisites l'avaient augmenté de 9 coudées, quant à moi je l'augmenterai de 9 coudées". Depuis le sanctuaire a 27 coudées de hauteur et depuis personne ne l'a surélevé.

Description de l'intérieur de la Mosquée Sacrée, ses caractéristiques et la signification de la prière :

Il est indispensable pour ceux qui veulent accomplir le Pèlerinage, d'essayer d'entrer dans le sanctuaire et d'y dire la prière : cela leur confère la meilleure des faveurs. Une fois entré, le fidèle ne tarde pas à se prosterner, à réciter ses prières avec un grand attachement à Dieu, car c'est un cadre vénéré et ne tarde pas aussi de se déchausser. Il ne crache pas, il ne se mouche pas, il se tient le plus correct possible car c'est un lieu vénéré, sacré et pur que Dieu Très-Haut, Tout-Puissant a honoré entre tous les lieux de la terre tout entière. Lieu du pèlerinage terrestre pour les hommes il est face au saint sanctuaire, lieu du pèlerinage céleste des anges.

Le sol du sanctuaire est pavé de marbre blanc. Dans une plaque de marbre située à la porte d'entrée de la Ka'ba, on voit un clou d'argent. Tous les murs sont aussi recouverts de marbre blanc jusqu'à une hauteur de 9 coudées. La partie supérieure, allant jusqu'au plafond n'est pas couverte de plaques d'or, mais sculptée et dorée. Parmi les marbres qui couvrent les murs, on trouve des plaques de marbre rouge et vert. On dit qu'al-Walid Ibn 'Abd al-Malik les avait envoyés avec d'autres marbres. Il y avait joint la somme de 30 mille dinars et donna ordre d'en couvrir le sanctuaire et de le dorer. C'est le premier qui a fait couvrir la Mosquée Sacrée de marbre et la fait dorer. Parmi les plaques de marbre coloré il y en a 5 sur le mur ouest juste en face de l'entrée; trois d'une couleur rouge et deux d'une teinte verte. Dans le même mur et entre les 5 plaques se trouvent trois mibrābs (niches) en argent dont chacun a 5 emfans de long et 3 de large. Dans les espaces entre ces mibrābs on lit la légende :

syrien, on dresse le minbar de baṭīb le vendredi; on l'enlève les autres jours. C'est un minbar constitué de trois parties.

p. 11 L'arrière corps, c'est-à-dire la façade ouest qui s'étend du coin yéménite au coin occidental, mesure 27 coudées — la longueur de la coudée ici est de 20 pouces. La distance de coin yéménite au coin noir est de 21 coudées et demie.

Le côté syrien, c'est-à-dire la façade syrienne, surmontée de la gouttière (mizāb), s'étend du coin ouest au coin syrien et mesure 24 coudées. Ce sont les dimensions du sanctuaire à l'extérieur.

p. 12 A l'intérieur les dimensions sont les suivantes : le mur qui est en face de toi lorsque tu entres dans le sanctuaire où sont ménagés les mihrābs d'argent et où le Prophète a fait la prière, mur qui s'étend du coin ouest au coin yéménite, a une longueur de 22 coudées. Le mur où se trouve la porte, et qui s'étend du coin noir au coin syrien, a 29 coudées de long à cause du coin qu'avait construit al-Ḥajjāj Ibn Yūsuf dans le coin syrien de sanctuaire et où il plaça une échelle par laquelle on accède au sommet de la Ka'ba pour accrocher les toiles (Kuswa). La largeur du mur syrien s'étendant du coin ouest au coin syrien est de 15 coudées et demie; cette distance est plus réduite à cause du coin sus-dit. La largeur du mur yéménite allant du coin noir au coin yéménite est de 17 coudées et demie. Mesurée à l'intérieur, la superficie du sanctuaire est de 352 coudées et demie

L'épaisseur des murs de la Ka'ba est de 5 emfans et la hauteur du sanctuaire, mesurée à l'intérieur en partant du sol, de 30 coudées: le mur du sanctuaire mesure 27 coudées de haut; il est surmonté d'une rampe d'une coudée de hauteur; on accroche la Kuswa une coudée au-dessus de cette rampe, c'est ainsi que la hauteur atteint 30 coudées. C'est l'élévation à l'extérieur tandis que l'élévation à l'intérieur est la suivante: tous les murs, du fond du sanctuaire jusqu'au premier plafond ont 20 coudées de hauteur et 2 coudées du premier plafond au plus élevé. C'est la hauteur intérieure.

On raconte qu'Abraham (l'ami de Dieu, salut à lui) avait donné à la Mosquée Sacrée primitive une hauteur de 9 coudées sans couverture; lorsque les Quraïshites la rebâtirent avec 6 coudées de moins en longueur qu'on laissa dans le Hijr, le surplus de pierre

p. 9 l'histoire suivante: Madād Ibn Jurhum s'y était installé et as-Sumaīda' Ibn Jurhum étant sur celle d'Ajyād une grande guerre éclata entre les deux. Ajyād — Je veux dire ceux qui s'y installaient — autrement dit as-Sumaīda' et les siens étaient les premiers à répandre le sang dans ce lieu sacré et à encourager la tuerie; les Arabes les appellèrent "Ajyād", car ils furent les premiers à donner généreusement leur sang puis ils baptisèrent la montagne "Ajyād". C'est une haute montagne, verte, située à l'ouest de la Mosquée Sacrée, au sommet de laquelle se trouve un minaret dont la construction est attribuée à Abū Bakr et sur lequel le muézin fait l'appel à la prière pendant le mois de ramadān. Elle est située en face du coin yéménite de la Ka'ba et on y accède par la porte d'Abraham. Du côté ouest, elle donne sur la montagne de Qua'iqi'an. Il y a aussi le mont d'Ibn 'Imrān; c'est une montagne noire située entre Abū Qubaīs et Ajyād; en réalité elle se trouve derrière celles-ci, mais de loin, elle semble être située entre elles. Par apport à la K'aba, elle domine le mur yéménite, mais elle est penchée davantage sur le coin yéménite. Puis on voit la montagne dite al-Bukā, à l'arrière des montagnes entourant la Mekke. Elle se trouve sur le flanc, située à l'extrémité de Dū-Tuwā, à ta droite lorsque tu sors pour at-Tan'im. A ta gauche, se trouve le Muttaka' qui est la pierre sur laquelle, le Prophète s'assit pour se reposer, quand il y parvint selon les récits des habitants de la Mekke d'après leurs Šaihs.

Nombre des faubourgs de la Mekke:

p. 10 Les faubourgs de la Mekke sont au nombre de quatre : al-Hajūn et ses environs qui s'étendent jusqu'à al-Marwa, le faubourg dit Qu'aīqi'an et ses environs jusqu'à la porte de Dū-Tuwā, le faubourg d'Ajyād al-Kabīr avec la passe d'Abū Bakr, englobant la partie basse du site de la ville (masfala) et allant jusqu'à la porte des Yéménites puis le terrain plat (aḥṭaḥ) et ses environs de la porte de Minā s'étendant jusqu'au chemin de 'Alī et celui de 'Uṭman.

Dimension de la Ka'ba de dehors:

La longueur de la façade de la Ka'ba, c'est-à-dire de la partie où se trouve la porte, du coin noir au coin syrien est de 27 coudées. Le long du tiers restant de ce mur, du côté du coin

que ces quatre lieux. A ce qu'on raconte, c'est l'un des "Ahsabān" On dit d'elle qu'elle est la première montagne créée par Dieu Très-Haut sur Terre.

Elle tire son appellation d'Abū Qubaīs du surnom d'un homme qui y vivait dans la haute antiquité. L'homme était surnommé Abū Qubaīs et c'est à lui qu'on attribue l'origine du nom de cette montagne. Parmi les montagnes, elle est la plus proche de la Mosquée Sainte. Elle est placée en face de la Mekke aussi bien que de la Ka'ba du coin noir.

p. 6

On rencontre aussi la montagne d'al-Handama; c'est une haute montagne qui domine Abū Qubaīs du côté est. Elle est faite d'une pierre rouge et il s'y dessine un grand rocher blanc qui, vu de loin, ressemble à une forme humaine. On peut l'apercevoir de la Mosquée Sainte à travers la petite porte des Sahmides. C'est sur cette montagne que les habitants de la Mekke s'étaient retranchés le jour d'al-Qarmatī. Plus bas, et séparée de cette montagne par une caverne, se trouve la passe de'Alī. Puis on trouve la montagne blanche située sur le "terrain plat" (abṭah) près de la porte de Minā (bāb Minā). Entre elle et la montagne rouge, on voit une muraille où sont ménagées deux portes en bois recouvertes de plaque de fer, elles se trouvent sur "al-Ma'la" et sont connues sous le nom de porte de Minā. Près d'elles des puits profonds où les gens puisent une eau qui n'est pas très douce.

p. 7

La montagne rouge s'étend depuis la mosquée d'al-Haīf jusqu'à l'endroit dit al-Hajun. Elle est parcourue par un chemin élevé au bas duquel s'étend la haute plaine (baqī') de la Mekke. Sur l'un de ses chemins se trouve le lieu dit al Muḥassab, entouré de la passe située en face de la mosquée d'al-Haīf où venaient les ancêtres du premier siècle de Minā, aux derniers jours d'at-Taṣriq pour accomplir la prière du midi, de l'après-midi, du coucher du soleil et du soir. Ils allaient ensuite à la Mekke. Il a été bien prouvé que le Prophète a suivi le même chemin. Puis on découvre la montagne située derrière la Dar an-Nadwa (maison de l'assemblée), dite Qu'aīqī'an. Elle donne sur celle d'Abū Qubaīs. C'est une montagne verte. On raconte, à propos de son appellation de Qu'aīqī'an.

p. 8

p. 4 serviteur d'après ce qu'il a recueilli, de vérifier ces faits et de lui donner satisfaction, car quoique ce dernier ait fait son possible dans le choix de ses informations, il a adopté une position intermédiaire entre un long développement et un résumé trop succinct, il est digne de sa bienveillance et doit être pardonné pour ses fautes, car il est "comme celui qui apporte des dattes à Hajar".

C'est à vous que nous avons emprunté tout ce qui est merveilleux puisque vous êtes une merveille parmi les merveilles. C'est ce que je voudrais dire en commençant mon récit en suscitant le soutien de Dieu (gloire à lui), et en aspirant à son pardon. Puisse Dieu rendre les Lettres heureuses en prolongeant les jours du seigneur en le récompensant pour ses bienfaits qu'il accorde aux gens.

— On fait d'ordinaire des cadeaux qui correspondent à la valeur du destinataire: quant à moi, je vous fais un cadeau digne de vous.

— On offre les objets périssables, et moi, je ferai l'objet de mes cadeaux ce qui subsistera de votre gloire.

LA MEKKE ET SON TERRITOIRE SACRÉ

La limite du territoire sacré du côté de Médine est situé au lieu dit *Dū-Tuwa*, à 3 milles de la Mekke; dans la direction de la ville *be Judda* elle est à 10 milles; vers le Yémen elle est à 7 milles; dans la direction de l'Irak, elle est à 6 milles; dans celle de la ville d'*at-Ta'if*, elle est à 11 milles, ce qui fait 37 milles dans l'ensemble. Le tour du territoire sacré autour de la Mekke est de 733 milles. Le Prophète a construit dans les deux territoires sacrés 15 mosquées.

p. 5 *Description de la Mekke, ses faubourgs et noms
des montagnes qui l'entourent :*

La montagne d'*Abū Qubaïs*: c'est une montagne d'une couleur sombre donnant vers le blanc, qui porte au sommet un minaret attribué, selon ce qu'on raconte à Abraham. Au pied de cette montagne se trouve la colline d'*aṣ-Ṣafā* par laquelle on y accède. Il n'y a que quatre endroits par où on puisse atteindre le sommet: *aṣ-Ṣafā*, la passe de 'Umar et celle de 'Ali et la passe d'*Ajyad aṣ-Ṣagīr*. Pour l'ascension d'*Abu Qubaïs*, on n'a d'autres chemins

al-Istibṣār fī 'Aja'ib al-Amsār (le livre d'observation des merveilles des divers pays). J'ai eu la plupart du temps le souci de chercher la vérité et d'éviter la réunion de récits dissemblables.

p. 3

J'ai commencé par la Mekke, Dieu Très-Haut l'honore et tout ce qui mérite d'être mentionné: description de son territoire sacré, non des montagnes qui l'entourent, mention de ses environs, description de la Mosquée Sainte — dans la mesure du possible — les dimensions extérieures de la K'aba et la description de l'intérieur. J'ai décrit (les deux collines) d'as-Safā et d'al-Marwa, (les lieux de 'Arafa, de Muzdalifa, de Mina et la montagne de la miséricorde (ar-Rahma), avec le sanctuaire d'Abraham (salut à lui). J'ai fait la description du val de Muhasser, sans parler des rites (le Pèlerinage). J'ai décrit la mosquée de l'Envoyé de Dieu à Médine de même que sa chaire. J'ai dénombré ses portes avec les colonnes et les lampes. De même, pour son tombeau (salut à lui), pour la plaine de Médine, pour le tombeau de 'Utmān (Dieu soit content de lui), pour la mosquée de Qubā, pour les tombeaux des martyrs au (mont) 'Uhud, auprès de qui je demande bénédiction et bienveillance.

J'en suis venu ensuite à décrire le pays d'Egypte et ses merveilles: le Nil et la longueur de son cours, puis la construction des pyramides, les birbas (temples antiques), leurs bâtisseurs, leurs dimensions et ce qu'on y a fait comme merveilles. J'ai mentionné les rois qui rendirent ce pays prospère avant le déluge et les conséquences de celui-ci. J'ai décrit la conquête de l'Egypte sous le règne de notre seigneur 'Umar Ibn al-Hattāb, puis je regagnai la ville d'Alexandrie. J'ai décrit sa construction, fait la description de son phare, des caractéristiques du miroir qui s'y trouvait et de sa fondation, pour nommer en terminant les rois qui se succédèrent sur son trône. J'ai cité ensuite les pays d'Ifrīqiya et leurs merveilles. J'ai fait la description de la ville de Carthage, de ses monuments et de ses merveilles, ensuite celle des autres pays jusqu'à l'extrémité du Maghreb. J'ai divisé les différentes contrées en deux parties et les ai mises en ordre suivant deux catégories: les villes du sahara et les villes voisines, celles du littoral et celles qui le suivent. Je n'ai cité — de ce que j'ai recueilli — que les faits quasi connus par tous (les auteurs) et qui sont acceptés par des témoins oculaires ou par tradition auriculaire. C'est au seigneur (Dieu prolonge son pouvoir et ses bienveillances) d'apprécier son

et le passé des Arabes et des Non-Arabes. On peut en effet apprendre l'histoire des Anciens et celle des royaumes complètement disparus, comme si ces royaumes avaient ressuscité ou avaient failli l'être.

— Rien ne me plaît dans le monde hormis les livres qui contiennent poèmes et histoires.

— Les hommes de mérite et de vertu sont morts, et, c'est dans les livres que nous trouvons leurs traces.

Dans le passé, les gens ont composé soigneusement et écrit des histoires et des chroniques, afin de mettre en ordre les événements remarquables et de réunir leurs détails. Et chaque auteur, suivant sa méthode apportait soit en détail soit en résumé sa contribution à l'histoire. Souvent même de sages serviteurs ont immortalisé leurs rois grâce à des histoires bien rédigées et des ouvrages soigneusement composés, afin de leur faire plaisir et de s'attirer leurs faveurs. Sans ceux-là, les successeurs n'auraient pas possédé la science de ceux qui venaient avant eux, et on n'aurait même pas connu l'histoire des différentes religions et celle des diverses nations.

C'est ainsi que j'ai découvert l'illustre Šāih, le grand, le puissant, le haut, le glorieux, le vénérable Abū 'Imrān fils de grand Šāih Abū Yahyā Ibn 'Uqtīn (puisse Dieu maintenir leur grandeur et faire prospérer leur gloire et leur fortune) dépassant par son mérite les hommes de mérite et par sa noblesse les Nobles, devançant les hommes de son époque par sa science, par sa complaisance aussi bien que par son amour pour la recherche scientifique, la protection de savants et le souci de gagner la sympathie des doctes légistes. Il s'intéressait particulièrement aux bonnes nouvelles, il récompensait les historiens par ses largesses au point que sa renommée fût connue de tous voyageurs et dans le monde entier. Pour lui manifester ma reconnaissance, je n'ai pas pu résister à la joie de lui dédier un livre renfermant à la fois des histoires que j'ai entendues et d'autres que j'ai lues et englobant toutes les éparses anecdotes agréables. Escomptant me garantir sa bonté, espérant aussi ses faveurs et sa satisfaction, j'ai intitulé mon ouvrage, composé suivant le plan déjà prévu, "Kitāb

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX

Que la bénédiction de Dieu soit sur notre seigneur Mohammed

Kitāb al-Istibṣār fi 'Aja'ib al-Amsār

(le livre d'observation des merveilles des divers pays).

Louange à Dieu qui connaît les secrets. Il accorde le pardon aux crimes. Il est l'Unique, l'Invincible, le Puissant, le Fort, le Pur dont la veille, ni la nuit, ni le jour ne neutralise la force.

Pleins de foi en son unicité, nous lui consacrons nos louanges; puisant dans l'infini de ses grâces, comblés de sa miséricorde, nous le remercions.

Nos prières pour son Prophète, notre seigneur Mohammed, l'envoyé aux miracles éblouissants, aux révélations décisives, celui qui nous arrache de l'enfer par les cheveux, celui qui prêche pour la foi de son Dieu par des versets évidents.

Nos prières de même pour les siens vénérés, pour ses pieux compagnons, jusqu'au jour du jugement.

Grâces à son chaste fils, à son pieux descendant l'Imām impeccable qui renouvela les préceptes de la Religion après leur déformation, qui lutta sincèrement pour Allah, et invita égarés et perdus à suivre la voie de la Vérité. Grâces aux Califes orthodoxes, guides de la foi, flambeaux de ceux qui suivent le vrai chemin. Nous rejetons nos invocations en faveur de leur successeur le béni, le bienheureux notre seigneur le Commandeur des Croyants Ya'qūb; que le triomphe accompagne son bonheur et que la providence lui accorde les victoires qu'il désire.

On sait que la science est le bien le plus précieux, qu'elle est l'occupation la plus honorable, qu'on n'a pas cessé de la transmettre des ancêtres à leurs successeurs, et d'un homme noble à un autre. C'est pourquoi, il faut la considérer comme le meilleur cadeau qui se puisse offrir et le meilleur don qui se puisse espérer, afin d'être imprégné par elle, d'être l'un de ses représentants et de posséder vivement les traces de l'histoire variée des nations

Les apports les plus originaux concernent le Maghreb — Extrême. Les efforts constructifs des trois premiers almohades, surtout de Ya'qub, sont importants : travaux hydrauliques, mosquées, palais et fortifications à Marrākus, Fās et Miknāsa.

Ce résumé est un aperçu rapide de l'Istibṣār, véritable petite encyclopédie historico-géographique.

Pour établir le texte nous avons consulté trois manuscrits : un appartenant à la Bibliothèque nationale de Paris (fonds arabe No. 2225), d'une écriture lisible, mais dont les premières et les dernières feuilles manquent — il présente de plus quelques lacunes —; deux manuscrits de la Bibliothèque nationale d'Alger : le premier (No. 1560) est en bon état et complet; par contre le deuxième (No. 3216), quoiqu'il soit complet, est en mauvais état et d'une écriture parfois difficile à déchiffrer. Nous avons consulté enfin l'édition de von Kremer concernant le Maghreb, établie d'après un manuscrit dont nous ignorons le sort; mais elle présente beaucoup de lacunes.

Nous donnons au manuscrit de Paris la lettre “ب”, à ceux d'Alger — respectivement les lettres “ع” & “ف” à l'édition Kremer la lettre “ا”.

Les multiples fautes d'orthographe ou quelquefois grammaticales aussi bien que les variations de noms propres montrent que ces manuscrits étaient copiés à une époque postérieure à celle de l'original, par des copistes peu lettrés. Par suite de cela, nous avons été obligés assez souvent d'avoir recours aux ouvrages antérieurs. Et, malgré l'élargissement de notre champ de travail qui en a résulté, nous ne pouvons prétendre que notre texte soit parfaitement rétabli. Quelques mots, voire quelques phrases, restent encore imprécis ou peu intelligibles. Citons par exemple les mots “bahr murabham” (p.14-15) ou les mots “hijāra matrūra” (p.33). S'agit-il là de termes techniques propres à l'architecture? Nous ne pouvons l'affirmer, mais nous comprenons ces mots selon le sens général de la phrase. C'est ainsi que nous entendons les premiers comme “espace recouvert de marbre” et les seconds comme “pierres bien taillées.” Mentionnons encore les mots “tawran min nuhas” (p.20) que nous comprenons comme “deux chandeliers de cuivre”, la phrase “fa naza'ani fi'l qorb wa al-ṣuli fa ḡalabtuhu”

(p. 185) que l'on peut interpréter ainsi : "il a eu avec moi une discussion à propos du thon et de l'esturgeon, mais c'est moi qui l'ai emporté." Citons aussi le mot "Talīt" (p.200) nom propre d'une ville, dans le sud marocain, près de Sijilmassa, dont nous ne savons rien.

En ce qui touche à la traduction, notre effort a visé à reproduire fidèlement l'arabe en français au moyen d'une transposition littérale. C'est seulement chaque fois que l'arabe était difficile à traduire directement, nous voulons dire mot par mot, que nous avons tenté de reproduire plutôt le sens, mais tout en observant de rester le plus près possible du texte. Une pareille tâche n'est pas facile à mener à bien. Nombreuses sont les difficultés que nous avons rencontrées : nuance entre les mots, images difficiles à rendre, tournures propres à chacune des langues, somme toute c'est l'esprit de l'une et de l'autre qui était en jeu. Nous pourrions en donner des exemples multiples. Sans chercher plus loin, il suffirait de parcourir les premières pages de l'ouvrage où les illustrations de ces difficultés abondent.

Des notes explicatives accompagnent le texte. Elles ont pour but soit l'indication de sources antérieures constituant les informations de base de notre texte, soit la comparaison de celui-ci avec celles-là. C'est aussi dans le même but que nous avons mentionné, dans les notes, quelques uns des ouvrages les plus importants des époques postérieures.

Béja, laine de Wajja, cuivre jaune de Fès, huile de Miknasa et ses alentours, peau de l'antilope, sel et surtout sucre du pays de Sous — exporté dans tous les pays du Maghreb et d'Andalousie, et en Ifriqiya — ainsi que le cuivre travaillé, le miel, le vin, les esclaves, de l'ambre d'excellente qualité. Dans les pays du Soudan, il s'étend sur l'or, l'alun blanc et l'amiante.

Sur le plan historique, le livre renferme des renseignements de nature différente et de valeur inégale : histoires anciennes empruntées aux livres connus ou perdus, se rattachant aux légendes, et aux fables de valeur seulement littéraire, et des documents historiques contemporains d'une valeur inestimable.

La première partie qui décrit en détail les Lieux Saints est intéressante pour l'histoire de l'art, surtout si l'on tient compte de la rareté des traités consacrés à l'archéologie, ce qui rend la tâche de l'historien de l'art des plus difficiles.

En ce qui concerne l'Égypte, l'ouvrage nous donne une idée de l'esprit avec lequel on concevait l'histoire de l'Égypte ancienne. Tout ce qui est ancien doit être extraordinaire sans même tenir compte des documents très sûrs que l'on possède. Ainsi, le plomb devait remplacer le mortier dans la construction des pyramides; mais il aurait suffi d'examiner ces monuments pour constater qu'il n'en était rien. A la différence de la première partie caractérisée par la sécheresse des renseignements, la seconde est surtout littéraire.

Le chapitre consacré à Alexandrie est des plus intéressants. L'auteur nous présente en détail le célèbre phare et retrace la position militaire de la cité placée sous la menace permanente de l'ennemi séculaire, Chrétiens et surtout Normands de Sicile. La croisade de Saladin et sa victoire, la mission d'Ibn Munqid auprès d'al-Mansur sont l'objet de quelques pages intéressantes auxquelles on souhaiterait une plus grande ampleur.

La dernière partie relative au Maghreb est d'une valeur incontestable pour l'histoire almohade, du fait de la situation sociale de son auteur. Celui-ci condamne avec amertume les opérations menées par 'Ali Ibn Ganiya en Ifriqiya et défend la cause de son souverain.

et à Damiette; nous sommes maintenant en l'an 586 (1190)"; tout comme si le fait existait encore ou comme s'il l'avait constaté lui-même. Il ne savait pas que Tennis avait été l'objet de plusieurs attaques des Siciliens et des Croisés et que ses habitants l'évacuaient en 588 (1192) lorsqu'il remaniait son ouvrage (voir p. 88 et note 1). Une fois parti d'Égypte pour rejoindre le Maghreb et le Soudan, l'Auteur n'est plus sollicité par le passé. Il revient à ce qu'il voit et donne des descriptions plus précises. Si l'on tient compte du fait qu'il était maghrebin et par conséquent familiarisé avec un pays qui était le sien, on comprendra aisément que cette partie ait plus de valeur que la précédente.

Ici les sources auxquelles notre ouvrage puise ses renseignements et dont il fait mention sont al-Mas'ūdī et al-Bakrī — ce dernier constitue la source essentielle de la troisième partie. Mais l'effort de notre auteur est considérable; il suit un plan qui lui est propre et il fournit des informations personnelles très considérables, notamment en Ifriqiya et au Maghreb-Extrême.

INTÉRÊT DE L'OUVRAGE :

L'ouvrage est une source de renseignements d'ordre géographique, historique et archéologique. Il insiste sur la prospérité agricole de l'Égypte due au Nil et plus spécialement sur celle de la contrée d'al-Fayyūm. Celle-ci attire son attention surtout par ses travaux hydrauliques qui favorisent son agriculture et ses fruits. Les dattes d'al-Faramā sont classées parmi les merveilles du monde. Il s'étend longuement sur les mines d'émeraude situées entre la ville de Qus et celle d'Assouan. Il s'arrête sur l'industrie du tissage à Damiette et Tennis où l'on trouve des robes en fil sans or à 100 dinars et où l'on se livre à la chasse des grives. 'Aydāb, à cette époque, était un port important d'où on partait à destination de Hijaz, du Yémen, des Indes et des autres pays.

A propos du Maghreb, il insiste sur la richesse agricole et minérale de chaque ville : soie de Gabès, huile de Sfax exportée en Sicile, en Italie et dans la "Grande terre" (pays des Francs = France), tissu de Sousse, poissons de Bizerte, corail de Tabarqa, dattes des Oasis et du pays du Jarid, or du pays situé entre les Oasis et l'Égypte, pistaches de Qafsa, blé a.

Dans ces chapitres l'auteur utilise cinq sources différentes qu'il cite à quelques reprises : al-Mas'ūdī (m. 956), Ibn Wāṣif Ṣāh qui écrit vers l'an 1000 est d'origine persane et habitant, semble-t-il, la ville d'Ihmim, versé dans l'histoire de l'Égypte ancienne — selon la conception, il est vrai, qu'on se faisait de cette histoire au Moyen Âge (Cf. Carra de Vaux, *L'Abrégé des Merveilles*, Paris, 1898), Ibn 'Abd al-Hakam, al-Bakrī et enfin les informations personnelles de l'auteur, portant souvent sur des événements qui lui étaient contemporains (chaque fois que l'auteur les reproduit il les fait précéder de la formule : "an-Nāzir dit"). L'auteur a-t-il puisé ses renseignements directement à ces sources ? Le fait que les fragments de l'ouvrage d'al-Bakrī qui traitent de l'Égypte (ms. Paris, 2218) ressemblent d'une manière frappante tant par leur plan que par leurs détails aux chapitres de notre ouvrage nous incite à croire que l'auteur n'a fait que reproduire l'ouvrage d'al-Bakrī avec ses détails empruntés à al-Mas'ūdī, Ibn Wāṣif Ṣāh et Ibn 'Abd al-Hakam. Cette constatation n'empêche pas que l'auteur ait pu consulter ces livres qui étaient en vogue à l'époque et qu'il en ait tiré peut-être des renseignements qu'il aurait ajoutés à ceux d'al-Bakrī. Et s'il ne mentionne pas al-Idrīsī, il semble que celui-ci l'inspira maintes fois. Lorsqu'il s'agit de la conquête arabe, il reproduit Ibn 'Abd al-Hakam tel qu'il l'était par al-Bakrī. Et sans doute en va-t-il de même quand il s'agit de l'Égypte ancienne et qu'il mentionne Ibn Wāṣif Ṣāh en reproduisant son récit.

Dans ce domaine de l'histoire ancienne, nous n'attendons rien de nouveau de l'auteur. Mais c'est à propos des villes égyptiennes que nous attendons une mise à jour comme il le fait lorsqu'il traite des villes du Maghreb. Or, il n'en est rien. La croisade fait rage et plusieurs villes égyptiennes sont le théâtre de drames qui devront retentir au Maghreb. Mais l'auteur, se contentant de donner quelques passages sur la croisade et la victoire de Saladin à la fin de ses chapitres, se donne à reproduire la description classique de ces villes telle quelle était faite par al-Mas'ūdī, Ibn 'Abd al-Hakam et al-Bakrī. En plus il risque d'induire le lecteur en erreur quand, négligeant de donner sa source, il modifie un peu la forme de celle-ci et donne par contre la date à laquelle il rédige son ouvrage. Nous avons pour exemple de ce fait les renseignements d'al-Mas'ūdī sur Tennis et Damiette reproduits par l'auteur de la façon suivante : "il y a des Chrétiens payant la capitulation à Tennis

A propos de Médine il s'étend de la même manière en insistant sur la mosquée du Prophète, la sépulture vénérées, la mosquée de Qubā pour finir avec les tombeaux des martyrs au pied du mont 'Uhud.

Cette partie, par les renseignements précis qu'elle apporte et par son caractère scientifique, est d'une grande valeur. Mais nous ne savons pas à quelle source l'auteur a puisé ses informations. En ce qui concerne la Mekke ces dernières sont différentes de celles qui sont fournies par al-Azraqī (IIIe/IXe siècle) et reproduites par Ibn Rusteh (fin du IIIe/IXe siècle) et ainsi que de celles d'Ibn Juhāir, contemporain de notre auteur, qui constituent les deux sources d'informations les plus originales sur la Mekke et la Ka'ba. Notre auteur ne leur doit donc rien. Sans doute peut-on penser à al-Bakrī qui écrivit en 460 (1067) et dont l'ouvrage intitulé *al-Masālik wa'l Mamālik* (les Itinéraires et les Royaumes) constitue quant à l'Egypte et au Maghreb l'information de base de notre auteur et dont la partie de cet ouvrage relative aux Lieux Saints est perdue. Pour la description de Médine et la mosquée du Prophète, nous ne savons pas non plus à quelles sources a puisé l'auteur; ses informations sont différentes de celles d'Ibn Rusteh et de celles d'Ibn Juhāir. Toutefois l'auteur dit de l'an 528 (1133—1134) qu'en cette année il y avait dans la nef médiane de la mosquée du Prophète un tapis fabriqué au Tabaristān. Et ceci donne à croire que la composition de la première partie doit remonter à cette époque et que notre auteur la copia en 587 (1191) d'après une source qui ne nous est pas parvenue.

Dans son ensemble la seconde partie se rattache à l'exposé des merveilles du monde; ce n'est partout que curiosités, choses rares et extraordinaires. Par ailleurs nous remarquons l'ébauche d'un plan qui tente de diviser les chapitres consacrés à l'Egypte en deux périodes: celle de l'Egypte ancienne — qui se subdivise à son tour en deux autres périodes séparées par le déluge — et celle de l'Egypte moderne, arabisée. La première commence par un exorde sur le pays en général et finit avec l'apparition de l'Islam et la chute du pays sous la pression des Arabes. La seconde, celle des villes égyptiennes, débute par l'histoire de la conquête musulmane empruntée à Ibn 'Abd al-Hakam. Ce plan et ces divisions ne sont valables qu'en gros, dans les détails, les renseignements géographiques et historiques, antiques ou modernes, s'intercalent les uns dans les autres sans une nette démarcation.

L'OUVRAGE :

Un coup d'œil rapide nous permet de constater que le *Kitāb-āl-Istibṣār* est une oeuvre géographique. Selon R. Blachère les ouvrages arabes de géographie se divisent en deux grandes catégories : l'une est constituée par la géographie mathématique, l'autre par la géographie descriptive. Elles se subdivisent respectivement en deux classes : science des longitudes et des latitudes et détermination de la position du pays d'une part, science des itinéraires et des Etats, et science des merveilles du monde de l'autre. Dans quelle catégorie classerons-nous l'*Istibṣār* ? D'après le titre de l'ouvrage qui signifie "Livre d'observation des merveilles des divers pays", il semble qu'on doive le classer dans la quatrième catégorie. Mais d'une façon générale il n'en est rien car il ne s'agit pas de géographie pure. Malgré sa date tardive c'est un mélange d'histoire et de géographie de toutes sortes, qui s'attache à la classe des ouvrages historico-géographiques des premiers siècles.

Au point de vue géographique, l'ouvrage n'a aucune prétention scientifique, il n'est pas exclusivement consacré aux merveilles du monde comme on pourrait l'attendre, mais ce n'est qu'une œuvre de compilation renfermant certains renseignements précis, d'autres plus vagues, des légendes savoureuses, le tout rassemblé pêle-mêle dans le but d'offrir à tous une description facile et agréable qui ne soit alourdie de précisions scientifiques ennuyeuses n'intéressant que les spécialistes.

LES SOURCES :

Pour tenter d'identifier les différents auteurs auxquels il a emprunté ses informations, nous tiendrons compte du fait que l'ouvrage est divisé en trois parties distinctes : Lieux Saints, Egypte, Maghreb.

Il ne s'agit dans la première partie, que d'une description de la Mekke et de Médine destinée à broser un tableau des rites traditionnels relatifs au cinquième principe de la religion musulmane : le Pèlerinage. L'auteur insiste sur la Mekke, énumère ses banlieues, ses collines et les montagnes environnantes. Il décrit minutieusement la Ka'ba, ses dimensions, sa porte, la pierre noire. Il s'étend longuement sur la Mosquée Sacrée, décrit le puits de Zamzam, explique au fur et à mesure les rites du Pèlerinage. Il mentionne encore les autres mosquées, telles que celle d'al-Haïf et celle d'al-Muzdalifa.

Il semble qu'il ait écrit ce livre en l'an 587 de l'Hégire (1191), au mois de ramadan (septembre-octobre). C'est ce qu'il nous apprend à plusieurs reprises, particulièrement à propos de la mission d'Ibn Munqid, envoyé de Saladin auprès du calife maghrebin, et des opérations militaires contre les Banū Ġaniya en Ifriqiya. Mais le livre a été vraisemblablement l'objet de quelques remaniements postérieurs à cette date : nous en avons pour exemple la mission d'Ibn Munqid au sujet de laquelle l'auteur, après avoir indiqué la date de la rédaction de son ouvrage (ramadān 587 / septembre-octobre 1191) rapporte que l'ambassadeur de Saladin quitta la résidence califienne le 11 muḥarram 588 (28 janvier 1192).

Les détails qu'il donne sur Meknès, Fès et Marrakech prouvent une connaissance profonde de ces villes; il y a certainement vécu s'il n'en est pas originaire : il ne se contente pas de décrire minutieusement les capitales maghrebines de l'empire almohade de son temps, les travaux entrepris sous Ya'qub et ses deux prédécesseurs, mais il propose encore des plans constructifs destinés à améliorer la prospérité de ces contrées.

En outre, les renseignements qu'il donne à propos de l'expédition militaire contre les Banū Ġaniya s'accordent d'une façon frappante avec une lettre officielle expédiée par la chancellerie de Ya'qub et dont il nous livre des extraits⁽¹⁾. Quand il traite du Soudan, il dit qu'il a consulté des lettres officielles expédiées au nom de Ġana roi de l'un de ces pays et destinées à Yusof Ibn Tāṣfīn; ce qui veut dire qu'il avait sous la main les anciennes archives almoravides. Pouvons-nous conclure de là que notre auteur remplissait auprès de Ya'qub al-Mansūr une fonction lui permettant d'être au courant des événements, à la chancellerie ou au palais califien ? Doit-on penser que notre auteur était l'auteur même de la lettre de la chancellerie Ibn Maḥsara⁽²⁾ ? D'autre part le fait de louer très humblement le calife et ses deux prédécesseurs, n'est-il pas une preuve de soumission affectueuse de la part d'un sujet almohade dévoué ?

(1) Cf. Texte : p. 159 et note 1.

(2) Abū al-Faḍl Ja'far Ibn Mohammed Ibn Ali Ibn Tāḥir Ibn Tamīm al-Qalbi (541/1146—7=598/1201—2). Cf. Lévi-Provençal, Un recueil de lettres officielles almohades, étude, p. 9 et note 2.

L'AUTEUR :

Nous ignorons l'auteur du *Kitāb al-Istibṣār*. A l'exception d'Ibn Abī Zar' qui mentionne le titre de l'ouvrage⁽¹⁾, aucun écrivain en effet n'a donné jusqu'ici le moindre renseignement. L'auteur d'ailleurs à travers son livre ne nous révèle presque rien de sa personne. Il se désigne sous trois appellations : *al-Mu'allif* (l'auteur), *al-Nāzir*, sur lequel on va revenir et *al-Wādi'* : la signification est à peu près identique à celle d'*al-Mu'allif*. Aussi nous arrêterons-nous simplement à l'examen d'*al-Mu'allif* et d'*an-Nāzir*. Ces deux mots désignent-ils une ou bien deux personnes ? Il pourrait s'agir d'un titre mais cette hypothèse est peu soutenable car nous ne connaissons pas à l'époque de titulaire de ce nom. Dans le second cas on doit admettre, que le mot *an-Nāzir* signifie "réviseur", celui qui a mis l'ouvrage au point. Ce terme désigne donc un autre personnage que l'auteur. Ce fait est confirmé par le passage suivant (texte, p. 226) : « *an-Nāzir* dit : Ici prend fin ce que j'ai trouvé à ce sujet, l'auteur (*al-Wādi'*) l'a bien composé, a mis en ordre ce qu'il a vérifié ... , j'ai vérifié et embelli le livre de l'auteur (*al-Wādi'*) avec ce que j'ai ajouté dans les divers sujets : et j'espère me consacrer à la composition d'un livre complet contenant l'histoire des pays du Maghreb et de ses royaumes jusqu'à notre époque imāmide bien heureuse en y ajoutant ce que j'ai présenté à notre auguste souverain, en l'an 589 (1184—5) et en y insérant, tant que je vivrai, les nouvelles conquêtes par lesquelles il exterminera les ennemis ... »

De toute façon c'est ce "Réviseur" qui doit rester à nos yeux le véritable auteur du livre, qui composa l'introduction dans laquelle il établit le plan de l'ouvrage (description des Lieux Saints, de l'Égypte et du Maghreb) et qui termina ce dernier en nous promettant un livre exclusivement consacré à l'histoire du Maghreb. Quelques passages semblent suggérer qu'il vécut sous le règne de Ya'qub al-Mansur l'Almohade et qu'il était sous le patronnage d'un haut dignitaire, le *saīh* Abū 'Imrān Ibn Abī Yahyā Ibn "Ūqtīn", mécène auquel il dédie son livre et dont il sollicite les faveurs.

(1) Cette mention est faite lorsque l'auteur d'*al-Qirṭās* (p. 24) reproduit un extrait relatif à l'appellation de la ville de Fèz. Du fait qu'il ne figure pas dans l'ouvrage tel que nous le connaissons aujourd'hui, cet extrait démontre que l'*Istibṣār* nous est parvenu incomplet.

INTRODUCTION

Le mérite de consacrer, le premier, un travail spécial au *Kitāb al-Istibṣār* ne nous revient pas. Il y a un siècle Alfred von Kremer édita la partie relative au Maghreb d'après un manuscrit qu'il possédait (*Kitāb al-Istibṣār fī 'Ajaib al-Amsār : Description de l'Afrique par un géographe arabe anonyme du VI^e siècle de l'Hégire, Vienne, 1852*). Cette édition est toutefois incomplète — il y manque les chapitres consacrés aux pays de Ġumāra, à l'installation des Idrisides dans le Maghreb, à l'hérésie des Bargawāta, à la ville de Sijilmāsa, aux origines des 'Ubaïdides, aux villes de Dar'a, d'Aġmāt, Nafīs, Tinmallal, Marrakus et aux pays de Sous aux confins de Soudan, sans parler, des pays de Soudan proprement dit. D'autre part, l'édition de von Kremer présente ici et là des lacunes plus ou moins considérables. E. Fagnan, une cinquantaine d'années après, publia une traduction commentée de cette même partie d'après l'édition de von Kremer, les deux manuscrits d'Alger et celui de Paris (*l'Afrique septentrionale au XII^e siècle de notre ère; Extrait du recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine. Vol. XXXIII, année 1899. Constantine, 1900*). Dans sa traduction, Fagnan comble les lacunes du texte arabe établi par von Kremer. Ce travail ne saurait toutefois répondre à toutes les exigences des arabisants.

La partie arabe, encore inédite est d'ailleurs considérable; elle représente la moitié environ du texte complet. Elle est divisée en deux parties : un tiers, consacré aux lieux saints, la Mekke et Médine; le reste à l'Egypte et ses merveilles.

Ainsi se dessine notre tâche : établissement du texte complet du *Kitāb al-Istibṣār* et traduction de la partie relative aux Lieux Saints et à l'Egypte.

KITĀB AL-ISTIBSĀR

fī A'jā'ib al-Amṣār

**Description de la Mekke et de Médine,
de l'Égypte
et de l'Afrique septentrionale.**

par un écrivain marocain du V^e siècle de l'Hégire (XII^es. J. C.)

**Texte arabe annoté,
publié avec une traduction de la partie
relative aux Lieux Saints et à l'Égypte**

Par

DR. SAAD ZAGHLOUL ABDEL-HAMID

**Ancien professeur à la Faculté des Lettres de l'Université d'Alexandrie
Professeur à la Faculté des Lettres de l'Université de Kuwait**